

كشف الارتباب

في اتباع محمد بن عبد الوهاب

مؤلفه

السيد محسن الأرمين

محققه وأخبره

محسن الأرمين

تجديد
كشف الارتباب
في اتباع محمد بن عبد الوهاب

تأليف المفرد له
السيد محسن الأمين

محققه وأخرجه وولاه
حسن الأمين

(الطبعة الثانية)

١٣٨٢ هـ - ١٩٥٢ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

- ١ -

منذ خمس وثلاثين سنة طغت موجة الارهاب السعودي على الجزيرة العربية فحملت معها الحقد والسفك والدمار والتفكيك بالعرب والمسلمين فاستبيحت المحارم وسفكت الدماء واهينت المقدسات وكفر المسلمون وعطلت شعائر الاسلام .

وارتفعت الاصوات بالاستنكار في مختلف البقاع العربية والاسلامية وعقدت المؤتمرات وقامت الاحتجاجات باستنكار هذه الحركة الرجعية الآثمة التي تلبست لباس الاصلاح والغيرة على الدين فاصطبغت ايدي القائمين بها بدماء العرب والمسلمين منذ ان تحالف ابناء مؤسس الدعوة الوهابية محمد بن عبد الوهاب مع آل سعود فكانت غاراتهم المتتالية على نجد والحجاز والعراق وبقية بقاع الجزيرة العربية فسفكت بها دماء الآلاف من الابرياء من الاطفال والنساء والرجال ودمرت المدن والقرى واعمل فيها القتل والنهب والسلب .

وقامت اقلام العلماء والادباء والشعراء بالذبح عن حياض المقدسات الدينية وفضح اعمال البرابرة السعوديين الذين اعادوا الى الذاكرة فظائع الغزو المغولي للديار الاسلامية وما ارتكبت فيه من آثام وجرائم ضد الحضارة والانسانية .

وكان في طليعة الكتب التي صدرت في ذلك الحين كتاب « كشف الارتياح في اتباع محمد بن عبد الوهاب » وهو هذا الكتاب بقلم المرحوم الوالد الذي استقصى فيه تاريخهم الحافل بالفضائح والمآسي والاجرام وفضح فيه اسطورة الاصلاح والتجديد التي زعموها وفند عقائدهم وافترآتهم على الاسلام والمسلمين بما ليس فيه زيادة لمستزيد .

وقد اثار هذا الكتاب ضجة كبرى في العالمين الاسلامي والعربي يومذاك وألب عليهم الرأي العام ووقعهم في خيرة من امرهم لما فيه من الحجج الدامغة والبراهين الساطعة

وجعلهم يحشدون كل ما لديهم من اقلام مخدوعة ومأجورة للرد عليه واضطرم بالتالي الى التحقيف من غلوائهم ومحاولة استرضاء الرأي العام الاسلامي الذي ناصبهم العداء لاسيما بعد ان صدرت الفتاوى بعدم جواز اداء فريضة الحج لعدم امان المسلمين على ارواحهم وأموالهم واعراضهم وكان موسم الحج هو المورد الوحيد لتأمين الموارد لهم بعد ان خرجوا من ديارهم حفاة عراة جائعين وبعد ان كان تاريخهم الدامي الذي يفاخرون به سلسلة من اعمال الغزو والسلب والنهب والتقتيل .

- ٢ -

لقد هادن السعوديون الرأي العام العربي والاسلامي فترة وتظاهروا بالتوبة ثم عمدوا الى شراء اقلام الكتاب والصحافيين المأجورة يسترون بها عوراتهم وجرائمهم باموال المسلمين وذلك حرصاً على استتباب الامر لهم .

ولما ظهر البترول في البلاد العربية التي اغتصبوها من اصحابها واعطوا امتيازاتها للشركات الاحتكارية بالجش الاثمان وابطرتهم النعمة عادوا سيرتهم الاولى وانطلقوا يحملون معهم خيرات البلاد لينفقوها بالملايين وعشرات الملايين على الفسق والفجور وشرب الخمر وانتهاك الاعراض حتى انتشرت فضائحهم في الشرق والغرب وتحدثت عنها صحف العالم بينما ضنوا بالزر اليسير منها على الشعوب التي ابتليت بحكمهم فتضورت جوعاً . ولم يجرموا هذه الشعوب من خيرات البترول فحسب بل حرموها من ابسط ما يتمتع به الانسان من كرامة بل حرموها من ابسط الحريات فلا حرية للمعتقد ولا حرية للعبادة ولا حرية للقول ولا حرية للكلام فالكتب والصحف محظورة الا ما مجد السعوديين واباح جورهم واشاد بطغيانهم بينما تحرق كتب الاسلام الصحيح وتمزق اسفار الدين القويم وكشاهد على ذلك نزوي ما فعله قاضيه في محكمة الظهران سليمان بن عبيد عام ١٩٥٥ من امره باحراق كتاب فقهي اسمه (دعائم الاسلام) كما فعلوا بكتاب (ابو الشهداء) للاستاذ عباس محمود العقاد الذي لم يكتبوا بنعمه بل صادروه وأحرقوه وكذلك فعلوا بكثير من الكتب والاسفار .

وفي هذا العام اصدر شاب فاضل من ابناء القطيف التي نكبت بحكم السعوديين كتاباً

اسماء (مؤمن قريش) فامروا باحراق الكتاب واختطفوا مؤلفه واخفوه وكادوا يقضون عليه لولا الضجة التي ثارت عليهم من كل جانب فاكثفوا بسجنه وجلده .

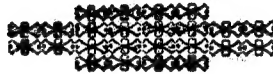
- ٣ -

سلط السعوديون زبانياتهم من اسموم زوراً «وبهتاناً هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر» على الناس فامعنوا بهم تنكيلاً ، وهم الذين يحكمون باحراق كتب الدين وتاريخ المسلمين وينكلون بالاحرار امثال الكاتب الفاضل عبد الله الحنيزي ويتفننون بارتكاب الموبقات واننا لنسأل عبد الملك بن ابراهيم رئيس هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وامين سرها عبد الله باشميل وجلاوزتها كيف سكتوا عن مخازي امرائهم وفجور حكامهم وفسق ملوكهم وتهتك كبرائهم ولم يروا في هذه الاعمال منكراً ينهون عنه .

- ٤ -

لقد رأينا خدمة للحقيقة والتاريخ تجديد هذا الكتاب واعادة طبعه وزيادة فصول جديدة عليه ونشره في الرأي العام العربي والاسلامي لظهار حقيقة السعوديين خالية عن الزيف وعن بهرج الدعاية المضلة وبالله المستعان .

حسن الأمين



نسب السعوديين (١)

لماذا يكفر السعوديون المسلمين ويستحلون دماءهم واعراضهم وامواهم؟! ولماذا لم يحارب السعوديون الا العرب ولم ينجروا الا ديارهم ولم ينتهكوا الا حرماتهم؟! لماذا وقف السعوديون هذا الموقف المخزي من كارثة فلسطين فكانوا عوناً للصهيانية على اهلها؟! لماذا ابنى ملكهم عبد العزيز بن سعود ان يهدد بقطع النفط يوم كان هذا التهديد حاسماً في منع تقسيم فلسطين ، ولما رفض ان يساهم بدينار واحد في انقاذ الارض المقدسة ، ولماذا رفض ان يبعث جيشاً سعودياً مع جيوش العرب الداخلة الى فلسطين؟^(٢) ولماذا كان هذا الجيش السعودي جاهزاً ابدأً للهجوم على اي بلد عربي حين يقف هذا البلد موقفاً حازماً مع الاستعمار؟

كان المخلصون في كل مكان يحارون في الاجابة على هذه الاسئلة ، وكانوا يندهشون لهذا التصرف السعودي اللئيم ولا يجدون له تفسيراً الا ان طبيعة من الشر قد سيطرت على هذه السلالة فجعلتها سفاكة للدماء خائنة للعرب والمسلمين !.

ولكن لماذا كانت طبيعة الشر هذه لا توجه السعوديين الا الى العرب والمسلمين؟! لماذا لا توجههم الى المستعمرين ، الى اليهود ، الى وجهة غير وجهة اذى الاسلام والعروبة؟! وما نحن اليوم نكشف حقيقة السعوديين ونفسر ما اعين تفسيره الاذهان. ان السعوديين ليسوا عرباً وليسوا مسلمين ، ولكنهم تستروا بالعروبة وبالاسلام تغطية لاجرامهم وستراً لمؤامراتهم وتمويهاً لحياتاتهم . وهذه هي القصة بكاملها تنشر وتطبع اليوم لأول مرة بعد ان عرفت وجالت على الافواه قبل اليوم في نجد وفي الجزيرة ، ولكن لم يكن يجرؤ احد من عرفوها على التصريح بها وتداولها رهبة وخوفاً ، وما نحن اذ نقدمها للقارئ الكريم نضع حداً لهذا الزيف في التاريخ ، ويا له من زيف !.

(١) بما استدر كناه على الطبعة الاولى . (الناسخ)

(٢) كان كل ما فعله عبد العزيز بن سعود ان ارسل الى فلسطين - سراً للظاهر - ٧٠٠ بدوي حفاة عراة ببنادق بالية ، اما الجنود واما المدافع واما المصفحات فقد كانت معدة لخدم ما يجد اهل القطيف وتخريب بيوتهم ولذبح المحاولة في مدينة الرسول (ص) .

ونترك الكلام الآن لشخصية نجدية جلية نكتفي بان نرمر الى اسمها بالحرف (ح) خوفاً من ان تمتد اليها يد البطش السعودي اذ لا تزال هذه اليد قادرة على الوصول اليها . قال الشيخ (ح) :

اقرأتم التاريخ المزور الذي رسمته وكتبته الاقلام المأجورة المستثمرة واملته الضائير الحائنة لقاء ارقام من المال ، انه ارقام بارقام من الجمل المرسوفة الكاذبة الحائنة بارقام من المال تبدأ بالألوف وتنتهي بالملايين ، ذلكم التاريخ هو تاريخ آل سعود تاريخ اجتمع على وضعه وتزييره خونة سعوديون أين منهم مسيلة الكذاب وسجاح من غربيين وشرقيين ومشرقين والانكى من ذلك والادهى هو ان هؤلاء الخونة ربطوا تاريخ هذه الجزيرة العربية الحافل البطولات والابجاد والتي شع منها نور المعرفة وبرز من ربوعها فجر الحضارة واشرق على الافكار سناها ، هذه الجزيرة العربية التي يرتبط تاريخ الشعوب الاسلامية بتاريخها ، ربط هؤلاء الخونة المأجورون تاريخها بتاريخ آل سعود ، التاريخ المزور الذي حشد المستعمرون وعملاؤهم من كتاب ومؤرخين كل جهودهم لتزييره وفرضه تاريخاً على الجزيرة العربية وبالتالي على تاريخ الشعوب الاسلامية وبالنتيجة يفقد العرب والمسلمون كل تاريخهم الذي حفل بانواع البطولات والعقريات . ونحن هنا في قلب الجزيرة العربية لا يشرفنا أن يرتبط تاريخنا بتاريخ الاسرة الحائنة الفاجرة الاسرة التي تسالت في الظلام لتسطو على مقدراتنا ومقدساتنا وتستولي على السلطة بالقوة بدون مبرر وبالتالي تتآمر على تاريخنا وذلك بان تزور لها تاريخاً على حساب تاريخنا فتدعي لنفسها زوراً واقتراء بانها صانعة التاريخ الحديث في الجزيرة العربية ونحن أمس واليوم وفي الماضي والحاضر كأننا لا تاريخ لنا يذكر الا على هامش تاريخ آل سعود . لذلك نرى لزاماً علينا ان نصصح هذا الخطأ من تاريخنا ونحو هذه الوصية من جبينه الناصع الوضاء ونقدم آل سعود على حقيقتهم وكيف دخلوا البلاد حاكمين وما هو دورهم في هذه الحقب التي توالوا عليها منذ تسلمهم هذا العرش المتزعزع الذي توارثوه واحداً عن واحد ولدينا من الحقائق الواضحة والادلة الناصعة ما تصفع كل مزور خائن . بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وعلى اسم الله نمضي في تحقيقنا هذا . فمن هم آل سعود ؟ اليك الجواب ايها القارئ :

في امسية من اماسي عام ١٩٣٧ كان ركب السرجون فلي الانكليزي الشهير الذي صار الحاكم الفعلي للسعودية والموجه لسياستها والمدير لامورها - كان ركب فلي من هذا يدخل مدينة نجران في رحلته الشهيرة التي مضى فيها بعد ذلك الى الربع الخالي ، وكان في الركب رفيقاً لفلي احد شيوخ النجديين الشيخ محمد التميمي .

فما هو ان استراح فلي من وعشاء السفر حتى راح يسأل في نجران عن اسرة يهودية وعن عبيدها المسمى يوسف ليسلمه امانة مالية مرسله من الملك عبد العزيز بن سعود ، ثم مضى فلي يصحبه التميمي وسلم فلي يوسف المذكور خمسمائة ريال فضية ، من العملة المنقوش عليها اسم ماري تريتز وهي العملة المتداولة في اليمن ، وابلغه تحيات الملك ، وسأله عن حاجاته ليقضي منها ما يستطيع قضاءه وليرفع ما لا يستطيع قضاءه الى الملك ليقضيه بنفسه .

فشكر يوسف اليهودي فضل الملك وعاطفته ثم قدم الى فلي كتاباً خطياً بعضه بالعربية وبعضه بالعبرية اسمه العربي (نبع نجران المكين في تراث اهل الاولين) ، ولم يكن بعض ما في الكتاب مجهولاً لدى كثير من الخاصة في نجد ولكن التفاصيل التي فيه كانت مثيرة حقاً ، وكلف يوسف اليهودي رسول الملك فلي ان يهدي بالنيابة عنه هذا الكتاب الى جلالة الملك السعودي تقديرأ لعاطفته وصلاته المتكررة ليهود نجران بعامة وليوسف واسرته بخاصة ، وقد كان ما في الكتاب شيئاً خطيراً حمل فلي على ان يذكر بشأنه زميله الانكليزي الآخر ه . ر . ب دقسن المعتمد البريطاني في الكويت ، وان يقررا معاً وجوب طي الكتاب وعدم اظهاره حرصاً على المصلحة الاستعمارية .

يقول الشيخ محمد التميمي : لقد اغاظني هذا اليهودي يوسف وهو يحدثني حديث المزري على العرب المستخف بالمسلمين ، وقد كان يشير بذلك ويقول ان العرب والمسلمين لا يصلحون لتولي امور الناس ، وبالاشارة بنجاح آل سعود - كان يشير الى ما كنا نجهل تفاصيله يومذاك وان علمنا بجملة عن الحقيقة في نسب آل سعود ، هذه الحقيقة التي أخذنا على انفسنا تقصيصها بعد ذلك حتى عرفنا دقائقها من شيوخنا الذين عرفوها من شيوخهم دون ان يجرؤ احد على كشفها جليلة للناس اجمعين ، بل ظل الذين يعرفونها يتهامون بها همساً ويوصلها جيل الى جيل ليأتي اليوم الذي يمكن الجهر بها من غير ان

يخشى الجاهر فتكا ولا بطشاً وقد جاء والحمد لله هذا اليوم المنتظر :

ان السعوديين من اصل يهودي اذ يرجعون بنسبهم الى يهود نجران ، ومن ابناء اعمامهم اليهودي النجراني يوسف المتقدم ذكره والفائز بصلات الملك السعودي ومبراته والذي يلتقي نسبه مع آل سعود في الجد السادس وقد تفرع الجميع من اليهودي سليمان اسلامي الذي كان له ولدان احدهما اسمه (مقرن) وهو جد آل سعود بينما الولد الآخر جد يوسف وهذه هي التفاصيل :

كان مقرن بن سليمان اسلامي يمتحن التجارة فيضطر للتجوال في البلاد العربية فيلاقي بسبب يهوديته متاعب وامانات كان ينوء بها ولكنه كان يتغلب عليها فاتسعت تجارته وازدادت ثروته وتضخمت معاملاته فعزم على التوسع بتجارته الى خارج الجزيرة والوصول الى العراق والتعامل مع اهليه ، وكان يرى ان يهوديته ستغري به العرب فيفتكون به او يسلبونه ، وطريقه الى العراق ومن العراق مملوء بالعشائر فقرّر اولا ان يستقر في بلدة معينة يتخذها ركيزة لاعماله المقبلة فاستقر في مدينة « عيننة » النجدية وهي اليوم خربة وتمتد شرقاً مع طول الوادي الى قرية الجبيلة وكان سكانها يوم حل فيها مقرن يناهزون الخمسين الف نسمة وهي محاطة بكل من العشائر الآتية : عتيبة ، قحطان ، بنو مرة ، بنو خالد ، العجمان ، سبيع ، الدواسر ، شمر ، مطير ، حرب ، يام ، تميم . وبعد ان توطد مقام مقرن في عيننة واكتسب هو واسرته عاداتها الاجتماعية وألف تقاليدها الحياتية واصبحوا لا يختلفون في شيء من تصرفاتهم وطرار عيشهم عن جميع العرب الساكنين داخل عيننة او حولها عزموا على الانخراط نهائياً في الحياة العربية والانتماء الى عشيرة من العشائر بحيث تضع معالمهم الاصلية وتغيب حقيقتهم اليهودية ، ولكن الامر لم يكن سهلاً على مقرن واسرته فلقبائل تأبى الدخيل وتلفظه واستعرضوا امامهم اسماء العشائر المعروفة فأروا ان ما من قبيلة تحترم نفسها يمكن ان يذوبوا في غمارها ، لذلك اتجه تفكيرهم الى عشيرة من العشائر النكرة في المنطقة لكي لا ينكشف امرهم امام اهل العيننة وامام العشائر المجاورة لها فوقع اختيارهم على عشيرة « المصاليخ » وهي فخذ صغير من افخاذ قبيلة عنزة مشهور بين العشائر بتفاهته وعدم تحسنه بالحس القبلي والنمرة العشائرية بحيث لا يوجد منه سوى اقلية يجبل سنجار شمال العراق واقلية

مقرن ، فالعرب حريصة على انسابها وكل ما يتصل بهذه الانساب لا سيما من كانوا في منزلة آل سعود ، فمن هو جدكم يا آل سعود بعد مقرن ؟ . انه اليهودي سليمان اسلامي^(١) .

(١) من طريف ما حدث عام ١٩٤٩ ان نظم احد الشعراء على سبيل المطاوعة قصيدة على لسان الملك عبد الله يخاطب بها الملك عبد العزيز بن سعود بعنوان (الى الملك الثري) فنظم الشاعر عبد المطلب الامين هذه القصيدة على لسان الملك عبد العزيز يخاطب بها الملك عبد الله .

يلومونني اني بخلت ولو رأوا	براميل بتزول الرياض لا قصروا
تفيض به الصحراء تهرأ مذوبا	وتزهو به ارض الحجاز وتزهو
ولم از مثل النفط اما سواده	ففسك واما الريح منه فمغبر
غنيئا به عن كل حاف مقبل	بحيء من الحجاج عريان يفخر
تزود من كل الذنوب بماله	وحاء النسا مفلسا يتطهر
فدبت بني الدولار من كل اشقر	وان سكرؤا وقت الطعام «خنزروا»
اقونا باكياس الريالات كلها	حردنا عليهم زودونا واكثرؤا
وبعد الجمال الجرب صارت ثقلنا	«طنابيل» منها (هدسن) و(كرزلر)
وكل حسان الارض طوع اكفنا	نطير اليها ار النسا تطير
وكنا وعدنا جنة مثل هذه	تطوف علينا الحور فيها وتحطر
نحارب اعداء الاله لاجلها	ونفني يهود الارض انى تجمروا
فلما كفانا (العم سام) جهادنا	قعدنا على جيراننا (تمسخر)
وما كان زهدا بالجنان قعودنا	ولكن طريق النفط للخلد اقصر
يقولون لي اخلفت وعدك حينما	وعدت بان افدي بني ليظفروا
يريدون مني ان اكون سموءلا ؟	وذاك يهودي اذل واحقر
وما كنت الا سيدا وابن سيد	اقر متى شئت الوعود وانكر
فان تك عبد الله في ذا تلومني	فوا عجبى مما تقول وتذكر
فجهدك قبلي قال للفتاح الذي	اناخ له في باب مكة عسكر
جماي جماي ان للبيت ربه	يقيه اذا شاء العدو ويقهر
علام احامي عن فلسطين صارفا	فلوسي وبترولي اضيع واهدر
فلا والذي في مسجد القدس مود	وليس لاجدادى بغزة اقبر
ولكن نجدا يا اكارم موطني	اموت على الدهناء منها وانشر
فان تقبلوني عاجلا دون مصرف	قبلت والا فاتركوني وثرثروا
فليس لاسرائيل عندي مأرب	سوى خيبر لا كانت الدهر خير
اذا طلبوها قلت اهلا ومرحبا	بابناء اعمام علينا تغندروا

في البيت العاشر اشارة الى ما ينشده السعوديون عند الحرب :

هبت هبوب الجنة وين انت يا باغيها

ولم ينشدوا هذا النشيد الا في حروبهم للعرب والمسلمين ، لانهم في كل ادوارهم لم يحاربوا الا العرب والمسلمين . وفي البيت الرابع عشر اشارة الى ما كان قاله عبد العزيز بن سعود من انه يفدي اولاده من اجل فلسطين ثم كان حربا عليها .

المقدمة الاولى

في تاريخ الوهابية وفيها فصول الفصل الأول

الى من ينسب مذهب الوهابية ومتى ظهر وكيف ظهر ومن اتبعه بعد ظهوره ومن هو اول من بذر بذور هذا المذهب :

ينسب مذهب الوهابية الى محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن احمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن بعضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علي بن وهيب التميمي . (وفي خلاصة الكلام) في امراء البلد الحرام للشيخ احمد بن زيني دحلان : ولد محمد بن عبد الوهاب سنة ١١١١ وتوفي سنة ١٢٠٧ ^(١) فيكون عمره ستاً وتسعين سنة ^(٢) واخذ في اول امره عن كثير من علماء مكة والمدينة وكانوا يتفلسفون فيه الضلال والاضلال وكان والده عبد الوهاب من العلماء الصالحين وكان يتفلسف فيه ذلك ويذمه كثيراً ويحذر الناس منه وكذا اخوه سليمان بن عبد الوهاب انكر عليه ما احدثه والف كتاباً في الرد عليه . وكان في اول امره مولعاً ببطالة اخبار مدعي النبوة كمسيلمة وشعاج والاسود العنسي وطلحة الاسدي وامثالهم . وخلف محمد بن عبد الوهاب بعده اربعة اولاد وهم عبد الله وحسن وحسين وعلي فقام بالدعوة عبد الله اكبرهم ولمامات خلف سليمان وعبد الرحمن وكان سليمان متعصباً تعصباً شديداً في امرهم فقتله ابراهيم باشا سنة ١٢٣٣ وقبض على عبد الرحمن وارسله الى مصر فمات بها وخلف حسن عبد الرحمن وولي قضاء مكة ايام استيلاء الوهابيين عليها وعمر عبد الرحمن حتى قارب المائة وخلف عبد اللطيف وخلف كل من حسين وعلي اولاداً كثيرة ولم يزل نسلهم باقياً بالدرعية الى الآن يسمونهم اولاد الشيخ . وكان القائم بنصرة محمد بن عبد الوهاب ونشر عقيدته محمد ابن سعود ثم ولده عبد العزيز ثم ولده سعود « انتهى ملخصاً » .

(١) يأتي في كلام الالوسي ١٢٠٦ (٢) الذي في النسخة اثنتين وتسعين سنة لكنه لا يوافق تاريخ الولادة والوفاة .

وسعود بن عبد العزيز هو الذي غزا العراق والحجاز ومنع المسلمين من الحج فانقطع الحج في زمانه عدة سنين كما سيأتي .

وقال ملطبرون في جغرافيته المترجمة من رفاة بك ناظر مدرسة الألسن وقلم الترجمة بمصر المطبوعة بمصر : اصل المذهب الوهابي ان العرب سيما اهل اليمن تحدثوا بان راعيا فقيراً اسمه سليمان رأى في منامه كأن شعلة نار خرجت منه وانتشرت في الأرض وصارت تحرق من قابلها فقصها على معبر فعبرها بان ولدا له يحدث دولة قوية فتحققت الرؤيا في حفيده محمد بن عبد الوهاب فلما كبر محمد صار محترماً عند اهل بلده بسبب هذه الرؤيا التي لا يعلم انها كانت ام لا فاول امره بين مذهبه سرا فاتبعه جماعة ثم سافر الى الشام فلم يتبعه احد فرجع الى بلاد العرب بعد ان غاب عنها ثلاث سنين وجاء الى بلاد نجد وظهر هذا المذهب فتنبه عليه سعود^(١) وكان شهياً حازماً وتقوى كل منها بالآخر فقوى سعود امارته من طريق الدين باثباعه محمد بن عبد الوهاب على مذهبه وقوى ابن عبد الوهاب دعوته من طريق السيف باتباع سعود له وانتصاره به فكان سعود الامير الحاكم وابن عبد الوهاب الرئيس الديني وصارت ذرية كل منها تتولى مرتبة سلفها وبعد ان صار سعود حاكماً على قبيلته تغلب على قبيلتين من اليمن ودان بهذا المذهب قبائل كثيرة من العرب وجميع اعزاب نجد واختاروا مدينة الدرعية قاعدة بلادهم وهي في الجنوب الشرقي من البصرة وبعد خمس عشرة سنة اتسعت ولاية سعود وهو يطعم في الزيادة وكان يأخذ ممن يطيعه عشر المواشي والنقود والعروض بل والأنفس فيأخذ عشر الناس بالقرعة فجمع اموالاً عظيمة وصار جيشه يربو على مائة وعشرين الف مقاتل « انتهى » .

وفي خلاصة الكلام : كان ابتداء ظهور محمد بن عبد الوهاب سنة ١١٤٣ واشتهر امره بعد الحسين فظهر العقيدة الزائفة بنجد وقرأها فقام بنصره محمد بن سعود امير الدرعية فعمل اهلها على متابعتهم فتابعوه وما زال يطيعه كثير من احياء العرب حتى قوي امره فخافته البادية وكان يقول لهم انما ادعوكم الى التوحيد وترك الشرك بالله .

وعن كتاب تاريخ نجد لمحمود شكري الألوسي ان ابن عبد الوهاب نشأ في بلد الميمنة من بلاد نجد فقرأ على ابيه الفقه على مذهب احمد بن حنبل وكان من صغره يتكلم بكلمات

لا يعرفها المسلمون وينكر عليهم اكثر الذي اتفقوا على فعله لكنه لم يساعده على ذلك احد فسافر من العيينة الى مكة المشرفة ثم الى المدينة فاخذ عن الشيخ عبد الله بن ابراهيم ابن سيف وشدد النكير على الاستغاثة بالنبي (ص) عند قبره ثم رحل الى نجد ثم الى البصرة يريد الشام فلما ورد البصرة اقام فيها مدة واخذ فيها عن الشيخ محمد المجموعي وانكر على اهلها اشياء كثيرة فاخرجوه منها فخرج هارباً ثم جاء بعد عدة تحولات الى حريلة من نجد وكان ابو بهاء فلازمه وقرأ عليه وظهر الانكار على مسلمي نجد في عقائدهم فنهاه ابو بهاء فلم ينته حتى وقع بينها نزاع ووقع بينه وبين المسلمين في حريلة جدال كثير فاقام على ذلك سنتين حتى توفي ابو بهاء سنة ١١٥٣ فاجترأ على اظهار عقائده والانكار على المسلمين فيما اطبقوا عليه وتبعه حشالة من الناس الى ان غص اهل البلد من مقالاته وهو يقتله فانتقل من حريلة الى العيينة ورئيسها يومئذ عثمان بن احمد بن معمر فاطمعه ابن عبد الوهاب في ملك نجد فساعده عثمان واعلن النكير على المسلمين فتبعه بعض اهل العيينة وهدم قبة زيد بن الخطاب التي عند الجبيلة فعظم امره وبلغ خبره سليمان بن محمد بن عزيز الحميدي صاحب الاحساء والقطيف وتوابعها فارسل سليمان كتاباً الى عثمان يأمره فيه بقتله ويهدده على المخالفة فلم تسعه مخالفته فارسل اليه وامره بالخروج عن مملكته فقال له ان صرتني ملكاً نجداً فلم يسمع منه وخرج الى الدرعية سنة ١١٦٠ (وهي بلاد سيامة الكذاب) وصاحبها يومئذ محمد بن سعود فتوسل بامرأة الحاكم اليه واطمعه في ملك بلاد نجد فتبعه وبايعه على قتال المسلمين فكتب الى اهل نجد ورؤسائهم وقضاةهم يطلب الطاعة فاطاعه بعضهم وبعضهم لم يحفل به فامر اهل الدرعية بالقتال فاجابوه وقاتلوا معه اهل نجد والاحساء مراراً كثيرة حتى دخل بعضهم في طاعته طوعاً او كرهاً وصارت اماره نجد جميعها لآل سعود بالقهر والغلبة ومات ابن عبد الوهاب سنة ١٢٠٦ ثم مات محمد بن سعود فخلفه ولده عبد العزيز وقام بنصرة هذا المذهب وقاتل عليه وبلغت سراياه وعماله اقصى بلاد نجد ثم مات عبد العزيز فخلفه ولده سعود وكان اشد من ابيه في التوهيب ومنع المسلمين عن الحج وخرج على السلطان وغالى في تكفير من خالفهم ثم مات سعود وخلفه ابنه عبد الله «انتهى» .

وفي خلاصة الكلام ان الوهابيين ارسلوا في دولة الشريف مسعود بن سعيد بن زيد المتوفي سنة ١١٦٥ ثلاثين من علمائهم فامر الشريف ان يناظرهم علماء الحرمين فناظروهم

فوجدوا عقائدهم فاسدة وكتب قاضي الشرع حجة بكفرهم وسجنهم فسجن بعضهم وفر الباقيون . ثم في دولة الشريف احمد المتوفى سنة ١١٩٥ ارسل امير الدرعية بعض علسائه فناظرهم علماء مكة واثبتوا كفرهم فلم يأذن لهم في الحج « انتهى ملخصا » .

وهذا المذهب وان كان ظهوره وانتشاره في زمن محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر الا ان بذره قد بذر قبل ذلك من زمن احمد بن تيمية في القرن السابع وتلميذه ابن القيم الجوزية وابن عبد الهادي ومن نسج على منوالهم . وقد عثرنا فيه على رسالة لمحمد ابن اسماعيل الامير اليمني الصنعائي المولود سنة ١٠٥٩ والمتوفى سنة ١١٨٢ كما عن كتاب البدر الطالع للشوكاني، سماها تطهير الاعتقاد عن ادران الاتحاد وسيأتي النقل عنها في محاله وهذا الرجل كان معاصراً لابن عبد الوهاب .

وعن كتاب ايجد العلوم للصديق حسن خان القنوجي : كان المولى العلامة السيد محمد ابن اسماعيل الأمير بلغه من احوال النجدي ما سره فقال قصيدته المشهورة :

سلام على نجد ومن حل في نجد وان كان تسليمي على البعد لا يجدي^(١)

ثم لما تحقق الاحوال من بعض من وصل الى اليمن وجد الامر غير خال من
الادغال وقال :

رجعت عن القول الذي قلت في نجد فقد ضح لي عنه خلاف الذي عندي

« انتهى » وعن محمد بن اسماعيل المذكور انه قال في شرح القصيدة المذكورة المسمو
بمحو الحوبة في شرح ابيات التوبة : لما بلغت هذه الابيات نجدا يعني الابيات الاولى وصل
اليها بعد اعوام رجل عالم يسمى الشيخ مرشد بن احمد التميمي وذلك في صفر سنة ١٢٧٠ .
وحصل بعض كتب ابن تيمية وابن القيم بخطه ثم عاد الى وطنه في شوال من تلك السنة

(١) وهي التي يقول فيها كما اورده في تطهير الاعتقاد :

اعادوا بها معنى سواع ومثله	يفوت وودا ليس ذلك من ودي
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها	كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم نحرروا في سوحها من نخيرة	اهلت لغير الله جهلا على عمد
وكم طائف حول القبور مقبلا	ويلتمس الاركان ممنون بالايدي

(الرد ، -

وكان من تلاميذ ابن عبد الوهاب الذي وجهنا اليه الابيات وكان تقدمه في الوصول اليها الشيخ الفاضل عبد الرحمن النجدي ووصف لنا من حال ابن عبد الوهاب اشياء انكرناها عليه من سفك الدماء ونهب الاموال وتجاريه على قتل النفوس ولو بالاغتتيال وتكفيره الامة المحمدية في جميع الاقطار فبقي معنا تردد فيما نقله الشيخ عبد الرحمن حتى وصل الشيخ مرشد وله نباهة ومعه بعض رسائل ابن عبد الوهاب التي جمعها في وجه تكفير اهل الايمان وقتلهم ونهبهم وحقق لنا احواله وافعاله فعرفنا احواله احوال رجل عرف من الشريعة شطراً ولم يعن النظر ولا قرأ على من يهدي نهج الهداية ويدله على العلوم النافعة ويفقهه بل طالع بعض مؤلفات ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وقلدهما من غير اتقان مع انهما يحرمان التقليد « انتهى » .

وهذا يدل على ان محمد بن اسماعيل المذكور رجع عن مغالاته في التوهب ولعل رجوعه كان بعد تأليفه رسالة تطهير الاعتقاد لان تلك الرسالة لا تقصر عن كتب ابن عبد الوهاب في المغالة كما ستعرف .

وقد تبع هذا المذهب من بعد ظهوره الى اليوم بعض من ينسب الى العلم من اهل السنة من غير النجديين حسنه في نظرهم ظهوره بمظهر ترك البدع مع ما يروونه من كثرة البدع لكن الافراط آفة تفسد اكثر مما تصلح (وكل يدعي وصلا بليلي) والبعض منهم لم يصل في تضاميل المسلمين الى حد التكفير واستحلال الدم والمال كالالوسي صاحب تاريخ نجد فيما حكى عنه حيث قال بعد ذكر سعود بن عبد العزيز : انه قاد الجيوش واذعنت له صناديد العرب ورؤساؤهم بيد انه منع الناس عن الحج وخرج على السلطان وغالى في تكفير من خالفهم وشد في بعض الاحكام وحملوا اكثر الامور على ظواهرها كما غالى الناس في قدحهم ، والانصاف الطريقة الوسطى لا التشديد الذي ذهب اليه علماء نجد وعامتهم من تسمية غاراتهم على المسلمين بالجهاد في سبيل الله ومنعهم الحج ، ولا التساهل الذي عليه عامة اهل العراق والشامات وغيرهما من الحلف بغير الله وبناء الابنية المزخرفة على قبور الصالحين والشد لهم وغير ذلك مما نهى عنه الشارع ، والحاصل ان الافراط والتفريط في الدين ليس مما يليق بشأن المسلمين بل الاخرى بهم اتباع ما عليه السلف الصالح وتكفير بعضهم لبعض مستوجب للمقت والفضب « انتهى » .

فتراه قد انصف بعض الانصاف في لوم الوهابيين على تكفير من خالفهم ومنع الناس عن الحج والخروج على السلطان وتسمية الغارة على المسلمين جهاداً في سبيل الله ولكنه حاد عن الانصاف في جعله الحلف بغير الله والبناء على قبور الصالحين بما نهى عنه الشارع لما استعرف من ان النهي منه غير واقع وجعله النذر للصالحين لما استعرف أيضاً من انه لا ينذر احد لهم بل لله ويهدي الثواب اليهم ، وربما يكون كثير من غير النجدين ممن ينسب الى العلم ويميل الى الوهابيين لا يصل في المغالاة الى حد التكفير واستحلال المال والدم ، والله العالم بأسرار عباده .

الفصل الثاني

(في حروب الشريف غالب امير مكة المكرمة مع الوهابيين)

(واستيلائهم على الحجاز في زمانه وما فعلوه في الحجاز)

(والعراق وانقطاع الحج والزيارة في ايامهم)

في خلاصة الكلام في امراء البلد الحرام لاحمد بن زيني دحلان مفتي الشافعية ابن الشريف غالباً غزا الوهابية ما ينوف عن خمسين غزوة من سنة ١٢٠٥ الى سنة ١٢٢٠ فارسل عليهم في سنة ١٢٠٥ ستائة مقاتل مع اخيه عبد العزيز مع قبائل كثيرة حتى وصل الى عريق الدسم وملك عدة من قرى نجد وحاصر عيزة قرية بسام ثم رجع (وفي سنة ١٢٠٦) جهز جيشاً بامرة المذكور لقتال القبائل التي دخلت في دين عبد العزيز بن محمد بن سعود ^(١) فوصل به الى تربة ثم الى رينة ثم الى بيشة فاطاعته كلها ثم عاد الى مكة (وفي سنة ١٢٠٨) غزا الوهابيين بجيش من العربان بامرة عثمان المضايقي قضبح ابن قيحان بموضع يقال له عقيلان وحصلت ملحمة عظيمة انتصر فيها عثمان واخذ جميع ابل ابن قيحان ثم هزمه ابن قيحان ولم ينتزع منه الا بل (وفي سنة ١٢٠٩) جهز جيشاً بامرة اخيه عبد المعين لغزو هادي بن قرملة وكان ممن توهب فنذربه وهرب فقصده ابن قفطان من اتباع ابن سعود فحصره في قصرة وقبض عليه وارسله الى الشريف غالب فسأله العفو فمعا عنه واطلقه فلما وصل الى بلده غدر واظهر العصيان ففسد اليه من قتله

(١) وهو الذي تأمر بعد موت ابيه محمد بن سعود الذي هو اول من اتبع محمد بن عبد الوهاب المؤلف -

وقصد مواضع فيها من اتباع ابن سعود فقتل منهم ثم رجع الى مكة (وفي سنة ١٢١٠)
 جهز جيشاً بامرة السيد ناصر فغزا جماعة من الوهابية فقتل ونهب وعاد سالماً (ثم) جهز
 جيشاً بامرة السيد فهد بن عبد الله وغزا جماعة من الوهابية وقبض على ثلاثة جواسيس
 ارسلهم هادي بن قرولة فقتل اثنين واخبره الثالث بموضع القوم مخافة القتل فعفا عنه
 وجد في السير وفي اليوم الثاني وصل الى محل هادي بن قرملة فقتل من اصحابه نحو المائة
 وانهزم الباقون ثم توجه على طريق الفرشة فصادف جماعة من قحطان بامرة ابن قيحان
 وهو من توهب فقتل منهم ونهب وصادف ابن شذير من شيوخ قحطان غازيا فقتل من
 اصحابه خمسة واربعين واخذ ابن شذير وابله وخمسة من الخيل وعشرين من جياد
 الركاب (ثم) جهز جيشاً بامرة اخيه عبد المعين فارسل الجواسيس فوجد من يريده من
 العربان قد ترفع وابتعد لما سمعوا به فابقى جماعة من تربة ورجع ثم جهز جيشاً كثيفاً
 بامرة السيد ناصر حتى أتى الشماس فدمهم جيش الوهابيين فجرت ملحمة عظيمة وقتل
 من الفريقين خلق كثير ورجع السيد ناصر الى مكة (وفي سنة ١٢١١) (١) جهز جيشاً
 بامرة السيد فهد فارسل سرية الى الحرمة فقتلت منهم ثم أغار على قوم من حرب توهبوا
 ثم ارتحل الى روع النعام فدمهم الحجيلاني امير الخرج يحنذ كثير فوقعت ملحمة عظيمة
 قتل فيها كثير من الطرفين ثم غزا هادي بن قرملة بموضع يقال له البقرة فقتل منهم واخذ
 فرس ابن قرملة وابله ثم رجع الى مكة (فجهز) له الشريف غالب جيشاً وامره بالرجوع
 فملك رينة ونهبها واحرق دورها ثم اتى الجنينة وارسل الجواسيس الى قوم سمهم فاخبر
 بارتحالم فعاد الى مكة (وفي سنة ١٢١٢) جهز جيشاً بامرة السيد فهد على قوم من

(١) في رساله الفواكه العذاب لاحمد بن ناصر النجدي احدى رسائل الهدية السنوية المحس المطبوعة بمطبعة
 المنار بمصر ان الشريف غالباً في سنة ١٢١١ طلب من عبد العزيز بن سعود ارسال عالم لمناظرة علماء
 الحرم فارسل صاحب الرسالة وذكر صورة المناظرة وانه اذعن له علماء الحرم ولم يشتر إليها في خلاصة
 الكلام بل اشار الى وقوع مناظرة قبل ذلك في دولتي الشريفين مسعود ومساعد كما مر واني لنا بتصديق
 اقرار علماء الحرم له بصحة معتقده وانه غلبهم بشبهاته التي بان ضعفها وفسادها مما اوردها في هذا الكتاب
 نعم يجوز ان تكون هذه المناظرة فلم يقنع ذلك النجدي بل بقي على اصراره وعناده .

حرب في عريق الدسم توهبوا فغنم وعاد سالماً (ثم) جهز جيشاً بأمره السيد مبارك فأغار على قوم من حرب توهبوا بموضع يقال له العلم فغنم مواشيهم وصادف في طريقه خمسة واربعين من الوهابية فقتلهم واراد الرجوع فمنعه الشريف غالب وامده بجيش بأمره السيد سعد فاجتمعوا على صلبة وأرتحلوا واقاموا على مران وبثوا الجواسيس فبلغهم ان الوهابي جمع لهم ما لا طاقة لهم به فأرادوا الرجوع فمنعهم الشريف غالب وخرج بنفسه في جيش عظيم حتى وصل مران واجتمع بها ثم أغار على قوم من قحطان واخذ مواشيهم ثم أغار على ابن قرملة في القنصلية وقتل منهم مقتلة عظيمة وفر ابن قرملة منهزماً ثم عاد الى رينة وحاربها وقطع نخلها فطلب أهلها الصلح فعفا عنهم وارتحل الى بيشة فأقر بها جماعة اطاعوه وفر آخرون فاحرق دورهم وارتحل الى الخرمة فأبادهاء وجاءه خبر بقدم الوهابيين في جمع عظيم فاتهم الخبر وبعد يومين اقبلوا في جموعهم والتحم القتال فقتل من الفريقين ما ينوف عن الفين ومن الاشراف نيف واربعون وكانت الغلبة للوهابية ثم رجع الى مكة .

صلح الشريف غالب مع الوهابية

(وفي سنة ١٢١٢ في جمادى الاولى) انعقد الصلح بين الشريف غالب وعبد العزيز ابن محمد بن سعود بعد مكاتبات وجعلوا حدوداً للاراضي والقبائل التي تحت طاعة الشريف وطاعة ابن سعود واخذت العهود والمواثيق بينهم على ترك الحرب وان يحج الوهابيون ونودي بالأمان وحج من علمائهم حمد بن ناصر ومعهم شزيمة منهم ولم يحج اميرهم لأن سليمان باشا والي بغداد جهز عليه جيشاً بأمره علي بك كتبخدا فحاصروهم لكنهم دسوا دسائس افسدوا بها اهل العسكر وفر اميره هارباً (وفي سنة ١٢١٤) حج سعود بن عبد العزيز ومعه اناس كثير واجتمع بالشريف غالب في خيمة ضربت لهما بالابطح (وفي سنة ١٢١٥) حج سعود ايضاً ومعه جند يزيد على عشرين الفا واسل قبل قدومه هدية للشريف غالب مع حمد بن ناصر وهي خمسة وثلاثون من الخيل وعشر من النوق العمانيات فقبلها الشريف وكافأهم عليها وكان قد احتسب قبل قدومهم خوفاً من غدرهم فبنى سور الطائف والابراج التي في اطراف مكة ومداخلها وطلب كثيراً من القبائل وترس جميع المداخل والابراج فلم يدخل سعود مكة يحيشه قبل الوقوف بل نزل

بعرفة (وفي الثاني عشر من ذي الحجة) وقع خصام بين عرب الشريف وقوم سعود أدى الى القتال بالرصاص فمنع الشريف عربيه وكف القتال ونزل الناس من منى قبل الزوال ثم رحل سعود الى بلاده .

غزو الوهابية العراق سنة ١٢١٦ - ١٢٢٥ واعادتها فاجعة كربلاء

يقول المؤلف : (وفي سنة ١٢١٦) جهز سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود الوهابي جيشاً عظيماً من اعراب نجد وغزاه العراق وحاصر كربلاء ثم دخلها عنوة واعمل في اهلها السيف ولم يتج منهم الا من فر هارباً او اختفى في خبأ او تحت سطب ونحوه ولم يعثروا عليه وهم جيران قبر ابن بنت رسول الله «ص» السبط الشهيد ونهبها وهدم قبر الحسين (ع) واقتلع الشباك الموضوع على القبر الشريف ونهب جميع ما في المشد من الذخائر ولم يرع لسعود الله (ص) ولا لذريته حرمة واعاد بأعماله ذكرى فاجعة كربلاء ويوم الحرية واعمال بني امية والمتوكل العباسي ويقول اهل العراق - وهم اعلم بما جرى في بلادهم - : انه ربط خيله في الصحن الشريف وطبخ القهوة ودقها في الحضرة الشريفة . وقال العلامة السيد جواد العاملي صاحب مفتاح الكرامة وفي عصره كان غزوه للعراق : ان سعوداً الوهابي الخارج في ارض نجد اخترع ما اخترع في الدين واباح دماء المسلمين وتجريب قبور الأئمة المعصومين فاعار في السنة المذكورة على مشهد الحسين (ع) وقتل الرجال والاطفال واخذ الاموال وعاث في الحضرة المقدسة فافسد بنيانها وهدم اركانها . (قال) : وفي الليلة التاسعة من شهر صفر سنة ١٢٢١ قبل الصبح هجم علينا سعود الوهابي في النجف ونحن في غفلة حتى ان بعض اصحابه صعد السور وكادوا يأخذون البلد فظهرت لاميير المؤمنين عليه السلام المعجزات الظاهرة والكرامات الباهرة فقتل من جيشه كثير ورجع خائباً .

(قال) : وفي جمادى الآخرة سنة ١٢٢٢ جاء الخارجي الذي اسمه سعود الى العراق بنحو من عشرين ألف مقاتل او ازيد فجاءت النذر بأنه يريد ان يدهمنا في النجف الاشراف غيلة فتحذرتنا منه وخرجنا جميعاً الى سور البلد فأنا ليلاً قرآنا على حذر قد احطنا بالسور بالبنادق والاطواب فمضى الى الحلة فرآهم كذلك ثم مضى الى مشهد الحسين (ع) على حين غفلة نهاراً فحاصروهم حصاراً شديداً فثبتوا له خليف السور وقتل

منهم وقتلوا منه ورجع خائباً وعاث في العراق وقتل من قتل وقد استولى على مكة المشرفة والمدينة المنورة وتعطل الحج ثلاث سنين .

(قال) : وفي سنة ١٢٢٥ احاطت الاعراب من غزاة القائلين بمقالة الوهابي بالنجف الاشرف ومشهد الحسين (ع) وقد قطعوا الطريق ونهبوا زوار الحسين (ع) بعد منصرفهم من زيارة نصف شعبان وقتلوا منهم جماعاً غفيراً واكثر القتلى من المعجم وربما قيل انهم مائة وخمسون وبقي جملة من الزوار في الحلة ما قدروا ان يأتوا الى النجف كأنها في حصار والاعراب ممتدة الى الكوفة الى فوق مشهد الحسين (ع) بفرسخين او اكثر « انتهى » .

انتفاض الصلح بين الوهابية والشريف غالب

في خلاصة الكلام ان سعوداً ما زال يدس الدسائس بعد الصلح ويكتب مشايخ الاعراب سرّاً كشيخ محال وشيخ بارق فصاروا يفسدان القبائل حتى انتقض الصلح وتوهم جميع قبائل الحجاز فارسل الشريف الى وزيره بالقبضة ان يذهب لقتال شيخ محال ففعل وحصل بينهما قتال شديد فهزمهم الوزير وملك ما في واديهم واحرق ديارهم وعاد الى القنفذة ثم بلغه انهم رجعوا وتجمعوا وصاروا يرسلون اهل تلك الاطراف ويتهددون من لم يطعهم فاخبر بذلك الشريف فجهز جيشاً عظيماً بامرة السيد منديل فغزا بني كنانة وقتل منهم مقتلة وجاء الخبر ان اهل حلي توهبوا فجهز الشريف غالب عليهم جيشاً بامرة السيد ناصر بن سليمان فقتل منهم كثيراً وغنم ثم رجعوا الى مكة ومعهم بعض اهل حلي تائبين وطلبوا من الشريف ان يرسل معهم جيشاً ففعل وامر عليهم السيد منديل فبنى على حلي سوراً وجعل فيها كثيراً من الذخائر خوف هجوم العدو وبعد ثمانية اشهر بلغه اقبال الوهابيين بامرة رجل اسمه حشر وكان فاجراً ختلاً وارسلوا الى شيخ حلي فاستألوه على انهم متى خرجوا لقتالنا تمنعهم من الدخول فاخرج السيد منديل بعض رجاله لقتالهم وبقي هو في البلد في خمسين مقاتلاً فنشب القتال وقتل من الفريقين جماعة وانهم الوهابيون خديعة وجعلوا لهم كميناً فخرج على جماعة الشريف وحجز بين الفريقين حر النهار واظهر اهل حلي الخيانة فاضطر الشريف منديل الى الخروج والرجوع الى مكة (وبلغ) الشريف غالباً ان عرباً باساحل اليمن توهبوا فارسل عليهم غزية بامرة السيد

سعد القتادي فأغار على دمينه وغامد الفرعاء وقتل فيهم ونهب وأسر تسعة عشر رجلاً (وكان) وزير القنفذة أبو بكر بن عثمان إذا قمه الليل في قتاله لهم فاحتالوا على قتله بان أظهرت له الطاعة ثلاث قبائل وكتبوه ان يأتيهم ليحاربوا معه الوهابيين واضمروا القبض عليه اذا اتاهم فاقبل اليهم بمن معه من الجند فبادروه بالقتال فآظهم الله عليهم وقتل كثيراً منهم ونهب ثم اجتمع بمسكن السيد سعد وبلغه ان الوهابيين اقبلوا بجنود كثيرة وافترقوا فرقتين فتوجه في اثرهم فاقبلت فرقة تقاتل السيد سعدا فلما اشفوا عليه عرفوا عجزهم فتركوه واقبلت فرقة على القنفذة فادرهم الوزير بموضع يقال له دكان فآخذن فيهم القتل والنهب ولم يسلم منهم الا القليل .

(وفي اوائل سنة ١٢١٧) جمع معدي بن شار شيخ محائل اثني عشر ألفاً وقصدوا القنفذة على حين غفلة فخرج اليهم الوزير في سبعمائة رام وثلاثة عشر من الخيل فقتل منهم نحو الاربعمائة وجرح مائتين واسر مائتين وهرب الباقون واخذ سلاحهم ومواسيهم . وهذه الوقائع كانت في مدة الصلح لما وقع منهم من الغدر بافسادهم القبائل حتى افسدوا جميع اقليم اليمن وغيرهم (ولما) علم سعود ان اقليم اليمن سيصير تحت يده سلط سالم بن شكبان على قبائل زهران فشرع في افسادهم وسلط عربانه عليهم فلما علم بذلك الشريف ارسل كتابا لعبد العزيز وسعود يطالبها بالوفاء بالعهد فارسل كل منها كتابا يعتذر باعذار واهية وان هذه الشوائع اكاذيب من العربان لاجل نقض الصلح فارسل الشريف رسولا الى زهران ليعرف الحقيقة فاخبره ان ما بلغه حق فارسل الى الدرعية زوج اخته عثمان بن عبد الرحمن المضايقي والشريف عبد المحسن وابن حميد شيخ المقطة وغيرهم لتجديد الصلح فوصلوا الدرعية واعطوا الكتب لعبد العزيز فرحب بهم وغدر المضايقي فطلب من عبد العزيز ان يخلي له المجلس ففعل وطلب منه الامارة ليملكه مكة وذكر له اسماء شيوخ القبائل التي يريد التأمر عليها فكتب لهم كتباً انه قد اقامه اميراً عليهم وامره على الطائف وما حولها وكتب مع الوفد جواباً للشريف بمداينة ظاهرية وهم لا علم لهم بما جرى بينه وبين المضايقي الا انهم لما خرجوا من الدرعية انكروا على المضايقي مدحه لمذهب الوهابية فلما وصلوا العبيلاء وبينه وبين الطائف يوم والمضايقي فيه حصن على جبل فبقى فيه وقال لهم اجيء في اثركم ودخل الحصن ونصب بيرقاً ودق الزير وارسل الكتب لشيوخ القبائل

القريبة منه فاطاعوه وكان في الطائف الشريف عبد المعين وكيلا عن اخيه الشريف غالب فارسلى اليه المضايقي كتاباً يدعوه فيه الى التوهب واول من اطاعه من القبائل الطفحة ثم النفوذ والعصمة فغزا بهم على الزوران فاطاعوه بعد قتال ثم غزا عوفا فكسروه ثم خرج على العرج فهزمهم واحرق دوزهم ونهب مواشيهم فجمع الشريف غالب ما ينوف عن ثلاثة آلاف وارسلهم الى الطائف .

هجوم الوهابيين على الطائف سنة ١٢١٧

وخرج المضايقي من حصنه قاصداً الطائف فخرج اليه الشريف عبد المعين فاقتتلوا بوادي العرج تمام النهار فكان النصر للشريف عبد المعين وقتل من اصحاب المضايقي نحو الستين ولولا تحصنهم بالجبل ما سلم منهم احد واخذ ما معهم من ابل وذخائر وغاد الى الطائف واستشهد من جماعة الشريف ثلاثة عشر ثم خرج اليهم الشريف غالب بنفسه قاصداً العبيلاء والتقى باخيه عبد المعين واحاطوا بالحصن ورموا عليه بالقنابر والمدافع فلم يقدروا عليه فرجعوا الى الطائف ثم عادوا ثانياً فامتنع عليهم فعادوا الى الطائف ثم خرج المضايقي ومن معه فاحاطوا بالطائف وجاء مدداً امير بيشة سالم بن شكبان في عدد كثير ووقع القتال طول النهار وفي المساء تباعدوا عن السور وفي الصباح عادوا وتقاتلوا طول النهار وفي المساء عادوا الى خيامهم بعد ما قتل كثير منهم وفي تلك الليلة تفرق عن الشريف من معه من الاعراب وعالجهم على البقاء فامتنعوا وظهر خلل في السور والابراج وارتحل جماعة من الاشراف الى مكة وفي الغد اخبر الشريف بذلك وقيل له ان المضايقي وابن شكبان يريدان التوجه بن معهم الى مكة فارسل من يكشف الخبر فاخبره انه رآهم نازلين من ريع التامة فتحقق عنده الخبر فاعطى العسكر ومن بقي معه من البوادي لكل واحد مشرة مشاخصة وحرضهم على القتال وتوجه هو الى مكة عن طريق المنشاة فوقع الفشل فيمن بالطائف وخرج رجل يسمى دخيل الله بن حريب فلحق بالوهابيين واخبرهم بتوجه الشريف الى مكة فرجعوا الى الطائف وتقدمهم رجل من كبارهم يسمى عبد الله البويحيث مع دخيل الله وجاء الى بيت ابراهيم الزرعة وهو من اغزاهل البلد واغنام فاتفق معه على مبلغ من المال يدفعه لسلامة اهل البلد فخرج عبد الله ليأتيهم بالامان فرما بعض اهل الطائف برصاصة من منارة فقتله فلما علمت الوهابية بذلك حملوا على السور ولم يوجد من يقدر على منعهم .

دخول الوهابيين الطائف عنوة سنة ١٢١٧ وفضائعهم فيها

فدخلوا البلد عنوة ^(١) في ذي القعدة سنة ١٢١٧ وقتلوا الناس قتلاً عاماً حتى الاطفال وكانوا يذبجون الطفل الرضيع على صدر امه وكان جماعة من اهل الطائف خرجوا قبل ذلك هاربين فادركتهم الخيل وقتلت اكثرهم وفتشوا على من توارى في البيوت وقتلوه وقتلوا من في المساجد وهم في الصلاة ودخل نيف وعشرون رجلاً الى بيت الفتى ومائتا رجل الى بيت الفعر وامتنعوا عن التسليم وقتلوا ثلاثة ايام فراسلهم ابن شكبان بالامان وقال انتم في وجه ابن شكبان وعثمان واعطوهم العهود فكفوا عن القتال فارسلوا جماعة اخذوا منهم السلاح وقالوا لا يجوز للمشركون حمله ثم امروهم بالخروج لمقابلة الامير فامر بقتلهم فقتلوا جميعاً بقوز يسمى دقاق اللوز وكان في بيوت ذوي عيسى نحو الحسين مترسين يرمون بالرصاص فاخرجوهم بالامان على النفس دون المال فسلبوهم واخرجوهم الى وادي وج وتركوهم فيه مكشوف السواتين ومعهم النساء حتى رموا عليهم اطياراً بالية ثم غاهدوهم بعد ثلاثة عشر يوماً على التوب نصاروا يتكفون الناس فيعطى السائل الحفنة من الذرة يقضمها وصارت الاعراب تدخل كل يوم الى الطائف وتنقل المنهوبات الى الخارج حتى صارت كمثل الجبال فاعطوا خمسها للامير واقتسموا الباقي ونشروا المصاحف وكتب الحديث والفقه والنحو في الازقة واخبروا ان الاموال مدفونة في الخابي فحفروا في موضع فوجدوا فيه مالا فعندها حفروا جميع بيوت البلد حتى بيوت الخلاء والبالوعات ثم ارتحل ابن شكبان وبقي عثمان اميراً على الطائف وكتبوا الى سعود يخبرونه بذلك فسر به سروراً عظيماً وكان مبرزاً بالدهناء مسير سبعة ايام عن الدرعية يريد غزو العراق .

قصد الوهابية مكة سنة ١٢١٧

فسار مسرعاً الى الحجاز والتقى بابن شكبان واصحابه فاعادهم معه فلما وصلوا الميمنة

(١) اما الجبرتي فانه قال : في اواخر سنة ١٢١٧ اغار الوهابيون على الحجاز فلما قاربوا الطائف خرج اليهم الشريف غالب فهزمه فرجع الى الطائف واحرق داره وهرب الى مكة فجاروا الطائف ثلاثة ايام حتى دخلوها عنوة وقتلوا الرجال واسزوا النساء والاطفال وهذا دأبهم مع من يحاربهم . وهدم المضايقي قبة ابن عباس بالطائف الغربية الشكل والوصف .
- المؤلف -

قرية على ثلاث مراحل من مكة وبلغ خبرهم أهل مكة والحجاج الذين بهما من الآفاق خافوا واضطربوا لا سيما لما سمعوا بما جرى على الطائف وكان ممن حج فيها امام مسقط سلطان بن سعيد ونقيب المكي وجاء امير الحاج الشامي عبد الله باشا العظم وامير الحاج المصري عثمان بك قرجي ومعها العساكر الكثيرة وشاع يوم التروية ان سعوداً نزل عرفة فخاف الناس ثم ظهر كذب ذلك فلم يأت سعود في وقت الحج لكثرة الحجاج كثرة لم يسبق مثلها وبعد تمام الحج نادى منادي الشريف ان يخرج الناس الى الجهاد فخرج الشريف باشا والى جدة يعساكره فتقهقر سعود يومين وجمع الشريف امراء الحجوج وطلب منهم محاربة الوهابية فلم يوافقوه معتلين بعدم الذخائر فتعهد لهم بها مجاناً فلم يقبلوا وقالوا نكاتبه فان رجع والا نحاربه فكاتبوه فاجابهم بالتهديد فاضطربت آراؤهم فطلب الشريف ثانياً منهم محاربته وقال في ركوبنا عليه ناموس للدولة وتكفل بكل ما يحتاجونه فلم يقبلوا واعادوا الرسل ثانياً فأجابهم كالاول وتهدد من اقام منهم بمكة فوق ثلاثة ايام فعزموا على الرحيل واعاد الشريف عليهم القول فلم يقبلوا فاجتمع اعيان مكة وذهبوا الى امير الحاج الشامي طالئين منه البقاء عشرة ايام فأبى وسافر خامس المحرم سنة ١٢١٨ وفي اليوم الثاني سافر امير الحاج المصري ثم توجه الشريف باشا الى جدة وبقي الشريف غالب وحده فتوجه هو ايضاً الى جدة . « وقال الجبرتي » ان الشريف غالباً طلب من والي جدة وامراء الحاج الشامي والمصري البقاء معه اياماً لينقل ماله ومتاعه الى جدة فاجابوه بعد ان بذل لهم مالا فبقوا معه اثني عشر يوماً ثم ارتحلوا وارتحل بعد ان احرق داره بمكة « انتهى » .

فارسل اخوه الشريف عبد المعين كتابا الى سعود بطلب الامان لأهل مكة وبذل الطاعة وان يكون هو عامله فيها وذهب مع الرسول جماعة من افاضل أهل مكة فاجتمعوا بسعود بوادي السيل على مرحلتين من مكة فقال لهم انما جئتم لتعبدوا الله وحده وتهدموا الاصنام ولا تشرکوا فقال بعض علمائهم والله ما عبدنا غير الله فهدده وقال عاهدتكم على دين الله ورسوله والوالون من والاه وتعادون من عاداه والسمع والطاعة فعاهدوه فسر بذلك وامر كاتبه فكتب لهم كتاب الامان في كاغد لا يزيد عن خمس اصابع فيه بعد البسملة : من سعود بن عبد العزيز الى كافة أهل مكة والعلماء والاغوات

وقاضي السلطان السلام على من اتبع الهدى^(١) اما بعد فانتم جيران الله وسكان حرمه آمنون بامنه انما ندعوكم لدين الله ورسوله (قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) فانتم في وجه الله ووجه امير المسلمين سعود بن عبد العزيز واميركم عبد المعين بن مساعد فاسمعوا له واطيعوا ما اطاع الله والسلام . فقرأه مفتي المالكية على الناس بعد صلاة الجمعة .

استيلاء الوهابية على مكة بدون حرب سنة ١٢١٨

وفي ثامن المحرم وصل سعود^(٢) محرما فطاف وسعى ونحر من الابل نحو المائة ونزل في بستان الشريف الذي في المحصب وفي اليوم الثاني لوصوله نادى مناديه باجتماع الناس غدا ضحوة النهار فاجتمعوا وصعد على اعلى درج الصفا والمفتي عن يمينه والقاضي عن شماله فحمد الله واثنى عليه وقال الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وانجز وعده واعز جنده لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون الحمد لله الذي صدقنا وعده وسكت ، « ثم قال » يا اهل مكة انتم جيران بيته آمنون بامنه وسكنى حرمه وانتم في خير بقعة اعلموا ان مكة حرام ما فيها لا يحتل خلاها ولا ينفر صيدها ولا يعصد شجرها وانما أحلت ساعة من نهار وانا كنا من اضعف العرب ولما اراد الله ظهور هذا الدين دعونا اليه وكل يهزأ بنا ويقاثلنا عليه وينهب مواشينا ونشتريها منهم ولم نزل ندعو الناس للاسلام وجميع من تراه عيونكم ومن تسمعون به من القبائل انما اسلموا بهذا السيف ورفع سيفه تجاه الكعبة . وقد كنت في هذا العام غازيا نحو العراق فلما سمعت ما وقع من المسلمين بغزوة الطائف واقبلوا عليكم يغزونكم خفت عليكم من العربان والبادية فاحمدوا الله الذي هداكم للاسلام وانهذكم من الشرك وانا ادعوكم ان

(١) لم يكتب اليهم السلام عليكم لانه لا يراهم مسلمين .

(٢) الذي في تاريخ الجبرتي ان الواصل مع عسكر الوهابيين الى مكة هو عبد العزيز بن سعود وان دخولهم اليها كان يوم عاشورا سنة ١٢١٨ بعد ارتحال الحاج والشريف غالب بيومين قال فولي « الشريف عبد المعين اميرا على مكة والشيخ عقيل قاضيا » انتهى وفي رسالة عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ان دخولهم مكة كان يوم السبت نصف النهار فغن المحرم سنة ١٢١٨ وهو الصواب لانه كان معهم .

- المؤلف -

تعبدوا الله وحده وتقلعوا عن الشرك الذي كنتم عليه واطلب منكم ان تبايعوني على دين الله ورسوله وتوالون من والاه وتعادون من عاداه في السراء والضراء والسمع والطاعة . ثم جلس فبايعه الشريف عبد المعين ثم المفتي ثم القاضي ثم بقية الناس على طبقاتهم « ثم قال » انتظروني بعد صلاة العصر بين الركن والمقام لأبين لكم الدين وشرائط الاسلام ثم انصرف « فلما » كان العصر اجتمعوا فصعد على ظهر زمزم ومعه المفتي فجعل يعلمه وهو يعلم الناس ويقول : اعلموا ايها الناس ان الامير سعوداً يقول لكم ان الخمر والزنا حرام « الى آخر ما قال » مما لا يحله أحد : ثم قال لهم : في غد اهدموا القباب والاصنام حتى لا يكون لكم معبود غير الله .

هدم الوهابية القبور والقبب بمكة وحملهم الناس على معتقداتهم سنة ١٢١٨

وفي الصباح بادر الوهابيون ومعهم كثير من الناس بالمساحي فهدموا اولاً ما في المعلى من القباب وهي كثيرة ثم هدموا قبة مولد النبي « ص » ومولد ابي بكر وعلي وقبة السيدة خديجة « وفي تاريخ الجبرتي » انهم هدموا ايضاً قبة زمزم والقباب التي حول الكعبة والابنية التي هي اعلى من الكعبة « انتهى » وتبعوا جميع المواضع التي فيها آثار الصالحين فهدموها وهم عند الهدم يرتجزون ويضربون الطبل ويغنون ويبالغون في شتم القبور ويقولون ان هي الا اسماء سميتوها حتى قيل ان بعضهم بال على قبر السيد المحجوب « واما » اهل مكة فشوا معهم خوفاً فما مضى ثلاثة ايام الا ومحو تلك الآثار « ثم » نادوا بابطال تكرار صلاة الجماعة في المسجد وان يصلي الصبح الشافعي والظهر المالكي والعصر الحنبلي والمغرب الحنفي والعشاء من شاء وان يصلي الجمعة المفتي « ثم » امر باحراق النارجيلات وآلات الله بعد كتابة اسماء اصحابها عليها ليعرف من اطاعه ووكل بذلك جماعة من قومه ومنع شرب التتن والتبناك وحمل الناس على ترك الاستغاثة بالمخلوقين وبناء القباب على القبور وتقبيل الاعتاب وغير ذلك مما يروونه بدعة أو شركاً « وكان » ينزل من المحصب قبل الفجر ليحضر صلاة الصبح فسمع المؤذنين يؤذنون الاذان الاول ويصلون على النبي « ص » ويقولون يا ارحم الراحمين ويترضون عن الصحابة فقال هذا شرك اكبر ومنعهم منه « ثم » امر علماء مكة ان يدرسوا عقيدة محمد بن عبد الوهاب المسماة كشف الشبهات فلم تسعهم المخالفة ثم طلب قبائل العرب الذين حول مكة فبايعوه واخذ منهم

اموالاً كثيرة زعم انها نكال ووضع في القلعة مائتين من بيشة وامر عليهم فهدا اخا سالم ابن شكبان .

محاصرة الوهابية جدة ورجوعهم عنها

« وارسل » كتاباً لأهل جدة يطلب دخولهم في طاعته فاجابوه بانا رعية الشريف فطاعتنا من طاعته وان اطعناك هل تطلب منا شيئاً من المال فارسل يطلب منهم مائتي الف ريال وستين الف مشخص ومن القماش ما قيمته ستة آلاف ريال ووجه من يقبض ذلك ثم توجه يحيوشه الى جدة فاستعد له الشريف غالب بالمدافع والقتل فجعلوا يحملون على السور وتشتتهم المدافع كينهمزومون حتى قتل منهم خلق كثير فبقوا ثمانية ايام وجعل سعود يشتم عثمان المضايقي لانه هو الذي اشار بمنازلة جدة ثم ارتحلوا الى بلادهم ولم يدخلوا مكة « وقال » الجبرتي في سنة ١٢١٨ جاءت كتب الى مصر من الشريف غالب وشريف باشا ان الوهابيين جلوا عن جدة ومكة لانه بلغهم ان العجم زحفوا على بلادهم الدرعية وملكوا بعضها « انتهى » فغزا الشريف غالب اهل الوادي فقتل واسر وفر اميرها ثم عاد الى جدة . وفي ايام اماره الشريف عبد المعين على مكة صارت العرب تقطع الطرق وتتهب في كل ناحية وليس عنده من الجند ما يدفعهم به .

دخول الشريف غالب مكة وخروج الوهابيين من الحجاز سنة ١٢١٨

ثم ان الشريف غالباً عزم على دخول مكة واخراج من فيها من الوهابيين فتوجه من جدة ومعه شريف باشا والي جدة وكثير من العسكر وثلاثة مدافع منها مدفع كبير اهداه له امام مسقط فنزل بالزاهر وارسل العسكر والعبيد فاحاطوا بقلعة جباد وفيها الجند الذي خلفه سعود ودخل الشريف مكة ومعه شريف باشا ولم ينازعه الشريف عبد المعين وبقي الذين في القلعة محصورين ثم هربوا ليلاً « واقبلت » هذيل لمبايعة الشريف وطلبوا الامان لثقيف فلم يعطهم الامان حتى يفارقوا المضايقي فظهرت ثقيف ذلك ثم نكثت . وجهاز الشريف عسكراً لحفاظة الزيماء وجهاز جماعة لمحاصرة الطائف فاحاطوا بها مع ثقيف وحاصروا عثمان اكثر من شهر وضيقوا عليه فامده سعود بالجنود فارتحل المحاصرون الى قرن ثم عادوا الى مكة ثم ارسل الشريف جندا الى قرن فجاءهم جند كثير من قبل عثمان فعادوا الى مكة ودخلت ثقيف في طاعة عثمان فجهز الشريف عليهم

عسكراً فقتل منهم واخذ حلتهم ومواشيهم ثم توجه المضايقي وابن شكبان لقتال هذيل الشام فقتلوا من هذيل وسلبوا النساء ثم ارسلوا الى بني مسعود وهم في جبلهم ليتوهبوا فلم يقبلوا ووقع القتال فقتل بنو مسعود من الوهابية نحو السبعائة ثم صعد الوهابية الجبل وقتلوا من ادر كوه ثم نزلوا ونادوا بالامان فعاد اليهم من بقي من بني مسعود فاخذ منهم ابن شكبان غرامة شيئاً كثيراً . ثم غزا المضايقي الاشراف بني عمرو اهل اللقاع وقامت الحرب بينهم حتى قتل من الاشراف ستة وعشرون ونهبهم وسلبوا نساءهم حتى جردوها من الثياب فطلبوا الامان وتوهبوا ثم اقبل المضايقي وابن شكبان لحصار مكة فلما وصلوا السيل نهبوا كل ما في طريقهم من المواشي واقتسموه وكان امير الحجاج الشامي سليمان باشا مملوك احمد باشا الجزار فطلب منه الشريف غالب ابقاء طائفة من العسكر لحماية البلد الحرام ويقوم الشريف بلوازمهم فأبى ثم قبل بواسطة امين البصرة ان يبقي مائة وخمسين مع مائة وخمسين جملاً بما عليها من لوازم القتال .

محاصرة الوهابية جدة ثانياً ورجوعهم عنها

ثم دخلت سنة ١٢١٩ وفيها في المحرم اقبل ابن شكبان والمضايقي باثني عشر الف مقاتل لحصار جدة فأراد الشريف غالب تحصين مكة لعله بعدم قدرتهم على جدة فنادى بالتفكير العام فخرج الناس على طبقاتهم الى الزاهر حاملين السلاح وبقوا هناك سبع ليال اما الذين حاصروا جدة فبقوا ثلاثة ايام يحملون عليها حملة واحدة فيفرقهم المدفع ويقتل منهم فينهمزمون الى خيامهم حتى قتل الكثير منهم وامتلأت الحفر والقنوات من جيفهم وكانوا يدفنون العشرة والعشرين في محل واحد فلما رأوا ذلك ارتحلوا وقتل عثمان في طريقه حياً من الاعراب واخذوا ابلاً للشريف غالب فجهز الشريف جيشاً الى الليث من طريق البر بقيادة بعض الاشراف مع مائة من خيل الاتراك بقيادة حسين آغا وجيشاً من طريق البحر معه عشرة من الداوات الكبار مشحونة بالذخائر والمدافع الكبار بقيادة مفرح آغا عتيق الوزير ريحان فوصل جيش البحر الى الليث واطاعة اهله بغير قتال وتلاه جيش البر وبعد ثلاثة ايام هجم عليهم اربعة آلاف من الوهابية فكانت ملحمة عظيمة انجلت عن انهزام الوهابية وقتل كثير منهم واستشهد الشريف حسن امير الجيش البري وجمع بعض الاتراك رؤوس الوهابيين وارسلها الى الشريف فعلقت خارج مكة وهرع

الناس للنظر اليها ثم جهز الشريف جيشاً الى الليث فلم يجدوا فيها احداً ثم جهز جيشاً آخر فيه من الاتراك نحو مائتين وخمسين فارساً وامرهم ان يقيموا بالمدره مرابطين فبقوا فيها ثلاثة اشهر وتغير الهواء على الاتراك ففرضوا ورجع الكثير الى مكة ولم يبق الا اربعون فهجم عليهم المضايقي بغته باربعة آلاف مقاتل ونصر الله الاربعين على الاربعة آلاف فهزمهم وقتلوا فيهم قتلاً ذريعاً حتى وصلوا الى الزيماء هاربين وارسل الشريف خلفهم مائتين من الخيل فلم تلحقهم وانعم الشريف على اولئك الاربعين (وجاءت الاخبار) ان عشرين من خيل الوهابية تصل الى المغس فتتهب اذا سحت لها الفرصة من بادية الحرم فأرسل الشريف سرية فيها اربعة عشر فارساً وعشرون رامياً فوصلوا الى المغس فلم يجدوا احداً فلما اقبلوا على سولة رأوا ما ينوف عن خمسمائة فوقع الحرب بينهم وانتصر ذلك العدد القليل على الوهابية فأفنوا الكثير منهم وهزمهم هزيمة قبيحة وغنموا منهم وعادوا الى مكة ومعهم الرؤوس على الرماح .

استيلاء الوهابية على ينبع سنة ١٢١٩ واخراجهم منها

ثم أن بداي شيخ حرب وقومه توهبوا وحاصروا ابن جبارة شيخ جهينة ينبع وارسل ابراهيم الرويتي الى وزيرها محمد الحجري فخدعه وخوفه وصعب عليه الامور ولم يكن عنده دراية بالحرب فطلب الامان ولولا ذلك لم يقدروا عليه فدخلوا ينبع وقتلوا اهلها وتوجه وزيرها الى جدة في البحر ثم اتى مكة ورمى عند الشريف بالخيانة فصلبه وتوجه الشريف الى جدة وجهازاوات كبارا بالذخائر والعساكر نصفها من عسكره ونصفها من الترك وفي ايام اقامته بجدة وصلها ابراهيم الرويتي فوجد معه اوراقاً من بداي يفسد بها الرعية فأمر بصلبه فصلب ثلاثة ايام واستولى الجند المرسل الى ينبع عليها بعد قتال ثلاثة ايام وقتلوا اصحاب ابن بداي قتلاً ذريعاً .

محاصرة الشريف غالب الطائف وحروبه مع الوهابية

ثم توجه الشريف غالب بمسكر عظيم وحاصر المضايقي في الطائف عشرة ايام ثم عاد الى مكة وجاء عبد الوهاب ابو نقطة من قواد الوهابية الى ارض اليمن حتى وصل الليث بجند كثير فخرج الشريف بجنوده الى قتاله حتى اتى السعدية فوجد فيها جنود الوهابية

والتحم القتال فكان النصر اولا للشریف ثم انتصر الوهابية وقتل من الفريقين نحو الالفين لكن القتلى من الوهابية اكثر ثم انهزموا ولحقهم خيل الشریف ثم عادوا الى مكة ووصل المضايقي وابن شكبان الى الزیما یجنود كثيرة ثم اتوا عرفة ودخل في دينهم بعض قريش وهذیل وقتلوا من لم يطعمهم او اسروه وهدموا عين زبيدة فقل الماء بمكة ثم انتقل كثير منهم الى وادي مرو جعلوا ينهبون ويقتلون الوافدين الى مكة .
وجاء الحاج الشامي والمصري من طريق جدة وحج الناس ولم یحج احد من الحجاز بسبب هذه الفتنة .

محاصرة الوهابية مكة سنة ١٢١٩

والاعراب محاصرة مكة من جميع الجهات وكلم الشریف امیر الحاج الشامي ابراهيم باشا والي الشام ان یخرج لقتال الوهابية فأبى فطلب منه جمالا وعسكراً لاحضار القوات والذخيرة من جدة فوعده ثم اخلف (وجاء) ليلة خمسة فوارس وهو مقيم بالزاهر فصاحوا في اطراف العسكر وكبروا فخاف خوفاً شديداً وكاتب المضايقي وصار يأتيه بعض الوهابية فيكرمهم ثم سافر فجر العشرين من ذي الحجة واخذ معه لعسكر الذي كان ابقاه امیر الحاج الشامي في السنة الماضية ولم يأذن له المضايقي في الرحيل حتى دفع له مائتي كيس فسكن الشریف روع اهل البلد وقام بحفظه بمن معه من الاعوان وترسه من الجوانب الاربعه .

اشتداد الغلاء بمكة عام ١٢١٩

واشتد الغلاء والجوع لانقطاع انطرق وابتدأ من اواخر ذي الحجة سنة ١٩ واستمر الى ذي القعدة سنة ٢٠ فبلغت كيلة القمح والرز مشخصين والزبيب ثلاث ريات ورطل السكر والشحم والزيت رياتين والبن واللحم والتمر رياتاً والسمن رياتاً ونصفاً وباع اهل مكة جميع ما يملكونه بانحس الاثمان ثم عذمت الاقوات بالكلية واكل الناس الأدوية كبهر الحشخاش وزبيب الهوى والصمغ والنوى وبزر الحمير وشربوا الدم واكلوا الجلود والسنانير والكلاب وكل حيوان . وكاتب جملة من الناس المضايقي وانسل بعضهم اليه ليلا وكاتبه بعض شيوخ العبيد الذين بيدهم القلعة فبلغ ذلك الشریف فسجن جماعة وقتل بعض شيوخ العبيد ودخل كثير من الاشراف في طاعة الوهابي .

تشديد الوهابية الحصار على مكة

وفي المحرم سنة ١٢٢٠ ارتحل الوهابيون الذين بالوادي الى اطراف مكة فقاتلهم العبيد الذين في ابراج حول مكة من الظهر الى الغروب وقتل من الوهابيين سبعة فتوجه الوهابيون الى الحسينية واخذوا مواشيها وقتلوا من اهلها احد عشر رجلا وتوجهوا الى العابدية لأنه بلغهم ان العبيد تركوا الابراج وجاءوا الى مكة لطلب الزاد فبلغ ذلك الشريف فاعادهم في الحال وامدهم بمثلهم فسبقوا الوهابيين اليها ثم ارتحل المضايقي وابن شكبان بعدما بنوا حصناً بالمدرّة وتركوا فيه حامية وكان قد بايعهم اكثر العربان الذين باطراف مكة فأمرهم بقطع الجلب عن مكة فاجتهد الشريف في جمع الجمال وارسلها الى جدة لتأتي بالاقوات ومعها مائة فارس وعدد غيرهم وخرج معهم كثير من اهل مكة فرارا من الجوع حتى بلغ كراء الجمل سبعين قرشاً الى ثمانين وبلغ الشريف خروج بعض الوهابية عليهم فامدهم بمائة فارس وجاء الخبر ان الداهيين اولاً خرج عليهم ثلاثة فرسان كانوا جواسيس ثم ظهر نحو عشرين فقتلوا بعضهم وفر الباقون ولما بلغوا المنتجى وهو جبل وجدوا في حصنه سبعة من الوهابيين فقتلوهم وجاءوا بروؤسهم الى جدة ووردت اغنام الى جدة فنهبا الوهابيون ثم رجعت القافلة الى مكة وبلغ كراء البعير ثلاثين ريالاً ثم اعاد الشريف القافلة الى جدة مخفورة فذهبت وعادت سالمة ثم أعادها ثالثاً ورابعاً وخرج معها في المرة الرابعة من اهل مكة نحو ثلاثة الاف ثم انقطع الطريق بالكلية واحاطت الوهابية بمكة من جميع جوانبها فبقوا على ذلك شعبان ورمضان ثم ارسل الشريف جيشاً على قوم من لحيان توهبوا فقتل منهم ثلاثة واخذ خمسين بعيراً وفر الباقون . ثم جهز جيشاً على المناعة والمطارقة فولوا هاربين وغنموا منهم ثم جهز جيشاً مكمل العدة ومعهم مدفع كبير على حصن المدرّة وفيه جماعة من الوهابية فاحاطوا به ورموه بالقنابل وجاء مدد لمن فيه فطردهم عسكر الشريف وارسل لهم الشريف مدفعاً آخر وجاء قوم يريدون دخول الحصن فقاتلهم العسكر فانهمزموا ثم هجموا على الحصن ووصل الترك الى بابه فوجدوا عليه عشرة فقتلوا ستة وفر اربعة وامدهم الشريف بمائتين مع مدفع ثم بلغهم ان المضايقي امد اهل الحصن بثلاثة آلاف فعملوا متاريس فلما اقبلوا رموهم بالمدفع وقتلواهم الى آخر النهار فقتل من جيش المضايقي نحو الحسين ولم يقتل احد من جيش الشريف . وفي الليل اشار عليهم بعض

من خالطه الخوف بالعود الى مكة فعادوا فادركتهم خيل الوهابية قبل دخول مكة ففر بعضهم وثبت البعض ووقعت بينهم ملحمة قتل فيها من عسكر الشريف عشرة ومن الوهابية جماعة من المشهورين وغنم عسكر الشريف منهم خيلاً .

ثم وصل سالم بن شكبان الطائف بخمسمائة واستقبله المضايقي وخيموا قرب جبال بني سفيان وارسلوا اليهم وتهددوهم فاطاعوهم خوفاً وجاءت مشايخهم الى المضايقي وابن شكبان فطوقوهم بالحديد ووضعوا على كل سفياني عشرين ريالاً واخذوا سلاحهم فلما سمعت هذيل طلبت الأمان وحملت ما طلبوه من المال فقالوا لهم قد صبح اسلامكم فقاتلوا اهل مكة المشركين وانزلوا من جبالكم واسكنوا تهامة وامنعوا القوت عن مكة فبلغ ذلك الشريف فامر ببناء ابراج في الحسينية ثم ارتحل ابن شكبان والمضايقي . وبلغ الشريف ان الوهابية تريد اخذ القافلة الواردة من جدة فجهاز جيشاً لحمايتها واصبح الجيش بالركابي فما ملؤا القرب حتى جاءهم الوهابية ووقع القتال على ظهور الخيل وصعد ثلاثون من عبيد الشريف على جبل وجعلوا يرمون بالبنادق فقتلوا عدة وانهزم الوهابيون وقتل اميرهم وقتل منهم جماعة مع ثمان من الخيل ونهبت بعض خيلهم ثم احاط جماعة منهم بالعبيد الذين في الجبل ووقع بينهم القتال فقتل من الوهابيين سبعون ومن العبيد خمسة وعشرون وسلمت القافلة .

ثم جمع سعود امرأه منهم عبد الوهاب ابو نقطة امير عسير وسالم بن شكبان امير بيشة وعثمان المضايقي امير الطائف وغيرهم وامرهم بمحاصرة مكة من جميع الجهات ومنع الاقوات عنها .

فجاء المضايقي بخمسة آلاف وخيم في المضيق وارسل عشرين فارساً يركضون فكبروا وطلبوا البراز فطلبته خيل الشريف ففروا .

محاصرة الوهابيين جدة وقطعهم الطرقات عنها وعن مكة واشتداد الغلاء سنة ١٢٢٠
ثم قصد جدة واحاطوا بالسور ومعهم السلام والمعاول فابعدتهم حامية السور بالبندق والمدفع وقتلوا كثيراً منهم فانهزموا ثم ارتحلوا الى المدرة وطلب المضايقي باقي العربان ورتبهم لقطع الطرقات : طريق جدة واليمن ووادي نعمان وحسن المدرة وانتقل هو

واصحابه الى طريق جدة يقتلون ويأسرون من يمر بهم من الحجاج وغيرهم وينادونهم يا مشركون ثم امر اربعين من هذيل ان يكونوا بين مكة والحسنية يقطعون الطريق فاخذوا اربعة من اصحاب الشريف ومنعوا الناس من الاعتار من التمتع وقتلوا بعض المعتمرين عند الزاهر ثم ارتحل المضايقي من طريق جدة الى الحسنية فجهز الشريف جماعة فالتقوا بهم بأسفل مكة ووقع القتال فانهزم الوهابيون وقتل منهم جماعة وقتل من جماعة الشريف السيد فواز الحسيني امير المدينة وعاد اصحاب المضايقي الى الحسنية فحاربوا من فيها يومين وملكوها وارسل المضايقي يبشر سعوداً بذلك وجاء ابن شكبان بزهاء خمسة آلاف وابو نقطة بنحو عشرة آلاف فتكاملوا في الحسنية ثلاثين ألفاً فاشتد الكرب على اهل مكة وزاد الفلاء حتى بلغت الكيلة من القمح والرز مشخصين ومن الزبيب ثلاث ريات ورطل السكر والشحم والزيت ريالين والسمن والعسل ريالين ونصفا والتمر والبن ريالاً واللحم نصف ريال والتبناك ستة ريات ونصفا ونفدت النقود فاشتروا بالاثاث والحلي وباعوا ما قيمته مائة بعشرة واشتروا ما قيمته عشرة بمائة واكلوا الجلود البالية والمطاط بعد حرقها بالنار والسنائير والكلاب وكل حيوان وشربوا الدم واكلوا نباتاً يسمى الأخریط فائز فيهم ورمياً ثم يموتون وفيت الأقوات فأكل الناس العقاقير والأدوية كما فعلوا سنة ١٢١٩ ومات كثير بالجوع وبعضهم مات وهو يمشي وترى الأطفال موتى في كل زقاق فهرع الناس الى الحسنية من الطرق الصعبة خوفاً من السطوة بهم فمنهم قتل ومنهم مات جوعاً ومنهم وصل محمولا ولم يبق بمكة الا القليل ولا يتكامل الصف الاول عند الصلاة في المسجد الحرام واغلقت الحوانيت .

صلح الوهابية مع الشريف غالب سنة ١٢٢٠

وجاء من الحسنية عبد الرحمن بن نامي احد علماء الوهابية وتذاكر مع الشريف في الصلح على ان يأذن لهم في الحج ثم يرجعوا لبلادهم ويدخل الناس في الطاعة ويكون حكم مكة للشريف وشرط عليهم اعادة الحسنية وغرامة ما ذهب فيها من نفوس واموال وغير ذلك مما رأى فيه الصلاح والرفق باهل مكة وان يخبروا سعوداً بالصلح وينتظروا الجواب فدخلوا مكة وعاد اليها اهلها وتنازلت الاسعار ورجع الوهابية وجعلوا يركضون في الطواف ويشيرون الى الحجر الاسود بالمشاعيب والبواكير ووصل الحاج الشامي واميراه

عبد الله باشا ومعه قوة زائدة عن العادة نحو الف وخمسمائة خيال وقال سعود^(١) لاميري الحاج الشامي والمصري ما هذه العويدات التي تأتون بها وتعظمونها يعني الحمل فقالوا جرت العادة بذلك علامة لاجتماع الحجاج فتوعدهم بتكسيها ان جاؤا بها ثانياً وشرط ان لا يأتوا بالطبل والزمرو واقام الوهابيون الى حادي عشر المحرم سنة ١٢٢١ ثم ارتحلوا واصيبوا مدة مقامهم بمكة بالجذري فمات كثير منهم حتى صاروا يدفنون في الحفرة الواحدة جماعة وكان الكثير منهم مدة اقامتهم بمكة يؤجرون انفسهم لأهل مكة للاحتطاب وحمل القثائم ونزح المراحيض وغير ذلك وفي افتتاح هذه السنة وجه الشريف عماله على الاقطار فارسل وزيراً الى ينبع وارسل مائتين من الاتراك الى سواكن ومثلها الى مصوع ونزل هو الى جدة ورتب امورها وامر باصلاح السور وعمارة الخندق وبناء برج على باب البوغاز المسمى بالعلم يمنع الداخل الى المرسى ان قصده عنوة ثم وصل من الدرعية عشرون رجلاً فيهم حمد بن ناصر احد علمائهم وكان الشريف يحدة فاعطوه كتباً من سعود فيها اتمام امر الصلح ونزل حمد الى مسجد عكاش وجمع الناس وقرأ عليهم رسالة محمد بن عبد الوهاب التي يكفر فيها المسلمين وقبل الشريف بمنع جميع الأمور التي يعتقد الوهابية منها ، مرغماً على ذلك فامر بهدم القباب وترك شرب التنباك وعدم بيعه وبدخول الناس المسجد عند سماع الاذان لصلاة الجماعة وبتدريس رسائل ابن عبد الوهاب وترك تكرير الجماعة في المسجد الحرام والافتقار على الاذان في المنائر وترك التسليم والتذكير والترحم وابطل ضرب نوبته ونوبة والي جدة فتوجه حمد بن ناصر الى الدرعية يخبرهم بذلك وارسل الشريف معه رسولا فرجع بالجواب والشريف باق يحدة فاعاد الجواب لهم وفي مدة غيابه في جدة وقعت فتنة بين الاتراك والعبيد فحضر الى مكة واطفاها وعاقب من كان سببها فلما بلغ خبرها المضايقي فرح وذهب من الطائف الى الدرعية ليخبر سعوداً بذلك ويشنع على الشريف فلم يصادف قبولاً عند سعود فرجع وامر العربان بقطع الطرق مشاققة للشريف وكان سعود اعطاء امارة العربان فارتفعت

(١) وقال الجبرتي ان سعوداً في سنة ١٢٢٢ قعد بحرق الحمل ان جيء به ثانياً وصاحب خلاصة الكلام قال ان ذلك كان سنة ٢٠ كما سمعت مع انه لم يظهر من كلامه ان سعوداً حج تلك السنة بل ظاهره انه لم يحج .
- المؤلف -

الاسعار بمكة لانقطاع الطرق فاخبر الشريف سعودا بذلك فارسل الى عثمان ومنعه فعاد الأمن وتراخت الاسعار ثم امر الشريف ببناء حصن على رأس جبل الهندي وحصنه بالرجال والذخائر وكان مدة استيلائهم على مكة يصانهم ويهدي لهم الاموال الجزيلة وكانت هداياه تصل الى اكثر امراءهم وعلمائهم واعوانهم محافظة على نفسه وعلى اهل مكة وكان سعود وكثير من امراءهم يحجون كل سنة يحنود كثيرة فيكرمهم الشريف ويهيء لهم الضيافات الكثيرة ومع ذلك كان يكاتب الدولة العثمانية سرا ويحثها على تعجيل تجهيز المسافر لانقاذ الحرمين من الوهابية .

وفي خلاصة الكلام: في هذه السنة كان امير الحاج الشامي عبد الله باشا فلما وصل منزل هدية جاءه من الوهابي لا تأت الا على ما شرطنا عليك في العام الماضي فرجع الحاج من هدية لم يحجوا اما الحمل المصري فأمر سعود باحراقه ونادى مناديه بعد انقضاء الحج ان لا يأتي الى الحرمين بعد هذا العام من يكون حليق الذقن وتلا في المنادة (يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) فانقطع مجيء الحاج الشامي والمصري من هذا العام ^(١)

نهب الوهابية ذخائر الحجرة النبوية وهدم القباب بالمدينة

المنورة سنة ١٢٢١

وفيها اخذ الوهابي كلما في الحجرة النبوية من الأموال والجواهر وطرد قاضي مكة والمدينة واقام لقضاء مكة الشيخ عبد الحفيظ ولقضاء المدينة بعض علمائها ومنعوا الناس من زيارة النبي (ص)

وقال الجبرتي: لما استولى الوهابيون على المدينة المنورة هدموا القباب التي فيها وفي ينبع ومنها قبة أئمة البقيع بالمدينة لكنهم لم يهدموا قبه النبي (ص) وحملوا الناس على ما حلوم عليه بمكة واخذوا جميع ذخائر الحجرة النبوية وجواهرها حتى انهم ملؤا اربع ساحير من الجواهر المحلاة بالماس والياقوت العظيمة القدر ومن ذلك اربع شمعدانات من الزمرد

(١) هذا يدل على انه منع غير الوهابيين من الحاج مطلقاً ويدل عليه كلام بعض المؤرخين لانه يرى ان جميع من ليس وهابيا مشركون ومن صرح بأن سعودا منع الناس عن الحج محمود شكوي الالوسي في تاريخ نجد على ما حكى عنه وهو غير متهم في حق الوهابيين .
- المؤلف -

وبدل الشمعة قطعة ماس تضيء في الظلام ونحو مائة سيف لا تقوم قراباتها ملبسة بالذهب الخالص ومنزل عليها ماس وياقوت ونصابها من الزمرذ واليشم ونحو ذلك ونصلها من الحديد الموصوف وعليها اسماء الملوك والخلفاء السانفين. وطررد الوهابية اغوات الحرم والقاضي الذي كان قد توجه لقضاء المدينة واسمه سعد بك وخدام الحرم المكي وقاضي مكة فتوجه مع الشاميين

وقال الجبرتي في حوادث سنة ١٢٢٢ في هذه السنة اخبر الحجاج المصريون انهم منعوا من زيارة المدينة المنورة

انقطاع الحج من مصر والشام والعراق

قال العلامة السيد جواد العاملي في حوادث سنة ١٢٢٢ انه تعطل الحج ثلاث سنين كما مر فيكون ابتداء انقطاعه من العراق سنة ١٢٢٠ وذكر الجبرتي في حوادث سنة ١٢٢٢ ان منها انقطاع الحج الشامي والمصري (اقول) وكان ابتداء انقطاع الحج من الشام في سنة ١٢٢١ ومن مصر في سنة ١٢٢٢ كما مر فيظهر ان الحج انقطع من العراق اربع سنين ومن الشام ثلاث سنين ومن مصر سنتين ولا يعلم هل انقطع بعد ذلك او لا

هجوم الوهابيين على سورية سنة ١٢٢٥

عن تاريخ الأمير حيدر الشهابي انه في هذه السنة هجم عبد الله بن سعود الوهابي على بلاد حوران فنهب الأموال واحرق الغلال وقتل الأنفس البريثة وسبى النساء وقتل الاطفال وهزم المنازل وعاث في الارض فساداً حتى قيل انه اتلف في تلك البلاد ما قيمته ثلاثة آلاف الف درهم

وفي خلاصة الكلام انه في هذه السنة ارسل الوهابيون جيشاً الى ناحية الشام فتوجه يوسف باشا المعدي الى جهة المزيروب وحصن قلعتها واستعد لهم بجيش وشاربوهم وطرردوهم

الفصل الثالث في محاربة محمد علي باشا للوهابيين

ونأخذ ذلك من تاريخ الجبرتي وخلاصة الكلام في امراء البلد الحرام لأحمد بن زيني دحلان :

في سنة ١٢١٨ ارسلت الدولة العثمانية الى محمد علي باشا والي مصر ان يرسل اربعة آلاف عسكري الى الحجاز لمحاربة الوهابية وانهم ارسلوا من جهة بغداد اربع بشوات مع

العساكر وارسلوا الى احمد باشا الجزائر والى عكا بالتوجه لمحاربتهم وفي سنتي ١٢٢٢ و ٢٣ ارسلت تحته فاعتذر بان هذا الامر لا يتم بالعجلة ويحتاج الى الاستعداد وفي سنة ١٢٢٤ ارسلت له بذلك وان يوسف باشا المعدني تعين للسفر الى الحرمين عن طريق الشام وسليمان باشا والى بغداد تعين للسفر من تاحيته على الدرعية وفي سنة ١٢٢٥ حضر عيسى اغا من قبل الدولة العثمانية الى الاسكندرية ومعه مهات وآلات مراكب ولوازم حرب لسفر الحجاز ومحاربة الوهابية وفي سنة ١٢٢٦ اهتم محمد علي باشا بأمر الحجاز وارسل العساكر اليه فسافر الى السويس وحجز المراكب وكان عمل قبل ذلك مراكب بالسويس لهذا الغرض وامر بعمل مراكب كبار لحمل الخيول ثم قلد ابنه طوسون باشا ساري عسكر الحجاز وعسكروا خارج مصر ^(١) ثم سافر طوسون في شهر رمضان من هذه السنة مع قسم من العسكر عن طريق البحر ومعه رئيس التجار السيد محمد المحروقي واوصاه ابوه بالاخذ برأيه ومن العلماء الشيخ المهدي والسيد احمد الطحطاوي وسافر القسم الآخر من العسكر عن طريق البر وكان الشريف غالب يرسل محمد علي باشا ويعده معاونة عساكره والمذكور ايضا يرسله فاما وصلت العساكر البحرية الى ينبع البحر لم يعطوهم ماء ومنعهم المرابطون عند العين ورموا عليهم من القلعة بالمدافع والرصاص فاحاطوا بها وضربوا عليها بالقنابل وصعدوا اليها بالسلام غير مبالين بالرصاص النازل عليهم فلكوها وقتلوا من بها سوى سبعة هربوا على خيولهم منهم وزير الشريف ونهبت ينبع وسبيت نساؤها على رواية الجبرتي وارسل بعض الرؤوس الى مصر ووصلت العساكر البرية الى المويلح ثم اجتمعت بعساكر البحر واخذوا ينبع البر بلا قتال واتتهم العربان افواجا فخلع عليهم طوسون ثم ملكوا قرية السويق قرية ابن جبارة وفر هارباً . واجتمع جماعة من كبار الوهابية فيهم عبد بن سعود والمضايقي في نحو من سبعة آلاف فارس عدى الرجالة وقصدوا تبليت العسكر فنذر بهم وخرج اليهم شديد شيخ الحويطات بفرسانه وطائفة من العسكر

(١) وبهذه الوسطة احتال على امراء المالك وقتلهم فانه عمل موكباً عظيماً لتجهيز العساكر وخروجها الى الحجاز حضره امراء المالك وكان تد اسر الى بعض امرائه بقتلهم فلما توسطوا الموكب اغلق الابواب امامهم ووراءهم وقتلوهم عن آخرهم ولم يسلم منهم الا من لم يحضر فبقي شريداً وصفت له مصر بقتلهم لانهم كانوا امراءه وينازعونه الملك .

- المؤلف -

فوافاهم قبل شروق الشمس ووقع القتال والوهابية ينادون هاه يا مشركون فانهزمت الوهابية وغنموا منهم سبعين هجيناً وكانت الحرب بقدر ساعتين ثم انتقل العسكر الى الصفراء والجديدة واجتمع مع الوهابية كثير من قبائل العرب فوقع القتال ثالث عشر ذي القعدة ووجد العسكر المصري متاريس فحاربوا عليها حتى اخذوها وصعدوا الى الجبال فهاهم كثرة جيش الوهابية وسارت الخيل في مضيق الجبال وبقيت الحرب في اعالها يوماً وليلة فما شعر السفلائيون الا والذين في الأعلى هابطون منهزمين فانهزموا جميعاً وتركوا خيامهم واثقالهم وساروا طالبين السفن التي كانوا اعدوها بساحل البريك احتياطاً ووقع في قلوبهم الرعب وظنوا ان الوهابيين في اثرهم والحال انهم لم يتبعوهم فازدحموا على السفن وذهب كثير منهم مشاة الى ينبع البحر ورجع طوسون وخاصته والحياة الى ينبع البحر فبقوا فيها خمسة وعشرين يوماً وبعد الأذن من محمد علي باشا حضر طوسون ومن معه الى مصر ومعهم العلماء والمحروقي في اوائل سنة ١٢٢٧ فسخط محمد علي باشا على العسكر وطرد الذين جاؤا بغير اذن ولم يشنه ما وقع عن عزمه وشرع في تجهيز جيش آخر فبعث عسكرياً من طريق البحر مع خزنداره الملقب بونا برته وامره ان يكون هو وطوسوس في ينبع لمحافظةها وارسل عسكرياً مع صالح آغا الى ينبع عن طريق البر وسافر عدة من عسكر المغاربة والعثمانيين الى ينبع وجاءت عساكر كثيرة من الاتراك وعينت للسفر وقام هوبلوازمهم وصاروا الى ارسال العساكر برا وبحرا وظهر العزم على السفر بنفسه الى الحجاز فاجتمعت العساكر في ينبع ومعهم صناديق الأموال فأخذوا في تألف العربات واستألتهم بالمال واستولت عساكر الاتراك على عقبة الصفراء والجديدة بدون حرب بل بالتحايلة والمصالحة مع العرب وتدبير شريف مكة الذي كان يكاتبهم سرا ويكاتبونهم ويعملون بتدبيره ولم يجدوا بها احداً من الوهابيين ثم وصلت عساكر الاتراك الى المدينة المنورة ونزلوا بفنائها ثم ان كبار العرب الذين استألوهم ومنهم شيخ الحويطات اخبروا ان الهزيمة السابقة كانت من مقاتلة عرب حرب والصفراء المتوهمين وانهم مجهودون والوهابية لا يعطونهم شيئاً ويقولون قاتلوا عن دينكم وبلادكم فاذا بذلت لهم الاموال صاروا معكم وملكوكم البلاد فارسل محمد علي بعض امرائه ومعهم صناديق الاموال والكسوة واشاع الخروج بنفسه واستمر على ارسال النجدات وهو معسكر خارج باب النصر دائب على

تعليم العساكر يومي الاثنين والخميس فوصل الأمير ينبع البر وذهب شيخ الحويطات وجماعة الى شيخ حرب ولم يزالوا به حتى وافقهم وجاؤا به اليه فآكرمه وخلع عليه وعلى شيوخ العربان فالبسهم الفرو والكسوة وشالات الكشمير وصب عليهم الاموال واعطى شيخ حرب مائة الف ريال فرانسة فرقها على عشيرته وخصه بثمانية عشر الف ريال ورتب لهم العلوفاة والمؤن ونقودا في كل شهر فادخلهم المدينة المنورة فاجرجوا من فيها من الوهابية واستولوا على قلعتها ونزل متولي القلعة من قبل الوهابية واسمه مضيان او ابن مضيان على حكمهم فارسلوه الى مصر فارسله محمد علي الى اسلامبول فقتلوه وعلقوه على باب السراية وجاء جماعة الى مصر معهم مفاتيح المدينة فزينت مصر وارسل محمد علي المفاتيح الى اسلامبول وارسل البشائر الى كافة بلاد الاسلام وحج سعود في هذا العام ثم رجع الى بلاده مسرعا وكاتب الشريف العساكر الذين في ينبع فحضرت منهم طائفة الى جدة من طريق البحر في المحرم سنة ١٢٢٨ وملكوها بدون قتال وكان في قلعة مكة جماعة من الوهابية يسمونهم المهاجرين فلما بلغهم وصول العساكر الى جدة هربوا ليلا وتوجه بعض عسكر جدة الى مكة فآكرمهم الشريف ولما بلغ ذلك وهابية الطائف استولى عليهم الرعب فهربوا مع اميرهم المضايقي ووصلت البشائر الى مصر فزينت خمسة ايام وارسل محمد علي بشيراً الى اسلامبول اسمه لطيف آغا فتلقاه اعيان الدولة في موكب عظيم ومعه مفاتيح زعموا انها مفاتيح مكة والمدينة وجدة والطائف وقد وضموها على صفائح الذهب والفضة امامها البخور في مجامر الذهب والفضة وخلفها الطبول والزمور وضربوا لذلك مدافع وانعم عليه السلطان وكبراء الدولة وسمي لطيف باشا وانعمت الدولة على محمد علي واهدته خنجرين وسيفا مجوهره وعدة اطواخ بالباشوية لمن يريده وسأل الشريف مفتي المالكية الشيخ عبد الملك القلعي هل جعلتم تاريخا لانقضاء مدة الوهابية فقال « قطع دابر الخوارج » ١٢٢٧ وارسل محمد علي باشا ولده اسماعيل باشا الى اسلامبول بالبنشارة فآكرمته الدولة ثم عاد الى مصر وبعد استقرار العساكر بمكة والطائف شتوا الغارات على طوائف الوهابية القرييين من الطائف حتى قتلوا كثيراً منهم وفرقوا مجموعهم .

القبض على المضايقي

ثم قبضوا على المضايقي بناحية الطائف وكان قد جرد علي ابنه ببر اليه الشريف

غالب مع عساكر الاتراك والعربان ووقع الحرب واصيب بجواده واصابته جراحة فزل الى الارض واختلط بالعسكر فلم يفرغوه وارتفع الحرب بنزوله ثم خرج عنهم وسار نحو اربع ساعات فصادفه جند الشريف فقبضوا عليه فجعل الشريف في عنقه زنجيرا وكان المضايقي زوج اخت الشريف فاستاء منه وانضم الى الوهابيين فكان اعظم اعوانهم وهو الذي كان يحارب لهم ويجمع قبائل العرب ويدعوهم عدة سنين ويوجه السرايا وهو الذي فتح الطائف وهو المحارب مع عرب حرب بناحية الصفراء الذي هزم عساكر طوسون وشنتهم كما مر وكان فصيحاً متأدياً في الكلام عليه آثار الامارة ومعرفة مواقع للكلام ثم ارسلوه الى جدة ومنها الى مصر والزنجير في عنقه وجاءت البشارة الى محمد علي بالقبض على المضايقي وقد تهيأ للسفر الى الحجاز فوصل جدة في اواخر شوال سنة ١٢٢٨ وكانوا ارسلوا المضايقي فلم يره وبعد وصول المضايقي الى مصر بثلاثة ايام ارسلوه مع ابن مضيان الى اسلامبول فطافوا بها فيها ثم قتلوها .

ولما وصل محمد علي باشا الى جدة واجتمع بولده طوسون حضر الشريف غالب لمقابلته وجاءته رسل سعود الوهابي فقالوا الامير سعود يطلب الافراج عن المضايقي ويفتيديه بمائة الف ريال فرائسة ويريد الصلح فقال اما المضايقي فارسل الى اسلامبول واما الصلح فلا تأباه بشرط دفع كل ما صرفناه على العساكر من ابتداء الحرب الى اليوم وارجاع كل ما اخذه من ذخائر الحجرة النبوية ودفع ثمن ما استهلك منها وان يأتي الي لاتعاهد معه ويتم صلحنا وان أبى فنحن ذاهبون اليه فقالوا اكتب له كتاباً فقال لا اكتب لانه لم يرسل معكم كتاباً فكما جئتم بمجرد الكلام فعودوا به فلما ارادوا الانصراف جمع العساكر ونصبوا ميدان الحرب والرمي من البنادق والمدافع ليرج الرسل ذلك .

ثم توجه محمد علي الى مكة فاحتفل به الشريف غاية الاحتفال وبالغ في ضيافته واکرامه مع شدة التحذر منه وانزله وولده طوسون كلا في دار وكان الباشا يعظم الشريف غاية التعظيم ويقبل يده وتعاهد معه في جوف الكعبة على الوفاء وعدم الخيانة من الطرفين ومن تحذره منه ان حسن له توجه العساكر من جدة الى الطائف بدون دخول مكة لئلا يحصل ضيق في الماء لكثرة الحاج ففعل ولم يكن مع الباشا في مكة من العساكر الا قليل وكان عند الشريف عساكر موظفون نحو الألفين متفرقين قلقات في اطراف مكة

ومن العبيد نحو الالف في القلاع ولكن اذا جاء القدر لم ينفع الحذر .

القبض على الشريف غالب

وكان هما علي باشا مأموراً من السلطنة بالقبض على الشريف غالب فتحير في ذلك لتحذر الشريف منه ولما بينهما من العهود فرأى ان يقبض عليه ابنه طوسون تخلصاً من خلف العهد، بزعمه فاطهر ان بينه وبين ابنه منافرة وذهب ابنه لجدة مظهراً انه مغاضب لابيه وكتب الى الشريف ان يشفع له عنده ففعل فكتب الشريف اليه بالحضور فحضر وذهب الشريف للسلام عليه وليأخذه الى ابيه فلما وصل الى بيت طوسون وجد اكثر العساكر مجتمعة فلم ينكر ذلك لظنه انهم جاؤا للسلام فدخل على طوسون وتفرق اتباعه في الدهليز وقبل طوسون يده وعظمه ومنع الناس من الدخول على العادة ثم دخل عابدين بك من كبار العسكر فقبل يد الشريف وقبض على الجنبية ليأخذها من وسطه وقال انت مطلوب للدولة فلم يجد بداً من التسليم فقال سمعاً وطاعة اقضي اشغالي في ثلاثة ايام ثم اتوجه فقال لا سبيل الى ذلك وادخلوه الى بيت آخر ولا يعلم احد بشيء وذلك في اواخر ذي القعدة من سنة ١٢٢٨ ومكة مملوءة بالحجاج وارسل طوسون الى ابيه يعلمه بذلك فاستشار الشيخ احمد تركي الذي كانت هذه الحيلة بتدبيره وهو مطوف ذو عقل ودهاء وكان من المختصين بالشريف ويعتمد عليه في المهمات وبعثه الى دار السلطنة فلما قدم محمد علي الحجاز جعله ملازماً له فوجده محمد علي ذا خبرة ودراية فقربه وصار يستشيريه ولما رجع الى مصر امر نائبه بمكة باستشارته فقال ان الشريف له ثلاثة اولاد كبار فيخشى ان يحدثوا فتنة والقلاع بايدي عبيدهم وعندهم عساكر موظفة فلا بد من الاحتياط للقبض عليهم فذهب الشيخ احمد الى الشريف غالب وقبل يده وقال افندينا يسلم عليكم ويقول لا تهتموا والقصد ان تقابلوا مولانا السلطان وترجعوا الى ملككم ويكون مدة غيابكم احد اولادكم نائباً عنكم فاطلبوهم واخبروهم بالحقيقة ليطمئنوا فصدقوه وامر بكتابة ورقة لهم ليحضروا وختمها فحضروا وقبض عليهم وقيل بل ارادوا الحرب لما علموا فتهددهم الباشا وارسل اليهم الشريف فنعمهم عن ذلك وخدعهم الشيخ احمد تركي فقال ليس على ابيكم بأس انما هو مطلوب في مشاورة مع الدولة ويعود بالسلامة والباشا يريد ان يولي كبيركم نيابة عن ابيه حتى يرجع فانخدعوا وقاموا معه والله اعلم . واثار الشيخ احمد بتولية

الشريف يحيى ابن اخي الشريف غالب اماره مكة قبل شيوع الخبر فاحضروه والبسه محمد علي فرو سمور وشالا ثميناً واحضر له صندوقاً من المال واركبوه على فرس مرخت ومشت القواسة بين يديه حتى اوصلوه الى داره وعندها علمت الناس بحقيقة الحال وارتجت البلدا، وعزلت الاسواق خوفاً من فتنة فلم يحصل شيء وفي الليل ارسلوا الشريف غالباً واولاده مع اربعة عبيد طواشية الى جدة ومعهم عسكر فاخذ العسكر ما في جيوبه ثم ارسلوا الى مصر فوصلوها في المحرم سنة ١٢٢٩ وضربوا لوصولهم عدة مدافع ودخل الشريف مصر بالاجلال والاکرام لكن منعت الناس من السلام عليه الا خواص الباشا ثم ارسلوا حريمه الى مصر واستولى الباشا على جميع موجودات الشريف فاخذ ما لا يحصىه الا الله واخرج حرمة وجواريه من داره بما عليهن من الثياب بعد ما قتشوهن تفتيشاً فاحشاً . وفي خلاصة الكلام ان العساكر نهبت داره التي يجياد واخذوا منها اموالا كثيرة واخرجوا اهلها منها بصورة شنيعة وحضر مرسوم من اسلامبول بارجاع ما اخذ من الشريف فصالحوه عنه بخمسمائة كيس وكان اكثر من ذلك بكثير . وفي شعبان من هذه السنة ارسلوه مع اولاده وحريمه الى سالونيك فاقام بها منفياً الى ان توفي رحمه الله تعالى سنة ١٢٢١ وكان من دهاة العالم وكانت امارته نحواً من سبع وعشرين سنة .

مداومة محمد علي باشا على حرب الوهابية

ثم استحضر الباشا من مصر سبعة آلاف عسكري وسبعة آلاف كيس وكان بناحية تربة امرأة مشهورة بالشجاعة تسمى غالية هي الاميرة على العرب واجتمع عندها كثير من امراء الوهابية وجنودهم فارسل اليها الباشا عسكراً سنة ١٢٢٩ فهزمته شر هزيمة ثم ارسل اليها ابنه طوسون فحاربته ثمانية ايام ورجعوا منهزمين ونفرت العرب من الباشا بما صنعه مع الشريف غالب وانضم كثير من الاشراف الى الخصم ووقع الغلاء بالحرمين . وفيها في ربيع الثاني مات سعود امير الوهابية في الدرعية . وتولى مكانه ابنه عبد الله وفيه ارسل الباشا عساكر كثيرة الى ناحية القنفذة براً وبحراً فاستولوا عليها وهرب من فيها من الوهابية ولم يحددوا فيها غير اهلها فقتلهم فتجمعت قبائل عسير مع طامي ابي نقطة وحاصروا القنفذة ومنعوا عنها الماء فانهمزمت العساكر وقتل كثير منهم فارسل لباشا اليهم نجدة فهزموها .

وفي جمادى الثانية توجه بنفسه الى الطائف لمحاربة الوهابية والعساكر والذخائر والاموال تأتيه من مصر وبلغت العشور مبناء جدة اربعة وعشرين لكا وجعل يستميل الناس بالمال وصالح الاشراف ومشايخ العربان الذين فروا منه ثم توجه من الطائف الى كلاخ ووجه العساكر الى جهات متفرقة ووجه ابنه طوسون الى المدينة ثم عاد هو الى مكة الى ان حج .

وفي افتتاح سنة ١٢٢٠ عاد الى الطائف ووقع بينه وبين الوهابية حروب كان النصر له فيها عليهم واستولى على تربة وبيشة ورينة وقتل الكثير من الوهابيين وتوجه الى القنفذة من بلاد عسير فأكبها وقبض على طامي ابي نقطة فان الشريف راجحاً بذل لابن اخي طامي مالا جزيلا ليقبض على عمه فصنع وليمة ودعاه اليها فقبض عليه فارسلوه الى مصر مغلولاً ثم الى اسلامبول فقتل .

ولم يزل محمد علي باشا يحول في بلاد العرب ويقهر الخصوم ويبذل الاموال ويرتب الامراء في كل موضع يستولي عليه الى جمادى الاولى ثم عاد الى مكة ورتب بها الارزاق للاشراف وغيرهم وجدد دفاتر الجراية لاهل مكة وكانت انقطعت في زمن الوهابية وابطل ما استولى عليه الاغنياء منها بالفراغات ورتبها ترتيباً جديداً ثم اقام حسن باشا الارنؤطي نائباً عنه بمكة وتوجه الى مصر فوصلها في رجب .

الصلح بين طوسون باشا والوهابية سنة ١٢٣٠ ووفاة طوسون

وفي شعبان من هذه السنة تصالح طوسون وعبد الله بن سعود وترك عبد الله الحرب واذعن للطاعة وجاء من الوهابية نحو عشرين شخصاً الى طوسون فارسل اثنين منهم الى ابنه بمصر فلم يعجبه الصلح ثم حضر طوسون الى مصر في ذي القعدة وفي سنة ١٢٣١ توفي بالطاعون وعمره نحو عشرين سنة وولد له في غيابه مولود اسمه عباس وهو الذي ولي مصر بعد عمه ابراهيم باشا .

وبقي امر محمد علي باشا نافذاً بالحجاز وعساكره في كل ناحية وبثابه بمكة حسن باشا ومستشاره بها الشيخ احمد تركي والشريف شبر ولم ينقطع ارسال العساكر من مصر الى الحجاز .

وفي اوائل سنة ١٢٢٢ ارسل ولده ابراهيم باشا الى الحجاز لاكمال محاربة الوهابيين والاستيلاء

على الدرعية فتوجه بعساكر واموال وذخائر كثيرة حتى دخل مكة ثم خرج منها بالعساكر قاصداً الدرعية وجعل يملك كل ارض وصلها بلا معارض حتى وصل الى موضع يسمى الموتان ووقع بينه وبين الوهابية حرب شديدة وقتل منهم مقتلة عظيمة واسر منهم وغنم خياماً ومدفعين (وفي سنة ١٢٢٣) امده ابوه بعساكر اترك ومغاربة وملك بلدأ من بلاد الوهابية وقبض على اميرها ويسمى عتيبة ثم استولى على الشقراء وكان بها عبد الله ابن سعود فخرج هارباً الى الدرعية ليلاً وبينها وبين الشقراء يومان ثم استولى ابراهيم باشا على بلد كبير من بلادهم ولم يبق بينه وبين الدرعية الا ثمان عشرة ساعة ثم زحف على الدرعية فملك جانباً منها وحاصر الوهابيين واحاط بهم ثم غاب عن معسكره لامر اقتضى ذلك فاغتنموا فرصة غيابه وكبسوا العسكر وقتلوا منهم عدداً وافراً واحرقوا «الجبخانة» ولما بلغ الخبر اباه امده بالعساكر يراً ومجراً مع قائد اسمه خليل باشا ولم يزل يتابع ارسال الذخائر والاموال حتى انها بلغت اجرة الذخيرة مرة من ينبع الى المدينة على جمال العرب خاصة خمسة واربعين الف ريال لكل بعير ستة ريالات ومن المدينة الى الدرعية مائة واربعين الف ريال هذا في مرة واحدة ومثله مستمر . ولم يزل ابراهيم باشا يغير على اطرافهم ويشدد الحصار عليهم ولما وصله المدد ازدادت قوته وحصل له معهم وقائع الى ان استولى على الدرعية وكسر الوهابية وقبض على اميرهم عبد الله بن سعود وكثير من اقربائه وعشيرته واخرب الدرعية فسكن من بقي من اهلها الرياض ولما بلغ ذلك محمد علي باشا بمصر فرح فرحاً شديداً وضرب لذلك نحو الف مدفع وبلغ عدد المدافع التي ضربت ايام الزينة ثمانين الف مدفع

وفي اول سنة ١٢٣٤ ارسل ابراهيم باشا عبد الله بن سعود وكثيراً ممن قبض عليهم الى مصر فدخلها وهو راكب على هجين وامامه العسكر وخرج الناس للتفرج وضربوا عند دخوله المدافع فلما دخل على محمد علي باشا قباله بالبشاشة وقام له واجلسه الى جانبه وقال له ما هذه المطاولة فقال الحرب سجال قال كيف رأيت ابراهيم باشا فقال ما قصر ونحن كذلك حتى كان ما كان قدره المولى قال انا ان شاء الله اشفع فيك عند السلطان فقال المقدر يكون فخلع عليه وكان معه صندوق صغير مصفح فسأله ما فيه فقال فيه ما اخذه ابي من الحجرة اصحبه معي الى السلطان فاذا فيه ثلاثة مصاحف متقنة وثلاثمائة حبة لؤلؤ

كبار وحنة زمرد كبيرة وبها شريط ذهب فقال له الذي اخذه ابوك من الحجرة اشياء كثيرة غير هذا فقال هذا الذي وجدته فانه لم يستأصل كل ما في الحجرة لنفسه بل اخذ منه كبار العرب واهل المدينة واغوات الحرم وشريف مكة فقال صحيح وجدنا عند الشريف غالب اشياء من ذلك ثم ارسله في تاسع عشر المحرم مع اتباعه مخفوراً الى اسلامبول فطافوا به البلدة وقتلوه عند باب همايون وقتلوا اتباعه في نواح متفرقة (وفيها) ارسل محمد علي ابن اخته خليل باشا بعساكر الى الحجاز فتوجه الى يمن الحجاز واستولى عليه صلحاً ثم صار محافظاً لمكة وفيها في رجب وصل من اسرى الوهابية نحو اربعمائة الى مصر ارسلهم ابراهيم باشا بحريمهم واولادهم ومعهم اولاد عبد الله بن سعود وبعد ان حج ابراهيم باشا توجه الى مصر فوصلها في صفر سنة ١٢٣٥ واحضر من رؤساء الوهابية فشهدوهم وقتلوهم واستقر ملك محمد علي باشا على مصر والحجاز ونجد

وكان قد هرب كثير من كبار الوهابية من ابراهيم باشا حين ملك الدرعية فلما ارتحل عنها رجعوا اليها منهم عمر بن عبد العزيز وتركى ابن اخي عبد العزيز ومشاري بن سعود وكان قبض عليه ابراهيم باشا فهرب من الحمراء فعمروا الدرعية ورجع اكثر اهلها وقدموا عليهم مشاريا المذكور فجهز محمد علي عسكرياً له بإمرة حسين بك فقبضوا على مشاري وارسلوه الى مصر فبات في الطريق وتحصن الباقون في قلعة الرياض المعروفة عند المتقدمين بجحر اليامة وبينها وبين الدرعية اربع ساعات فحاصروهم حسين بك ثلاثاً فطلبوا الامان فأمّنهم وخرجوا الا تركياً فهرب من القلعة ليلاً فقيدهم وارسلهم الى مصر سنة ١٢٣٦ ثم ملك تركى الرياض بعد سنين وثار عليه رجل من آل سعود اسمه مشاري فقتل تركياً وكان لتركى ولد اسمه فيصل كان عند قتل ابيه في الغزو فلما بلغه جاء برجال الغزو وقتل مشارياً واستقل بالملك واستفحل امره واشهر الدعوة التي كان عليها اسلافه فجهز محمد علي العساكر لقتاله مع خورشيد باشا فتوجه من المدينة سنة ١٢٥٣ ومعه خالد بك ابن سعود وهو من اسرى سنة ١٢٣٣ كبر وتربى بمصر فاستحسن محمد علي ان يؤمره في نجد فلما وصل خورشيد الى نجد حصل بينه وبين فيصل وقائع كثيرة الى ان قبض على فيصل وارسله الى مصر سنة ١٢٥٤ واقام خالد اميراً في الرياض ورجع فاستمر خالد في الامارة سنتين ثم ظهر لاهل نجد عدم ساوكة الطريقة التي يرتضونها فنثار عليه عبد الله بن ثنيان مع النجديين

وارادوا الفتك به فهرب الى مكة ثم مات وصار امر نجد لابن ثنيان فلما بلغ ذلك فيصل وهو محبوس بمصر قال لعباس باشا ابن طوسون باشا وكان يجتمع به لو وصلت الى نجد لانتزعتها من ابن ثنيان وصرت خادماً لافندينا فاحتال عباس لاجراجه ليلاً من القلعة فهرب بمن معه حتى وصلوا جبل شمر مقر اماراة ابن رشيد فأكرمهم وتوجهوا الى القصيم فانضاف اليهم كثير منهم فقصدوا ابن ثنيان في الرياض فقاتلوه وحصلوه الى ان قبضوا عليه وحبسوه ثم قتل خنقاً في الحبس سنة ١٢٥٨ واستقل فيصل بالملك وفي سنة ١٢٦٢ صدر الامر من الدولة العثمانية بتجهيز العساكر لمحاربة فيصل بن تركي امير الرياض لانه استفحل امره ويخشى ان يقع منه ما وقع من اسلافه ، وان يكون ذلك برأي الشريف محمد بن عون امير مكة المكرمة فتوجه الشريف مع العساكر من المدينة حتى وصل جبل شمر فسار معه اميره ابن رشيد بكثير من القبائل ولما وصلوا القصيم اطاعهم اهله فخاف فيصل خوفاً شديداً فأرسل لاهل القصيم ان يتوسطوا في الصلح على تأدية عشرة آلاف ريال في كل سنة فتم الصلح ورجع الشريف بالعساكر واستمر فيصل يدفع ذلك حتى مات سنة ١٢٨٢ فقام بعده ابنه عبدالله فنازعه اخوته وانتزعوا الامر منه واقاموا اخاه سعوداً ثم توفي فعادت الامرة اليه الى سنة ١٣٠٠ ولكن ملكه ضعف لان الدولة العثمانية انتزعت منه الحسا والقطيف وخرج عن طاعته اهل القصيم واطاعوا الدولة العثمانية وادوا لها الخراج واميرهم منهم وخرج عن طاعته ابن رشيد امير جبل شمر وقوي ملكه واطاع الدولة العثمانية وادى لها الخراج على قول صاحب خلاصة الكلام . والذي نعلمه انه لم يكن يؤدي لها خراجاً وانما يهدي لها الخيل الجياد وغيرها وهي دائماً في جانبه دون ابن سعود بل كان الشائع في ذلك العصر ان ابن سعود في جانب الانكليز

الفصل الرابع فيما آل اليه امر نجد وما فعله الوهابيون في الحجاز والعراق

والشام في هذا الزمان

بعد ما تقلص حكم محمد علي باشا عن بلاد نجد صار فيها امارتان احدهما آل سعود مقرها القصيم وعاصمتها الرياض والاخرى آل رشيد وعاصمتها حائل في جبل شمر وهو المعروف في القديم بجبل طيء وقوت الدولة العثمانية جانب اماراة آل الرشيد وصارت هي صاحبة الحول والطول في نجد وبخفارتها يسير الحاج العراقي والنجدي عن طريق حائل

بخاوة (خفارة) قدرها ثلاثون ريال فرنسة عن العربي وضعفها عن العجمي وليس للدولة العثمانية على نجد حكم سوى انها في جانب آل الرشيد توّمع ذلك فرعايا ابن رشيد كلهم او جلهم على المذهب الوهابي بل لعل آل رشيد كانوا ايضا على هذا المذهب . وفي عهد السلطان عبد الحميد انشأت الدولة العثمانية متصرفية في اطراف نجد غير متصرفية القطيف فكان نصيبها الفشل وحاصر النجديون العساكر المرسلة لحمايتها فعادوا بأسوأ حال والغيت تلك المتصرفية ثم ان ابن رشيد غلب آل سعود على أمهم واخرج الامير عبد الرحمن الفيصل آل سعود والد سلطان نجد الحالي وولده عبد العزيز واقرباءهم من الرياض عاصمة امارتهم فاقاموا عند ابن صباح ضاحب الكويت ثم ان عبد العزيز استنفر زهاء ثلاثين رجلا من قومه فركب كل منهم ذلولا وخرجوا من الكويت الى نجد يستنفرون من مروا به من عشائرها في طريقهم فحارب ابن رشيد واستعاد اماره آبائه منه ثم هجم في ايام الحرب الكبرى على عشائر شمر في جبلهم وازال امارتهم وكانت قد ضعفت بعد موت الامير محمد ابن رشيد باختلافهم وقتل بعضهم بعضا واخذ ابن سعود آخر امير منهم وهو الامير محمد ابن طلال وما بقي من آل رشيد اسراء وابقام عنده . وفي هذه السنة وهي سنة ١٣٤٦ حاول الامير محمد بن طلال قتل الامير سعود بن عبد العزيز على ما يقال فتسلق داره هو واتباعه وعبيده فاخطأ مكانه فامر سعود بقتلهم فقتلوا وهم عشرون شخصا . وما زال عبد العزيز سلطان نجد يتقوى شيئا فشيئا بذكائه ودهائه وعزمه وثباته ومساعدة التقادير له ، وفي اواخر عهد الاتحاديين استولى على متصرفية القطيف التي كانت لاجداده قبل وقبض على منصور باشا احد كبراء القطيف لموالاته الدولة العثمانية ثم قتله خفية وسكتت الدولة العثمانية عنه لانشغالها بالفتن والحروب وصالحته كما صالحته امام اليمن وعقدت معه اتفاقا اعترفت له فيه بامارة نجد له ولذريته .

ولما نشبت الحرب العامة ودخلت فيها الدولة العثمانية سنة ١٣٣٢ ١٩١٤ هـ م بقي ابن سعود على الحياد وتعاهد مع الانكليز واستالت الدولة الانكليزية اليها الشريف حسين ابن علي امير مكة ووعدته ومنته استقلال بلاد العرب وتعاهدت معه على ذلك كما تعاهدت مع الفرنسيين في الوقت نفسه على اقتسام بلاد العرب فساعدوا الشريف حسين ورجال العرب مساعدة تذكر ولما وضعت الحرب العامة اوزارها سنة ١٣٣٧ ١٩١٩ هـ م ودخلت

جيوش الخلفاء سورية وبينها الجيوش العربية بقيادة الأمير فيصل أحد انجال الملك حسين ابن علي ثم كان الى الجيوش البريطانية والعربية احتلال المدن الاربع دمشق وحلب وحمص وحماه وتوابعا ومنها حوران، والتصرف الاداري فيها بيد الحكومة العربية، والى الجيوش الافرنسية احتلال بيروت ولبنان وطرابلس وجبل عامل والاردن وتوابع ذلك والى الجنود البريطانية احتلال فلسطين وشرق الاردن وبعض حوران. واعلن استقلال الحجاز ونودي بالشريف حسين ملكاً عليه باسم ملك العرب ووافقت على ذلك الدول الكبرى وخطب باسمه على المنابر حتى في مدن سوريا وفلسطين ثم بوع بالخلافة في الحجاز واكثر تلك المدن واعلن استقلال نجد تحت سلطنة الامير عبد العزيز آل سعود باسم سلطان نجد ووافقت على ذلك الدول العظمى وفي مقدمتها بريطانيا ومنحته راتباً لا يقل عن اربعين الف ليرة انكليزية وبلغ مجموع ما دفعته له من ابتداء سنة ١٩١٧ الى سنة ١٩٢٣ ميلادية زهاء خمسمائة الف واثنين واربعين الف جنيه انكليزي وكان ذلك اولا للمساعدة في الحرب ضد تركيا وبعد الحرب ليمتنع عن القيام ضد الحجاز والكويت والعراق وليساعد في ترويج سياستها الخاصة التي ترمي الى ايجاد احوال سلمية في بلاد العرب .

صرح بذلك وزير المستعمرات مسترامري وتناقلته صحف العالم ونقلناه بحروفه ، وتعاهدت معه على ان امارة نجد وملحقاتها له ولأولاده بشرط ان يكون الامير اللاحق مختاراً من السابق ولا يكون خصماً معادياً للحكومة البريطانية بمخالفته لشروط هذه المعاهدة ، وان تساعد وذريته على اي دولة اجنبية تعتدي على بلادهم اذا كان الاعتداء بدون علمها ولا اعطائها الوقت الكافي لمراجعته في ازالة الخلاف المسبب للاعتداء وان لا يعقد اتفاقاً ولا معاهدة مع اي حكومة او دولة اجنبية ويعد بعدم مفاوضة احد في ذلك ويلتزم اعلام الحكومة البريطانية بكل تجاوز او تعد على بلاده ويلتزم ان لا يبيع ولا يرهن ولا يؤجر ولا يتخلى عن شيء من اراضي بلاده ولا يمنح امتيازاً للدولة اجنبية او احد رعاياها بدون رضا بريطانيا وبأن يتبع في ذلك نصائحها وبإبقاء الطرق الموصلة الى البلاد المقدسة مفتوحة والحفاظة على الحاجاج الذين يسلكونها وعدم الاعتداء على حكومات

كشف الارتياح م ٤

جيرانه البحرين والكويت وقطر وعمان والمشايخ الذين تحت الحماية البريطانية . ونقلنا ذلك من مجموع مقالات صاحب المنار (الوهابية والحجاز)
واقم الامير عبد الله نجل الملك حسين اميرا على شرق الاردن واطلق على امارته اماره الشرق العربي وجعلت تلك الامارة له ولذريته

وبقيت الجنود البريطانية في المدن الاربع سنة كاملة ثم خرجت منها واستقلت بها الحكومة العربية تحت اماره الامير فيصل ثم وقع الاختلاف بينها وبين الافرنسيين بعد ان اقيم الامير فيصل ملكا على سوريا وكانت وقعة ميسلون المشهورة بين العرب من الدمشقيين وغيرهم وبين الافرنسيين التي انتهت بقتل جملة من العرب والافرنسيين وقتل يوسف بك العظمة وزير الحربية العربي بعدما ابدى بساله تذكر واحتلال الجنود الافرنسية المدن الاربع وخروج الملك فيصل من سوريا سنة ١٣٣٨ هـ ١٩٢٠ م ثم اقيم ملكا على العراق برأي الانكليز ومشورة العراقيين

هجوم الوهابيين في الحجاز على عرب الفرع من قبيلة حرب

في سنة ١٣٤٠ غزا الوهابيون عرب الفرع من قبيلة حرب في عقر دارهم في الحجاز ونهبوا المواشي فجاء النذير الى اهل الفرع فلحقوهم واستخلصوا منهم ما نهبوه وقتلوا فيهم وغنموا جميع ما معهم وولوا منهزمين ومن جملة ما غنموه اعلام وبيارق فدفعوه الى الملك حسين وانقطع مجيء اعراب نجد الى الفرع لاكتيالك التمر فحصل بذلك ضيق على اهل الفرع بسبب كساد تمرهم التي كان يشتريها النجديون

قتل الوهابيين الحاج الياباني سنة ١٣٤١

في هذه السنة التقى الوهابيون بالحاج الياباني وهو اعزل من السلاح وجميع آلات الدفاع قسايرهم في الطريق واعطوهم الامان ثم غدروا بهم فلما وصلوا الى سفح جبل مشى الوهابيون في سفح الجبل واليابانيون تحتهم فمطفؤوا على اليابانيين واطلقوا عليهم الرصاص حتى قتلوهم عن بكرة ابيهم وكانوا الف انسان ولم يسلم منهم غير رجلين هربا واخبرا بالخال

واراد الشيخ رشيد رضا صاحب المنار على عادته في تليفق الاعذار عن افعال الوهابيين الاعتذار عن

هذه الفعلة الشنعاء فقال في مجموعة مقالاته (الوهابيون والحجاز) (١) : ان الملك حسينا كان ارسل حملة على منطقة عسير بعد وفاة السيد محمد علي الادريسي الذي كان قد تخلى عنها لسلطان نجد وفي أثر تشكيل الوهابية بحملته هنالك وقعت حادثة حجاج اليمن الذين اعتقد الوهابيون انهم نجدة منهم فاطلقوا عليهم الرصاص وبعد ان عرف الامر اعتذر السلطان عبد العزيز للامام يحيى عن هذا الخطأ واتفقا على حفظ المودة بينهم بتعويض مقبول معقول (انتهى)

وهذا عذر فاسد بارد يراد به ستر فظائع الوهابيين في استحلالهم دماء المسلمين وتوجيه بأسهم وسطوتهم وافواه بنادقهم كلها الى قتال المسلمين خاصة وغزوهم كلما سنحت لهم فرصة وقتلهم بانواع الغدر والبغي تارة في سورية واخرى في الحجاز وثالثة في العراق ورابعة في اليمن وهيئات ان تستر هذه الاعذار الفاسدة فظائمهم وقد عرفها العام والخاص ولم تعد تخفى على احد من الناس . يقول صاحب المنار انهم اعتقدوهم نجدة وكيف ذلك وهم عزل من السلاح ولا يؤذن لهم بحمله في مملكة اجنبية ولو كانوا مسلحين ما استطاع الوهابية قتلهم وكانوا اقصر باعاً من ذلك وهل تخفى حالة الحجاج من حالة الغزاة المحاربين فكيف يمكن لعامل ان يعتقد او يظن او يحتمل انهم نجدة . وهل اعتقد الوهابيون في اعراب شرق الاردن انهم نجدة حينما غزوهم في عقر دارهم واعملوا فيهم رصاص البنادق وحد السيوف وهل اعتقدوا في اهل العراق انهم نجدة فتابعوا عليهم الغزو والقتل والنهب . وكيف ساغ للوهابيين وهم وحدهم المسلمون الموحدون الابرار الاتقياء الورعون الذين تورعوا عن الفتيا في التلغراف لعدم النص فيه ان يقتلوهم قبل سؤالهم وتعرف حالهم ولكن حالهم كما قال الحسن البصري في اهل العراق : يسألون عن دم البقرة ويستحلون دم الحسين

وكما اقتضت المصلحة الانكليزية والدهاء البريطاني ان يكون الشريف حسين ملك الحجاز والامير ابن سعود سلطان نجد اقتضت ثانياً ان يكون السلطان ابن سعود ايضاً ملكاً على الحجاز مكان الملك حسين واولاده عقيب امتناعه عن امضاء المعاهدة البريطانية الحجازية

هجوم الوهابيين على الحجاز وفضائهم في الطائف سنة ١٣٤٣ - ١٩٢٤

ففي اوائل هذه السنة هجم الوهابيون على الحجاز وحاصروا الطائف ومعهم الشريف خالد بن لؤي من اشراف مكة المعادين للملك حسين واحد عمال السلطان ابن سعود ثم دخلوها عنوة واعملوا في اهلها السيف فقتلوا الرجال والنساء والاطفال حتى قتلوا منها ما يقرب من الفين بينهم العلماء والصلحاء واعملوا فيها النهب وعملوا فيها من الفظائع ما تقشعر له الابدان وتتفطر القلوب نظير ما عملوه في المرة الاولى كما سبق ومن قتلوا من المعروفين الشيخ عبد الله الزواوي مفتي الشافعية بصورة فظيعة وقتلوا جملة من بني شديدة سدنة الكعبة المكرمة كانوا مصطافين في الطائف وجاءت الاخبار بارتكابهم فظائع لا يلبق ذكرها وان السلطان ابن سعود لما سئل عنها لم ينكر وقوعها لكنه اعتذر بما وقع من خالد بن الوليد يوم فتح مكة وقول النبي (ص) (اللهم اني ابرأ اليك مما صنع خالد) . ثم اخذوا ما وراء الطائف من المعازل الحصينة وامها الهدى وكري

مهاجمة الوهابية شرق الاردن واستيلائهم على مكة

وفيهما هجم جماعة من الوهابيين فجأة على اعراب شرقي الاردن الآمنين فهجموا على ام العمد وجوارها فقتلوا ونهبوا وما لبثوا ان ارتدوا مدحورين مأسورين لان الطيارات والدبابات الانكليزية اشتركت في قتالهم مع عرب شرقي الاردن وانجلت المعركة عن قتل ثلثائة من الوهابيين وامر جماعة كثيرة منهم وقتل مائتين وخمسين من اهل شرقي الاردن ثم اطلقت اسرى الوهابيين بأمر من الانكليز واوصلوا الى مأمنهم . وفي هذه السنة وهي سنة ١٣٤٦ جاءت الاخبار بمهاجمة الوهابيين شرقي الاردن ووصولهم الى معان بنحو من ثلاثين الفا وانهم اعلنوا الجهاد .

استيلاء الوهابيين على مكة المكرمة سنة ١٣٤٣

وفيهما دخل الوهابيون مكة بغير قتال بعدما خرج الملك حسين وولده منها الى جدة فهبوا داره واستولوا على جميع ما يؤول اليه ثم اكره على التنازل عن الملك لولده الامير علي وعلى الخروج من الحجاز الى العقبة وبعد فتح الوهابيين الطائف ومكة حضر السلطان عبد العزيز بن سعود الى مكة وقامت الحرب بينهم وبين الملك علي المتحصن في جدة وانقطع الحج في تلك السنة فاستحضر الملك علي اليه جماعة من السوريين من الضباط

وغيرهم واشترى الاسلحة والطائرات وصرف الاموال ولكن على غير جدوى وصادرت له الحكومة المصرية في الظاهر ، اسلحة واردة في البحر من طريق مصر عملاً بقانون الدول المتحايدة. وبقيت في يده ايضاً المدينة المنورة وباقي سواحل الحجاز والحرب قائمة في الكل وجدة والمدينة تحت الحصار وابوه وهو في العقبة يمدد بالمال والرجال ثم نفى ابوه من قبل الانكليز من العقبة الى جزيرة قبرص على دارعة بريطانية مع حرمة وخدمه ولم يحضر لوداعه احد من كان يظهر له الصداقة غير ولده الامير عبد الله ولما طال الحصار على الملك علي اضطر الى صلح الوهابية فتم ذلك بتوسط قنصل الانكليز في جدة فخرج من جدة على دارعة او باخرة بريطانية ودخلها الوهابية سنة ١٣٤٤ واستولوا على مراكب ابيه البحرية وذهب هو الى العراق فاقام عند اخيه الملك فيصل . ودامت الحرب ما يزيد عن سنة كاملة واصبح ابن سعود سلطان نجد وملك الحجاز واستولى الوهابيون على المدينة المنورة والحجاز كله ودخلت جميع اعراب الحجاز تحت طاعتهم .

وكان السلطان ابن سعود يعلن وهو يحارب الملك علياً أنه ما جاء الى الحجاز الا لينقذه من ظلم الاشراف ولا يريد تملكه وانما يجعل مصيره راجعاً الى رأي عموم المسلمين فكانت هذه الاقوال جارية على عادات المتغلبين في دهائهم وسياساتهم لم يف منها بشيء . نعم عقد مؤتمر أبكة دعا اليه الحكومات واهل البلاد الاسلامية لارسال مندوبين عنها فحضره طائفة منهم وامتنع آخرون وارجعت الدولة الايرانية مندوبها بعدما عينته لما بلغها ما فعل بائمة البقيع واجتمع المؤتمر ولم يسفر عن نتيجة وبث السلطان ابن سعود الامن في الحجاز وعاد الحج وارسلت الحكومة المصرية عسكرها المعتاد مع امير الحاج المصري وفي منى استاء الوهابيون من فعل العسكر المصري بعض ما يراه الوهابيون محرماً فرشقوا العسكر بالحجارة فقابلهم العسكر برمي البنادق والمدفع فقتلوا جماعة من الوهابيين وقابلهم الوهابيون بالمثل فجرح جماعة من العسكر بينهم بعض الضباط وقتل بعضهم فارسل السلطان ابن سعود ولده لاختاد الفتنة فلم يستطع فحضر هو بنفسه واخمدوها . وتفطن عماله في الاستفادة من اموال الحجاج فدخل عليه بذلك اموال عظيمة تعد بالملايين من الليرات (١) .

(١) كان هذا قبل اكتشاف البترول وطلوا بعد اكتشافه يتولسون بكل وسيلة لاستنزاف اموال الحجاج وفرض الضرائب عليهم .
- الناشر -

التاريخ يعيد نفسه

وقد جرى على الملك حسين من طرده من مقر ملكه الى جدة ثم الى العقبة ثم نفي الانكليز له الى جزيرة قبرص نظير ما جرى على سلفه الشريف غالب من خروجه من مكة ومحاصرته في جدة ونفيه الى مصر ثم الى سلانيك كما مر . وجرى على الطائف واهله في هذا العصر نظير ما جرى عليهم في ذلك العصر وفعل الوهابيون في الحجاز في هذا العصر من هدمهم القباب والضرائح ومحوهم آثار سادات الاسلام ومنعهم الحرية المذهبية للمسلمين واغاراتهم على بلاد المسلمين في العراق وسوريا نظير ما فعلوه في ذلك العصر فان التاريخ كما يقولون يعيد نفسه .

هجوم الوهابيين على العراق

وقد تكرر هجوم الوهابيين على اطراف العراق سنة ١٣٤٥ - ١٣٤٦ بقيادة فيصل الدويش يقتلون وينهبون وكان نتيجة ذلك ان اشتكى العراقيون الى الحكومة الانكليزية وقالوا لها إما ان تردعهم او تترك العراقيين وايهم ليدفعوا عن انفسهم فخابرت معتمدها في البحرين ليخاير للسلطان ابن سعود فكان جوابه انه لا علم له بما جرى وسيسأل فيصل الدويش عن ذلك وما زال فيصل الدويش يشن الغارات على اعراب العراق المجاورة لنجد فينهب مواشيهم ويقتل فيهم وقد قرأنا اليوم في الجرائد خبر هجومه عليهم ونهبه وقتله لهم ومطاردة الطيارات البريطانية والجند العراقي لجنوده وان السلطان ابن سعود ارسل لحكومة العراق يحذرها منه ويقول انه خارج عن طاعته وغير قادر على ردعه^(١).

(١) فاتنا ان نذكر في تاريخ الوهابية بعض امور فنستدركها هنا نقلا عن خلاصة الكلام في امراء البلد الحرام . وهي ان محمد بن سعود امير الدرعية بعدما اتبع محمد بن عبد الوهاب واتخذته وسيلة لاتساع الملك واتقياد الاعراب له اتسع ملكه وملك اولاده من بعده حتى ملكوا جزيرة العرب وكان اذا اراد ان يغزو بلدة كتب كتابا يقدر المختصر الى الاعراب فيلبون دعوته ويتحملون على انفسهم كل ما يحتاجون اليه واذا نهبوا شيئا يدفعون اليه خمسة وياخذون اربعة اخماس فاذا ملك القبيلة من العرب سلطها على من دنا منها وهكذا حتى ملك الشرق كله ثم اقليم الحسا والبحرين وعمان ومسقط وقرب ملكه من بغداد والبصرة هذا من جهة الشمال ثم ملك من الجنوب الحرار باسرها ثم الخيوف وذوات النخيل والحوية والفرع وجهينة وملك ما بين المدينة المنورة والشام حتى قرب ملكه من الشام وحلب وملك العربان الذين بين الشام وبغداد وعربان المشرق والحجاز والقبائل التي حول الطائف ومكة ثم ملك الطائف ودخل مكة بالصلح سنة ١٢٢٠ بعد حرب الشريف غالب معه نحو من خمس عشرة سنة وعجزه عنه واستمر فيها الى غاية سنة ١٢٢٧ وحاربه محمد علي باشا حتى وصل ابنه ابراهيم باشا الى الدرعية سنة ١٢٣٣ .

هدم الوهابيين القباب والمزارات بالحجاز عام ١٣٤٣

لما دخل الوهابيون الى الطائف هدموا قبة ابن عباس كما فعلوا في المرة الاولى ولما دخلوا مكة المكرمة هدموا قباب عبد المطلب جد النبي «ص» وابي طالب عمه وخديجة ام المؤمنين وخبروا مولد النبي «ص» ومولد فاطمة الزهراء «ع» ولما دخلوا جدة هدموا قبة حواء وخبروا قبرها كما خربوا قبور من ذكر ايضاً وهدموا جميع ما بمكة ونواحيها والطائف ونواحيها وجدة ونواحيها من القباب والمزارات والامكنة التي يتبرك بها ولما حاصروا المدينة المنورة هدموا مسجد حمزة ومزاره لانها خارج المدينة وشاع انهم ضربوا بالرصاص على قبة النبي «ص» ولكنهم انكروا ذلك ولما استولوا على المدينة المنورة خرج قاضي قضائهم الشيخ عبد الله بن بليهد من مكة الى المدينة في شهر رمضان سنة ١٣٤٤ ووجه الى اهل المدينة سؤالاً يسألهم فيه عن هدم القباب والمزارات فسكت كثير منهم خوفاً واجابه بعضهم بلزوم الهدم وسيأتي ذكر السؤال والجواب ان شاء الله في فصل البناء على القبور .

وانما اراد بهذا السؤال تسكين النفوس لا الاستفتاء الحقيقي فان الوهابيين لا يتوقفون في وجوب هدم جميع القباب والاضرحة حتى قبة النبي «ص» بل هو قاعدة مذهبهم واساسه وبعد صدور هذا السؤال والجواب هدموا جميع ما بالمدينة ونواحيها من القباب والاضرحة والمزارات فهدموا قبة أئمة اهل البيت بالبقيع ومعهم العباس عم النبي «ص» وجدرانها وازالوا الصندوق والقفص الموضوعين على قبورهم وصرفوا على ذلك الف ريال مجيدي ولم يتركوا غير احجار موضوعة على تلك القبور كالعلامة وهدموا قباب عبد الله وآمنة ابوي النبي «ص» وازواجه وعثمان بن عفان واسماعيل بن جعفر الصادق ومالك امام دار الهجرة وغير ذلك مما يطول باستيفائه الكلام . وبالجملة هدموا جميع ما بالمدينة ونواحيها وينبع وغيرها من القباب والمزارات والاضرحة وكانوا قبل ذلك هدموا قبة حمزة عم النبي «ص» وشهداء احد كما مر حتى اصبح مشهد حمزة والشهداء والجامع الذي بجانبه وتلك الابنية كلها اثرا بعد عين ولا يرى الزائر لقبر حمزة اليوم الاقبرا في بركة على رأس تل من التراب وترثوا خوفاً من عاقبة الامر عن هدم قبة النبي «ص» وضريحه التي حالها عندهم كحال غيرها او اشد لشدة تعلق المسلمين بذلك وتعظيمهم له وادلتهم الاتية

وفتواهم لا تستثني قبة نبي ولا غيره وما اعلنه سلطانهم في الجرائد من انه يحترم قبة النبي «ص» وضريحه يخالف معتقداتهم جزماً ولا يراد منه الا تسكين الخواطر ومنع قيام العالم الاسلامي ضدهم ولو امنوا ذلك ما توقفوا عن هدمها والحاقها بغيرها بل كانوا بدأوا بها قبل غيرها. وفي بعض اعتذاراتهم انها قبة المسجد لا قبة النبي «ص»، ومنعوا الزوار من الدنو الى قبر النبي «ص» وقبور اهل البيت «ع» ولمسها وتقبيلها واقاموا حرساً بأيديهم الخيـزان يمنعون الناس من ذلك الا اذا قبضوا بعض الدراهم وكان لا يراهم احد فيشـيرون الى الزائر بالدنو من ضريح النبي «ص» ولمسه وتقبيله والرجوع بسرعة . ولما شاع في الاقطار الاسلامية ما فعلوه في الحجاز بقبور أئمة المسلمين ومشاهدهم اكبر المسلمون ذلك واعظموه لا سيما ما فعلوه بقبة أئمة البقيع وجاءت برقيات الاحتجاج على ذلك من العراق وايران وغيرها وعطلت الدروس والجماعات واقامت شعائر الحزن في هذه البلدان احتجاجاً على هذا الامر الفظيع .



فصل

من مخازي السعوديين (١)

اما مخازيهم فليست تنقضي ولو انقضت وتناهت الاعداد
ولو ان اشجار البسيط مراقم والبر طرس والبحار مديد

اننا حين نسرده فيما يلي بعض مخازي السعوديين نعترف باننا اعجز من أن نلم بطرف منها
ولكننا نورد ما نورده تدليلاً على طبيعة الحياة التي يحياها السعوديون ، ويحياها في
ظلالهم الشعب العربي الذي قدر لهم ان يحكموه بأخس الوسائل واحقر الاساليب وافظع
الطرق واشدها همجية ووحشية ونذالة :

أرض الزيت والدماء

عام ١٩٥٢ منح الدكتور بيير جرونفيل عقدا بستين ليعمل في
مستشفى الملك سعود وذهب الى المملكة وعندما انتهت مدة الستين
فتح عيادته الخاصة واستمر بها الى وقت قريب ، وفي خلال هذه المدة
تجول في داخل البلاد . وهو هنا يتحدث عما ابصره بعينه وسمعه
بأذنيه في البلاد التي نكبت بحكم السعوديين :

عدت من « المملكة السعودية » قريبا بعد ان كنت ازاول مهنة الطب في عدة بلدان
مختلفة وصرح لي بالعمل حتى في البقاع البعيدة التي لا يصرح بدخولها الا لعدد قليل جداً
من غير العرب .

ولن تجد في اية بقعة من بقاع العالم من الوحشية والمذابح والجوع مثل ما تجده « في
السعودية » اليوم التي اصبحت تفوق قصص الف ليلة وليلة الخرافية ! . ان الزيت الموجود
في باطن الارض قد جذب الشركات الامريكية ، كما ان موقع « السعودية » الجغرافي جعلها
حليفة مرتبطة اشد الارتباط بالولايات المتحدة الامريكية التي انشأت المطارات العسكرية
وتكلفت الكثير في بناء القواعد والمؤسسات الحربية .. والثروة التي تنفق في سبيل الفساد

(١) مما استدركناه على الطبعة الاولى «الناشر»

والافساد والترف وبناء القصور المجهزة بتكييف الهواء ووسائل اللهو والعبث المليئة بالرقيق والحريم التابع للملك سعود وعائلته ، لم يكن لها ولو تأثير بسيط على مستوى الحياة العامة للشعب ، التي تشبه حياة الحيوان والتي لا يمكن للمرء ان يصدقها ابداً ، ولم تتحسن هذه الحياة منذ عدة قرون .

التمثيل بالانسان الحي

فاذا خطر ببالنا مسألة الجريمة وكيفية العقاب نرى ان العربي الفقير الذي يتهم بالسرقة - وهي الجريمة الشائعة - يلقي القبض عليه ويودع في سجن حقير كاللحد ليس به نوافذ . ومن الناحية النظرية نجد ان البوليس هو السلطة التي تتولى عمل التحريات الخاصة بالجريمة المزعوم ارتكابها ، ولكن التحريات تستدعي اناسا على جانب من الذكاء اكثر من رجال البوليس السذج البسطاء الذين معظمهم اميون لا يمكنهم القراءة او الكتابة والطريقة المألوفة في معاملة المتهم هي ان يضرب بالسياط حتى يعترف ، وان لم يعترف ، فهناك طريقة أخرى . وهي قلع الاظافر والكبي بالنار وربط عضوه التناسلي في سلك معدني دقيق مع اطعامه اشياء مدرة للبول وتكبيل يديه ، وتعذيبه ، وسيعترف بعد ذلك ! حتماً !.. ولو في غيبوبته ! ، وقد ادخلت « على السعودية » وسائل هذا النوع من العذاب من قبل شخص جاء به جون فيلي من العراق ووضعه مديراً للامن العام ويدعى مهدي بك .. وفي امكاني ان اذكر من نتائج الكشف الطبية التي كنت اقوم بها انه يكفي المتهم سبع جلدات (دون ما سواها) حتى يعترف بسواء اكان مذنباً او بريئاً ! . ثم يحضر المتهم بعد ذلك امام « القاضي » وهو رجل الدين الجاهل الذي يصدر الاحكام ارتجالاً في كل منطقة حسب مزاجه ! .

ومعظم هؤلاء « القضاة » الذين يكون تعيينهم الحقيقي تعيننا من الناحية السياسية ، هم اميون مثل رجال البوليس سواء بسواء ، فاذا تصادف ان كان مع المتهم ثمة نقود ، (وهذا من النادر ان يحدث) فان المتهم يمكن انقاذه بالرشوة وتكون العقوبة في هذه الحالة مجرد ضربه عدد من السياط . ولكن النتيجة العادية من « المحاكمة » والمحاكمة كلها تتلخص في ان رجل الدين او البوليس يقول : (ان المتهم قد اعترف بالجريمة !) هي صدور النطق بالحكم « السعودي » رأساً من القرآن الذي يصرفونه حسب اهوائهم ،

وهذا بصرف النظر عما اذا كان السجين قد سرق ريالاً واحداً او ثمرة او قطعة رغيف لانقاذ حياته من الجوع ، فان الحكم يستوى في ذلك ، فاذا سرق لأول مرة فان يده اليمنى يجب ان تقطع من ناحية المعصم ، واذا سرق مرة أخرى ، فيجب ان تبتر رجله اليسرى ، وثالث مرة تقطع قدمه من ناحية المفصل ، ولا تظنوا ان فيما ا قوله مبالغة فقد اشرفت بنفسي على بعض هذه العمليات المضحكة التي ذهب ضحيتها احد الفقراء ، اما اللص الحقيقي فذلك الحاكم الذي يأمر بقطع ثلاثة اعضاء من جسم الفقير العاقل عن العمل ، وليس هناك ثمّة خلاف « في تطبيق الحكم » كما قلت اذا كان المتهم قد سرق كسرة من الخبز ليطعم بها عائلته التي تموت جوعاً ، فان « الحكم » لا يخفف وهو واجب التنفيذ في هذا الصدد ! .

وبصفتي طبيباً فقد كنت احضر مئات من هذه « المحاكمات » العلنية وذلك لكي اعالج السجين بعد ان ينتهي معه هؤلاء الموظفون والعبيد . ولقد صممت على ان اعمل تقريراً عن هذه الوحشية الى العالم الخارجي مهما كان في ذلك الامر من مخاطرة . وقد ادخل الحكام اخيراً بعض التحسينات على هذه التشويكات في المدن الكبيرة فقط ... فعندما تجري هذه التشويكات في احدى المدن الكبيرة يحضر بعض الاطباء لاستعمال « ضاغطة الشرايين » ويعالج الضحية من الصدمة ، ثم يأخذها بعد ذلك الى الصيدلية .. تجري هذه « التحسينات » كما قلت في المدن التي يوجد بها عدد من الاجانب الذين يهزأون ويبيكون احياناً لهذه المناظر المؤذية . اما في المدن الصغيرة ، فان الايدي والارجل تغمس في الزيت المغلي بعد قطعها لايقاف نزيف الدم ! وغالبا ما يموت الضحية ، واما في القرى البعيدة فان السجين يترك ليعالج نفسه بنفسه ، اي ليموت موتاً بطيئاً .. « وفي البلاد المتمدينة » التي يسيطر عليها الامريكان ، كالظهران مثلاً ، يعطى للسجين حقنة ضد (التيتانوس) وهي احدى الوسائل التي تميز البلاد « المتمدينة » عن البلاد المتأخرة في المملكة العربية السعودية السعيدة ! .

وقد صرح لي شخص مطلع جداً ومن الحاشية بانه (قد زاد عدد الذين قطعت ايديهم وارجلهم عن ١٠٠ الف رجل وطفل وامرأة منذ ان حل في البلاد حكم العائلة السعودية) فليتصور الاوربي مصير هؤلاء الناس وعائلاتهم .. بل ليتصور العرب الذين يهاجمون

الاستعمار الغربي ووحشيته ، بينما يغمسون رؤسهم في رمال الصحراء عن مخازي بعضهم ومجيتهم ..

جريمة القتل

واذا كانت الجريمة المرتكبة هي القتل (سواء كان صادرا عن ارادة او غير ارادة) فلا تختلف عما اذا كان القتل مقصودا به مجرد الدفاع عن النفس ام لا ! . فان النظام السعودي لم يميز بين هذا وذاك ! والعقاب يجب ان يطبق تطبيقاً حرفياً وهذا على الفقير فقط كما اسلفت .

عقوبة الزنى

وعقوبة الزنى هي التي تبدو اكثر بربرية ووحشية من جميع العقوبات السعودية ، - وانني قد رأيت تنفيذ هذه العقوبة . ولكني لم تحمل تنفيذها بهذا الشكل البشع على الرغم من طبيعتي كطبيب .

فالمرأة الفقيرة التي يلقي القبض عليها بتهمة الزنى ، تجرد من ثيابها حتى تصبح عارية ثم تربط بالحبال وتؤخذ الى المدينة او القرية لتجوب الطرقات ليمكن كل انسان من مشاهدتها ، وفي الميدان الرئيسي حيث توجد حفرة ما ، تدفن هذه المرأة هناك ، وهي حية ما عدا رأسها الذي يكون مرتفعا نوعا ما عن سطح الارض ، ثم تحضر عربية محملة بالصخور الى هذا الميدان ويتسلح كل فرد من الخدم والعبيد لرحم الفقيرة بهذه الصخور . ثم يقفون خارج دائرة معينة حول هذه المرأة ، وعندما تعطى اشارة من رئيس الشرطة فان هؤلاء القوم يبدأون بقذف الحجارة وتصويبها الى هذه الضحية المسكينة ، التي تكون قد ارتكبت الخطيئة لتطعم اطفالها ، وتستمر هذه العملية حتى تقوت هذه المرأة ، ثم بعد ذلك يأخذون في اخراج الجثة الخاصة بهذه المرأة لاعادة دفنها من جديد بطريقة « صحيحة » هناك .

ولا فرق في هذا التشريع بين الرجل والمرأة * وغالبا ما يؤتى بالرجل والمرأة معا فيربطان ظهرا لظهر ويرجمان حتى الموت بالطريقة سالفة الذكر . هذا اذا كانا من الفقراء . اما الامراء والكبار - فانهم يختطفون النساء والعلماء من الشوارع ، دون حسيب او رقيب وغالبا ما تذبح الضحية ، بعد اتيان الفاحشة بها ، وتعاد مذبوحة لترمى على عتبة باب اهلها . وماذا يفعل الاهل بعد ذلك ؟ .. ولمن الشكوى فالخصم هو الحاكم ..

وليس هناك منازل علنية للدعارة وفي الحقيقة فأننا نجد ان الدعارة موجودة وتمارس بصورة وحشية في القصور ..

حكم العبيد !

وهناك حركة كبيرة في شراء وبيع الجواري والعبيد وليس هناك ثمة تحديد للجواري والعبيد من البنات وخاصة الملك وامراء العائلة المالكة والاتباع . واكبر سوق علني للرقيق موجود في مكة ، ومن سخريه القدر أن هذه المدينة تعتبر من اقدس المدن العربية والاسلامية على الاطلاق . فهناك يمكن للعبيد من النساء او الجواري (العبدة هي امرأة افريقية اما غير الافريقية فتعتبر جارية) ان تباع بثمن يتراوح بين (١٥٠ جنيه الى ٣٠٠ جنيه) وهذا يتوقف على مقدار جاهن ، او جاهلهم اذا كانوا ذكوراً . وتذهب البنات الى السوق بطرق مختلفة كثيرة فبعضهن قد اختطف من اطراف الجزيرة الصخر اوية الفقيرة حيث كن يعشن عيشة الحيوانات .. والبنات الجميلة الجذابة التي يشتريها رجل سعودي غني ، تعيش عيشة راضية وهناك عدد كبير من البنات يفضلن هذه العلاقة او هذه العيشة الفخمة نسبياً على حياة القصور المفزعة . ومع ذلك فان غالبية البنات اللاتي يعرضن للبيع يحضرن الى السوق بواسطة تجار الرقيق الذين يبيعونهن كما تباع المواشي . ويعمل تجار الرقيق على ربط هؤلاء البنات مع بعضهن بالسلاسل ثم يعرضن في السوق بالجملة (من خمسة الى خمسين وستين) دفعة واحدة . والذين يرغبون في الشراء يعطى لهم الوقت الكافي الذي يرغبونه لفحص البضاعة ، وتكون البنات لابسات ثيابهن ولكن لا يلبسن النقاب على وجوههن وهو النقاب الذي تلبسه المرأة السعودية ، فالعبدة يجب ان تكشف وجهها ! واذا رغب المشتري شراء احدى هؤلاء الفتيات ، فان الوسيط يخلي سبيلها ثم يأخذها المشتري الى خيمته ليجري عليها اختباراً خاصاً لفحص الثدي والسن والبطن وكافة انحاء جسمها ، فان الدين السعودي يقول : (من اشترى ولم يرفله الخيار حتى يرى) والمشتري المرتقب يجوز له ان يصطحب معه طبيباً لفحص الفتاة ومعرفة ما بها من امراض ، وفي احدى الحالات التي طلبت فيها للكشف على فتاة عمرها ١٥ سنة اراد ان يشتريها امير سعودي معروف بالشذوذ الجنسي والتعذيب ، فاني لم اساعده بشهادة طبية في صالح الفتاة ، وذلك حتى لا تقع هذه الضحية بين قبضتي وعلى الرغم من الحقيقة وهي ان هذه الفتاة كانت ملائمة وحالتها الصحية لا بأس بها

فانني قد اعطيتها شهادة طبية غير حسنة والغيت بذلك صفقة البيع . ان سمسرة بيع الرقيق يحتفظون بهؤلاء العبيد والجواري ذكوراً واثناً في غرف ذات قضبان حديدية في منازلهم الخاصة . وذلك ليضمنوا بقاء البكارة للنساء .. ومعظم هؤلاء الارقاء اختطفوا اصلاً من اليمن وقطر ودي و عمان والبريمي والجنوب العربي وسوريا ولبنان والعراق والاردن وفلسطين والمناطق الصحراوية في الحجاز ونجد ، ومتوسط ثمن الجارية الاسيحية البدن هو حوالي ١٥٠٠ جنيه . ولكن ما يتكبده تاجر الرقيق في هذا الصدد هو مبلغ زهيد بنحو دراهم معدودة كافية له لكي يستحوذ على مثل هذه الفتاة .

وتعيش الجارية مع زوجات السعودى الحرائر ! . (وعشرة من الجواري يعتبرن اقل عدد ملائم لرجل سعودي ثري) ويجب عليهن ان يعملن في المنزل . اما الزوجات فهن لا يعملن شيئاً من الاعمال المنزلية . واني لم ار اي سعودي يمنع من شراء وحفظ هذه الجواري على الرغم من انه كان هناك في الماضي بعض حالات تدل على تحرير الرقيق . وتستراً على الفضائح نلاحظ ان السعوديين يتشددون الآن في طرد غير العربيات من سوق الرقيق . وبامكان اي واحد ان يحضر هذه الاسواق العلنية . ان المنظمات الدولية التي تتحرى تجارة الرقيق في السعودية حاولت من آن لآخر ان تتعرف على بعض الوسطاء الذين يعملون في تجارة الرقيق ولكنها لم تحاول منعه في السعودية ، وان حاولت فانها لا يمكن ان تتمكن من منعه لوجود هذا الحكم العجيب ، وبعض هؤلاء الارقاء حاول شراء نفسه ، وكان هؤلاء ممن لهم مقدرة على الاندماج بالوطنيين و اراد العيش في عالم افضل من عالم العبيد .. ولكن كثيراً منهم اكتشف امره ، وكان عقابهم دائماً هو القتل او الخصي امام العامة الذين يجتمعون في ميدان عام ، ويتركون بعد ذلك ليموتوا ، والفائدة التي تعود من شراء الجارية - بدلا من استخدام امرأة تعمل باجر زهيد جداً - هو ان هناك ثمة مخاطرة في الاتصال الجنسي ومزاولته مع خادمة ليست من العبيد ، بينما يمكن للسيد ان يفعل ما يشاء مع اية فتاة تكون عبدة له او جارية . وايضاً فان العبد او العبدة فيها استثمار حسن . ذلك ان كثيراً من السعوديين يأخذون معهم خمسة او ستة من العبيد في رحلاتهم ثم يبيعونهم اثناء السفر على طول الطريق كأنهم شيكات مع المسافرين ، او يملونهم قيادة السيارات وبعض الحرف لاستثمار حياتهم . ومسألة شراء زوجة ما (بقصد الزواج) هي في الواقع طريقة غير مأمونة العواقب اذا قورنت بشراء الجارية او

المحظية ذلك لان وجه المرأة يجب ان يكون مغطى دائماً ولا يمكن للرجل ان يرى وجه المرأة العادية التي يريد ان يتخذها السعودي زوجة له .. وعلى ذلك فان العريس المرتقب غالباً ما يستشير العجائز من اهل الحي نظير اجر معلوم وهن اللاتي يخبرنه عن اجمل الفتيات .. حسب اذواقهن !. والزواج المأمول يتفاوض بعد ذلك مع والد الفتاة ، ويمتد هذا التفاوض في الغالب الى مدة سبعة اشهر . والفتاة الجميلة يدفع مهرها مبلغاً يتراوح في حدود ٢٦٥ جنيه .. ولن يحظى العريس بمعاينة زوجته المرتقبة قبل الليلة الاولى او الثانية للزواج .. وغالباً ما يفر العريس او العروس عندما يشاهد كل منهما الآخر .. ومع ذلك فان والد الفتاة يحجز لديه النقود التي دفعت له ، وعلى العكس من ذلك اذا حدث ان هربت الفتاة بعد الزواج ، وفي ذلك يكون والد الفتاة ملزماً بان يدفع الى الزوج ضعف المبلغ الاصلي الذي دفعه مهرأ لابنته .

ابن تذهب الثروة

وكل ثروة البلاد التي لا يمكن تصديقها تذهب الى سعود وعائلته الملكية ، الا البعض من هذه الثروة فهو يذهب في مشروعات لا تعود الا على نفس العائلة السعودية واتباعها بالمال الوفير .

ان هذه الثروة الكبيرة لم تحدث اي تغيير في معيشة هؤلاء الناس او حتى اصلاح الطرق البدائية الخربة .. ومتوسط منزل المواطن هو عبارة عن حجرة قدرة او حجرتين . ويتكون الاثاث من كليم على الارض وهو كل ما يمكن تدبيره كسرير وجميع المياه يجب ان تحمل بواسطة الصفائح من الابار . اما المراحيض ودورات المياه فلم نسمع بها . والحمام ايضاً غير موجود . وعلى الرغم من ان تعاليم القرآن تتطلب ان يغسل الشخص اذنيه ووجهه ويديه وانفه وقدميه قبل ان يؤدي الصلاة وان هناك خمس صلوات في اليوم على الرغم من كل ذلك فان السعوديين الحكام يحاولون تجهيل شعبهم ليمر المواطن على هذا امر الكرام ويتمسح على هذه الاعضاء من جسمه ليلسه مجرد اللبس فقط ، لتفتك بهم الجرائم الناتجة عن تراكم الاوساخ !.

وقد لعب البنسلين دوراً كبيراً في تخفيض بعض الامراض مثل السيلان ، ولكن الزهري الذي غالباً ما يكون وراثياً ، لا يزال منتشراً ، وهذه مشكلة مؤلة .

وقد قدم الملك سعود بعض المستشفيات في بعض المدن الكبرى ولكنه لا يوجد ثمة شخص يدير هذه المستشفيات ، وهذه المستشفيات بما فيها من معدات هائلة لا تزال شاغرة يعلوها الصدأ والتراب . وبمستشفى الملك سعود الخاص بالعائلة المالكة (يوجد اكثر من ٣٠٠ امير من الدم الملكي الذين غالباً ما تكون امراضهم ناتجة عن التخمرة او السمنة او الرغبة في اصطياد الممرضات) وهو غاص بالطباء المتمرنين والموظفين الاميركان الذين يشتغلون هناك باجور خيالية . اما ابناء الشعب فان المرض يعتبر جزءاً من حياتهم ، فلا اطباء ولا عناية طبية .. ويعيش العربي هناك على وجبة واحدة من الرز والتمر ، فاذا ما كان سعيداً فانه يأكل مرة واحدة في الشهر قطعة من لحم الماعز . والاطفال الذين هم من ابناء الاغنياء يعطون في بعض الاحيان لبن الجمال ، والا فانهم ايضا يعيشون على الارز والمياه ، لان معظم الاموال تذهب على الملذات الجنسية ..

على من تحرم الخمر ؟!

وجميع المشروبات الروحية محرمة تماماً « ولكن هذا على الشعب فقط » اما الامراء ورجال الدين الوهابي ، فانهم يستوردونها او يصادرونها ممن يستوردها ويشربونها شرب الهيم ويبيعون ما تبقى منها على التجار وزبائنهم . وفي الوقت نفسه فان اي شخص من ابناء الشعب يضبط متلبساً مثلاً او يمتلك زجاجة من الخمر فانه يحلج بالسياط بلا رحمة ويسجن وينفى عن تلك المنطقة التي ضبط فيها .. وهذه « المنوعات » تنطبق على المقاهي والبوفيهات الشعبية التي لا يمتلكها امير او اميرة او ملك او ملكة او واحد من الاتباع او اتباع الاتباع .. فتلك المقاهي (الشعبية) يجب ان تغلق خمس مرات في اليوم وذلك ليؤدي افراد الشعب الصلاة طالبين من الله اطالة عمر العائلة المالكة احيث يساق الشعب مرغماً على « هذه الصلاة » من قبل جلاوزة الهيئة الدينية « الامرة بالمعروف والنهي عن المنكر » لتدخله « بيوت الله » فيعتاد « على الطاعة طاعة الامراء » . اما قارورة الوسكي فتتراوح قيمتها بين ٣٠٠ - ٤٠٠ ريال ، وجميع المشروبات متوفرة لانها تجلب عن طريق الحكام ورجال الدين لبيعها على الشعب بباهظ الاثمان .. وليس هناك ثمة مساح في البلاد كما انه ليس هناك صحافة بالمعنى المفهوم ، وليس هناك متاحف ولا نواد من اي نوع كان ، والتدخين لا يسمح به ، في الوقت الذي تستورد فيه الحكومة

هذا الدخان لتبنيه باثمان باهظة وتأخذ من مستورديه رسوماً خيالية ، والحقيقة ان الدين السعودي لا يسمح بأي نوع من انواع النشاط عدا نوع واحد في وقت الفراغ : « ذلك هو الصلاة » ... والجهل في رأي الدين السعودي وحكومته « فضيلة » والمرأة « عار على اهلها » وتعليمها « جريمة » .

الحياة العامة

والناس هناك يضعون حولهم سياجاً قدسياً كاذباً ، ذلك ان كل انسان يخاف من كبراج رجل البوليس والدين السعودي ، ولكنهم في داخل جحورهم ومنازلهم العارية يفعلون كل ما يمكن ان يفعلوه .. ان كبارهم يلعبون الميسر مع مراقبة البوليس وتحت حماية الحكم نفسه ، ويشتركون في اللذة الجنسية مع احدى الجاريات التي يمتلكها شخص منهم ، فاذا ما تصادف وضبط احد آخر غير الذي يمتلك هذه الفتاة فان العقاب يكون الجلد بالنسبة لهذه الجريمة .. وقد علمت من احد المقربين للعائلة ان الامراء يمارسون اللذة الجنسية مع قريباتهم واقربائهم الصغار ايضاً ، ويبيعون الافيون على الشعب ليدخله ، ولكن ثمة عقوبة موجودة في ذلك وهي الضرب بالسياط بشكل قاس . وهكذا يبيعون الافيون ويجلدون المشتري . وقد يسمح بالرقص في بعض الاحيان حيث تفرع الطبول الموسيقية ولكن يمكن للرجل الرقص مع الرجال والنساء مع النساء . ولا يمكن للرجل السعودي ان يعطي صوته في الانتخابات حيث ليس هناك برلمان وليس هناك بالطبع اجتماع لهذا البرلمان ، والانتخابات محرمة ، والكلمة العليا فقط تصدر من البيت السعودي . وليس هناك سكك حديدية او طرق ذات صفة مستديمة .. والسفر يكون بطريق السيارة والاو توبيس على الطرق التي انشئت بواسطة صب الزيت على الرمال .. ثم سويت بعد ذلك بالهراسة البخارية .. ان العواصف قد جعلت السكك الحديدية والاسفلت في الطرق الرئيسية غير صالحة ، فقد يحدث ان تغطي تماماً هذه الطرق بالرمال ثم لا يوجد لها اثرأ بعد ذلك ... وهذا ما يحدث لخطوط السكك الحديدية والطرق الرئيسية التي حاولوا ان ينشئوها في الماضي .

كشف الارتياح م ٤

وانه لمن الصعب حقاً للرجل الغربي ان يفهم مقدار الشقاء والتعاسة التي يعيشها الناس في القرى البعيدة عن البلاد .

والمرأة الحامل تستمر في السير حتى يأتيها المخاض ويرغمها على ان ترقد في الارض في حفرة او تحت جذوع الاشجار ، وتضع طفلها . وبعد ان تنتهي من هذه الولادة تستمر في سيرها او ترجع مرة اخرى الى عملها اذا كانت فلاحه وفي نهاية اليوم تحمل طفلها وتأخذه معها الى منزلها . ومثل هؤلاء النساء يتزوجن وهن في العاشرة او الحادية عشرة من عمرهن (ويتزوج الرجل وهو في سن ١٣ الى ١٨ سنة) وبمضي الوقت ، عندما يصبحان في سن الثلاثين يكونان قد انتهيا من هذه الحياة .

ولكن الذي يجب ان ندركه في هذا الصدد بشأن الطريقة القاسية التي تنجب هؤلاء النسوة بمقتضاها الاطفال التعساء ، او القدرة الموجودة في الرجل العربي على ان يشفى بعد ضربه او جلده سبعين جلدة ، فان الرجل الامريكي او الاوربي قد يموت على الارجح في مثل هذه الظروف من جلدة او جلدتين . ان هؤلاء الناس قد تعودوا على مثل هذه الحياة الوحشية .

والشيء الوحيد الذي يخفف كل هذه القيود وكل هذه الحياة المنخفضة المملة التي يسودها الفقر والعذاب هو الحياة الجنسية السعودية التي تعتبر من النسب العالمية في انجاب الاطفال وكذلك استعمال المخدرات ، وبإمكانك ان تقدر ان ٨٠ بالمائة يموتون والباقي يعيش .

فاذا كنت في البلاد « السعودية » العربية واقمت هناك مدة مثل ما اقامت فسوف تلمس ان الحكومة قد قررت على ان تجعل الشعب في حالة من التأخر والانحطاط والتعاسة كما هم عليه الآن .

ابن تذهب الاموال

وفيما عدا المدن الكبيرة ، فليس هناك مدارس في البلاد ، وليس هناك مشروعات لهذه المدارس . وابناء الملك سعود لهم مدرسون خصوصيون وبيننا نجد التعاسة والشقاء يخيمان على عدد كبير من المواطنين في البلاد نجد ان الكماليات الخيالية تسيطر على الحياة الموجودة في القصور الملكية . ان الزيت الموجودة في البلاد يقدر بثلاث اضعاف الزيت الموجود في الولايات المتحدة ، وكل هذا الذهب السائل يعتبر ملكا خاصاً لآل سعود ! .

فليس « لجلالته » ان يعمل شيئاً بصدد هذا الزيت وهذه الابار « التي يمتلكها » ان رؤوس الاموال الامريكية والموظفين الامريكيين هم فقط كل شيء .. ولكن في النهاية وبمعنى آخر في نهاية كل عام يعطى الملك مئة مليون جنيه بالاضافة الى ما يستحصل عليه بطرق اخرى . وكل هذه الاموال تهدر دون وعي ، فالسيارات الكاديلاك تطلب بالعثرات ، والطائرات الخاصة وكذلك آلات تكييف الهواء في القصور التي توجد في جميع انحاء « مملكة العائلة » وكذلك السيارات المصفحة والمذهبة الملكية المكيفة بالهواء ، التي تقابل الملك اينما حل في البلاد او رحل ، كل ذلك يتطلب اموالا باهظة وعملة صعبة ولكن .. لكل شيء نهاية ..

القصور والحريم

وآخر قصر ملكي انتهى من عمله في جدة تكلف تسعة ملايين جنيه وامثاله في الرياض ومكة والمدينة والظهران .. وفي الوقت الحاضر يمتلك سمو ١٢٤ قصرًا خاصًا له بما فيها قصر آخر يبنى الان في الدمام .

ويتكون حريم سعود فقط من (٣٠٠٠) امرأة . وثلاثة من هؤلاء الزوجات يكن دائما على استعداد يوميا .. ومعظم النساء والجواري يتنافسن في اللون والعمر والجمال والحجم .. والسعوديون يعتبرون الحيلة الجنسية لازمة مستلزمة من مستلزمات المظهر الملكي . وليس هناك من يعلم من موظفي القصور الرسمية ما هو عدد بنات الملك سعود (النساء ليس لهن اهمية قليلة بالنسبة للسعوديين ، لدرجة ان الملك لايهم مطلقا بتعداد بناته) .

وقد قيل لي من مصدر موثوق ان الملك له ١٣٠ ولدا آنذاك . وسعود يهتم كثيرا بالاولاد .. فهو يلعب معهم ويمنح كلا منهم مرتبًا ثابتًا خيالياً وعندما يبلغ عمر الابن سن الـ ١٢ عاماً يظهر ومعه عدد من سيارات الكاديلاك وعدد من الخدم والجواري والنساء والعبيد .. وعندما زارت السعودية الملكة ثريا ملكة ايران السابقة منذ عدة سنوات اهداها الملك سعود من المجوهرات ما يعادل مبلغ ٣٥٠٠٠ جنيه ، وعدد من السيارات المذهبة .

السفه

وفي اثناء زيارته الاخيرة لواشنطن ، ادهش موظفي المطاعم بالمنح التي كان يهبها

كساعات الذهب التي كان يخلعها على جميع الجرسونات وفي اثناء حكم الوالد عبد العزيز بن سعود عندما كان يسافر الامراء السعوديون الى بيروت واوروبا كانوا ينفقون اموالاً باهظة جداً من الذهب ولكن الملك سعود قد عمل على ايجاد مخصصات للبيت المالك ، فجعل اخوانه الامراء (وعددهم لا يحصى) يعيشون على مبلغ ثابت لكل منهم متوسطه (١٠٥٠٠ جنيه شهرياً) علاوة على المصاريف الاخرى التي يمكن ان تستحصل عن طريق المصاريف اللازمة لادارة قصورهم وسياراتهم الكاديلاك والطائرات الخاصة والحريم الخ .. وقد عين سعود اخاه الامير فيصل رئيساً للوزارة ووزيراً للخارجية بمرتب شهري قدره - ١٠٠,٠٠٠ جنيه في السنة وقد اعطى مثل هذا المرتب الى اربعة آخرين من الامراء الذين عينهم في وزارته . ومع ذلك فان « مجلس الوزراء المستوزرين » هذا ليس إلا صورة ناطقة بلسان الحكم السعودي ووحشيته . والامير فيصل يملك ٥,٠٠٠,٠٠٠ جنيه عبارة عن عمارات سكنية في القاهرة فقط .. وهناك امير آخر يبني الان قصراً في مشارف القاهرة يطل على ١٤ عماره سكنية بناها من قبل . ولو فرضنا جدلاً ان بعض امراء البيت السعودي قد يودون ان يعملوا بعض التحسينات لبلادهم فانهم في نفس الوقت لا يريدون ان يشعروا الناس بأنهم بدأوا يعرفون معنى الديمقراطية او معنى مشاركتهم في الثروة . وقد بنيت بعض المستشفيات القليلة جداً والمدارس الموجهة ، وليس هناك اي فائدة لوجودها .

وسعود بطيء التفكير بطيء الحركة ، ليس لديه ما يؤهله ليتعامل ويتفرغ للمشكلات السعودية .

وقد تعلم سعود من والده الطرق الوحشية التي كان يجرها والده في الصحراء . فهو لم يدخل مدرسة ما ولم يتعلم شيئاً سوى القرآن ، ولكنه تعلم كيف يكون لصاً خطيراً ومزواجا شهيراً .. وقد ساعد والده على تقوية الرقابة حول المملكة العربية السعودية عن طريق قطع الرقاب للقبائل المعارضة والثائرة على الوضع الفاسد .

والملك الحالي جاء بعد موت والده في عام ١٩٥٣ وذلك بالنسبة لماضيه الشرير ، فهو لا يمكنه ان يفهم او يحاول ان يفهم المشاكل المعاصرة في بلاده ، فمثلاً ، عندما دعي سعود الى زيارة رسمية لشركة ارامكو حيث يعمل بها ١٥,٠٠٠ عامل من العرب هناك (هذا

هو كل العدد الذي يعمل في الصناعة في جميع انحاء المملكة السعودية السميدة) كان هناك مظاهرة بقيادة ٤,٠٠٠ من العمال لمقابلة الموكب الملكي قبل وصوله بقليل وكنت بنفسى موجوداً في الشركة في ذلك الوقت ، وعلى ذلك فاني شاهد عيان لما حدث عندما وصل الملك .

عندما وصل سعود وحاشيته الى بوابة الشركة بدأ العمال بالصياح : « فليسقط الظلم . فليسقط المستعمرون الامريكان » وذلك في ٩ - ٦ - ١٩٥٦ . وهنا التفت سعود الى رئيس الحرس واعطاه امراً : على الفور نزل الحراس الخصوصيون بين العمال وبدأوا بضرب المتظاهرين حتى اماتوا الكثير منهم .

وتعتبر ارامكو بما فيها من الامريكان الفنين الشريان الحيوي للعرش السعودي وبدون هذه الشركة لا يمكنهم ان يستحذوا على قطرة من الزيت من باطن الارض كما انه لا يمكنهم ان يديروا هذه الشركة بما فيها من الآلات المعقدة لانهم لا يعضون ابناء الشعب ولا يعتمدون عليهم ، لسبب واحد هو انهم يخشونهم ، وفي الواقع انه لكي يكون سعر الزيت منخفضاً ومبلغ ال ١٠٠ مليون جنيه بعيدة عن ان يشترك فيها احد ، لابد ان يكون معظم الشعب « المسعدن » جاهلاً بما يجري في العالم الاخر من احداث ، ولكن الشعب يفهم واقعه تماماً وهو يغلي كالبركان ، رغم عدم تعليمه . وهذا هو السبب الذي من اجله لا توجد مدارس ولا انظمة لانشاءها وهذا هو السبب الذي من اجله يسمح فقط بعدد قليل من الكتب والجرائد بدخول البلاد .

ولكن على الرغم من هذا فان الشعب كما قلت قد عرف مظاهر الحضارة الموجودة في الظهران على الاقل احدى الوسائل التي يعيش فيها الامريكان وهي التي بذرت البذرة الاولى وفتحت العيون .

وسينتصر الشعب حتماً .. « انتهى ما اورده الطبيب » .

كيف تحكم البلاد السعودية وتساس

قالت مجلة « العرفان » في الجزء الثالث من المجلد ٤٢ بتوقيع : نصير الشعب : في العدد الثالث من مجلة « العرفان » الصادر في جمادى الاولى سنة ١٣٧٣ كتب أحد أبناء القطيف كلمة تحت عنوان « كيف تحكم بلاد القطيف وتساس » وباعتباري أحد أبناء

الشعب السعودي يعني جداً أن أقرأ عن بلادي الشيء الكثير ، ولكن الذي استوقفني كثيراً في هذه الكلمة هو أن كاتبها تحدث عن القطيف وحدها وكيف تحكم وتساس من دولة الامراء وقد بين الظلم الذي يقع على القطيف لكونها موطن الشيعة ليس إلا ، وكان الأحرى به أن يكون أكثر علماً ومعرفة بالوضع العامة التي يعانيها الشعب السعودي بصورة عامة بما في ذلك النجديون والحجازيون والاحسائيون ورجال القبائل البدو وأهالي نجران وغيرهم ..

ان هذه المظالم التي ذكرها الكاتب لم تقتصر على أهل القطيف وحدهم لكونهم من مذهب غير مذهب حكومة الأمراء ولكن هذه المظالم تصيب هؤلاء الذين على دينهم باعظم الاسهم واكثرها جوراً وتعضفاً ان هؤلاء الذين يلتقطون النواة التي يرميها الحجاج أثناء الحج لم يكونوا إلا من النجديين وابناء الحجاز وان هذا الذي يصرخ من اعماقه (هللة يا حاج) لم يكن قطيفياً وإنما هو سني .

إن القضية اوسع بكثير من هذه النظرة الضيقة للمسألة ، ان هؤلاء يسمونهم علمياً بالاقطاعيين وبالأوتوقراطيين أي رجال الحكم الرجعيين وان مهمهم هو استغلال خيرات البلاد وامتصاص دم الشعب كما يمحصه الاستعمار وشركاته الاستثمارية وهم لا يفرقون ابداً بين طائفة وأخرى وإنما همهم بالدرجة الاولى اكتناز الأموال وصرفها في الطرق التي لا يقرها دين ولا ضمير ولا إنسانية .

ارجو ان يعرف صاحبنا جيداً ان المسألة أبعد عمقاً من هذه السطحية التي عالج فيها كيفية الحكم في القطيف وكان الأحرى به أن يقول كيف تحكم هذه الملايين التي يخيم عليها الجهل والفقر والمرض والادواء الفتاكة الثلاثة ولا يزيد السني عن الشيعي ولا الحجازي عن الاحسائي. والحكومة لا تفرق بين هؤلاء ابدأ في هذه الغرض البتة وان الذي أصدر كتاب « هذه هي الاغلال » لم يكن قطيفياً وإنما كان نجدياً من القصيم . وان اعضاء « لجنة ممثلي العمال السعوديين » الذين اعتقلوا لكونهم من الاحرار الذين طالبوا بايقاف « أرامكو » عند حدها وادعوا سجن العبيد في الآي بي سي وكتبوا بالحديد الثقيل لم يكن بينهم شيعي واحد كما اعتقد فقد كان معظمهم من النجديين أبناء العمومة لدولة الامراء وهؤلاء الذين اوقفوا في الحجاز منذ أيام وعددهم يربو على ٣٥٠ شاباً لم يكونوا من الشيعة او من اهالي القطيف وهؤلاء الذين اعتقلوا في الرياض وعددهم اكثر

من ثمانين لم يكونوا إلا نجديين . وان المطالب التي رفعها أهالي القطيف الى الملك سعود أثناء توليه العرش والتي كانت بسيطة جداً للغاية ومن حق أي إنسان ان يطالب بها ومن بينها تمثيل القطيف في مجلس الشورى لكيما يتسنى للقطيفيين أن يفهموا الحكومة اذا كانت تريد الاصلاح ، مشاكل البلاد وما تحتاجه من إصلاح وطالبوا ايضاً بمساواة القضاء الشيعي بالقضاء السني وفتح المدارس والسباح للبعثات بالسفر إلى الخارج وفتح المستشفيات ورفع الرقابة عن الكتب الخارجية والسباح بحرية الاعتقاد دينياً كان أو غيره ..

أتعرف ماذا كان جواب الحكومة عليها؟ كان الصمت والصمت وحده وقد بقي وفد القطيف الذي انتخبه الشعب هناك ينتظر اياماً طويلاً في قصر الضيافة ليحظى بالجواب ولكن بدون جدوى .

فهل اقتنعت يا عزيزي الكاتب بان القضية لم تكن قضية معينة بالذات وانما هي قضية عامة لان الاصلاح الذي ينشده الشعب السعودي يختلف طبقاته وعناصره ومذاهبه يختلف كل الاختلاف مع مصالح الطبقة الحاكمة الاستغلالية .

ولو انك سمعت بذلك التهديد الذي ألقاه في آذان وفد القطيف الامير سعود ابن جلوى أظلم انسان عرفته البشرية في قرنهما العشرين . قال لهم : « اذا عدتم لها أي اذا عدتم للمطالبة بحقوقكم فسوف لا نبقي عليكم ولا نذر ، وانكم لا تثقون بالحكومة وانكم مشاغبون » وقد قال مثل هذا لاعضاء لجنة ممثلي العمال السعوديين وقد قلنا سابقا انهم لم يكونوا إلا سنيين .

والآن دعني أعالج مطالب أهالي القطيف الحيوية .. وليعلم القارئ بأنني من ابناء السنة ونجدي قح ولكن هاتوا يدكم الكريمة يا ابناء شعبي لأشد عليها بقوة ولنعمل سوية في سبيل تمتعنا نحن الشعب بكل أجناسه بخيرات أرض اجدادنا : اذا علمنا ان الحكومة السعودية حكومة ملكية ونحن نعرف ان الحكومات التي تشارك أمم العالم في مجالسها الدولية ومنظماتها العالمية وتبادل التمثيل مع كافة الحكومات يجب ان تتبادل التمثيل وتتجاوب بالاحاسيس مع شعوبها بالدرجة الاولى ، واذا كانت الحكومات الملكية تكون عادة دستورية ، وكل القوانين المتعارف عليها تقرر (ان الشعب مصدر السلطات) واذا علمنا أن الحكومة لا يمكن أن تكون مستقلة ومعترف بها دولياً بين الشعوب الحرة الا اذا كان شعبها حراً ومستقلاً في تصريف شؤونه واختيار طريقة الحكم التي يريدها .

بقي أن نتساءل هل أن هذا متوفر لدينا نحن شعب المملكة السعودية ؟ واقع الحال يؤكد عدم توفره وهل ان حكومة من الحكومات تحكم من الإمراء فمنهم الوزراء ومنهم حكام اكثر المناطق أهمية ويدهم الحل والربط ومعفيون من كل الاجراءات النظامية التي تتحكم بمقدرات الشعب العربي . فإذا ما طالب الشعب العربي السعودي بمساواته بالشعوب العربية الاخرى فلا يعني هذا خروجاً على المؤلف .. واذا ما طالب القطيفيون بان يمثلوا في مجلس الشورى وهذا من حقهم الطبيعي فهذا لا يعني باية حال انهم لا يثقون بالحكومة واذا لم يطالب أهالي نجد والاحساء بذلك لا يعني هذا ايضاً بان القطيفيين أهل شغب .

ولكن الواقع يا اصحاب الشأن ان الشعب السعودي بمختلف طبقاته متدمر من هذه الاوضاع الاجتماعية المتردية التي يتخبط بها وان هذه المساوىء لا تؤثر على القطيفيين وحدهم بل هي تؤثر على الكل بدون استثناء بما في ذلك أهالي نجد والاحساء والحجاز « انتهى » . وقد علقت العرفان على هذه الكلمة بما يلي : نشرنا ما نشرناه عن القطيف لانه لم يردنا من غير القطيف رسائل لننشرها ، ولعل ذلك مرده الخوف من الانتقام مع ان اكثر الذين زاروا المملكة العربية السعودية حتى من الذين يقبضون من السعوديين يؤيدون ما جاء في هذه الرسالة وما قبلها من الرسائل ويروون العجائب والغرائب عن حالة الشعب السيئة في تلك البلاد التي يحتكر ذهبها الأسود الامراء فينفقونه على الفساد والافساد ، وفي غير مواضعه ومواقعه دائماً ، ولذلك نجد المسبحين بحمدهم ، والمطبلين والمزمرين لهم ، طمعا في عطائهم ، واملا في نعمهم ، لا حبا بهم « انتهى » .

فضيحة في حريم الملك سعود

قالت مجلة آخر ساعة : حكاية تسربت من حريم الملك سعود في العربية السعودية . لقد قرر الملك سعود فجأة ان يطلق ابنه المدلل الامير خالد من زوجته فريال . والسبب كما قال لي قادم من المملكة العربية السعودية ان الملك سعود الذي يقول انه مسلم .. وانه حامي الحرمين كان يغار من ابنه بسبب زواجه من فريال . وكانت هذه الغيرة تثير اعصاب الملك .. فلم يكن يتمالك نفسه وهو يراهم اتروح وتقود امام عينيه ..

« كشف الملك « المسلم » عن مشاعره الخبيثة تجاه زوجة ابنه حتى اصبحت الفتاة

المسكينة حديث الحريم في قصر الناصرية .. قصر الملك في الرياض ..
ولم يكن امام الملك حتى يشفي نفسه من حالة الهستيريا التي كان يصاب بها كلما رآها
امام عينيه الا ان يقرر تطبيقها من ابنه ..

ولم يضع في اعتباره ابدا انها زوجة ابنه ولم تكن زوجته في يوم من الايام ..
وكما سمعت من القادم من المملكة العربية السعودية .. ذهبت فريال الى لبنان لتقضي
عدة اسابيع .

ومنذ اسبوعين عادت الى الرياض فلم تجد زوجها الامير خالد في انتظارها ..
واستدعاها الملك سعود ليقول لها بنفسه :

— ولدي خالد لا يصلح لان يكون لك زوجاً .. ثم سلمها الملك وثيقة الطلاق ومعها
شيك بمبلغ مائة الف ليرة لبنانية ..
وبكت فريال وهي تقول للملك :

— ليش ما قلت الكلام ده « يا طويل العمر » قبل ما تيجي أنت بنفسك وتطلبني
من اهلي ؟

ولم يستطع الملك سعود .. الملك المتمسك كما يقول بتعاليم دينه الاسلامي .. ان
يقول شيئاً ..

واضطرت فريال لان تعود الى لبنان دون ان تودع زوجها الذي تطلقت منه
بامر الملك ..

وبقية الحكاية .. تقول .. ان الملك سعود عندما زار لبنان وذهب ليخطب فريال
لم يكن يريد لها ابنه .. ولكنه كان يريد لها لنفسه ..

وسأل الملك عمها عن سنّها وهو يقول له :

— غمرها قد آش ؟

واجاب العم قائلاً : ٢٢ سنة !

ولمعت عينا الملك ببريق عجيب .. ثم مسح شعيرات ذقنه كعادته براحة يده
وهو يقول :

— اذن نزوجها لولدنا خالد ..

ولم يفهم العم لماذا عدل الملك فجأة عن رأيه في طلب الزواج من فريال .. ولماذا قرر تزويجها من ابنه المدلل الأمير خالد ؟
ولكن لبنات كله عرف السبب ..
فالملك كما قال يفضل فيمن يختارها زوجة لنفسه أن يكون عمرها أقل من ١٨ سنة .
وأنه وجد فريال اكبر سناً مما كان يعتقد .
وكان ان قرر تزويجها من ابنه بدلا من ان يتزوجها هو « انتهى » !

ماذا يجري في السعودية

قالت الاهرام في عددها الصادر في ١١ ايار سنة ١٩٦١
الذي يجري في السعودية الآن ، هل هو غير طبيعي ؟
— بالعكس ، ذلك ما كان ينبغي ان يحدث بالضبط !
وهل كان في تصور احد مثلاً ان القوى الرجعية الحاكمة في السعودية سوف تستسلم ببساطة للافكار الجديدة المتحفزة للتغيير الثوري ؟
هل كان في تصور احد انه يكفي ان يقال للملك سعود :
« يا صاحب الجلالة ، ان هذه الحياة التي تعيشها لم تعد تتفق مع طبيعة العصر ولقد بات محتما ان تتغير هذه الحياة .

لم يعد مقبولا ان تحصل لنفسك وحدك من دخل بتراول السعودية على مائة مليون جنيه استرليني ، وان تحصل اسرتك على مائة مليون اخرى غيرها ، ثم لا يتبقى لسبعة او ثمانية ملايين من البشر في مملكتكم غير الفتات الذي لا يزد الجوع !
لم يعد مقبولا يا صاحب الجلالة ان يكون في قصرك اكثر من الف جارية ومحظية وان يكون لك من الاولاد والبنات ما يزيد على المائة كل منهم له مرتباته وخصصاته وحاشيته وقصوره .

ان البترول — يا صاحب الجلالة — ليس مورداً ثابتاً وانما هو نبع سوف ينضب في يوم من الايام ، ومن صالح الشعب العربي في بلادك ان تنتهز فرصة تدفقه لبناء قاعدة للانتاج تبقى وتدوم للشعب الباقي الدائم » .

هل كان في تصور احد ان الملك سعود ، حين يسمع هذا الكلام مثلاً ، سوف يطرق برأسه مفكراً لوهلة ، ثم يرفع رأسه ويقول :

— هذا حق ، ولست اعرف كيف فات علي امره ، ولكن الفرصة لم تفت بعد .
ثم يقوم جلالته فيعطي للشعب ما هو حق للشعب .
ويحتفظ لنفسه بمليون واحد ، او حتى مليونين ، وبقصر واحد ، او حتى قصرين ،
وبزوجة واحدة ، او حتى زوجتين .

ثم يقول لمن حوله : اقتدوا بي حتى يعم الخير على الناس !



ذلك لم يحدث ، ومن المستحيل حدوثه ، لانه هو غير الطبيعي .
وانما الطبيعي هو ما جرى ، وما يجري الآن فعلا !
يحاول الملك ان يخادع تيار التطور ويماطله ، ولقد ينجح — وقد نجح فعلا — في تأجيل
الصراع المحتوم سنتين او ثلاث .
لكن تأجيل الصراع لا ينهيهِ .
ثم جاءت لحظة المواجهة التي لم يكن منها مفر .
وانتفض الملك بكل غيظه وحقده وعدائه الذي يصل بغير تردد الى حد القتل
— يحاول الانقضاء على تيار التطور .

داس على مشاكلة الصغيرة لكي يستجمع قواه للمعركة المريعة .
لم يقف عند حد في حقده الاعمى .
لم يتردد لحظة في الاصرار على القتل .
من نماذج المشاكل التي داس عليها جلالته ، خصومته مع اخيه الامير فيصل .
ومن المدهش مثلا ان الملك لم يتورع عن سؤال بعض اصدقائه الاميركيين ان
يتوسطوا بينه وبين اخيه لكي يفهم ان التغيير الذي يحوم حول الشرق العربي يهددهما
معا .. وقد كان .

تدخل اميركي بين ملك عربي ، وبين اخيه الامير العربي ، ولم ينس الاميركي طبعا
ان يحتسب عمولته في الوساطة ، فأخذها في شكل اخراج السيد عبد الله الطريقي الذي
كان وزيرا لشؤون البترول في الوزارة التي ألفها سعود في عنفوان خصومته لفصل وبعد
ان اقاله من الوزارة سنة ١٩٦٠

وكان الملك قد استعمل « الطريقي » واجهة لتضليل الشباب الجديد المثقف في الجزيرة العربية وإيهامهم انه مستعد للتغيير ، لكن التغيير يجب ان يجرى تدريجاً وخطوة بعد خطوة .

ولقد كان الطريقي يعتبر الخبير الوحيد في شؤون البترول في مملكة سعود ، وكانت خبرته في صدام مستمر طول الوقت مع المصالح البترولية المتحركة في السعودية . ثم حدثت حكاية مثيرة

في آخر جلسة لمجلس الوزراء السعودي ، حضرها الملك سعود ، قبل مرضه وطيراته المفاجيء الى اميركا ، طلب الطريقي وزير شؤون البترول في وزارة سعود ان يتكلم في المجلس ، واعطاه الملك الكلمة ، وقال الطريقي :

« ان شركات البترول اليابانية اخطرتني بأن السيد كمال ادم شقيق حرم الامير فيصل طلب منها مليون من الدولارات مع عمولة مستمرة قدرها خمسة في المائة على ان يتكفل هو بحصولها على الامتيازات التي تقدمت لها » ثم استطرد الطريقي :

« ان المسألة ليست مسألة كمال ادم ولكني اعلم ان اسرة الامير فيصل ذاتها تشترك معه في الحصول على هذه المبالغ الطائلة » . وقال الملك :

— هذا كلام خطير ولا بد ان نحقق فيه !

واحس عدد من الجالسين في قاعة اجتماع الوزارة ان ما قاله الطريقي لم يكن مفاجأة للملك وانما كان الملك على علم بما سوف يقوله الطريقي بوسيلة او بأخرى ! . وتأجل الاجتماع .

وفي هذه الفترة قرر سعود ان يهرب من المنطقة العربية كلها الى اميركا وترك الامور في السعودية لفیصل بعد تدخلات ووساطات .

وعقد فيصل اجتماعاً للوزارة بعد سفر سعود . وبدأ فيصل جلسة للوزارة بقوله :

— اريد اسمع معكم مناقشات مجلس الوزراء في آخر جلسة حضرها الملك ، حتى

نستأنف تصريف الامور من حيث تركها جلالة الملك .

ودخل احد رجال حاشية فيصل يحمل جهاز التسجيل ، والقاعدة في السعودية بسبب عدم وجود العدد الكافي من المختزلين والسكرتيرين ، ان تسجل جلسات مجلس الوزراء على شريط كهربائي يحتفظ به الملك .

وساد القاعة صمت ثقيل بينما وضع رجل الحاشية جهاز التسجيل على مائدة الاجتماع وركب الشريط عليه ، وبدأت الاصوات ، اصوات المناقشة في الاجتماع السابق ، تتصاعد منه .

وفجأة بدأ اتجاه الحديث المسجل يقترب من اللحظة المسرحية المثيرة .

وسمع صوت السيد عبد الله الطريقي يطلب الكلمة ، وصوت الملك يعطيها له ثم راح صوت السيد عبد الله الطريقي يوجه الاتهام الى صهر الامير فيصل والى اسرة الامير فيصل .. والامير هو الذي يجلس هذه اللحظة المسرحية المثيرة على رأس مجلس الوزراء . وكان فيصل طوال الوقت يوجه للطريقي نظرات لا اجد حاجة الى وصفها ! وانتهى التسجيل ، وقال فيصل :

— لا اظن اني استطيع ان اتعاون معك بعد هذا .

وذهب الطريقي الى بيته .

وكانت الترتيبات في اميركا تجري .

وعاد الملك ، وقبل فيصل ان يستمر في العمل نائباً لرئيس الوزراء مع الملك الذي تمسك برئاسة الوزارة .

واعيد تشكيل الوزارة .. وخرج الطريقي « انتهى » .

كفآت وظائف الدولة الكبرى عند السعوديين

١ — في السلطة الادارية :

تتصر السلطة الادارية في الملك واتباعه وتنحدر تدرجياً الى وزارة الداخلية حتى تنتهي في الامارات وكل امير في بلد يعتبر حاكماً ادارياً ومعطى الصلاحيات التي بموجبها له الحق في قطع الرقاب والايدي والارجل والسجن مدى الحياة ونفي اي مواطن لاي بلد يختاره له وكل الدوائر الرسمية في حدود منطقة الامير مبروطة به ولا يجوز لاي دائرة

ان تكتب لجهات اختصاصها إلا بعد اخذ موافقة الامير واطلاعه على تفاصيل الموضوع مقدماً وله الحق في الموافقة والرفض بدون ابداء الاسباب. وبالاختصار الامير هو كل شيء في منطقته يحمي ويميت ويعز ويذل .

ما هي مؤهلات الأمير لكي يفوز بهذه الصلاحيات الواسعة ؟

أ - يجب ان يكون من خويان الملك القدامى او خويان الامير فيحصل العتاق الذين خدموا في المعية السامية ما لا يقل عن عشر سنوات ونالوا شهادة البراءة من النار والثقة من الملك او فيحصل واجتازوا مرحلة الاختبار واثبتوا انهم لا يمتنون الى الشعب بصلة . والشيء الوحيد الذي يعرفونه عن الشعب هو انه ملك آل سعود ، استولوا عليه بالسيف وهم - اي الامراء - خلائف آل سعود على هذا القطيع من الآدميين الذين لا حق له في الحياة الا بارادة سيده ومولاه الملك سعود .

ب - ان يكون الامير قد حمل السلاح وراء احد آل سعود وقدم لهم الخداء .

ج - يشترط ان يكون الامير من بيئة منحطة في المجتمع حتى يعتبر نفسه خادماً حقيراً لآل سعود ويشعر بانه شخص تافه ولولا فضل آل سعود وعطفهم عليه لم يصل لهذا المنصب الخطير ولا كان له مكان في الناس وشعوره هذا هو الدافع الذي يجعله يتفانى في الاخلاص لهم وتقدير آيات الولاء والطاعة لانه يعلم ان مصيره مربوط برضاهم وبدونهم لا بقاء له وعلى هذا الاساس يكون شعوره نحو الشعب فلا هو من الشعب ولا الشعب منه .

د - والأهم ان يكون الامير امياً لا يقرأ ولا يكتب ولا يعرف سوى محل توقيعه على المعاملات .

هذه هي مؤهلات الحاكم الاداري المسلط في السعودية على رقاب الشعب

٢ - في السلطة القضائية :

تنحصر السلطة القضائية في مفتي نجد الأكبر وهو اليوم كفيف البصر اسمه الشيخ محمد بن ابراهيم من سلالة ابن عبد الوهاب ومنه تنحدر السلطة الى رئاسة القضاة التي يقوم بها اما مؤهلات القاضي فيجب ان يكون قبل كل شيء وهابي الدين اما دراسته

فمحدودة ، لا تتعدى الاطلاع على مجموعة التوحيد النجدية ولا بد من التأكد من ان دراسته محصورة في المجموعة المذكورة . ويجب ان يحفظ الكثير منها عن ظهر قلب كأحكام ابن عبد الوهاب واحاديثه ودعوته الاولى وكذلك يجب ان يطلع على تاريخ الدرعية بما فيه الاسباب التي ادت الى فشل آل سعود في الدعوة السابقة ، ولا يولى القضاء الا من عرف بالعبودية للوضع القائم بغض النظر عن تحصيله العلمي ونزاهته واستقامته وكفاءته « انتهى ما كتبه فاضل نجدى » .

مشاهدات سائح سوداني

قال الشيخ عمر مرتضى من ابناء السودان : لقد زرت الجزيرة العربية عام ١٣٧٦ هـ وطفّت بها من الظهر الى الحجاز ، فعرفت اثناء رحلتي الكثير عن اعمال طاغية الاحساء ابن جلوى ، وزرت وادي بني مالك في الطائف البلد الذي احرقه ابن السعود بأهله وماشيتة واشجاره . ورأيت كيف هدم آل سعود بيوت الرسول وآل الرسول واصحاب الرسول ومنازل الوحي دون ان يخشوا الله ويتقوه او يستحيوا - على الأقل - ويتركوا هذه البيوت الطاهرة التاريخية التي تجلّت بها اعظم المواقف الانسانية - يتركوها - ولومن باب المحافظة على الآثار القديمة . ولكنني لما رأيت المنكر والترف والتبذير وسرقات الحكام والرشوات ، ولما رأيت القصور الفاجرة والفسق فيها ، وطريقة زواجهم اللا شرعية والتي هي زنى مستور ، وكذلك توالدهم واقتناء الجواري والعبيد والظلم والطغيان وتفضيل اللصوص الكبار وتقطيع ايدي وارجل الضعفاء وجلدهم في الطرقات الشيء الذي يبرأ منه الاسلام ، أيقنت بعد ذلك ان من يخرب بيوت الله والانبياء لا يتورع أبداً من ان يخرب بيوت شعبه .. فوالله لم يفعل قارون وفرعون وهامان ، وجنودهم وقوم لوط واصحاب الأيكة وقوم تبع - حسبا رأيت بعيني وسمعت من الشعب المقطعة أيديه باذني - مثلاً يفعل سعود وآله وخدمه بارض الجزيرة التي كانت منبعاً للرسالة الانسانية والشجاعة والايمان « انتهى » .

حول المؤتمر السعودي

في هذه الايام ونحن نطبع هذا الكتاب « ذي الحجة ١٣٨١ » عند السعوديون الى طريقتهم التي درجوا عليها من التمويع على العالمين الاسلامي والعربي ، والتظاهر بالغيرة والحمية فسخرنا بعض من

نبذتهم اوطانهم وفضحتهم اعمالهم - سخرهم ليعاونوهم في استغلال موسم الحج بان يجمعوا لهم ما اسموه بالمؤتمر الاسلامي ، ففشل هذا المؤتمر فشلاً ذريعاً ، وانكشف السعوديون واذنابهم فيه انكشافاً مرعباً .

وفي التعليق على مقررات المؤتمر المزعوم نشرنا هذه الكلمة في مجلة الحوادث البيروتيه ونحن نضيفها الى هذه الفصول :

١ - لا يحل احد حقيقة هذه الغيرة المفاجئة على الاسلام والمسلمين التي اظهرها اليوم الحكام السعوديون ولا ما هي البواعث التي حملتهم على الدعوة الى مؤتمرهم ، هذه البواعث التي هي ابعد ما تكون من الغيرة على الاسلام والدفاع عنه .

٢ - تتحدث قرارات المؤتمر السعودي في مادتها الاولى عن ان الاسلام فوق العصبية ، فهل من الارتفاع فوق العصبية ان يحرم فريق من المواطنين المسلمين في السعودية من ابسط حقوق المواطن لا لشيء الا لانهم لا يرون في بعض شؤونهم ما يراه رجل اسمه محمد بن عبد الوهاب .

وهل من الارتفاع فوق العصبية ان يهدم مسجد اهل القطيف وان ينكل بهم ، وان تهدر انسانية النخالة وان يصف المئات منهم وفيهم العلماء والمفكرون ويدعى الرعاع بالالوف ليصفقوا عليهم ويسخروا بهم ويمزقوا كراماتهم بكل ما اوتوا من ندالة .

وهل من الارتفاع فوق العصبية ان يحدث في موسم حج هذا العام ، في نفس الوقت الذي كان يتشدد واضعو هذه القرارات بها ، ما حدث من شتم الوف الحجاج ومصادرة ما يحملونه من كتب دينية ، والكتابة عليها بانها صودرت لما فيها من الشرك .. ونصوص هذه الكتابة تحت يدا .

٣ - تتحدث المادة الثانية عن العدالة الاجتماعية فهل من العدالة الاجتماعية ان يركض معظم سكان السعودية وراء قشور البطيخ سداً لارماقهم في حين يحيا الامراء والكبراء السعوديون الحياة التي اصبحت فضيحة العرب الاجتماعية في العالم .

٤ - توصي الهادة الخامسة بازالة جميع آثار الشرك والبدع المخالفة للاسلام ويؤسفني ان اقول بأن المسؤولين السعوديين قد استغلوا المؤتمرين فسدوا عليهم هذا الكلام الخطير ولو كنا نعلم ان المؤتمرين يدركون خطورة ما قالوا لكان لنا معهم شأن آخر ، ولكننا

نعم حق العلم ان المؤتمرين كانوا قسمين : قسماً مؤمناً مخلصاً حقاً ولكنه يجهل اللغة العربية او يلم بها الماما ، وقد دفعه اخلاصه وايمانه ان لا يتعمق بالنصوص وان يكتفي بأن يحضر مؤتمراً اسلامياً ظاهره الغيرة على الاسلام .

وقسماً يعرف العربية ويعرف مرمى هذه الكلمات ولكن حقه الشخصى واهواءه الانانية جعلته يسترضي السعوديين ويسير معهم كما يشاؤون ولو كان في ذلك اهانة للعالم الاسلامي كله .

وعند الحاج امين الحسيني - الذي رضي لنفسه ان يكون بوق السعوديين الاكبر بعد ان كان مفقياً للمسلمين الاكبر - عند الحاج امين الخبر اليقين ..

ما هي آثار الشرك التي يريد السعوديون ومؤتمرهم ان يزيلوها من الاسلام؟!
يؤسفنا ان نكشف حقيقة العقيدة السعودية التي ترى في المسلمين جميعاً مشركين لانهم يزورون بين الحين والحين اجداث احبائهم ، فالمسلم البيروتي الذي يعن له ان يزور قبر اب او اخ او صديق في مقبرة الباشورة هو عند السعوديين مشرك خارج عن الاسلام ، والمسلم اللبناني الذي يؤمن بقدسية الامام الازاعي فيخطر له ان يشد الرحال للانحاء امام قبره هو مشرك عند السعوديين الوهابيين .

والمسلم الهندي والباكستاني والایراني الذي يحب علي بن ابي طالب وولده الحسين والامام ابا حنيفة والشيخ عبد القادر الكيلاني فيلم بقبر واحد منهم في العراق زائراً محبياً هو مشرك عند السعوديين .

والمسلم المغربي الذي تستهويه سجايا مولاي ادريس فيعرج على ضريحه الطاهر مسلماً داعياً هو مشرك عند السعوديين .

والمسلم المصري الذي يحترم قبر رأس الحسين وقبر السيدة زينب وقبر الامام الشافعي فيدعو الله هناك هو مشرك عند السعوديين .

والمسلم الدمشقي الذي يكبر صلاح الدين الايوبي فيطوف بضريحه متحمساً هو مشرك عند السعوديين .

والمسلم الحلي الذي يعتز بعبد الرحمن الكواكبي فيزور رسمه مكبراً . هو مشرك عند السعوديين . والمسلم الحمصي الذي يقرأ الفاتحة على قبر خالد بن الوليد هو مشرك عند السعوديين .

وهكذا قل عن كل المسلمين في كل البلاد الاسلامية الذين لا يرون رأي الاعرابي محمد ابن عبد الوهاب وجماعته السعوديين .

هذه هي آثار الشرك التي يريد السعوديون الوهابيون ازالتها من الاسلام ، وهذا هو موقفهم من المسلمين .

ومن العجيب بل ليس من العجيب ان السعوديين الوهابيين منذ برزوا حتى اليوم ومنذ الساعة التي حملوا فيها السلاح حتى هذه الساعة لم يحاربوا الا العرب ولم يسفكوا الا دماء المسلمين ، وان رصاصة واحدة من رصاصهم الكثير لم تطلق على مستعمر او صهيوني ، وان هبوب الجنة الذي يهتفون به في حروبهم لا يهب عليهم الا في قتالهم للعرب والمسلمين .

٥ - في سجون السعوديين اليوم كاتب كبير وعالم جليل اسمه عبد الله الحنيزي فهل لحكام الرياض ان يقولوا لنا لماذا سجنوه؟ وبأي ذنب جلدوه وعذبوه؟ وهل لهم ان يدلونا على مادة من مواد مؤتمهم تجيز لهم فعل ما فعلوه ويفعلونه بهذا الرجل الفذ العبقرى وبسكان القطيف والاحساء جميعاً وبفريق من مجاوري المدينة المنورة ؟

وهل من روح المؤتمر الاسلامي ان يعذب مفكر نحيل الجسم رقيق الشعور على ايدي حكام غلاظ الرقاب تنفر بطونهم حيث تختفي عقولهم ؟

٦ - ليس هذا كل ما يقال في هذا المؤتمر .



فصل

في متفرقات من مقالات الوهابية واعتقاداتهم وتشدداتهم

ومقالات مروجي دعوتهم وردها

الاول : توقفهم في (التلغراف) وفتواهم في شيعة الاحساء والعراق وفي المكوس
فن الطرائف ما نقلته الصحافة العربية من توقف علماء الوهابية في جواز استعمال
التلغراف لانه امر حادث وإفتائهم بعدم جواز معارضة السلطان ابن سعود في اخذ
المكوس مع فتواهم بأنها من المحرمات الظاهرة. قالت جريدة الرأي العام في العدد ٤٠٦١
الصادر في ١٩ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ بدمشق ومثلها قالت جميع الصحف العربية :
ورد على جلالة السلطان ابن سعود من بعض الوهابيين اسئلة تتعلق بالمحمل والهاتف
والضرائب وغيرها فاستفتى علماء نجد فورد عليه منهم الاجوبة الآتية ننشرها ليطلع
عليها الرأي العام الاسلامي وهي موقعة من نحو من اربعة عشر رجلا من علماء نجد منهم
محمد بن عبد اللطيف وسعد بن عتيق وسليمان بن سمحان وغيرهم .

قالوا : اما بعد فقد ورد على الامام سلمه الله تعالى سؤال من بعض الاخوان عن
عن مسائل فطلب منا الجواب عنها فأجبناه بما نصه :

اما مسألة البرق « التلغراف » فهو امر حادث في آخر هذا الزمان ولا نعلم حقيقته
ولا رأينا فيه كلاما لاحد من اهل العلم فتوقفنا في مسألته ولا نقول على الله ورسوله
بغير علم والجزم بالاباحة والتحرير يحتاج الى الوقوف على حقيقته ^(١) « واما » مسجد
حمزة وابي رشيد فأفتينا الامام وفقه الله بهدمها على القوم . (الى ان قالوا) : واما الرافضة :
فأفتينا الامام ان يلزمهم البيعة على الاسلام ويمنعهم من اظهار شعائر دينهم الباطل وعليه
ان يلزم نائبه على الاحساء ان يحضرهم عند الشيخ ابن بشر ويبايعونه على دين الله ورسوله
وترك الشرك من دعاء الصالحين من اهل البيت وغيرهم وعلى ترك سائر البدع في اجتماعهم
على ما تمهم وغيرها مما يقيمون به شعائر مذهبهم الباطل ويمنعون من زيارة المشاهد

(١) هذا مثال من الاصلاح والتجديد الذي يدعيه قصار النظر للدعوة الوهابية «الناشر»

ويلزمون بالاجتماع على الصلوات الخمس هم وغيرهم في المساجد ويرتب الامام فيهم ائمة ومؤذنين ونوابا من اهل السنة ويلزمون بتعليم الثلاثة الاصول ^(١) وتهدم المحال المبنية لاقامة البدع فيها ^(٢) ويمنعون من اقامة البدع ^(٣) في المساجد وغيرها ومن ابى قبول ما ذكر ينفى عن بلاد المسلمين (واما رافضة القطيف) فيلزم الامام ايده الله الشيخ ابن بشران يسافر اليهم ويلزمهم بما ذكرنا (واما البوادي والقرى) التي دخلت في ولاية المسلمين فأفتينا الإمام بان يبعث اليهم دعاة ومعلمين ويلزم نوابه بمساعدة الدعاة على الزامهم بشرائع الاسلام (واما رافضة العراق) الذين انتشروا وخالطوا بادية المسلمين فأفتينا الامام بكفهم عن الدخول في مواطن المسلمين وارضهم « واما المكوس » فأفتينا انها من الحرمات الظاهرة فان تركها فهو الواجب عليه وان امتنع فلا يجوز شق عصا المسلمين والخروج عن طاعته من اجلها حرر في ٨ شعبان سنة ١٣٤٥ « انتهى » .

فهذا نموذج من فتاوى الوهابية فليتأمل فيه العاقل المنصف وليقاس بين تشدهم واستشكالهم في التلغراف خوفاً من القول على الله ورسوله بغير علم وبين تساهلهم في الحرمات الظاهرة كالمكوس وإرخائهم العنان فيها لآخذها خوفاً من شق عصا المسلمين بزعمهم . وهل اعوان الامام غير الوهابية فأين شق عصا المسلمين « اتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » ولماذا لم يفتوا بعدم هدم قبور ائمة المسلمين وعظماهم خوفاً من شق عصا المسلمين ولماذا هدموها والحقوا الاهانة بأهلها فأوغروا قلوب المسلمين في مشارق الارض ومغاريبها حتى صار كل فرد منهم يتمنى خروجهم من الحجاز ولا يتأخر عن مقاومتهم في اول فرصة تمكنه أليس في هذا شق لعصا المسلمين وتفريق لكلماتهم . ولكنهم اذا اعتقدوا ان لا مسلم غيرهم كانوا قد شقوا بذلك عصا غير المسلمين بزعمهم . « واذا » كانوا يستشككون ويتوقفون في حكم التلغراف لانه حادث لا يعلمون حقيقته فهلا توقفوا في كل حادث كالبنديقية والمدفع والسيارة التي لا يعلمون حقيقتها وكيف تسير بلا مسير ظاهر ويركب فيها ابن سعود واتباعه وكثير من الوهابية وهي احدث من التلغراف الى غير ذلك فكانوا بذلك كالخوارج الذين استشككوا في قتل الخنزير الشارد

(١) التي في رسالة محمد بن عبد الوهاب (٢) كالحسينيات (٣) مثل قراءة التعزية - المؤلف

في البر وقالوا انه فساد في الارض ولم يستشكلوا في قتل الصحابي المسلم الصائم في شهر رمضان وفي عنقه القرآن لانه لم يوافقهم على تكفير علي بن ابي طالب وقتل زوجته معه وهي حامل وبقر بطنها . « واذا » كانوا بكل هذا الورع في التوقف عن حكم التلغراف فهلا توقفوا عن استباحة دماء المسلمين وأموالهم واعراضهم واخافة السبيل وكفروهم تقليداً لرجل يجوز عليه الخطأ . وتكفير المسلم عظيم كاستباحة ماله ودمه وعرضه واستندوا في ذلك الى امور اجتهادية يكثر فيها الخطأ وادلة واخبار ظنية قابلة للصدق والكذب فلو كانوا اهل ورع حقيقة كما يزعمون للزمهم أن يفاوضوا علماء المسلمين المنتشرين في اقطار الارض ويباحثوهم ويجادلوهم بالانصاف لا بالبنادق ويعقدوا مجتمعا عاما اسلاميا ويبسطوا المسائل المتنازع فيها على ساطح البحث ويحكموا بينهم الكتاب والسنة المسلمة بين الكل حتى ينظروا لمن يكون الفلج لا أن ينحازوا في بادية نجد بين اعطان الابل ويصدروا الفتاوى استناداً الى اقوال تلقوها من اسلافهم الذين يجوز عليهم الخطأ يتوارثها اللاحق من السابق ولا يحيد عنها قيد شبر ثم يجبروا الناس على اتباعها بالسيف والسنان شاءوا او ابو اعتقدوا اولاً (ما هكذا تورد يا سعد الابل) واذا لم يريدوا ذلك فليتركوا للناس اجتهادهم فان مسائلهم التي خالفوا فيها المسلمين ليست ضرورية بل اجتهادية للبحث فيها والتأويل مجال ولم ينزل عليهم بها وحى ولا شافهم بها نبي وانما اخذوها من اشياء زعموا دلالتها وعند غيرهم ما ينفيها ويمنع دلالتها

وكذلك فتاواهم الجرافية في حق اتباع اهل البيت الطاهر الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً الذين دخلوا مدينة العلم النبوي من بابها وتسكوا بالثقلين كما امرهم نبيهم ، ونبزههم بالرافضة ، من شيعة الاحساء والقطيف من رعايا سلطانهم وشيعة العراق الذين يدخلون بلاد نجد ، لمخالفتهم لهم في امور اجتهادية يشاركهم في اكثرها سائر المسلمين ويحتمل في حق كل احد فيها الاصابة والخطأ فالمصيب مأجور والمخطيء مع عدم تقصيره معذور مثل دعاء الصالحين واقامة المآتم وزيارة المشاهد وليست من ضروريات الدين كوجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج فكيف يجبرون على البيعة على الاسلام وهم مسلمون يقرون الله بالواحدانية ولنبية بالرسالة ويلتزمون بجميع ما جاء به من عند ربه مما اتفق عليه جميع المسلمين ويرجعون فيما اختلفوا فيه الى اقوال ائمة اهل البيت الذين ان لم يكونوا فوق الأئمة الاربعة وفوق ابن عبد الوهاب في العلم فليسوا دونهم وكيف يمتنعون

من اظهار شعائر دينهم فان كان ذلك في الضروريات فهم يوافقون المسلمين عليها وان كان في الاجتهاديات فباب الاجتهاد عندكم مفتوح فكيف جاز لكم الاجتهاد ومنع منه غيركم بالسيف والنفي من بلاد المسلمين وكيف يجوز الزامهم بالصلاة خلف من قد يمتقدون ببطلان صلاته لتترك البسمة التي هي جزء السورة عندهم او غير ذلك من الامور الاجتهادية وكيف يمنعون من الاذان وهو شعار الاسلام ويجعل لهم مؤذن من غيرهم والى اي دليل استندتم في هذه الفتوى . وبأي عدل والى اي دليل استندتم في منع شيعة العراق عن الدخول الى بادية نجد والارض لله تعالى لا لكم والناس كلهم عبيده وهلا أفقتم الامام بمنع الشيعة وباقي المسلمين المشركين بزعمكم عن حج بيت الله الحرام والله تعالى يقول (انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) اتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وكيف ان حكومتكم النجدية تبذل كل ما في وسعها لترغب الناس في الحج لتعيش وتعيشون في الحجاز القاحلة لولا الحجاج

الثاني: في حكم الوهابية بوجوب اتلاف كتب المنطق وروض الرياحين ودلائل الخيرات وغيرها :

قال عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية الخمس : ولا نأمر باتلاف شيء من المؤلفات الا ما اشتمل على ما يقع الناس في الشرك كروض الرياحين وما يحصل بسببه خلل في العقائد كعلم المنطق فانه قد حرمه جمع من العلماء على انا لا نفحص عن مثل ذلك وكالدلائل « يعني دلائل الخيرات » وهو كتاب مشهور معظم يشتمل على ادعية وأوراد . (قال) وما اتفق لبعض البدو من اتلاف بعض كتب اهل الطائفة انما صدر من بعض الجهلة وقد زجروا عن مثل ذلك .

ونقول : اما روض الرياحين فلا نعرفه لنبدي رأينا فيه واما علم المنطق الذي امر بتعريبه من اليونانية المأمون العباسي فكثير من كتب العلوم العقلية والرياضية وكان له بذلك الفضل والذكر الجميل الخالد وتداوله المسلمون والفوا فيه كثيراً ودرسوه من ذلك العصر الى اليوم ولم يترك درسه متسم بالعلم ، فقد ابتلي هذا العلم النفيس الذي يشهد الاذهان ويفيد قوة الحجة من طرف الوهابية بما ابتليت به قبور الانبياء والصلحاء فله اسوة بها ودلائلهم على وجوب اتلاف كتبه انه يحصل بسببه خلل في العقائد وانه حرمه جمع من علماء فليذكروا لنا من هو الذي اختلت عقيدته بسبب علم المنطق وهل يكون تحريم

جمع من العلماء ان صح النقل مجوزاً لاتلاف كتبه المملوكة للغير بغير اذنه . على اننا لم نسمع تحريمه عن يصح ان يعتمد على علمه سوى ما حكاه صاحب السلم عن بعض الجامدين بقوله :
فان الصلاح والنواوي حرما وقال قوم ينبغي ان يعلما

واعتذار صاحب المنار في الحاشية بقوله انما حرما بعض كتب المنطق القديمة الممزوجة بالفلسفة اليونانية الباطلة دون ما افه المسلمون ، غير مجد لأن الكتب القديمة لا وجود لها حتى نشغل انفسنا بتحريمها وتحليلها وكلام صاحب السلم كالصريح في عدم هذا التقييد والاعتذار عن اتلاف كتب اهل الطائفة المساكين كالاعتذار عن قتل نفوسهم البريئة ونهبهم وسلبهم وتعذيبهم بانه وقع من البدو الجاهلين فهو كالذي وقع من خالد بن الوليد وقال (ص) اللهم اني ابرأ اليك مما فعله خالد . وهؤلاء البدو هم الذين تسموهم غزو الموحدين وهذه افعالهم مع المسلمين وما يفيد زجرهم لهم بعد خراب البصرة وذهاب النفوس والاموال بأيدي غزو الموحدين واذا كان هذا فعلهم في كتب لا يعلمون ما هي ولا نفع لهم فيها فما حال النفوس والاموال التي وقعت في مخالبتهم

الثالث : في كتاب (القديم والحديث) للكاتب الشهير محمد كرد علي الدمشقي من جملة مقال له في الوهابيين ^(١) ما لفظه : ورسالة عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب التي كتبها حين فتح الحرمين الشريفين شاهدة عدل على انه بريء من تلك الافتراءات التي افتروها على عقائده وعقائد ابيه وبنوا عليها تلك الزلازل والقلاقل وان مذهبه عين مذهب الأئمة المحدثين والسلف الصالحين وتلك الرسالة منقولة في تحاف النبلاء من شاء الاطلاع عليها فليرجع اليها . (الى ان قال) : قال احمد سعيد البغدادى في كتابه نديم الادب : حقيقة هذه الطائفة انها حنبلية المذهب وجميع ما ذكره المؤرخون عنها من جهة الاعتقاد محرف وفيه تناقض كلي لمن اطلع عليها بتأمل لأن غالب مؤرخي الشرقيين ينقلون عن الكتب الأفرنجية فان كان المنقول عنه صاحب دراية مصدق تجد ان من يترجم كتابه يجعل الترجمة على قدر اللفظ فيضيع مزية الأصل وان كان غير صادق الرواية فمن باب اولى ومن اراد ان يعرف جلياً اعتقاد هذه الطائفة فليطالع كتب مذهب الامام احمد بن حنبل « رض » فانه مذهبهم « انتهى » .

ونقول: الرسالة المشار إليها هي الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية وقد نسب فيها إلى المسلمين الشرك وأنواع الشرك وأنهم من أقبح المشركين وأجهلهم وأنهم مصرّون على الأشرار والشرك الأكبر الذي يهدر الدم ويبيح المال وجعل قبور الصالحين أصناماً وطواغيت تعبد وأن الخلاف بين الوهابية وبين الناس في إخلاص التوحيد وأنهم لما دخلوا مكة عبد الله وحده وأن الناس قبل ذلك لم تكن تعرف التوحيد والشرك وأن من بلغته دعوتهم ولم يتبعهم فهو كافر إلى غير ذلك في نحو من عشرين موضعاً والرسالة لا تزيد على ١٥ صفحة وصرح فيها بأنهم يوجبون اتلاف كتب المنطق كما مر في الأمر الثاني وأنهم يجعلون قول يا رسول الله أسألك الشفاعة شركاً موجباً لحلية الدم والمال مع اعترافهم بأن له الشفاعة يوم القيامة وقد نقلنا جملة من أقواله في تلك الرسالة في تضاعيف هذا الكتاب فما قول الأستاذ في هذه الشاهدة العدل التي استشهد بها على صحة عقائد ابن عبد الوهاب وابنه وبراءتهما من الافتراءات التي افتروها على عقائدهما وبنوا عليها الزلازل وأثقلوا وهل مذهب الأئمة المحدثين والسلف الصالحين تكفير جميع المسلمين وإباحة دمائهم وأموالهم ووجوب اتلاف كتب المنطق، والهدية السنية التي هذه الرسالة إحدى رسائلها طبعت مراراً بمطبعة المنار بمصر فليرجع إليها فهي شاهدة عدل. على أن ما نسب إلى عقائده وعقائد أبيه هو عين ما يصرحان به ليس فيه كذب ولا افتراء عليها. أما ما نقله عن كتاب نديم الأدب، ففيه أنه لم يبق حاجة والحمد لله في معرفة عقائد الوهابية إلى أخذها من الكتب الأفرنجية ولا من ترجمتها فكتب الوهابية المتضمنة عقائدهم مطبوعة منتشرة يوزعونها مجاناً وبذلك قد مزقوا أعدار من يبتغي الاعتذار عنهم وأما إن مذهبهم مذهب الإمام أحمد بن حنبل فهم وإن انتسبوا إليه لكنهم يصرحون كما عرقته في الباب الأول بأنهم لا يلتزمون بمذهبه ولا بغيره إذا بان لهم دليل على خلافه كما أنهم يصرحون على ما عرفت بكفر جميع من يخالفهم من المسلمين واستحلال دمه وماله والإمام أحمد بن حنبل بريء من ذلك.

قال بعض أعظم العلماء في كتاب كتبه إلينا ما صورته: قال لي بمصر بعض من يدعي العلم بالحديث: أن كتب الحنابلة هي كتب الوهابية فما تنكر منها وليس لك أن تؤاخذهم

إلا بما تجده صريحاً في كتبهم ولا عبرة بنقل الخصم^(١) فقلت ما تقول في القرامطة قال كفار ملاحدة قلت انهم يزعمون ان مذهبهم مذهب اهل البيت وان كتبهم كتبهم فهمل تجد في كتب اهل البيت الا الحق والنور؟ قال ان القرامطة كذبوا وهؤلاء نقلة التاريخ يثبتون كفر القرامطة وزورهم قلت وهل ترى قيام الحجة بنقل اهل التاريخ قال نعم فان الشافعي صرح في الرسالة بان نقلهم جماعة عن جماعة احب اليه من نقل اهل الحديث واحداً عن واحد قلت اذا يجب ان تقبل مني من نقل المؤرخين المشاهدين للوهابية ما هو صريح في كفرهم، فسكت، فقلت له فعل المرء حجة ودليل عليه وان كذبه لسانه فالقرامطة لما استحلوا دماء المسلمين واموالهم لم تبق شبهة في كفرهم وكذلك سادتكم، فغضب ولم يدر ما يقول، فقلت ما تقول فيما ورد في الخوارج ومروقهم وانهم كلاب النار وشر قتلى تحت اديم السماء وغير ذلك؟ قال ان المجموع يفيد العلم القطعي بمروق الخوارج واستحقاقهم غضب الله، ولكنهم هم الذين قتلهم علي بالنهروان وليس الوهابية منهم. قلت بم استحق اولئك غضب الله اباكونهم يحقر الصحابة صلاتهم في جنب صلاتهم وصيامهم في جنب صيامهم؟ قال لا. قلت بسبب زهدهم وتقشفهم؟ قال لا قلت بقولهم من قول خير البرية وبقرائهم القرآن يقومونه كالقدح؟ قال لا قلت فبماذا؟ فتلعثم فقلت ما ذاك الا باستحلالهم دماء المسلمين واموالهم وتكفيرهم لهم مع ادعائهم انهم هم المسلمون وحدهم ولا شك ان من اتصف بما اتصفوا به يستحق ما استحقوا بتلك الصفة « انتهى » .

وقد ظهر بذلك ايضاً فساد اقوال من يريدون تبرير اعمال الوهابية وانكار فظائهم بان الحامل لاهل عصرهم على نقل ما نقلوه عنهم وعلى ذمهم هو السياسة والانتصار لدولة الترك واشراف مكة فنسبوا اليهم الفظائع في مكة والمدينة وكريلاً وغيرها لينفروا الناس منهم ! فانك قد عرفت فيما ذكرناه في تاريخهم وغيره من هذا الكتاب ان فظائهم وأعمالهم في تلك الأماكن أصبحت معروفة متواترة كتواتر وجود مكة والمدينة وكريلاً والوهابية ، وليست قابلة للشك والانكار وكذا تكفيرهم المسلمين واستحلالهم اموالهم ودماءهم وجعلهم غزوهم جهاداً في سبيل الله وبلادهم دار حرب اصبح غير قابل للاعتذار بعد تصريحهم به فيما نشره من كتبهم المطبوعة التي نقلنا عباراتها وارشنا الى صفحاتها فيما مر .

(١) بعد ما بيناه فيما سلف نقلاً عن كتبهم المطبوعة من تكفيرهم جميع المسلمين وقول بعضهم ان كفرهم اصلي واستحلالهم دماءهم واموالهم بل واعراضهم لا يبقى مجال لهذا الكلام ولا احتياج الى الجواب . - المؤلف -

المقدمة الثانية

في امور مهمة يتوقف عليها المقصود من رد شبهات الوهابية

الاول

احكام الشرع الاسلامي منها ما هو ضروري كوجوب الصلاة والصوم وحرمة الزنا والكذب وهذا لا يحتاج الى اقامة الدليل عليه ولا يجوز الاجتهاد بخلافه بل يخرج منكروه عن الاسلام . ومنها ما هو نظري ككون افعال العباد مخلوقة لله والكسب للعبد وكون صفات الله عين ذاته وثبوت الكلام النفسي ورؤية الله تعالى وان الامامة بالنص او باختيار الامة وغير ذلك . هذا في الاصول واما في الفروع فكحكم الشك في الصلاة والبناء على القبور وحكم ما لا نص فيه كالتدخين وغير ذلك وهذا يجب اخذه من ادلة الشرع: الكتاب والسنة والاجماع والعقل للقادر على ذلك وغيره يقلد القادر .

ولا يجوز الحكم بضلالة احد او فسقه فضلا عن شره وكفره لمخالفته في امر اجتهادي اي ليس من ضروريات الدين ولا يجوز معارضته وممانعته واجباره على اتباع قول غيره مما يخالف اجتهاده بل هو معذور في اجتهاده ما لم يكن مقصراً ولمخطئاً اجر واحد وللمصيب اجران . روى البخاري في صحيحه عنه «ص» اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم اصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد ثم اخطأ فله اجر . وقال ابن تيمية في كتابه الذي سماه منهاج السنة ^(١) على ما حكى : قول السلف وأئمة الفتوى كأبي حنيفة والشافعي والثوري وداود بن علي وغيرهم لا يؤثمون مجتهداً مخطئاً لا في المسائل الاصولية ولا في الفرعية «انتهى» فمن اجتهد في اباحة شيء كالتدخين او استحبابه كالتبرك بقبة النبي «ص» وتقبيله وشد الرحال الى زيارته او انه ليس ببدعة كالترحم والتذكير ليس لمن اجتهد على خلافه معارضته وممانعته ولا تفسيره وتضليله فضلاً عن تكفيره وتشريكه لان ذلك ليس من ضروريات الدين التي لا يجوز الاجتهاد فيها .

الثاني

الكتاب كلام الله تعالى المنزل على نبيه «ص» وهو قطعي السند لاتفاق المسلمين كافة

على ان ما بين الدفتين منزل منه تعالى ، اما دلالة فيه المحكم والمتشابه او الجمل والمبين فالمحكم ما يكون ظاهر الدلالة ويسمى المبين . والمتشابه ما يكون غير ظاهر الدلالة بل المعاني فيه على السواء في الاحتمال ويسمى الجمل ، ثم المبين قسبان : النص وهو ما لا يحتمل الخلاف ، والظاهر وهو الراجح مع احتمال الخلاف . ويسمى المرجوح المقابل للظاهر : المؤل . وفي الكتاب ايضا العام والخاص والمطلق والمقيد والناسخ والمنسوخ . ولا يجوز الاحتجاج من الكتاب بغير النص والظاهر الا ما بينته السنة بعد ثبوتها او الاجماع . كما لا يجوز العمل بالعام او المطلق الا بعد الفحص عن الخاص او المقيد ولا بالدليل الا بعد الفحص عن معارضه او ناسخه لان الدليل لا يكون دليلا بدون ذلك .

وبسبب وجود هذه الاقسام الكثيرة في القرآن وغيرها امكن لكل ذي قول حقاً كان او باطلا ان يستند في صحة قوله الى ظاهر آية من القرآن . فربما استند الى الحقيقة وغفل عن قرينة المجاز او المطلق او العام وغفل عن المقيد او الخاص الى غير ذلك . وقد جمع احمد بن محمد بن المظفر الرازي من اعيان القرن السابع ومن علماء اهل السنة كتاباً سماه « حجج القرآن » ذكر فيه من الآيات ما يمكن ان تحتج به كل فرقة لمذهبها واقوالها المتباينة المتناقضة . ونحن نذكر مثالا من ذلك من جملة ما ذكره وما لم يذكره : فالوعيدية المنكرون للعفو الموجبون المؤاخذة على المعاصي يمكنهم الاستدلال بآية : فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . والوعيدية القائلون برفع المؤاخذة بالكلية وان الله لا يعاقب على المعصية لهم الاستناد الى آية : يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً . والمثبتون للرؤية في الآخرة استندوا الى آية : وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة . والنافون الى قوله : لا تدركه الابصار . لن تراني . والجبرية الى آيات كثيرة مثل : وخلق كل شيء . قل كل من عند الله . يريد الله ان لا يجعل لهم حظاً في الآخرة . يضل من يشاء ويهدي من يشاء . ان الله لا يهدي القوم الكافرين . فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء والعدلية الى مثلها كقوله تعالى : يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر . وما الله يريد ظمناً للعباد . او للعالمين . سيقول الذين اشرکوا لو شاء الله ما اشرکنا « الآية » . فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلاً . قد ضلوا من قبل واضلوا كثيراً والقائلون بالتجسيم على الحقيقة بالجهة يستندون الى الآيات التي فيها اليد والعين والوجه والنافون الى آية : ليس كمثله شيء . والمجوزون المعصية على الانبياء

الى آيات : وعصى آدم . وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه « الآية » . فانسأه الشيطان ذكر ربه . سبحانه اني كنت من الظالمين . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر والنافون . الى آية : لا ينال عهدي الظالمين والقائلون بخطاب الكفار بالفروع الى عموم : يا ايها الناس اعبدوا ربكم . والنافون بخطاب : يا ايها الذين آمنوا . (والوهابية) استدلو على عدم جواز دعاء غير الله والتشفع بغيره والاستغاثة به بآية : فلا تدعوا مع الله احدا . لله الشفاعة جميعا « وغيرهم » بآية : فاستغاثه الذي من شيعته . ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك « الآية » . يا ابت استغفر لنا . ولا يشفعون الا لمن ارتضى . من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه . يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين . اذكرني عند ربك اغناهم الله ورسوله . آتاهم الله ورسوله . وسيؤتينا الله من فضله ورسوله

الثالث

السنة قول المعصوم او فعله او تقريره وشرط الاحتجاج بالفعل ظهور الوجه فلو فعل المعصوم شيئاً وجهه علم عدم تحريره مع تردده بين الوجوب والندب والكرهية ولم يثبت واحد منها ولا تثبت السنة لنا الا بالخبر المتواتر وهو اخبار جماعة كثيرة يمتنع عند العقل تواطؤهم على الكذب او المحفوف بقرائن توجب القطع بصدوره ولا يثبت بخبر الفاسق ولا مجهول الحال لعدم افادته العلم وعدم الدليل على حجتيه بل الدليل قائم على عدمها من قوله تعالى : ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا (الآية) والنهي عن اتباع الظن . (اما خبر الثقة العدل) مع عدم افادته العلم فقد اختلف في حجتيه فمنعها قوم لاصالة عدم حجية الظن واثبتها آخرون واستدلوا بأدلة مذكورة في الاصول (وعلى) القول بحجتيه لا بد من ثبوت العدالة اما بالعلم او شهادة عدلين وفي كفاية العدل الواحد خلاف (والعدالة) ملكة تبعث على اجتناب الكبائر وعدم الاصرار على الصغائر وترك منافيات المروءة الكاشفة عن عدم مبالاة فاعلها بالدين . (واثبات) عدالة من بعد عنا زمانهم من اصعب الامور لانحصار الامر في علمنا بها في اخبار الغير وهو مفقود غالباً الا من اخبار البعض المستند على الظنون والاجتهادات التي تخطئ كثيراً لا على الممارسة والمعاشرة مع اختلاف الآراء فيما يوجب الجرح وما لا يوجب له ولذلك وقع الاختلاف كثيراً في الجرح والتعديل ، فما عدله واحد جرحه آخر والقاعدة ان الجرح مقدم على التعديل لجواز اطلاع الجارح على

ما لم يطلع عليه المعدل . (فعلم) من هذا ان التسرع الى القول بضمون الخبر بمجرد وجوده في احد كتب الحديث او بمجرد قول واحد انه صحيح وتخطئه الغير بذلك فضلاً عن الحكم بكفره او شره خطأ محض . (ويشترط) لجواز العمل بالخبر عدم مخالفته لدليل قطعي من اجماع المسلمين وسيرتهم او نص القرآن او نص خبر آخر متواتر بل وعدم مخالفته للمشهور بين علماء المسلمين مع كونه بمرأى منهم ومسمع وعدم معارضته بدليل اقوى منه بأحد الوجوه الآتية في الامر الرابع . «والخبر» فيه الاقسام السابقة في الكتاب كلها وما يحتاج به من الكتاب من تلك الاقسام يحتاج به من الخبر ، وما لا فلا «ويشترط» في العمل بالخبر ما اشترط في العمل بالكتاب مما مر في الامر الثاني وبسبب وجود هذه هذه الاقسام في الخبر امكن لكل ذي قول حق او باطل الاستناد الى ظاهر رواية كما يعرفه المتتبع لأقوال العلماء وادلتهم . حتى ان البابية يحتجون على ضلالتهم بخبر ان المهدي يأتي بأمر جديد وقرآن جديد ، (واتباع) المسيح المهدي القادياني يحتجون على ضلالتهم بخبر لا مهدي الا عيسى . «والحاصل» ان كل من يريد العناد والعصبية فله مدرك يتشبث به من الكتاب او السنة ما لم يكن له حاجب من تقوى الله . والمنصف الطالب للحق لا يتمسك بظواهر الآيات والاحاديث ما لم يبحث عن معارضاتها من عقل او نقل او اجماع وما لم يبحث عن سند الحديث ويستفرغ الوسع في فهم معناه

الرابع

الاخبار المتعارضة الواردة عن النبي «ص» كثيرة . وسبب التعارض إما كون بعضها مكذوباً فقد كثرت الكذابة عن النبي «ص» في عصره حتى قام خطيباً فقال ما معناه : قد كثرت علي الكذابة فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . وبعد عصره تقربا الى الملوك وترويحاً للاهواء ومحافظة على الدنيا من طريق الدين وغير ذلك . وخبر الذي روى للمهدي العباسي وكان يحب اللعب بالحمام «لا سبق الا في خوف او حافر او جناح» فزاد او جناح اتباعاً لهوى المهدي فلما خرج قال المهدي اشهد ان قفاه قفا كذاب محلى رسول الله «ص» ، خبر مشهور وكم اعطيت الجوائز ووليت الولايات واقطعت الاقطاعات على اختراع الروايات الموافقة للشهوات «واما» الاشتباه لخطأ في فهم المراد او سماع اللفظ او الاطلاع على العام او المطلق او المنسوخ وعدم الاطلاع على الخاص او المقيد او الناسخ

او غير ذلك . وللتعارض علاجات وردت بها الاخبار والروايات وقال بها علماء المسلمين « منها » العرض على كتاب الله والثابت من سنة رسول الله « ص » فيؤخذ بما وافق ويترك ما خالف « ومنها » الموافقة للاجماع او السيرة او المشهور بين علماء المسلمين او الموافقة لما عليه الصحابة والتابعين « ومنها » الترجيح بحسب السند بكون رواه او وثق او احفظ او اكثر او الدلالة بكونه اظهر دلالة او العبارة بكونها افصح او احسن سبكا او غير ذلك

الخامس

الكتاب والخبر عربيان وفيهما كسائر كلام العرب الحقيقة والمجاز « فالحقيقة »^(١) الكلمة المستعملة فيما وضعت له كقولك سمعت زئير الاسد في الغاب وتريد الحيوان المفترس « والمجاز » الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لمناسبة ما وضعت له مناسبة موافقة للعرف غير مستهجنة^(٢) كقولك رأيت اسدا في الحمام وتريد رجلا شجاعا، والمناسبة بينها الشجاعة . وقد كثر المجاز في كلام العرب جداً ومنه الكتاب والخبر بل اكثر كلام العرب مجاز « ومما » جاء منه في القرآن : يد الله فوق ايديهم . واصنع الفلك باعيننا . ولتصنع على عيني . فانك باعيننا . ولو ترى اذ وقفوا على ربهم . يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله . كل شيء هالك الا وجهه . اينما تولوا فثم وجه الله . ويبقى وجه ربك . الرحمن على العرش استوى . يخافون ربهم من فوقهم . فكان من ربه قاب قوسين او ادنى . الا من رحم ربك الا من رحم الله . وغضب الله عليه . الله يستهزئ بهم وجاء ربك . و « القرينة » على المجاز في الكل عدم امكان ارادة المعنى الحقيقي المستلزم للتجسيم والتخيير . والوجود في مكان دون غيره وكونه محلا للحوادث « ومما » جاء منه في السنة حديث ابي هريرة : ان النار لا تمتلى حتى يضع الله قدمه فيها . لقد عجب الله او ضحك من فلان وفلانة والقرينة ما مر . « ولا بد » للمجاز من قرينة كقولنا في المثال المتقدم في الحمام لان الحيوان المفترس لا يكون في الحمام عادة وقد تكون القرينة حالية لا مقالية فتخفى على بعض الافهام ويقع فيها الاشتباه وقد يكثر استعمال اللفظ في

(١) فصلنا هذه الامور ليفهمها من لم يطالع على معانيها فيعم النفع فلا ينسبنا احد في ذلك الى ذكر ما لا لزوم له لانها مبينة في مواضعها (٢) احتراز عن مثل استعمال الحائطي الرجل الطويل لمناسبة الطول فانه مستهجن عرفا (المؤلف)

المعنى المجازي حتى يصير مجازاً مشهوراً لا يحتاج الى قرينة غير الشهرة وقد يكثر حتى يبلغ درجة الحقيقة فيسمى منقولاً

ثم المجاز قد يكون في الكلمة كما مر وقد يكون في الاسناد كأنبت الربيع البقل وصام نهاره وجرى النهر وبنى الأمير المدينة وغير ذلك فاسند الانبات الى الربيع مجازاً باعتبار انه زمان له وحقه ان يسند الى الله والصوم الى النهار باعتبار انه زمانه وحقه ان يسند الى الشخص والجري الى النهر باعتبار انه مكانه وحقه ان يسند الى الماء والبناء الى الأمير باعتبار انه سبب أمر وحقه ان يسند الى البناء « وما » جاء منه في القرآن الكريم « فما ربحت تجارتهم » اي فما ربحوا في تجارتهم « واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً » والذي زادهم هو الله والآيات سبب (يذبح ابناءهم) والذي ذبحهم اتباع فرعون وهو سبب أمر (ينزع عنهما لباسهما) والنازع هو الله وابليس سبب « يوماً يجعل الولدان شيباً » والجاعل هو الله واليوم سبب لكثرة احواله « يا هامان ابن لي صرحاً » والبناء فعل العملة وهامان سبب أمر « فلا يخرجنكما من الجنة » والمخرج الله، وابليس سبب « ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن » والآكل اهل السنين وهي زمان للاك « واخرجت الارض اثقالها » والمخرج الله والارض مكان للاخراج . « ولا بد » للمجاز في الاسناد ايضاً من قرينة لفظية او عقلية كقول الموحد انبت الربيع البقل فان كونه موحداً كاف في حمل كلامه على المجاز في الاسناد. ومثله لو قال المسلم الموحد يا رسول الله اغفر لي او اشف ولدي او طول عمري او ارزقني او رد غائي او نحو ذلك فيجب حمل كلامه على المجاز في الاسناد اي كن سبباً في ذلك بشفاعتك ودعاء الله لي ويكفي قرينة على ذلك كونه مسلماً موحداً ولا يجوز تخطئته في هذا اللفظ فضلاً عن الحكم بكفره وشره الموجب لحل دمه وماله الا من غي غير عارف باساليب كلام العرب او معاند . ثم انه قد اختلف في المعاني الحقيقية لألفاظ كثيرة وارده في الكتاب والاخبار مثل صيغة افعل هل هي للوجوب او الندب او مشتركة بينهما، وصيغة لا تفعل هل هي للحرمة او للكره او مشتركة بينهما وكذا مادة الامرا والنهي وما يشتق منها الى غير ذلك مما تضمنته كتب الاصول ، وكيفما قلنا فقد كثر استعمال اللفظتين في الندب والكره كثرة مفرطة بحيث يصعب الحكم بالوجوب او الحرمة بمجرد ورودهما اذ لعلهما صارا مجازا

مشهوراً في ذلك خصوصاً بملاحظة خصوصيات المقامات المبعدة للحمل على الوجوب أو التحريم .

وفي الكتاب والخبر أيضاً كسائر كلام العرب التصريح والكناية . « فالتصريح » كقولنا: فلان كريم و « والكناية » وهي ذكر اللازم وإرادة الملزوم كقولنا: كثير الرماد وجبان الكلب ، كناية عن كرمه لأن الكرم يلزمه كثرة الطبخ للاضياف المستلزم كثرة الرماد ويلزمه كثرة الطراق المستلزم جبن الكلب عادة .

وفي الكتاب والخبر أيضاً كسائر كلام العرب المبالغات كقوله تعالى « عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء . يكاد البرق يخطف ابصارهم » .

وقوله « ص » : لو امرت احداً بالسجود لأحد لأمرت المرأة بالسجود لزوجها . لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد . لا يزني الزاني وهو مؤمن « الحديث » ^(١) وقول علي « ع » ما زال رسول الله « ص » يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وما زال يوصيني بالمرأة حتى ظننت انه يحرم طلاقها وقال المتنبي :

وضاقت الارض حتى ظل هاربهم
وقال الآخر :

كفى يحسمي نحولاً انني رجل
لولا مخاطبتي اياك لم ترني
وقال شاعر العرب :

انعمي فتى الجود الى الجود
انعمي فتى مص الثرى بعده
وقال شاعرهم :

عقيلية أما ملأ ازارها فدعص وأما خصرها فبتيل
وزادوا في المبالغة حتى قال قائلهم في وصف من يتغزل بها :

تدخل اليوم ثم تدخل
خل اردافها غداً

وهذا باب متسع لا يمكن الأحاطة بإطرافه . ولم نر احداً قال انهم مهما بالغوا قد خرجوا عن طريقة العرب ومنهج كلامهم . « والمبالغة ايضاً » واقعة في لساننا ومحاوراتنا

(١) وفيه نفي الايمان ايضاً عن السارق وشارب الخمر والقاتل وسياقي في الامر الساهس . - المؤلف -

بل في كل لسان. «ومن المبالغات» الواقعة في الكتاب والخبر تسمية الذنب او العظيم منه: ككفرأ وفاعله كافرأ ونحو ذلك كما يأتي في الامر السادس، وإطلاق المعصية على فعل المكروه خصوصا اذا صدر من الانبياء والاولياء ولكن ذلك كما قال بعض العظماء: بلسان الورع والتقوى لا بلسان الفقه والفتوى. ومنه المعاصي المنسوبة في القرآن الى الانبياء عليهم السلام بعد قيام الدليل على وجوب عصمتهم وامتناع صدور المعاصي منهم

السادس

ليست جميع المعاصي ولا الكبائر منها ككفرأ خلافا لما يحكى عن الخوارج لعدم الدليل على ذلك ومتى حكم بالإسلام لا يحكم بغيره الا بيقين ومضت على ذلك سيرة النبي (ص) والصحابة والتابعين وتابعي التابعين ولو كانت المعاصي او الكبائر منها ككفرأ لبطلت الحدود والتعزيرات ولم يبق لها ثمة فان المرتد يستتاب والا قتل فلا معنى لاقامة الحد عليه او تعزيره ولزم الحكم بارتداد جميع الخلق الذين لا يسلمون من المعاصي بل والكبائر ولم ينبج منه الا القليل ولو كان كذلك لبينته العلماء في كتبها ونادت به الوعاظ والخطباء وعرفه كل احد وصار من ضروريات الدين لشدة الحاجة اليه من عموم المكلفين وكون المرتد له احكام خاصة به يلزم على كل مكلف معرفتها وترتيبها عليها (وروى) عبادة بن الصامت ^(١) عن النبي (ص): خمس صلوات كتبهن الله على العباد من اتى بهن كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء غفر له وهذا دليل على ان ترك الصلاة ليس ككفرأ لأن الكفر لا يغفره الله « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » هذا ان لم يكن مستحلا لما ثبت وجوبه او تحريمه بضرورة الدين والا كان كافرا (ولكن) قد يطلق على كثير من الذنوب اسم الكفر او الشرك او النفاق او نحو ذلك تعظيما للذنب وتحذيرا منه وتشبيها لمؤاخذته لعظمها بمؤاخذة الكفر وبينا لان مقتضى الإسلام والايمان ان لا يفعل ذلك الذنب او لانه ربما انجر بالآخرة الى ذلك كما ورد ان في قلب المؤمن نكتة بيضاء فاذا عصى الله اسود منها جانب وهكذا الى ان يتم سوادها فذلك الذي طبع الله عليه (كما) جاء التهديد

(١) الحديث في الهدية السنية ص ٦٦

بالنار واللعن على ترك بعض المستحبات او فعل بعض المكروهات بيانا لتأكيد الاستحباب حتى كأنها واجبة ولشدة الكراهة حتى كأنها محرمة او لان التهاون بها ربما ينجر الى التهاون بالواجب، وفعل المحرم كما ورد ان من ترك فرق شعره فرق بمنشار من نار . ونظير ذلك اللعن على فعل المكروه كلعن المحلل والمحلل له ولعن النائم في البيت وحده والمسافر وحده وآكل طعامه وحده كما يأتي في فصل اتخاذ القبور مساجد . واطلاق المعصية على فعل المكروه كما في المعاصي المنسوبة الى الانبياء عليهم السلام على ما مر في الامر الخامس (وما) ورد من اطلاق الكفر ونحوه على الذنب في القرآن قوله تعالى (والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) (وفي الاحاديث) قوله (ص) لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض . اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب والنياحة على الميت . أيما عبد ابق من مواليه فقد كفر حتى يرجع اليهم (روى الثلاثة مسلم) ^(١) وفي الجامع الصغير للسيوطي ^(٢) عن الطبراني في الكبير : من ارضى سلطانا بما يسخط ربه خرج من دين الله . قال العزيمي في الشرح: ان استحل والا فهو زجر وتهويل « انتهى » . وقال الحفني في الحاشية : اي من كماله او حقيقته ان استحل « انتهى » (وقوله ص) بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة (رواه مسلم) . العهد بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر (رواه احمد واهل السنن) . بين العبد والكفر والايمان الصلاة فاذا تركها فقد كفر واشرك . من تركها - اي الصلاة - عمدا فقد خرج من الملة . من تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة « رواهما عبد الرحمن بن ابي حاتم في سننه » من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله رواه احمد « انس عنه ص » لا دين لمن لا عهد له « ابو هريرة عنه ص » لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يقتل حين يقتل وهو مؤمن (ابو هريرة عنه ص) علامة النفاق الكذب وسوء الخلق والخيانة (عبد الله بن عمر عنه ص) ان النفاق عبارة عن اربع : الخيانة والكذب والغدر والفجور (ابو هريرة عنه ص) المرء في القرآن كفر (وعنه ص) لا يفوت حضور الجماعة الا منافقا (ابو ذر عنه ص) الرقي والتائم من الشرك (ابو هريرة عنه ص) من قال مطرنا

(١) صفحة ٤٠٢ الجزء الاول بهامش إرشاد الساري (٢) ص ٣٢٦ ج ٢

بنوء كذا فهو كافر الرياء الشرك الاصغر (ابو سعيد عنه ص) الرياء شرك خفي (عمر عنه ص) كسب الربا شرك (شداد بن اوس عنه ص) من صلى يراني فقد اشرك (ابن مسعود عنه ص) قتال المسلمين كفر (ابن عمر) نسبة المسلم الى الكفر كفر (وهذا الاخير) منطبق على الوهابيين في نسبتهم المسلمين الى الكفر وروى احمد بن حنبل في مسنده ^(١) عنه (ص) اذا احدم قال لاختيه يا كافر فقد باء بها احدهما وروى عدة روايات بهذا المعنى او قريباً منه (وروى) اذ لك غيره ايضاً (وما ذكرناه) احسن وجه للجمع بين حديث عبادة المتقدم وهذه الاخبار ويرشداً الى حديث ابي هريرة السابق لا يزيى الزاني الخ ، حيث نفى الايمان عنه في حال تلبسه بالمعصية لا مطلقاً فدل على المراد ان تلبسه بالمعصية خلاف مقتضى الايمان فنفي الايمان عنه في تلك الحال مجاز تشبيهاً لمن لا يعمل بمقتضى إيمانه بغير المؤمن نظير لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد فتكون هذه الرواية شاهداً للجمع المذكور . (وحكم الوهابيون) بكفر تارك الصلاة او الزكاة وان لم يكن مستحلاً واستحلوا القتل بترك بعض فرائض الاسلام او شعائره على عاداتهم في التسرع الى تكفير المسلمين واستحلال دماءهم وتشديدهم في ذلك اقتفاء بالخوارج الذين اشبهوهم من كل الوجوه كما يأتي في المقدمة الثالثة (فقالوا) في الرسالة الثالثة من رسائل الهدية السنية ^(٢) : اختلف العلماء في تارك الصلاة من غير جحود لوجوبها فذهب ابو حنيفة والشافعي في احد قوليهِ ومالك الى انه لا يحكم بكفره واحتجوا بحديث عبادة المتقدم وذهب احمد والشافعي في احد قوليهِ واسحق بن راهوية وجماعة الى انه كافر وحكاه اسحق اجماعاً وقال ابن حزم سائر الصحابة والتابعين يكفرون تارك الصلاة مطلقاً ويحكمون عليه بالارتداد وعد عشرة من الصحابة ثم قال ولا نعلم هؤلاء مخالفين للصحابة (قال) واجابوا عن حديث عبادة ان المراد عدم المحافظة عليهن في اوقاتهن بدليل الآيات والاحاديث الواردة في تركها واورد جملة مما مر ثم قال ان العلماء مجمعون على قتل تارك الصلاة كسلا الا ابا حنيفة والزهري وداود فقالوا يحبس حتى يموت او يتوب واحتجوا

(١) ص ١٨ ج ٢

(٢) ص ٦٥

على قتله بقوله تعالى فاقتلوا المشركين الى قوله فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم وبقوله (ص) امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة (الحديث) ثم ذكر رواية الترمذي : امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وان يتقبلوا قبلتنا وان يأكلوا ذبيحتنا وان يصلوا صلاتنا (الحديث) قال والمقصود فساد هذه الشبهة التي دسها من يدعي انه من العلماء على الجبهة من الناس ان من قال لا اله الا الله محمد رسول الله انه مسلم ولا يجوز قتله وان ترك فرائض الاسلام ثم اطل في الاستشهاد بكلام الاجهوري والاذرعي والهيتمي وابن تيمية وغيرهم الدال على ان ترك بعض شعائر الاسلام موجب للمقاتلة كأهل القرية اذا تركوا الاذان او الجمعة او صلاة العيد او غير ذلك وفي جملة ما نقله عن ابن تيمية ^(١) ايما طائفة ممتعة عن بعض الصلوات المفروضة او الزكاة او الصيام او الحج او عن التزام تحريم الدماء والاموال ^(٢) والخمر والزنا والميسر او نكاح المحارم او الجهاد او ضرب الجزية او غير ذلك فانها تقاتل عليها وان كان مقرة بها . «ونقول» : اما الاحاديث التي اطلق فيها الكفر على جملة المعاصي فقد عرفت انه لم يرد بها الحقيقة للشواهد التي قدمناها من لزوم لغوية الحدود ورواية عقادة وحديث لا يزني الزاني وهو مؤمن وغيرها اما حمل ترك الصلاة في حديث عبادة على ارادة عدم المحافظة عليها في وقتها فلا شاهد عليها بل هو مختص على الغيب بخلاف حمل الكفر على تعظيم الذنب فان له نظائر وشواهد كثيرة كما عرفت ولا اقل من وقوع الشبهة فلا يجوز التهجم على الدماء مع وجودها وعدم صراحة النصوص « ومن الغريب » ما نقلوه عن اسحق بن راهوية من حكاية الاجماع مع مخالفة عظماء ائمة المذاهب كأبي حنيفة والشافعي في احد قوليه ومالك التي نقلوها في صدر الكلام كاستدلال ابن حزم عليه بقول نفر من الصحابة ان صح النقل عنهم مع عدم العلم بمذهب الباقيين وهم الوف وكقولهم العلماء مجمعون على قتل تارك الصلاة كسلا الا ابا حنيفة والزهري وداود فما فائدة هذا الاجماع مع مخالفة هؤلاء الثلاثة . اما الاستدلال بآية فاقتلوا المشركين فغير صحيح لان الاسلام قول باللسان وعمل بالاركان فمن كان مشركا وتشهد

(١) ص ٨١ (٢) هذا ينطبق على الوهابية الممتنعين عن التزام تحريم دماء المسلمين واموالهم (المؤلف)

الشهادتين ولم يأت بأعمال الاسلام لا يحكم باسلامه بخلاف المسلم الموحد المولود على فطرة الاسلام الملتزم باحكامه الفاعل لها اذا عصى بترك فرض يعتقد بوجوبه ويعلم انه عاص بتركه. فالآية واردة في الاول لا في الثاني وكذلك ما اطالوا به بدون طائل من الاستشهاد بكلام فلان وفلان على ان ترك بعض شعائر الاسلام موجب للقتال لا شاهد فيه على حلية قتل تارك الفرائض كسلا فضلا عن كفره فان صح جواز القتال على ترك بعض الشعائر حتى المستحبة كالاذان والجماعة لا ربط له بترك الفرض كسلا والحاصل انه لا يجوز الاقدام والتهجم على دماء المسلمين باخبار غير ظاهرة وبأقوال الاجهوري والاذرعي والحراني والهيتمي فليتنق الله انتم تهجمون والمهرون

السابع

الاجماع اتفاق اهل الحل والعقد من امة محمد «ص» على امر ديني في عصر من الاعصار وهو حجة اما لما روي عنه «ص» لا تجتمع امتي على خطأ او لوجود معصوم بينهم بناء على عدم خلو العصر من معصوم كما يقوله اصحابنا وهو رئيس اهل الحل والعقد او للكشف عن ان ذلك مأخوذ من صاحب الشرع كما يستكشف رأي المتبوع براي اتباعه الذين لا يصدرون الا عن رأيه فيعلم رأي ابي حنيفة باتفاق الحنفية والشافعي باتفاق الشافعية وغير ذلك وفي حكم الاجماع سيرة المسلمين والفرق بينها أن الاجماع اتفاق قولي والسيرة اجماع عملي فيكشف عن ان ذلك مأخوذ عن صاحب الشرع يداً عن يد ويدئله: لا تجتمع امتي على خطأ. والوهابية لا ينكرون حجية الاجماع وقد تكرروا في كتبهم الاحتجاج به والرد على غيرهم بمخالفته وفي الرسالة الثالثة من رسائل السنية ^(١) ما نصه: والعلماء اذا اجمعوا فاجماعهم حجة لا يجتمعون على ضلالة «انتهى» ولكن الصنعاني من الوهابية انكر في رسالته تطهير الاعتقاد امكان وقوع الاجماع او امكان العلم به حيث قال ^(٢) بعدما عرف الاجماع بانه اتفاق مجتهد امة محمد «ص» على امر بعد عصره: وعلى ما نحققه فالاجماع وقوعه محال فان الأمة الحمديدية قد ملأت الافاق فعلماءها لا ينخسرون ولا يتم لأحد معرفة احوالهم فدعوى الاجماع بعد انتشار الدين وكثرة العلماء دعوى كاذبة كما قاله أئمة التحقيق «انتهى» وصدر كلامه دال على استحالة وقوعه وعجزه

ظاهر في عدم امكان الاطلاع عليه وكلاهما فاسد فان كثرة العلماء لا تمنع من اتفاقهم لا عقلا ولا نقلا والاطلاع عليه ايضا ممكن وواقع بملاحظة الفتاوى وعمل المسلمين وعدم نقل الخلاف وقرائن آخر : فانا نعلم علما ضروريا باتفاق العلماء على ان البنتين لهما الثلثان في الميراث بالفرض اذا انفردن عن الاخوة لا النصف وان لم نشافه جميع العلماء ونطلع على فتاواهم تفصيلا وامثال ذلك في الشرعيات كثير كما نعلم علما ضروريا باجماعهم على استحباب زيارة النبي «ص» وتعظيم قبره وحجرته ورجحان بنائها والتبرك به وبها وجواز بناء القبور وبناء القباب عليها لاستمرار سيرتهم على ذلك قولنا وفعلا من الصدر الاول الى اليوم وعدم نهي احد عنه من الصحابة فمن بعدهم قبل الوهابية بل الانصاف انه ما من مسألة اتفق عليها المسلمون قولنا وعملا من جميع المذاهب مثل هذه المسألة .

الثامن

الاصل الاباحة فيما لا نص فيه ولم يقم دليل على تحريمه لحكم العقل بقبح العقاب بلا بيان ولقوله تعالى : (خلق لكم ما في الأرض جميعا) اي لانتفاعكم . وقوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وبعث الرسول كناية عن وصول الاحكام والا فجرد البعث قبل تبليغ الاحكام لا تتم به الحجة . وقوله تعالى : (قل لا اجد فيما اوحى الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير) فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به . الآية) وامثالها من الآيات .

التاسع

البدعة ادخال ما ليس من الدين في الدين ولا يحتاج تحريمها الى دليل خاص لحكم العقل بعدم جواز الزيادة على احكام الله تعالى ولا التنقيص منها لاختصاص ذلك به تعالى وبانبيائه الذين لا يصدرون الا عن امره مع انه قد ورد النص بان كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار . واما تشخيصها فهو مما يقع فيه الاشتباه فكم بدعة عدت سنة وبالعكس . وسبب الاشتباه اما خطأ في الدليل المستدل به على ان ذلك من الشرع او ليس منه او تقليد من سنها لحسن الظن به مع انه مبدع او توهم انه لا بد من ورود النص بها بالخصوص مع دخولها في عموم او اطلاقه كما وقع في زماننا من بعض المتشددین فقالوا ان القيام عند ذكر ولادة النبي «ص» بدعة لعدم ورود النص به والحال انه يكفي فيه عموم ما فهم من

الشرع من لزوم احترام النبي «ص» ورجحان تعظيمه حياً وميتاً بكل انواع الاحترام التي لم ينص الشرع على تحريمها . ثم البدعة لا تكون بدعة الا اذا فعلت بعنوان انها من الدين فما قاله بعضهم من ان ما اصطلح عليه بعض المسلمين في هذه الاعصار من ترك الاعمال يوم الجمعة بدعة لانه لم ينص الشرع على ذلك بل امر بالعمل بعد قضاء صلاة الجمعة : اشتباه لان الترك هنا بعنوان الراحة او بعنوان مصلحة اخرى دينية او دنيوية كاظهار حرمة يوم الجمعة وغير ذلك لا بعنوان انه في نفسه عبادة وطاعة ومن ذلك توهم الوهابية ان التذكير والترحم بدعة لأنه لم يكن في عهد النبي «ص» اذ يكفي في مشروعيته عموم ما دل على رجحان ذكر الله تعالى والصلاة على نبيه «ص» والدعاء ونحو ذلك وتخصيصه ببعض الامكنة والازمنة لفائدة مع عدم اثباته بعنوان الخصوصية اي بعنوان انه مأمور به بالخصوص في هذا الزمان والمكان لا يجعله بدعة وكذلك جملة اشياء مما جعلوه بدعة كما سيأتي بيان ذلك في الباب الاول .

العاشر

الافعال تختلف احكامها باختلاف القصد الموجب لاختلاف العنوان وتبدل الموضوع وباختلاف الازمان والامكنة والاحوال والاشخاص الموجب لذلك وهذا معنى ما اشتهر ان الاحكام تتغير بتغير الازمان . اما اختلافها باختلاف القصد فكضرب اليتيم فانه محرم بقصد الايذاء ، راجح بقصد التأديب وكفعية المسلم فانها محرمة بقصد الانتقاص واجبة بقصد نهيه عن المنكر او نصح المستشير او اقامة الحق في مقام جرح الشاهد وكالسجود عند قبر النبي «ص» فانه راجح مستحب بقصد الشكر لله تعالى على توفيقه لزيارته محرم بقصد السجود للنبي «ص» لعدم جواز السجود لغير الله تعالى الى غير ذلك .

واما اختلافها باختلاف الازمان والاشخاص والاحوال فكلبس الازرق مثلاً حيث يعد زينة في بعض الازمان او الامكنة فيحرم على الزوجة في وقت الحداد ويستحب اذا ارادت التزين لزوجها ولباس الشهرة ولباس النساء المحرم على الرجال وبالعكس فانه يختلف باختلاف الازمان والاشخاص والامكنة وكدفن المؤمن الجليل القدير قزيباً من المزيلات فانه يعد اهانة له فيحرم وكانزال للضيف الشريف في مرابط الدواب فانه يعد اهانة مع امكان غيره بخلاف المكاري وقد

يكون ترك القيام للشخص في زمان او بلاد يعد اهانة له فيحرم وفي زمان آخر او بلاد اخرى لا يعد فلا يحرم وملبوس الزهد وما كوله يختلف باختلاف الازمنة والامكنة والاحوال وكهدم قبور الانبياء والاولياء وقبايهم ومشاهدتهم فهب انه كان منهيًا عن البناء نهي كراهة او تحريم الا ان الهدم صار يعد في هذا الزمان اهانة لهم فيتعارض عنوان واجب وهو الهدم وعنوان محرم وهو الاهانة فيقدم الالهم ولا شك ان مراعاة عدم اهانة النبي او الولي اهم من كل شيء .

الحادي عشر

قد يتعارض عنوان واجب مع عنوان محرم فيقدم الالهم كملس بدن الاجنبية فانه محرم لكن اذا توقف عليه انقاذها من الغرق او شفاؤها من المرض فيجوز او يجب . وكالنظر الى عورة الغير فهو محرم ويباح للطبيب وكأخذ المكوس فهو محرم عند الوهابية وغيرهم لكن الوهابية في فتواهم المذكورة فيما مر قالوا ان تركها الامام فهو الواجب عليه وان امتنع فلا يجوز شق عصا المسلمين والخروج عن طاعته من اجلها . « اقول » وذلك لان جمع كلمة المسلمين وعدم شق عصاهم اهم في نظر الشرع من عدم اخذ المكوس لأن المفسدة التي تترتب على شق عصا المسلمين اعظم من المفسدة المترتبة على اخذ المكوس وبناء على هذا كان يجب على الوهابية عدم التعرض لهدم قبور أئمة المسلمين الذي يسوء مئات الملايين من المسلمين تحن قلوبهم الى هذه القبور ويسوءهم هدمها وتدميرها افما كانت هذه المفسدة التي تشتت كلمة المسلمين وتوقع الخصام والعداوة بينهم في هذه الايام العصبية التي تبدد فيها جمعهم ووهى ركنهم وضعف ، لمطانيهم وفتحت بلادهم اعظم من مفسدة تحريم البناء على القبور ان كانت اهم واولى بالرعاية . افما تقابل هذه المفسدة مفسدة شق عصا المسلمين ؟ بلى والله بل هي اعظم منها . واقطع وادفع لقلوب المسلمين فهلا ابقيت هذه القبور ولو حرم عندكم ابقاؤها كما ابقيت قبر النبي «ص» وابقاؤه عندكم حرام مراعاة لأهم المصلحتين ودرءاً لاعظم المفسدتين ومنعتم الناس من الدنو اليها ولمسها الذي هو عندكم شرك كما منعتم من لمس قبر النبي «ص» والدنو اليه مع انكم لا ترون ابقاء القبور شركاً غاية التحريم .

الثاني عشر

تكفير المقر بالشهادتين المتبع طريقة المسلمين واستحلال دمه وماله وعرضه عظيم

فلا يجوز الاقدام عليه واعتقاده استناداً الى امور نظرية اجتهدية يكثر فيها الخطأ
واخبار ظنية محتملة للكذب والتأويل كالاكتفاءات والاخبار التي يستند اليها الوهابية في
تكفير المسلمين ولا يجوز تكفير المسلم الا بشيء قطعي يوجب خروجه عن دين الإسلام
وكانت سيرة النبي «ص» والصحابة والتابعين وتابعي التابعين معاملة الناس على الاكتفاء
بأظهار الشهادتين والالتزام بأحكام الإسلام . اخرج البخاري عنه «ص» امرت ان اقاتل
الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا
ذبيحتنا حرمت علينا دماؤهم واموالهم . وعنه «ص» امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا
ان لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فان فعلوا ذلك عصموا مني
دماءهم واموالهم وحسابهم على الله ، وعنه «ص» من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل
ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله ، وعن أبي هريرة انه «ص» اتى بمجنث
قد خضب يديه ورجليه بالخناء فقال ما بال هذا قالوا يتشبه بالنساء فنفاه الى البقيع ففيل
يا رسول الله الا تقتله فقال نهيت عن قتل المصلين . فيستفاد من هذه الاخبار انه بعد
اظهار الشهادتين يبنى على الإسلام ما لم يعلم شيء ينافيه ولا يلزم التفتيش والتجسس بل
نهى الله تعالى عنه . ولسنا نقول ان المقر بالشهادتين الذي يصلي ويؤتي الزكاة لا يمكن الحكم
بكفره مع ذلك لجواز ان يحكم بكفره مع ذلك كله كالمخارج والمجسمة ومنكر
الضروري وغير ذلك لكننا نقول الاقرار بالشهادتين والالتزام بأحكام الإسلام كاف في الحكم
بالإسلام حتى يثبت ما ينافيه باليقين والقطع لا بالاجتهادات الظنية والاخبار الظنية
وحتى ينتفي احتمال التأويل وما كفر به الوهابية المسلمين لم تجتمع فيه هذه الشروط .

الثالث عشر

القول أو الفعل الصادر من المسلم وله وجهان على احدهما يكون صحيحاً وعلى الآخر
فاسداً يجب حمله على الوجه الصحيح ولا يجوز حمله على الوجه الفاسد الا مع العلم وعلى
ذلك سيرة المسلمين واجماعهم وبه انتظام امر معاشهم ومعاملاتهم مثلاً لو رأينا المسلم
يضرب يتياً وامكن ان يكون ضربه له تأديباً وايداء وجب حمله على الصحيح ولم تنتقض
بذلك عدالته ان كان عدلاً وكذا لو رأينا يضايع امرأة ولم نعلم انها زوجته او اجنبية
او يشرب شراباً احمر ولم نعلم انه خل او خمر او سجد ولم نعلم ان سجوده لله او لمخلوق
او تزوج او طلق او باع أو وقف أو نذر أو ذبح ولم نعلم ان ذلك على وجه الصحة أو

الفساد وجب حمله على الصحيح الا ان يعلم الفساد ولا يكفي الظن بالفساد فضلاً عن الشك ولو صدر من المسلم فعل او قول وله وجه او معنى يوجب الارتداد وكان يمكن حمله على وجه أو معنى صحيح لا يوجب الارتداد لا يجوز الحكم بارتداده ووجب حمل فعله على الوجه الصحيح وقوله على المعنى الصحيح ولو كان احتمال قصده لذلك المعنى ضعيفاً فضلاً عما لو كان ظاهراً او مساوياً في الإحتمال فإذا استغاث مسلم بني أو ولي واحتمل ان تكون استغاثته لطلب ان يدعوه ويشفع له الى الله لم يجز الحكم بارتداده لمجرد احتمال ارادته معنى يوجب الارتداد « وهكذا » لو قال ارزقني وعاف ولدي وانصري على عدوي ونحو ذلك واحتمل ارادته طلب ان يكون واسطة وشفيعاً فيسأل الله ذلك وان اسناد الفعل اليه من باب اسناده الى السبب كما في بنى الأمير المدينة لم يجز الحكم بشركه وارتداده فضلاً عما لو علم ارادته ذلك او كان ظاهر حاله ذلك باعتبار انه مسلم يعلم ان هذه الأمور لا يقدر عليها غير الله تعالى .

الرابع عشر

في تحقيق معنى للعبادة : العبادة في اللغة الذل والخضوع ومنه بغير معبد أي مذل وطريق معبد أي مسلك مذل ونقلت في الشرع الى معنى جديد أو اريد بها معنى خاص من المعاني اللغوية كما نقلت الفاظ كثيرة غيرها كالصلاة والزكاة والصيام والحج التي كانت في اللغة لمطلق الدعاء والنمو والامساك والقصد ونقلت في الشرع الى معان جديدة وذلك لأن الألفاظ اللغوية قد تبقى في الشرع على معانيها القديمة كالبيع والشراء وقد تنقل عنها في الشرع الى معان جديدة فاذا لم تنقل وجب حملها على معانيها القديمة اذا لم يعلم انه اريد بها معنى خاص منها سواء وردت في الكتاب او الخبر أو غيرها واما اذا نقلت عن المعاني الأولى الى معان جديدة فلا بد من معرفة تلك المعاني بما ثبت عن الشارع فان عرفت وجب الحمل عليها والابقيت تلك الألفاظ بجملة وكذا لو علم عدم ارادة المعاني القديمة وأنها استعملت في المعاني الجديدة المحدودة مجازاً فلا بد من معرفة تلك المعاني ايضاً والا كانت من الجمل المحتاج الى البيان فالعبادة بمعناها اللغوي الذي هو مطلق الذل والخضوع والانقياد ليست شركاً ولا كفرأ قطعاً والا لزم كفر الناس جميعاً من لدن آدم الى يومنا هذا لأن العبادة بمعنى الطاعة والخضوع لا يخلو منها احد فيلزم كفر المملوك والزوجة والولد والخدم والأجير والرعية والجنود باطاعة المولى والزوج والأب والخدم

والمستأجر والملك والامراء وجميع الخلق لاطاعة بعضهم بعضاً بل كفر الانبياء لاطاعتهم آباءهم وخضوعهم لهم وقد اوجب الله طاعة الابوين وخفض جناح الذل لهما وقال لرسوله «ص» واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين واطاعة الزوجة لزوجها حتى ورد لو امرت احداً بالسجود لاحد لامرت الزوجة بالسجود لزوجها واطاعة الانبياء وجمال نبينا «ص» اولى بالمؤمنين من انفسهم وامرنا باطاعته واطاعة اولى الامر منا وقرنها باطاعته تعالى الى غير ذلك .

ثم انه ورد في الشرع اطلاق العباد والعبادة على مطلق المطيع والطاعة فورد ان العاصي عبد الشيطان وعبد الهوى « وقال تعالى » افمن اتخذ إلهه هوا . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله . مع ما ورد انهم ما صاموا لهم ولا صلوا وانما حرموا عليهم خللاً واحلوا لهم حراماً فاتبعوهم ، وان الانسان عبد الشهوات ، وان من اصغى الى ناطق فقد عبده فان كان ينطق عن الله فقد عبد الله وان كان ينطق عن غير الله فقد عبد غير الله ومن هذا القبيل قول رابعة العدوية :

لك الف معبود مطاع امره دون الاله وتدعي التوحيد

ولا ريب ان هذه الامور التي سميت عبادة لا توجب الكفر والارتداد والالم يسلم منه احد والضرورة قاضية بخلافه .

ثم ان من جملة العبادة السجود وقد امر الله الملائكة بالسجود لآدم وسجد يعقوب وزوجته وبنوه ليوسف كما اخبر عن ذلك القرآن الكريم فدل على ان السجود ليس في نفسه قبيحاً ومنعراً منه موجباً للشرك والكفر وان سمي عبادة والا لم يأمر به الله تعالى وانه ليس مثل اتخاذ الشريك للباري في جميع صفاته فان هذا لا يعقل ان يأمر الله به او يحيزه ولا يمكن ان لا يكون شركاً وكفراً وعلم من ذلك ايضاً انه ليس مطلق الخضوع والتعظيم حتى السجود لغير الله قبيحاً في نفسه وشركاً وكفراً .

ثم انه ورد اطلاق العبادة على دعاء الله تعالى في القرآن بقوله تعالى ادعوني استجب لكم . ان الذين يستكبرون عن عبادتي . والاخبار بقوله (ص) الدعاء مخ العبادة ولكن ليس المراد بالدعاء هنا معناه اللغوي قطعاً وهو النداء والا لكان كل من نادى احداً وسأله شيئاً عابداً له بل المراد به نداء الله تعالى وسؤاله والقيام بغاية الخضوع والتذلل بين يديه

وانزال حاجات الدنيا والاخرة به على انه الفاعل المختار والمالك الحقيقي لأموال الدنيا والاخرة والمتصرف فيها كما يشاء فمن دعا مخلوقا على هذا النحو كان عابدا له اما من دعاه ليشفع له الى الله بعد ثبوت ان الله جعل له الشفاعة فلا يكون عابداً له ولا فاعلا ما لا يحل

فظهر انه ليس كل ما يطلق عليه اسم العبادة موجبا للشرك والكفر اذا وقع لغير الله بل ولا محرما الا ان ينص الشارع على تحريمه كالسجود للشمس والقمر المنهي عنه في القرآن والسجود لغير الله المتفق على تحريمه وان مطلق الخضوع والانقياد لغير الله لا يوجب ذلك ولو فرض انه سمي عبادة وان العبادة التي يترتب عليها ذلك ليست العبادة اللغوية بل عبادة خاصة لا يمكن معرفتها الا ببيان الشارع وبدون بيانه تكون مجملة وانه لا يجوز ترتيب حكم الشرك والكفر بل ولا التحريم على ما يسمى عبادة الا اذا علم انها من تلك العبادة الخاصة ومع الشك او الظن لا يجوز ترتيب ذلك الحكم فاذا فرض ورود النهي عن عبادة غير الله فما علم انه من المنهي عنه حرم وما لم يعلم لم يلحقه الحكم كالتكفير^(١) والانحناء عند غير العرب ورفع اليد عند الجنود وكشف الرأس عند الافرنج وغير ذلك للعلم بأن المنهي عنه ليس مطلقا ما يسمى عبادة وخضوعا

ثم ان الذي علم ترتب حكم الشرك والكفر عليه من العبادات او الاعتقادات امور (الاول) اعتقاد المساواة لله تعالى في جميع الصفات او انه هو الله ولو بطريق الحلول . (الثاني) انكار الشرائع وتكذيب الرسل وان اعترف فاعله بتوحيد الله تعالى ولم يعبد وثنا بل بقي على شريعة منسوخة

(الثالث) ما ذكر مع عبادة الاوثان بما لم يأذن به الله تعالى بل نهى عنه من سجود ونحر وذبح لها وذكر اسمها عليه وطلبها بدمه وتعظيم باعتقاد استحقات ذلك بالاستقلال لرفعة ذاتية واعتقاد ان له تدبيرا واختيارا كما كان يفلح عبدة الاصنام سواء كان مع الاعتراف بوجود آله وعدمه

الخامس عشر

لا شك ان الله تعالى فاوت بين مخلوقاته في الفضل فجعل بعضها افضل من بعض من الازمنة والامكنة والاحجار والآبار والحيوانات وبني آدم وغير ذلك ففي الازمنة فضل شهر رمضان على سائر شهور السنة وجعل فيه ليلة القدر وجعلها خيراً من الف شهر وجعل من اشهر السنة الاثني عشر اربعة حرماً فيها القتال وفضل يوم الجمعة على سائر الايام وفضل ساعة منه على سائره . وفي الامكنة فضل الكعبة على سائر بقاع الارض وتعبد الناس بالحج اليها والطواف حولها ومكة والمقام وحجر اسماعيل والمسجد والمساجد الاربعة والمسجد الحرام منها على غيرها . وفي الاحجار فضل الحجر الاسود على غيره وتعبد الناس باستلامه وتقبيله وفي الآبار فضل بئر زمزم على غيره وفي الحيوانات فضل الخيل على غيرها وامر بارتباطها واکرامها وجعل الخير معقوداً بنواصيها وجعل بعض دم الغزال مسكاً وفي ذلك يقول الشاعر :

فان تفق الانام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال

وفي بني آدم فضل الانبياء على غيرهم ومحمداً (ص) على سائر الانبياء والشهداء على غيرهم والعلماء على الشهداء وعلى بعض الانبياء بل الشيء الواحد له فضل في حال دون حال فالكنيف لا فضل له وهو منتهى الخسة فاذا جعل مسجداً صار معظماً عند الله وحرماً تنجيسه ووجب تعظيمه وجلد الشاة يجعل نعلاً وحذاء فيكون في منتهى الاهانة ويعمل جلداً للقرآن الكريم فيكون في منتهى الاكرام والاعظام كما قال الشاعر :

او ما ترى نوع الاديم فانه منه الحذاء ومنه جلد المصحف

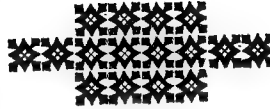
والرجل يكون كسائر الناس فيبعثه الله بالنبوة فتجب اطاعة امره ونهيه او ينصبه النبي « ص » بعده خليفة او المسلمون فيدخل في قوله تعالى : اطيعوا الله والرسول واولي الامر منكم . ومن هذا القبيل البقعة من الارض تكون كسائر البقاع فيدفن فيها نبي او ولي فتكسب شرفاً وفضلاً وبركة بدفته لم تكن لها من قبل ويجب احترامها وتحرم اهانتها لحرمة من فيها ومن احترامها قصدها لزيارة من فيها وبناء القباب عليها والحجر حولها لتقي زائريها من الحر والبرد وعمل الاضرحة لها التي تصونها عن كل اهانة وايقاد المصابيح عندها لاتنفاع زائريها واللاجئين اليها وجعل الخدمة والسدنة

وتقبيلها والتبرك بها ووضع الخلع عليها والمعلقات فوقها وغير ذلك. ومن اهانتها هدمها لها وهدم ما فوقها من البناء وتسويتها بالارض وجعلها معرضا لوقوع القاذورات ووطئ الدواب والكلاب والادميين وترويث وبول الدواب والكلاب وغير ذلك وما ورد مما يوهم المنافاة لذلك مما سيأتي في محله على فرض صحته مخصوص بغيرها او منصرف بحكم التبادر الى غيرها لما علم من الشرع من لزوم تعظيم اصحابها احياء وامواتا وهذا من تعظيمهم وحرمة اهانتهم احياء وامواتا وهذا منها وهل يشك في ذلك عاقل وهو يرى ان الله تعالى جعل احتراماً لصخرة صماء بسبب وقوف ابراهيم الخليل عليه السلام عليها حين بنى البيت فقال واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى افيجعل الله احتراماً لمقام رجل خليفه ولا يجعل احتراماً لمدفن جسده او مدفن سيد انبيائه . واذا كان له هذا الاحترام فلماذا حرم تقبيله والطواف والتبرك به والصلاة عنده ودعاء الله تعالى كما يصلى عند مقام ابراهيم «ع» ويدعى فان كان لتوهم انه عبادة له كعبادة الاصنام فهو توهم فاسد لان احترام من جعل الله له حرمة احترام لله وعمل بامر الله وعبادة واطاعة لله فهو كتقبيل الحجر الاسود وتعظيم الكعبة والحرم والمقام والمساجد والتبرك بباء زمزم وسجود الملائكة لآدم وان كان لزعم ورود النهي فستعرف انه لا نهى .

السادس عشر

الأحكام لا تغير الموضوعات فاذا كان الموضوع على حالة او صفة قبل الحكم كان كذلك بعد الحكم وهذا من البدييات الاولى التي لا يشك فيها من عنده اقل المأم بالعلوم. مثلاً اذا حرم الشرع شتم زيد أو اوجبه وكان الشتم في نفسه مع قطع النظر عن الحكم بتحريمه او وجوبه اهانة لزيد لا يصير بعد التحريم او الوجوب احتراماً له وكذا لو اوجب اضافة زيد او حرماً وكانت اضافته في نفسها اكراماً له لا تصير بعد ايجابها او تحريمها اهانة له واذا كان تعظيم المخلوق واحترامه والتبرك به والقيام في خدمته بغاية الذل والخضوع وما اشبه ذلك عبادة له وشركاً بالله تعالى فاذا اوجب الله تعالى تعظيم المخلوق واحترامه والتبرك به واطاعته والذل والخضوع له ونحو ذلك لم يخرج هذا الوجوب عن كونه عبادة وشركاً بل يكون الله تعالى قد اوجب الشرك وعبادة المخلوق لما عرفت

من ان الحكم لا يغير الموضوع . اذا عرفت هذا فاعلم ان وجوب تعظيم المخلوق من جماد وانسان واحترامه والتبرك به واطاعته والقيام في خدمته بغاية الذل والخضوع وما ينتظم في هذا السلك ثابت في الشرع بلا شك ولا ريب ، فقد امر الله الملائكة بالسجود لآدم والولد بتعظيم الوالدين وخفض جناح الذل لهما وامر باطاعة الرسول واولي الامر منا بالائتثار بامرہ والانتفاء عن نهيہ وعدم رفع اصواتنا فوق صوته وامر بتعظيم المساجد والکعبة والطواف بها وتعظيم المقام والحجر والحجر الاسود وبشر زمزم والتبرک بمائته وتعظيم الحرم الى غير ذلك مما ورد في الشرع فلا بد حينئذ من التزام احد امرين اما القول بانه ليس كل تعظيم عبادة وشركا او القول بان الله امر بالشرك وعبادة غيره ! ولما كان الشرك قبيحا منهاها عنه موجبا للخلود في نار جهنم يغفر الله ما دونه من الذنوب ولا يغفره بنص القرآن الكريم لم يمكن ان يأمر الله به فتعين القول بأنه ليس كل تعظيم عبادة موجبة للشرك



المقدمة الثالثة

في شبه الوهابيين بالخواارج وذلك من عدة وجوه :

« اولاً » كما ان الخواارج شعارهم « لا حكم الا لله » وهي كلمة حق يراد بها باطل كما قال امير المؤمنين علي «ع» . كلمة حق لمطابقتها قوله تعالى « ان الحكم الا لله » ، يراد بها باطل ، وهو انه لا اشارة لاحد ولا يجوز التحكيم في الامور الدينية ، وفرعوا عليه ان التحكيم الذي كان بصفين كان معصية وكفراً ، مع ان التحكيم قد جاء في الشرع بقوله تعالى : « فان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من اهله وحكماً من اهلها » وقال تعالى في جزاء الصيد : « يحكم به ذوو عدل منكم » .

كذلك الوهابيون شعارهم : لا دعاء الا لله ، لا شفاعة الا لله ، لا توسل الا بالله ، لا استغاثة الا بالله ، ونحو ذلك . كلمات حق يراد بها باطل : كلمات حق لان المدعو والمتوسل به حقيقة لدفع الضر وجلب النفع والمغيث الحقيقي ومالك امر الشفاعة هو الله . يراد بها باطل وهو منع تعظيم من عظمه الله بدعائه والتوسل به ليشفع عند الله تعالى ويدعوه لنا وعدم جواز التشفع والاستغاثة والتوسل بمن جعله الله شافعاً مغيثاً وجعل له الوسيلة كما بين في محله . وهي كجملة من كلماتهم المزخرفة كقولهم : لمن يقول يا محمد ويا فلان ويا فلان : هل الله اعطاك القوة أو محمد «ص» ؟ فلا بد ان يقول الله فيقولون له لم لا تدعو الله وتدعو محمداً . وهذا تمويه وتضليل يراد به باطل ، اذ لا يوجد احد يعتقد ان محمداً «ص» أو غيره بيده الامر اصاله وانما هو التوسل وطلب الشفاعة ممن له الوسيلة والشفاعة ، واعتراضهم هذا يرجع الى الاعتراض على الله الذي جعل الشفاعة لمحمد «ص» والا فتى جعلها له فعلياً ان نطلبها منه . ولو صح اعتراضهم هذا لتوجه على من يسأل الدعاء من الغير فيقال له : الله الذي يحيب دعائك أو اخوك المؤمن ؟ فلا بد ان يقول الله ، فيقال له : لم لا تدعو الله وتطلب من اخيك ان يدعو لك ؟ وكقولهم لمن يقبل ضريح النبي «ص» أو المنبر الموضوع في مسجده وفي مكان منبره : انما تقبل حديداً أو خشباً نجى به من بلاد الافرنج ، ولم يعلموا انه كما يحترم جلد الشاة بعمله جلداً للمصحف ، والورق والمداد بكتابة المصحف عليه وبه ، كذلك يحترم الحديد والخشب الذي وضع

على قبر النبي «ص» أو في مسجده وفي مكان منبره . ومربى بانه في الامر الخامس عشر من المقدمة الثانية .

« ثانياً » كما ان الخوارج متصلبون في الدين مواظبون على الصلوات وتلاوة القرآن والمعبادة حتى اسودت جباههم من طول السجود ، طالبون للحق كما قال امير المؤمنين «ع» : لا تقاتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فإخطأه كمن طلب الباطل فإصابه ، متورعون عن المحارم حتى بلغ من تورعهم ان انساناً منهم ضرب خنزيراً برياً بسيفه فقالوا هذا فساد في الأرض ، والتقط احدهم ثمرة من الطريق فوضعها في فمه فبادر آخر وطرحها من فمه .

كذلك الوهابيون متصلبون في الدين يؤدون الصلاة لأوقاتها ومواظبون على العبادة ويطلبون الحق وان اخطأوه ويتورعون عن المحرمات حتى بلغ من تورعهم انهم توقفوا في استعمال «التلغراف» كما مر . وقد رأيت نجدياً يصرف الريالات الجديدة بالقدية بتفاوت ، فاراد رجل ان يعطيه قديماً وزيادة مجيد ، فقال على الفور : لا ، هذا ربا ، وكان معه دلال يهودي ، فلما فارقه قال له اليهودي : ادع لنا ، فقال : « الله يهديك » ، والتفت الى وقال هذا يهودي .

« ثالثاً » كما ان الخوارج كفروا من عداهم من المسلمين وقالوا ان مرتكب الكبيرة كافر يخلد في النار واستحلوا دماءهم واموالهم وسي ذراريتهم وقالوا ان دار الاسلام تصير بظهور الكبائر فيها دار كفر حتى انهم قتلوا عبد الله بن خباب احد اصحاب رسول الله «ص» صائماً في شهر رمضان والقرآن في عنقه وقتلوا زوجته وهي حبلى وبقروا بطنها لانه لم يتبرأ من علي بن ابي طالب ، وقالوا له هذا الذي في عنقك يأمرنا بقتلك فذبحوه على شاطئ النهر حتى سال دمه في النهر . وكانوا اذا اسروا نساء المسلمين يبيعنهن فيما بينهم حتى انهم تزايدوا في بعض الوقائع على امرأة جميلة وغالوا في ثمنها فقام بعضهم فقتلها وقال ان هذه الكافرة كادت تقع فتنة بسببها بين المسلمين ، وقالوا للخسن بن علي يوم ساباط المدائن : اشركت يا حسن كما اشركت ابوك .

كذلك الوهابيون حكموا بشرك من سألهم عن معتقدهم من المسلمين واستحلوا ماله ودمه

كشف الارتباب م ٨

وبعضهم استحل سبي الذرية كما سيأتي في الباب الاول ولم يخاطبوه الا بقولهم يا مشرك وجعلوا دار الاسلام دار حرب ودارهم دار ايمان تجب الهجرة اليها وحكموا بقتال تارك الفرض وان لم يكن مستحلا كما في الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية ^(١) ونقلوه فيها ايضا عن ابن تيمية ^(٢) .

قال سليمان بن عبد الوهاب على ما حكى عنه في رسالته في الرد على اخيه محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة الوهابية : قال ابن القيم : الخوارج لهم خاصيتان مشهورتان فارقوا بهما جماعة المسلمين وأئمتهم احدهما خروجهم عن السنة وجعلهم ما ليس بسنة سنة والثانية انهم يكفرون بالذنوب والسيئات ويترتب على ذلك استحلال دماء المسلمين واموالهم وان دار الاسلام دار حرب ودارهم هي دار الايمان فينبغي للمسلم ان يحذر من هذين الاصلين الخبيثين وما يتولد عنها من بغض المسلمين وذمهم ولعنهم واستحلال دمائهم واموالهم وعامة البدع انما تنشأ من هذين الاصلين « انتهى » . وهذا الذي ذكره بعينه موجود في الوهابية .

« رابعاً » كما ان الخوارج استندوا في شبهتهم هذه الى ظواهر بعض الآيات والادلة التي زعموها دالة على ان كل كبيرة كفر . كذلك الوهابيون استندوا في هذه الشبهة الى ظواهر بعض الآيات والادلة التي توهوها دالة على ان الاستغاثة والاستعانة بغير الله شرك وعلى غير ذلك من معتقاداتهم كما يظهر من استشاداتهم بالآيات التي لا دلالة فيها على معتقاداتهم عند نقلنا لها . وسيأتي في الامر العاشر عدة روايات تشير الى ذلك .

« خامساً » كما ان الخوارج استحلوا قتال ملوك الاسلام والخروج عليهم لانهم باعقبادهم أئمة ضلال كذلك الوهابيون استحلوا قتال ملوك الاسلام وامرائه لانهم باعقبادهم أئمة ضلال ناصرون للشرك والبدع .

« سادساً » كما ان الخوارج لا يبالون بالموت ويقدمون على الحرب لانهم رائحون بزعمهم الى الجنة حتى ان بعضهم طعن برمح فشى والرمح فيه الى طاعنه فقتله وهو يتلو : « وعجلت اليك ربي لترضى » .

كذلك الوهابيون يظهرون بسالة واقداما ولا يبالون بالموت لانهم بزعمهم رائحون الى الجنة ويقولون في حروبهم مع المسلمين :

هبت هبوب الجنة وين انت يا باغيها

« سابعاً » كما ان الخوارج على جانب من الجلود والغبابة ، فيينا هم يتورعون عن اكل ثمرة ملقاة في الطريق ويرون قتل الخنزير الشارد في البر فساداً في الارض ، تراهم يرون قتل الصحابي الصائم وفي عنقه انقرآن طاعة لله تعالى ويكفرون جميع المسلمين ويرون كل كبيرة كفراً . واقيهم قوم مسلمون فسألهم من انتم ؟ وكان فيهم رجل ذو فطنة ، فقال تركوا الجواب لي ، قال : نحن قوم من اهل الكتاب استجرنا بكم حتى نسمع كلام الله ثم نبلغونا مأمناً . فقالوا لا تخفروا ذمة نبيكم فأسمعوهم شيئاً من القرآن وارسلوا معهم من يوصلهم الى مأمنهم . وقالوا لعبد الله بن خباب الصحابي ما تقول في علي بن ابي طالب ؟ فائس خيراً فقالوا انك ممن يتبع الرجال على اسمائها وفعلوا معه ما تقدم .

كذلك الوهابيون على جانب من الجلود . فيينا هم يحرمون الترحيم والتذكير لانه بزعمهم بدعة وامثال ذلك ، ويتوقفون في « التلغراف » لعدم وقوفهم على نص فيه ، ويحرمون التدخين ويعاقبون عليه ، تراهم يكفرون المسلمين ويشركونهم ويستحلون اموالهم ودماءهم ويقاتلونهم بالبنادق والمدافع لطلبهم الشفاعة من جعل الله له الشفاعة وتوسلهم بمن له عند الله الوسيلة .

« ثامناً » كما ان الخوارج قال بمقاتلتهم جماعة ممن ينسب الى العلم لظهورهم بمظهر مقاومة ثمة الضلال ورفع الظلم الذي لا شك انه كان موجوداً في الجملة ، وانه لا حكم الا لله ، الكلمة التي قال عنها امير المؤمنين علي «ع» : انها كلمة حق يراد بها باطل كما مر .

كذلك الوهابيون قال بمقاتلتهم جماعة ممن ينسب الى العلم لظهورهم بمظهر رفع البدع التي لا شك في وجودها في الجملة وانه لا عبادة ولا شفاعة الا لله ولا استعانة ولا استغاثة الا بالله . وهذه كذلك كلمة حق يراد بها باطل كما عرفت وستعرف .

« تاسعاً » كما ان الخوارج عمدوا الى الآيات الواردة في المشركين فجعلوها في المسلمين والمؤمنين كذلك الوهابيون جعلوا الآيات النازلة في المشركين منطبقة على المسلمين . اما صدور ذلك من الخوارج فيدل عليه ما في خلاصة الكلام ^(١) مما هذا لفظه : روى

البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه في وصف الخوارج انهم انطلقوا الى آيات نزلت في الكفر فجعلوها في المؤمنين وفي رواية اخرى عن ابن عمر عند البخاري انه «ص» قال أخوف ما أخاف على أمتي رجل متأول للقرآن يضعه في غير موضعه « انتهى » وعن ابن عباس لا تكونوا كالخوارج تأولوا آيات القرآن في أهل القبلة وإنما نزلت في أهل الكتاب والمشركين فجعلوها علمها فسفكوا الدماء وانتهبوا الأموال .

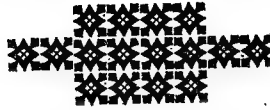
وأما صدور ذلك من الوهابيين فبدل عليه ما سيأتي عند نقل كلماتهم ومعتقداتهم من جعلهم الآيات الكثيرة النازلة في الكافرين والمشركين منطبقه على المسلمين مثل : غير الله اتخذ ولياً . اروني ماذا خلق الذين من دونه . قل اتنبثون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون . ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً . أجعل الآلهة الها واحداً . اجتئنا لنعبد الله وحده فلا تجعلوا لله انداداً . ان شركاؤكم الذين كنتم تزعمون . له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء . الى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي يسردونها وهي نازلة في الكافرين والمشركين فيجعلونها منطبقه على المسلمين انطباقاً تاماً بغير مائز ولا فارق .

« عاشرأ » كما ان الخوارج سيأثم التحليق أو التسبيد كذلك الوهابيون سيأثم التحليق وعن النهاية في حديث الخوارج : التسبيد فيهم فاش هو الخلق واستئصال الشعر « انتهى » . « حادي عشر » كما ان الخوارج يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان كما اخبر النبي «ص» عنهم بما رواه في السيرة الحلبية ^(١) من قوله «ص» في الخوارج : يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم أو تراقيهم لا تفقه قلوبهم ليس لهم حظ منه الا تلاوة الفم وانهم يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان « الحديث » .

كذلك الوهابيون يقتلون أهل الاسلام وحدهم ولم ينقل عنهم انهم حاربوا احداً سوى المسلمين . وفي قتلهم أهل الطائف اولاً وآخرأ بلا ذنب وقتلهم أهل كربلاء سنة ١٢١٦ وغزوم بلاد الاسلام المجاورة لهم كالعراق والحجاز واليمن وشرقي الأردن وغيرها وقتلهم من ظفروا به من المسلمين وقتلهم نحو الف رجل من اليابانيين جاؤا لحج بيت الله الحرام سنة

١٣٤٠ وذبجهم لهم ذبح الاغنام كما مر ذلك كله في تاريخهم، وغدم غزورهم للمستعمرين أو الصهيونيين وتوجيه بأسهم وحرهم كله الى المسلمين والعرب اقوى شاهد على ذلك .

« ثاني عشر » كما ان الخوارج كلما قطع منهم قرن نجم قرن كذلك الوهابيون كلما قطع منهم قرن نجم قرن فقد حاربهم محمد علي باشا واستأصل شأفتهم ووصل ولده ابراهيم باشا الى قاعدة بلادهم الدرعية واخربها ثم نجم قرنها بعد ذلك وقطع ثم نجم وقطع مراراً .



الباب الاول

في ذكر جميع معتقدات الوهابية ومحور مذهبهم الذي يدور عليه

الاجتهاد عند الوهابيين

الوهابيون سنيون وينتحلون مذهب الامام احمد بن حنبل الا انهم لا يلتزمون بتقليد احد المذاهب الأربعة بل قد يجتهدون على خلافها . قال بن اسماعيل الامير اليميني الصنعاني المعاصر لابن عبد الوهاب واحد مؤسسي المذهب «باني في رسالته تطهير الاعتقاد»^(١) : «وفقهاء المذاهب الأربعة يحيلون الاجتهاد من بعد يبعة وان كان هذا قولاً باطلاً وكلاماً لا يقوله الا من كان للحقائق جاهلاً « انتهى » . ان محمد بن عبد اللطيف احد احفاد ابن عبد الوهاب في آخر الرسالة الخامسة^(٢) من «مائل الهدية السنية مذهبنا مذهب الامام احمد بن حنبل ولا ندعي الاجتهاد واذا بانث سنة صحيحة عن رسول الله «ص» عملنا بها ولا نقدم عليها قول احد كائنا من كان انتهى » . وهذا هو الاجتهاد الذي انكره في اول كلامه وقال به في آخره . وما هي سنة الصحيحة التي تبين له هل يشافه بها الرسول «ص» أو تكون متواترة خفيت على جميع أئمة المذاهب الأربعة وغيرهم وبانت له؟! هذا مستحيل عادة أو هي خبر ظني الدلالة السند أو السند فقط والله تعالى قد نهى عن العمل بالظن في كتابه واذم متبعه فهل يكون عمل بذلك الخبر الظني الا بالاجتهاد الذي انكره . وقال ابوه عبد اللطيف في احدى رسائل الهدية السنية^(٣) ان محمد بن عبد الوهاب لا يرى ترك السنن والأخبار النبوية لرأي فيه ومذهب عالم خالف ذلك باجتهاده . الى ان قال : نعم عند الضرورة وعدم الاهلية المعرفة بالسنن والأخبار وقواعد الاستنباط يصار الى التقليد ولا يرى ايجاب ما قاله المجتهد الا بدليل من الكتاب والسنة خلافاً لغلاة المقلدين .

وقال عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية^(٤) : «لا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ولا أحد منا يدعيها الا انه اذا صح لنا نص جلي من

(١) صفحة ١٩ (٢) صفحة ١١٠ (٣) صفحة ٤٩ (٤) صفحة ٣٩

كتاب او سنة غير منسوخ ولا مخصوص ولا معارض باقوى منه وقال به أحد الأئمة الأربعة اخذنا به وتركنا المذهب كإرث الجد والاخوة فتقدم الجسد بالإرث وان خالفه مذهب الحنابلة . الى ان قال : ولا نعترض على أحد في مذهبه الا اذا اطلعنا على نصر جلي يخالف لأحد الأئمة وكانت المسألة مما يحصل بها شعائر ظاهرة كإمام الصلاة فناء الحنفي والمالكي مثلاً بالطمأنينة في الاعتدال والجلوس بين السجدين لوضوح ذلك بخلاف جهر الامام الشافعي بالبسملة فلا نأمره بالاسرار ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض وقد اختار جمع من أئمة المذاهب الأربعة ما يخالف مذهب مقلده « انتهى » وهذا الأخير يخالف ما ذكره محمد بن عبد اللطيف وما حكاه ابوه عن محمد بن عبد الوهاب فهذا يشترط في جواز الأخذ بالنص من الكتاب والسنة ان يقول به أحد الأئمة الأربعة ومحمد يقول لا نقدم على السنة قول أحد كائنا من كان وابن عبد الوهاب يرى ايجاب ما قاله المجتهد الا بدليل . ثم الزام صاحب المذهب بخلاف مذهبه فيما شعائر ظاهرة خطأ فانه ان كان معذوراً لم يجب الزامه بل لم يحز وان لم يكن معذور وجب الزامه سواء كان فيه شعائر ظاهرة او لا .

اعتقاد الوهابية وقودتهم ابن تيمية في الله تعالى وصفاته

اعلم ان الوهابية ومؤسس دعوتهم محمد بن عبد الوهاب وبأذر بذورها احمد بن تيمية وتلميذه ابن القيم واتباعهم ادعوا أنهم موحدون وانهم باعتقادهم التي خالفوا بها جميع المسلمين حموا جناب التوحيد عن ان يتطرق اليه شيء من الشرك . وادعى الوهابيون انهم هم الموحدون وغيرهم من جميع المسلمين مشركون كما سيأتي ولكن الحقيقة ان ابن تيمية وابن عبد الوهاب واتباعها قد اباحوا حتى التوحيد وهتكوا ستوره وحجباه ونسبوا الى الله تعالى ما لا يليق بقدس جلاله وتعالى عما يقول الظالمون كبيراً

فانبتوا لله تعالى جهة الفوق والاستواء على العرش الذي هو فوق السماوات والارض والنزول الى سماء الدنيا والحيء والقرب وغير ذلك بمعانيها الحقيقية، وانبتوا له تعالى اليدين اليد اليمنى واليد الشمال والاصابع والكف والبعينين كلها بمعانيها الحقيقية

وحملوا ألفاظ الصفات على معانيها الحقيقية فاثبتوا لله تعالى المحبة والرحمة والرضا والغضب وغير ذلك بمعانيها الحقيقية من غير تأويل ، وأنه تعالى يتكلم بحرف وصوت فجعلوا الله تعالى محلاً للحوادث وهو يستلزم الحدوث كما بين في محله من علم الكلام .

أما ابن تيمية فقال بالجهة والتجسيم والاستواء على العرش حقيقة والتكلم بحرف وصوت . وهو أول من زقا بهذا القول وصنف فيه رسائل مستقلة كالعقيدة الحموية والواسطية وغيرها واقتفاه في ذلك تلميذاه ابن القيم الجوزية وابن عبد الهادي واتباعهم ولذلك حكم علماء عصره بضلاله وكفره والزموا السلطان بقتله أو حبسه فاخذ الى مصر ونظر فحكموا بحبسه فحبس وذمبت نفسه محبوساً بعد ما اظهر التوبة ثم نكث . ونحن ننقل ما حكوه عنه في ذلك وما قالوه في حقه لتعلم ما هي قيمة ابن تيمية عند العلماء :

قال احمد بن حجر الهيتمي المكي الشافعي صاحب الصواعق في كتابه الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم في جملة كلامه الآتي في فصل الزيارة ان ابن تيمية تجاوز الى الجناب المقدس وخرق سياج عظمته بما اظهره للعامة على المنابر من دعوى الجهة والتجسيم الخ وقال ابن حجر ايضاً في الدرر الكامنة على ما حكي : ان الناس افترقت في ابن تيمية فمنهم من نسبته الى التجسيم لما ذكره في العقيدة الحموية والواسطية وغيرهما من ذلك بقوله ان اليد والقدم والساق والوجه صفات حقيقية لله وأنه مستو على العرش بذاته فقليل له يلزم من ذلك التحيز والانقسام فقال انا لا اسلم أن التحيز والانقسام من خواص الاجسام فالزم بانه يقول بالتحيز في ذات الله . ومنهم من ينسبه الى الزندقة لقوله ان النبي (ص) لا يستغاث به وان في ذلك تنقيصاً ومنعاً من تعظيم رسول الله «ص» وكان اشد الناس عليه في ذلك النور البكري فانه لما غفد له المجلس بسبب ذلك قال بعض الحاضرين : يعزبر ، فقال البكري : لا معنى لهذا القول فانه ان كان تنقيصاً يقتل وان لم يكن تنقيصاً لا يعزبر ومنهم من ينسبه الى النفاق لقوله في علي إنه كأن نخذولاً حيث ما توجه وأنه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها وانما قاتل للرياسة لا للباية وأنه كان يحب الرياسة وأن عثمان كان يحب المال . ولقوله : ابو بكر اسلم شيخاً يدري ما يقول وعلي اسلم صبياً والصبي لا يصح إسلامه على قول ، وللكلامه في قصة خطبة بنت ابي جهل وما نسبته من الشناء على قصة ابي


العاص بن الربيع وما يؤخذ من مفهومها فانه شنع في ذلك فالزموه بالنفاق لقوله «ص» : لا يبغضك الا منافق . ونسبه قوم الى انه يسعى في الامامة الكبرى فانه كان يلجج بذكر ابن تومرت ويطريه وكان ذلك مولداً لطول سجنه . وله وقائع شهيرة وكان اذا حوقق والزم يقول لم ارد هذا انما اردت كذا فيذكر احكاماً لا بعيداً « انتهى » .

وعن منتهى المقال في شرح حديث لا تشد الرحال للمفتي صدر الدين انه قال فيه : قال الشيخ الامام الحبر الهام سند المحدثين الشيخ محمد البرلسي في كتابه اتحاف اهل العرفان : وقد تجاسر ابن تيمية الحنبلي عامله الله تعالى بعدله وذكر تحريره للسفر الى زيارة النبي «ص» الى ان قال حتى تجاوز الجنب الاقدس المستحق لكل كمال انفس وخرق سياج الكبرياء والجلال وحاول اثبات ما ينافي في العظمة والكمال بادعائه الجهة والتجسيم ونسبة من لم يعتقدهما الى الضلالة والتأثير واطهر هذا الامر على المنابر وشاع وذاع ذكره بين الاكابر والاصاغر . الى آخر ما يأتي في فصل الزيارة

وعن صاحب اشرف الوسائل الى فهم الشرائع انه قال في بيان اراء العمامة بين الكتفين . قال ابن القيم عن شيخه ابن تيمية انه ذكر شيئاً بديعاً وهو انه «ص» لما رأى ربه واضعاً يده بين كتفيه اكرم ذلك الموضع بالعذبة . قال العراقي ولم نجد لذلك اصلاً . اقول : بل هذا من قبيل رأيهما وضلاهما اذ هو مبني على ما ذهب اليه واطالا في الاستدلال له والخط على اهل السنة في نفهم له وهو اثبات الجهة والجسمية لله تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً ولهما في هذا المقام من القبائح وسوء الاعتقاد ما يصم عنه الاذان ويقضي عليه بالزور والكذب والضلال والبهتان قبحها الله وقبح من قال بقولهما . والامام احمد وأجلاء مذهبه مبرؤون عن هذه الوصمة القبيحة كيف وهي كفر عند كثيرين (انتهى)

وعن المولوي عبد الحليم الهندي في حل المعاهد حاشية شرح العقائد كان تقي الدين ابن تيمية حنبلياً لكنه تجاوز عن الحد وحاول اثبات ما ينافي في عظمة الحق تعالى وجلاله فاثبت له الجهة والجسم وله هفوات آخر كما يقول ان امير المؤمنين سيدنا عثمان رضى الله عنه كان يحب المال وان امير المؤمنين سيدنا علياً رضى الله عنه ما صح ايمانه فانه آمن في حال صباه . وتفوه في حق اهل بيت النبي صلى الله عليه وعليهم ما لا يتفوه به المؤمن الحق وقد وردت الاحاديث الصحاح في مناقبهم في الصحاح ، وانهقد مجلس في قلعة الجبل وحضر

العلماء الاعلام والفقهاء العظام ورئيسهم قاضي القضاة زين الدين المالكي وحضر ابن تيمية فبعد القيل والقال بهت ابن تيمية وحكم قاضي القضاة بحبسه سنة ٧٠٥ ثم نودي بدمشق وغيرها من كان على عقيدة ابن تيمية حل ماله ودمه كذا في مرآة الجنان للامام ابي محمد عبد الله اليافعي ثم تاب وتخلص من السجن سنة ٧٠٧ وقال اني اشعري ثم نكت عهده واظهر مرموزه فحبس حبساً شديداً ثم تاب وتخلص من السجن واقام في الشام وله هناك واقعات كتبت في كتب التواريخ ورد اقاويله وبين احواله الشيخ ابن حجر في المجلد الاول من الدرر الكامنة والذهبي في تاريخه وغيرها من المحققين والمرام ان ابن تيمية لما كان قائلاً بكونه تعالى جسماً قال بانه ذو مكان فان كل جسم لا بد له من مكان على ما ثبت ولما ورد في الفرقان الحميد (الرحمن على العرش استوى) قال ان العرش مكانه ولما كان الواجب ازلياً عنده واجزاء العالم حوادث عنده اضطر الى القول بأزلية جنس العرش وقدمه وتعاقب اشخاصه الغير المتناهية فطلق التمكن له تعالى ازلي والتمكّنات المخصوصة حوادث عنده كما ذهب المتكلمون الى حدوث التعلقات « انتهى » .

وعن اليافعي في مرآة الجنان انه قال في ذكر فتنة ابن تيمية : وكان الذي ادعي عليه بصر انه يقول ان الرحمن على العرش استوى حقيقة وانه يتكلم بحرفين وصوت ثم نودي بدمشق وغيرها من كان على عقيدة ابن تيمية حل ماله ودمه (انتهى)  وعن تاريخ ابي الفدا في حوادث سنة ٧٠٥ : وفيها استدعي تقي الدين احمد بن تيمية من دمشق الى مصر وعقد له مجلس وامسك واودع الاعتقال بسبب عقيدته فانه كان يقول بالتجسيم « انتهى » .

وجاء في المنشور الصادر بحقه من السلطان : وكان الشقي ابن تيمية في هذه المدة قد بسط لسان قلمه ومد عنان كلمه وتحدث في مسائل القرآن والصفات ونص في كلامه على امور منكرات وأتى في ذلك بما انكره أئمة الاسلام وانعقد على خلافه اجماع العلماء الاعلام وخالف في ذلك علماء عصره وفقهاء شامه ومصره وعلمنا انه استخف قومه فأطاعوه حتى اتصل بنا انهم صرحوا في حق الله بالحرف والصوت والتجسيم « انتهى » . وعن كشف الظنون عن بعضهم انه بالغ في رد ابن تيمية حتى صرح بكفر من اطلق عليه شيخ الاسلام « انتهى » .

واما محمد بن عبد الوهاب فاقتفى هو واتباعه في ذلك اثر ابن تيمية كما اقتفى اثره في

زيارة القبور والتشفع والتوسل وغير ذلك وبنى على اساسه وزاد وقد اثبت ابن عبد الوهاب لله تعالى جهة الفوق والاستواء على العرش الذي هو فوق السماوات والارض والجسمية والرحمة والرضا والغضب واليدين اليمنى والشمال والاصابع والكف كلها بمعانيها الحقيقية من دون تأويل .

قال محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد الذي هو حق على العبيد على ما حكي عنه في باب قوله تعالى : « حتى اذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير » : العشرون اثبات الصفات خلافا للاشعرية المعطلة .

قال الشارح : الاشعرية الفرقة المنتسبة لابي الحسن الاشعري انكرت كثيرا من الصفات « منها » علو الله تعالى واستواؤه على عرشه باثنا عن خلقه ومحبته لعباده الصالحين ورحمته لهم ورضاه وغضبه وغير ذلك خلافا لما جاء عن رسول الله « ص » واصحابه وسائر السلف الصالحين ثم استدل على ذلك بالاحاديث فقال باب ما جاء في قوله تعالى : « وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة » (الآية) عن ابن مسعود رضي الله عنه جاء خبر من الاحبار الى رسول الله « ص » فقال يا محمد أنا نجد ان الله يجعل السماوات في اصبع والارضين في اصبع والشجر على اصبع والماء على اصبع والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع فيقول انا الملك فضحك النبي « ص » حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الخبر ثم قرأ : « وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة » (الآية) وفي رواية لمسلم والجبالي والشجر على اصبع ثم يهزن فيقول أنا الملك أنا الله . وفي رواية للبخاري : يجعل السماوات على اصبع والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع اخرجه ومسلم عن ابن عمر مرفوعا : يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون ثم يطوي الارضين السبع ثم يأخذهن بشلله ثم يقول أنا الملك اين الجبارون اين المتكبرون . وروى عن ابن عباس ما السماوات السبع والارضون السبع في كف الرحمن الا كخردلة في يد احدكم . وعن ابن مسعود بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة غام وبين كل سماء خمسمائة عام وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي والماء خمسمائة عام والعرش فوق الماء والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من اعمالكم اخرجه ابن مهدي وعن العباس بن عبد

المطلب رضي الله عنه قال رسول الله « ص » هل تدرون كم بين السماء والارض قلنا الله ورسوله اعلم قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكشف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة وبين السماء السابعة والعرش بحر بين اسفله واعلاه كما بين السماء والارض والله تعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه شيء من اعمال بني آدم اخرجته ابو داود وغيره وفيه مسائل : « الاولى » تفسير قوله تعالى (والارض جميعا قبضته يوم القيامة) « الثانية » ان هذه العلوم وامثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه « ص » لم ينكروها ولم يتأولوها « الثالثة » ان الخبر لما ذكر ذلك للنبي « ص » صدقه ونزل القرآن بتقرير ذلك « الرابعة » وقوع الضحك منه « ص » لما ذكر الخبر هذا العلم العظيم « الخامسة » التصريح بذكر اليمين وان السماوات في اليد اليمنى والارضين في الأخرى « السادسة » التصريح بتسميتها الشمال « انتهى » .

وهو صريح في اثبات جهة الفوق لله تعالى والاستواء على العرش الذي هو فوق السماوات والارض واثبات المحبة والرحمة والرضا والغضب واثبات اليدين والاصابع واليد اليمنى واليد الشمال والكف له تعالى كلها بمعانيها الحقيقية من دون تأويل ونسبة الاشعرية الذين يؤولونها الى التعطيل وهو عين التجسيم الذي اطبق المسلمون على كفر معتقده لاستلزامه التركيب والتحيز والوجود في جهة دون جهة وكل ذلك يستلزم الحدوث كما قرر في محله ويلزم من اثبات المحبة والرحمة والرضا والغضب بمعانيها الحقيقية وهي ميل القلب ورقته وعدم هيجان النفس وهيجانها كونه تعالى محلا للحوادث الموجب حدوثه كما علم من علم الكلام مع ان حديث حبر اليهود عليه لا له فان الضحك لم يكن لتصديق قول الخبر كما توهم بل للرد عليه فهو ضحك تعجب من نسبة ذلك اليه تعالى مع بطلانه في العقول ويدل عليه قراءته « ص » وما قدروا الله حق قدره أي ما قدروه حق قدره بنسبتهم اليه الجسمية والاعضاء .

واما اتباع محمد بن عبد الوهاب فاثبتوا لله تعالى جهة العلو والاستواء على العرش والوجه واليدين والعينين والنزول الى سماء الدنيا والمحيى والقرب وغير ذلك بمعانيها الحقيقية .

ففي الرسالة الرابعة من الرسائل الخمس المسمى مجموعها بالهدية السنية ^(١) لعبد اللطيف حفيد محمد بن عبد الزهاب عند ذكر بعض اعتقادات الوهابية وانها مطابقة لعبارة ابي الحسن الاشعري قال : وان الله تعالى على عرشه كما قال : « الرحمن على العرش استوى » وان له يدين بلا كيف كما قال : « لما خلقت بيدي بل يدها مبسوطتان » وان له عينين بلا كيف وان له وجها كما قال « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » وقال ^(٢) ويصدقون بالاحاديث التي جاءت عن رسول الله « ص » ان الله ينزل الى سماء الدنيا فيقول هل من مستغفر . « الى ان قال » ويقولون ان الله يحيي يوم القيامة كما قال : « وجاء ربك والملك صفا صفا » وانه يقرب من خلقه كيف شاء كما قال « ونحن اقرب اليه من حبل الوريد » . وفي الرسالة الخامسة لمحمد بن عبد اللطيف المذكور ^(٣) ونعتقد ان الله تعالى مستو على عرشه عال على خلقه وعرشه فوق السماوات قال تعالى « الرحمن على العرش استوى » فنؤمن باللفظ ونثبت حقيقة الاستواء ولا نكيف ولا نثل قال امام دار الهجرة مالك ابن انس وبقوله نقول ، وقد سأل رجل عن الاستواء فقال : الاستواء معلوم والكيف مجهول والايان به واجب والسؤال عنه بدعة . (الى ان قال) فمن شبه الله بخلقه كفر ومن جحد ما وصف به نفسه فقد كفر ونؤمن بما ورد من انه تعالى ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول الخ . (ونقول) : يلزم من ذلك احد امرين : التجسيم او القول بالمحال وكلاهما محال لان حصول حقيقة الاستواء مع عدم الكيف محال بحكم العقل ومع الكيف تجسيم فلا بد من التأويل والمجاز والقرينة العقل . ومنه تعلم ان الكلام المنسوب الى الامام مالك لا يكاد يصح وحسن الظن به يوجب الريبة في صحة النسبة اليه وذلك لان قوله الاستواء معلوم ان اراد انه معلوم بمعناه الحقيقي فهو ممنوع بل عدمه معلوم بحكم العقل باستحالة الجسمية عليه تعالى واستحالة الاستواء الحقيقي بدون الجسمية وان اراد بالمعنى المجازي فلا يصلح شاهدا لقوله : ثبتت حقيقة الاستواء ، ولا يكون السؤال عنه بدعة ولا يلزم الكيف حتى يقال انه مجهول . ثم كيف يكون السؤال بدعة والتصديق بالمجهول محال وان اراد انا نؤمن به على حسب المعنى الذي اراده الله تعالى منه وان لم نعلمه تفصيلا فان كان يحتمل انه اراد حقيقة الاستواء ففاسد لما عرفت من استحالته بحكم

(١) ص ٩٧ (٢) ص ٩٩ (٣) ص ١٠٥ طبع المنار بمصر .

العقل وان كان التردد بين المعاني المجازية فقط فاين حقيقة الاستواء التي اثبتناها . واذا كان قول الامام مالك عند هؤلاء قدوة وحجة في مثل هذه المسألة الغامضة فلم لم يقتدوا بقوله فيما هو اوضح منها واهون وهو رجحان استقبال القبر الشريف والتوسل بصاحبه عند الدعاء حسبما امر به مالك المنصور فيما مرت الاشارة اليه . « وكذا » الاعتقاد باليدين والعينين والوجه بدون الكيف فان كانت بمعانيها الحقيقية لزم اعتقاد المحال لاستحالة المعاني الحقيقية بدون الكيف ومع الكيف يلزم التجسيم فلا بد من المجاز والتأويل والقرينة حكم العقل . وكذا بانه تعالى ينزل الى سماء الدنيا ويحيي يوم القيامة ويقرب من خلقه ان كان بمعانيها الحقيقية لزم التجسيم فلا بد من المجاز والتأويل لعين ما مر . قوله : فمن شبه الله بخلقه كفر ، قلنا : اثبات حقيقة هذه الاشياء هي تشبيه له بخلقه فتكون كفرا لعدم امكان اثباتها بدون التشبيه كما عرفت . قوله : ومن جحد ما وصف به نفسه فقد كفر ، قلنا : جحود الصفة والاقرار بها حكم عليها والحكم على الشيء فرع معرفته فيلزم اولا ان نعرف ما اريد بهذا اللفظ هل هو معناه الحقيقي او المجازي لنعرف ما وصف به نفسه فنقر به واذا كانت المعنى الحقيقي يستحيل ارادته كما بينا فلا يكون مما وصف به نفسه فلا يكون جحوده كفرا .

ومن هنا تعلم فساد ما حكي عن محمود شكري الألوسي في تاريخ نجد من ان الوهابيين يقررون آيات الصفات والاحاديث على ظاهرها ويكلون معناها الى الله تعالى « انتهى » فان اقرارها على ظاهرها يناقض ايكال معناها الى الله كما هو واضح بل ايكالها الى تعالى عبارة عن التوقف وعدم الحكم ببقائها على ظاهرها

اما قول عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية ^(١) انه لا يلزم ان نكون مجسمة وان قلنا بجهة العلولان لازم المذهب ليس بمذهب فيه ان كون لازم المذهب ليس بمذهب ان صح فمعناه ان من ذهب الى القول بشيء لا يجب ان يكون قائلًا بل لازمه الا انه اذا كان هذا اللازم باطلا كان ملزومه الذي ذهب اليه باطلا

لأن بطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم والا لبطلت الملازمة فمن قال بجهة العلو وان لم يقل بالتجسيم الا انه لازم قوله فاذا كان التجسيم باطلا فالقول بجهة العلو خطأ وباطل مع انك قد عرفت آنفا ان قدوتهم ومؤسس ضلالهم ابن تيمية قد صرح بالجسمية وكفره علماء عصره لذلك وحكموا بقتله او حبسه وان مؤسس مذهبهم ابن عبد الوهاب اقتدى بابن تيمية في ذلك فاثبت اليمين والشمال والاصابع والكف وهم على طريقته لا يحيدون عنها قيد أنملة فلا ينفعهم التبري من القول بالتجسيم

اعتقاد الوهابيين في النبي «ص» وسائر الانبياء

والصالحين وقبورهم

اعتقادهم في النبي (ص) ان الاستغاثة به وطلب الشفاعة منه الى الله والتوسل به اليه بقول يا رسول الله او يا رسول الله اشفع لي او اتوسل بك الى الله والتبرك بقبره والصلاة والدعاء عنده وتعظيمه كل ذلك شرك وكفر وعبادة للاصنام والاثاث موجبة لحل المال والدم وانه يحرم السفر لزيارته ويجب هدم ضريحه وقبته ويحرم التبرك بتربته ولس ضريحه وتقيله وان ضريحه صنم من الاصنام ووثن من الاوثان بل هو الصنم الاكبر والوثن الاعظم وكذلك سائر الانبياء والصالحين ، وفي خلاصة الكلام : «^(١) يمكن محمد بن عبد الوهاب يقول عن النبي «ص» انه طارش ، وان بعض اتباعه كان يقول : عصاي هذه خير من محمد لانه ينتفع بها في قتل الحية ونحوها ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع وانما هو طارش ومضى ، وكان يقال ذلك بحضرته او يبلغه فيرضى وكان يقول : وجدت في قصة الحديدية كذا كذا كذبة » انتهى »

اعتقادهم في عموم المسلمين

واعقادهم في عموم المسلمين انهم كفروا بعد ايمانهم واشركوا بعد توحيدهم او انهم كفار بالكفر الاصلي بل شر من الكفار فيجب قتالهم وتحل دماؤهم واموالهم ، وعلى بعض الأقوال : تسترق ذراريهم ، وهذا الكفر والشرك حصل منهم منذ ستائة سنة قبل ابن عبد الوهاب ، على ما في خلاصة الكلام ، وانهم ابدعوا في دين الاسلام . هذا محور مذهب الوهابية الذي يدور عليه

اما كفرهم وشركهم فبعبادتهم الانبياء والصالحين بل وغير الصالحين ممن يعتقدون فيهم الولاية وهم من فسقة الناس وعبادتهم قبورهم فكانوا بذلك كمشركي قريش وغيرهم الذين عبدوا الاصنام والاثاث من الاحجار والاشجار وغيرها وعبدوا الملائكة والجن ، كالنصارى الذين عبدوا المسيح وامه ، وذلك باستغاثتهم بالاموات ودعائهم لكشف الملهمات والاهتاف بأسمائهم والتشفع بهم الى الله بقول: يا رسول الله اسألك الشفاعة ونحو ذلك ، والنذر والذبح لهم وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها وعمل الاضرحة لها ووضع الجوخ وغيره عليها وعمل الستور لها واسراجها وتخليقها والعكوف عليها كما كان المشركون يعكفون على اصنامهم ، والنذر لها وتزيينها بالقناديل والذهب والفضة وغيرها وجعل الخدمة والسدنة لها وعمل أعياد ومواسم لها وتقبيلها والطواف حولها والتمسح بها واخذ ترابها تبركا والصلاة عندها واتخاذها مساجد وشد الرحال اليها وكتب الرقاع عليها ونحو ذلك ، فان ذلك كله عبادة لها ولاهله . وصرف شيء من انواع العبادة لغير الله كصرف جميعها موجب للشرك والكفر

وفرعوا على ذلك وجوب هدم قبور الانبياء والصالحين والقباب المبنية عليها وعدم جواز تعميرها وتعليق المعلقات فيها والوقف عليها بل هو باطل ، وعدم جواز لمسها والتبرك بها والصلاة والدعاء عندها وايقاد السرج عليها وغير ذلك

وقسموا التوحيد الى توحيد الربوبية وهو الاعتقاد بان الخالق الرازق المدبر للأمر هو الله . وتوحيد العبادة وهو صرف العبادة كلها الى الله . قالوا ولا ينفع الاول بدون الثاني لأن مشركي قريش كانوا يعتقدون بالاول فلم ينفعهم لعدم اقرارهم بالثاني ، كذلك المسلمون لا ينفعهم الاقرار بتوحيد الربوبية لعبادتهم الانبياء والصالحين وقبورهم بنفس الاشياء التي كان المشركون يعبدون اصنامهم بها

وقالوا : الكفر نوعان مطلق ومقيد فالمطلق ان يكفر بجميع ما جاء به الرسول «ص» والمقيد ان يكفر ببعضه وهو كفر المسلمين الذين هم باعتقادهم مشركون ، وقسموا الشرك الى قسمين : اكبر واصغر فالاكبر هو الذي تقدم والاصغر كالرياء والحلف بغير الله تعالى

وفرع الوهابية على هذا الاعتقاد الذي اعتقدوه من اشراك جميع المسلمين : وجوب

قتالهم واستحلال دماءهم وجعل بلادهم دار حرب وقتالهم جهاداً في سبيل الله وبلادهم بلاد شرك تجب الهجرة منها الى بلاد الاسلام التي اهلها وهابية موحدون كما كانت هذه الأشياء ثابتة في حق عبدة الاوثان والاصنام . قال محمد بن عبد الوهاب في رسالة ثلاثة الأصول (١) : والهجرة فريضة على هذه الامة من بلد الشرك الى بلد الاسلام وهي باقية الى ان تقوم الساعة النخ

اما سبي ذراري المسلمين فهو مقتضى قواعد المذهب الوهابي الذي اساسه ومبناه ومحوره الذي يدور عليه التسوية بين عبدة الاصنام وبين المسلمين في الاشرار بالعبادة ، وقد صرح الصنعاني في تطهير الاعتقاد في عدة مواضع بما يدل على ذلك حيث قال : (٢) ومن فعل ذلك (اي الاستغاثة وما يجري مجراها) لخلق فهذا شرك في العبادة وصار من تفعل له هذه الامور لها لعابديه وصار الفاعل عابداً لذلك المخلوق وان اقر بالله وعبدته فان اقرار المشركين بالله وتقريهم اليه لم يخرجهم عن الشرك وعن وجوب سفك دماءهم وسبي ذراريهم ونهب اموالهم .

وقال في موضع آخر : (٣) فمن رجع واقر حقن عليه دمه وماله وذراياه ومن اصر فقد اباح الله منه ما اباح لرسول الله (ص) من المشركين « انتهى » . ويدل عليه ما حكاه الجبرتي في تاريخه في حوادث سنة ١٢١٧ كما تقدم نقله عنه في بعض الحواشي السابقة : انهم لما دخلوا الطائف قتلوا الرجال واسروا النساء والاطفال . قال : وهذا دأبهم مع من يحاربهم . وعن كتاب التوضيح لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب انه قال : واباح لأهل التوحيد اموالهم ونساءهم وان يتخذوهم عبيداً « انتهى » .

ومر عن تاريخ الامير حيدر ان الوهابيين في بعض حروبهم سبوا النساء وقتلوا الاطفال ، ولكن في الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية (٤) : وبما نحن عليه انا لا نرى سبي العرب ولم نفعله نقاتل غيرهم « كذا » ولا نرى سبي النساء والعبيان « انتهى » وهذا مناقض لقواعد مذهبهم ولما سمعت من كلام بعضهم ، والتناقض في كلامهم غير عزيز كما يظهر لك من تضاعيف هذا الكتاب .

(١) صفحة (٢) ٧ (٣) صفحة ١٢ طبع النار بمصر (٤) صفحة ٤٠ .

وأما ابداع المسلمين في الدين فباحداثهم اشياء فيه لم تكن على عهد النبي « ص »
والصحابه . وقالوا : البدعة وهي ما حدثت بعد القرون الثلاثة (اي قرن النبي « ص »
وما بعده) مذمومة مطلقاً . ذكره حفيد ابن عبد الوهاب في احدى رسائل الهدية
السنية ^(١) وذلك مثل المحارب الاربعة في المساجد للائمة الاربعة وجعل اربعة أئمة للصلاة
من اهل المذاهب الاربعة والترقيم والتذكير الذي يفعل في المآذن ليلة الجمعة ويومها وليلة
الاثنين وبين الاذان والاقامة وقبل الفجر ^(٢) ورفع الصوت في مواضع الاذان كالمناثر بغير
الاذان من قرآن أو صلاة على النبي « ص » أو ذكر بعد اذان أو في ليلة جمعة أو رمضان أو
العيدين وقراءة حديث ابي هريرة قبل خطبة الجمعة والاجتماع على قراءة سيرة المولد
الشريف النبوي وقراءة المولد النبوي بقصائد بالحن وتخلط بالصلاة عليه وبالاذكار
والقراءة وتكون بعد التراويح والتظاهر باتخاذ المسابح والاجتماع على رواتب المشايخ
برفع الصوت وقراءة الفواتح كراتب السمان والحداد وغيرها وقراءة الفواتح للمشايخ بعد
الصلوات الخمس وكصلاة الخمسة الفروض بعد آخر جمعة من رمضان ورفع الصوت بالذكر
عند حمل الميت وعند رش القبر بالماء وكاتخاذ الطرائق وتعليق الاسلحة والبيارق في التكايا
والزوايا وعمل الذكر المتعارف ونقر الدفوف وما يتخلل ذلك من الشيق والنهيق والنميق
وتكرار لفظ الجلالة (الله الله) وغير ذلك .

واحرق الوهابية دلائل الخيرات بدعوى اشتغالها على البدعة أو الشرك . وفي خلاصة
الكلام : ^(٣) ان محمد بن عبد الوهاب كان ينهى عن الاتيان بالصلاة على النبي « ص » ليلة
الجمعة وعن الجهر بها على المنابر وانه قتل رجلا اعمى كان مؤذناً صالحاً ذا صوت حسن نهاه
عن الصلاة على النبي « ص » في المنارة بعد الاذان فلم ينته فأمر بقتله فقتل . ثم قال : ان
الربابة في بيت الخاطئة اقل اثماً ممن ينادي بالصلاة على النبي « ص » في المناثر « انتهى » وذلك
لان الربابة في بيت الخاطئة لا يتجاوز اثمها صاحبها اما الصلاة على النبي « ص » بتلك
الكيفية فهي بزعمه بدعة فيتعدى اثمها لكل من يقتدي بفاعلها .
(ونقول) : البدعة كما مر في المقدمات ادخال ما ليس من الدين في الدين كإباحة محرم

« ١ » ص ٤٧ « ٢ » وهذا جاء في سؤال ابن بليد الموجه الى اهل المدينة كما يأتي « ٣ » ص ٢٣ .

- المؤلف -

أو تحريم مباح أو إيجاب ما ليس بواجب أو نذبه أو نحو ذلك سواء كانت في القرون الثلاثة أو بعدها وتخصيصها بما بعد القرون الثلاثة لا وجه له ، ولو سلمنا حديث . خير القرون قرني الخ فان اهل القرون الثلاثة غير معصومين بالاتفاق وتقسيم بعضهم لها الى حسنة وقبيحة أو الى خمسة اقسام ليس بصحيح بل لا تكون الا قبيحة . ولا بدعة فيما فهم من اطلاق ادلة الشرع أو عمومها أو فحواها أو نحو ذلك وان لم يكن موجوداً في عصر النبي «ص» فتقبل يد العالم أو الصالح أو الابوين بقصد التعظيم والاحترام تقرباً اليه تعالى جائز وراجع وان لم يكن ذلك في عصره «ص» ولا ورد فيه نص خاص فانه بعد ان صار نوعاً من التعظيم عادة وفهم من ادلة الشرع رجحان تعظيم المؤمن بوجه العموم يكون جائزاً وراجحاً ، وكذا القيام عند ذكر ولادة النبي (ص) او ذكر اسم رجل عظمه الشرع هو من هذا القبيل ما لم يكن التعظيم بفعل حرمة الشرع كالغناء وآلات اللهو والكذب في المدح ونحو ذلك . كما انه لا بدعة فيما فعل لا بقصد الخصوصية أو العبادة . ومنه يعلم عدم صحة الحكم بالبدعة في كل ما ذكره وصحته في البعض فرفع الصوت بالاشياء المذكورة لا مانع منه لعموم ادلتها أو اطلاقها وعدم تقييدها برفع الصوت ولا بخفضه خصوصاً اذا كان في رفع الصوت فائدة كالاعلان بذكر الله واتعاظ السامع ونحو ذلك ، نعم لو فعلت بقصد الخصوصية والورود كانت بدعة ، ودعوى ان السامع يتوهمها كذلك لا تسمع لان السامع عليه الفحص وسؤال أهل المعرفة وكذا التذكير والترحيم يشمل عموم ذكر الله ودعائه والترحم على المؤمنين والصحابه ونحو ذلك . وعد ذلك بدعة ، جمود وقلة فقه ، فلو ان رجلاً اصطاح على ان يصلي على النبي «ص» عند طلوع الشمس عشر مرات أو ان يكبر بعد العصر سبعين مرة مثلاً او نحو ذلك ولم يقصد ان هذا مأمور به بخصوصه لم يكن مبدعاً في الدين بعد دلالة الادلة الشرعية بعمومها أو اطلاقها على استحباب الصلاة على النبي «ص» في أي وقت كان واستحباب ذكر الله بالتكبير وغيره . ولو فرضنا انه يلزم فعل العبادات بجميع الخصوصيات التي كان يفعلها النبي «ص» بها ولا يجوز فعلها بدونها بل تكون بدعة لكأن الصلاة بالطربوش او الشال الهندي أو البنطلون أو العقال والمنديل بدعة ، ولكأن الخطبة في الجمعة والعيمين بدون قلنسوة بدعة اذا فرض انه «ص» كان يفعلها متقلناً ، وبقلنسوة بيضاء بدعة اذا فرض انه كان يفعلها بقلنسوة حمراء مثلاً ، وهكذا ، وهذا لا يقول به من عنده ادنى معرفة

بأدلة الشرع . وكأنهم منعوا الترحيم الذي يقال فيه يا ارحم الراحمين ارحمنا بجاه فلان لأن ذلك عندهم من التوسل الموجب للكفر ، وستعرف فسادة . والالتزام بقراءة حديث فيه فائدة امام خطبة الجمعة لا ضرر فيه ان لم يفعل بقصد الورود . والاجتماع على قراءة سيرة المولد الشريف فيه تعظيم للنبي « ص » واستبشار بخبر ولادته التي كانت سبباً لسعادتنا الابدية فيشملة عموم ما دل على رجحان ذلك ، وقراءة المولد مع قصائد وصلاة عليه لا مانع منها ان لم تشتمل على الفناء المحرم لعموم الأدلة ، والتظاهر بحمل المسابح لا محذور فيه لما فيها من الفوائد من عد الاذكار الموظفة بعدد خاص فتكون كما ورد من العد على النوى الذي اشار اليه صاحب المنار في الحاشية . وقوله في الحاشية : أي اتخاذها شعاراً يوم انه مطلوب شرعاً ، مردود بانه لا يوم ذلك عند ذي المعرفة ، وغيره لا يضرنا وهمه ولا يلزمنا دفعه ولا يصير فعلنا بدعة بسببه ، وقراءة الفواتح للمشايخ بعد الصلوات يراد بها اهداء الثواب اليهم فيعمها ما دل على جواز اهداء الثواب للميت واختيار اوقات الصلاة لأنها افضل فيزداد الثواب . ومن ذلك تعلم ان قوله : فالربابة الخ مع ما فيه من سوء الادب العظيم مبني على ما هو فاسد من كون رفع الصوت في المنارة بالصلاة بدعة وقد عرفت فسادة ، وان الصلاة عليه (ص) مستحبة مطلقاً مع رفع الصوت وبدونه على المنارة وغيرها فيجوز مطلقاً الا ان يقصد وروده في الشرع بهذه الكيفية وهذا لا يقصده احد .

والحاصل ان ما ثبت استحبابه على وجه العموم اذا التزم بكيفية منه لا من باب الخصوصية لا يكون ذلك بدعة . اما المحاريب الاربعة والائمة الاربعة للصلوات الخمس فقد بينا في مقام آخر من هذا الكتاب انه لو كان بدعة لكانت المذاهب الاربعة بدعة ومع كونها سنة فلا بد ان يكون سنة .

اما اتخاذ الطرائق وما يتبعها مما عدوه الى الشيق والنهيق والنعيق وتكرار الجلالة الذي يشبه في كثير من حالاته نبح الكلاب فنحن نوافقهم في انه من البدع القبيحة ومن تسويلات الشيطان .

ثم قال حفيد ابن عبد الوهاب في احدى رسائل الهدية السنية بعد كلامه السابق :

وأما ما لا يتخذ ديناً ولا قرينة كالقهوة وقصائد الغزل ومدح الملوك فلا تنهى عنه ويحل كل لعب مباح لأن النبي (ص) أقر الحبشة على اللعب يوم العيد ويحل الرجز والحداء وطبل الحرب ودف العرس وقد قال (ص) : بعثت بالحنيفية السمحة لتعلم يهود أن في ديننا فسحة (انتهى) .

وهنا نشكر للوهابية تسامحهم وتساهلهم في تحليل الأشياء المذكورة وعدم عدمها كفرة أو شركاً أو تحريمهم لها أو عدها بدعة كما حرموا التدخين وعاقبوا عليه وكما توقفوا في (التلغراف) كما مر وإذا كانوا يعلمون أنه (ص) بعث بالحنيفية السمحة فما بهم يضيّقون على العباد في الأمور الاجتهادية التي ليست من ضروريات الدين مع تجويزهم الاجتهاد ومخالفة جميع المذاهب الأربعة واعتقادهم أن الخطيء في اجتهاده مأجور . وتحريم التدخين ليس من ضروريات الدين ولم يرد فيه نص ولم يكن في زمن النبي (ص) وحاله حال القهوة التي يشربونها وصرحوا بحليتها فإن كان تحريم الدخان لعدم النص فالقهوة كذلك وإن كان للأضرار فلا يحرم على من لا يعتقد الضرر وإن كان للأسراف فالمدخنون يرتاحون إليه ويستعينون به على التسلي وتصفية الفكر وإن كان لأنه من الخبائث فليس بأكول ولا مشروب حتى يعمه تحريم الخبائث لأن إضافة التحريم إلى الأعيان على حذف الفعل المناسب ، فحرمت الخمر أي شربها ، والميتة أي أكلها ، وامهاتكم أي نكاحها ، والخبائث أي أكلها وشربها وغير ذلك . على أن الخبائث مجملة فما شك في دخوله فيها بقي على إصالة الحل . وبعد ذلك كله فالمجتهد في حلية التدخين ليس لنا معارضته أصاب أو أخطأ لأنه معذور وكذا كل ما ينقمونه على المسلمين لا يخرج عن أمور اجتهادية ليست ضرورية فكيف ساغ لهم معارضة المسلمين فيها بالسيف والسنان . وجعل الوهابية حالهم في الدعاء إلى مذهبهم وإلى تجديد التوحيد ورفع البدع حال رسول الله (ص) والأنبياء قبله في الدعاء إلى الإسلام والتوحيد فكما جاءت الأنبياء لتلزم الناس بالتوحيد وتمنعها من الشرك وترفع من بينها البدع وكما دعا النبي (ص) مشركي قريش ومن ضارعه من عبادة الأوثان إلى إخلاص التوحيد واستحل دم ومال من أبى ، فالوهابيون يدعون جميع المسلمين الذين هم جميعاً عندهم من عبدة الأوثان إلى إخلاص التوحيد وترك الشرك والبدع ومن أبى ولم يتوهب حل ماله ودمه كما حل مال ودم عبدة الأصنام ومشركي قريش في زمن

النبي (ص) . صرح بذلك محمد بن عبد الوهاب في كشف الشبهات وصرح به محمد بن اسماعيل الصنعاني في تطهير الاعتقاد كما سيأتي عند نقل كلامهما وغيرهما .
والحاصل ان حكم الوهابيين بكفر جميع المسلمين وشركهم هو اساس مذهبهم ومحوره الذي يدور عليه لا يتحاشون منه وكتبهم مشحونة بالتصريح به تصريحاً لا يقبل التأويل بل صرح محمد بن عبد الوهاب في رسالتي اربع القواعد وكشف الشبهات كما سيأتي بان شرك المسلمين اغلظ من شرك عبدة الاصنام لأن اولئك يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة وهؤلاء شركهم دائم في الحاليتين ولأن اولئك يدعون مع الله اناساً مقربين عنده واشجاراً واحجاراً غير عاصية وهؤلاء يدعون معه اناساً من افسق الناس ، وصرح بذلك الصنعاني في رسالة تطهير الاعتقاد في عدة مواضع بل صرح في تلك الرسالة كما ستعرف بأن كفر المسلمين اصلي لا كفر ردة . وصرح بالتكفير بجملة مما كفر به الوهابية غيرهم ابن تيمية في رسالتي الواسطة وزيارة القبور كما ستعرف ومنه اخذ الوهابية تكفير المسلمين وعلى اساسه بنوا وزادوا وصرح بذلك ايضاً الوهابية في عدة مواضع من رسائل الهدية السنية الخمس وغيرها وصرح به عبد اللطيف حفيد ابن عبد الوهاب فيما حكاه عنه الالوسي في تاريخ نجد . وقد اطلق محمد بن عبد الوهاب في رسالة كشف الشبهات اسم الشرك والمشركين على عامة المسلمين عدى الوهابيين فيما يزيد عن اربعة وعشرين موضعاً واطلق عليهم اسم الكفر والكفار وعباد الاصنام والمرتدين والمنافقين وجاحدي التوحيد واعداؤه واعداه الله ومدعي الاسلام واهل الباطل والذين في قلوبهم زيغ والجهال والجهلة والشرطاين وان جهال الكفار عبدة الاصنام اعلم منهم وان ابليس امامهم ومقدمهم الى غير ذلك من الالفاظ الشنيعة فيما يزيد عن خمسة وعشرين موضعاً^(١) واطلق عليهم الصنعاني في تطهير الاعتقاد اسم الشرك فيما يزيد عن ثلاثين موضعاً واطلق عليهم اسم الاحاد والكفر والكفر الاصلي وانهم عبدوا غير الله وزادوا على عبادة الاصنام وانهم مثل اصحاب مسيلمة والسبائية واليهود والخوارج واهل الجاهلية فيما يزيد عن خمسة عشر موضعاً واطلق اسم الاله والصنم والوثن والند لله على من يستغيثون ويتبركون به في نحو من عشرة مواضع^(٢)

«١» راجع صفحاتها من صفحة ٥٧ الى ٧٢ تجد في كل منها شيئاً كثيراً من ذلك «٢» راجع صفحة

واطلق اصحاب الهدية السنية على المسلمين اسم الشرك والاشراك والشرك بالله والشرك
الاكبر واعظم الشرك والشرك الوخيم ومتخذي الشريك والشرك الموجب لحلية المال والدم
والمشركين والمشركات واقبح المشركين وانهم مشركون شاؤا او ابوا وان شركهم اقبح
واشنع ممن قالوا : اجعل لنا ذات انواط ، واعظم واكبر من شرك الذين اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا ، وان الوهابيين لما جاؤا الى مكة عبد الله وحده ، فيما يزيد عن ستين
موضعا ، واسم الكفر والكفار وانهم كاليهود والنصارى والسبائية وعباد الملائكة والشمس
والقمر والقائلين اجعل لنا ذات انواط بل شر منهم وعباد اللات والعزى وعباد الاصنام
والاوثان وان ما هم عليه هو دين الجاهلية ، فيما يزيد عن عشرين موضعا ، ووصفهم بعبادة
غير الله فيما يزيد عن عشرة مواضع وسعوا من يتوسل ويتبرك بهم المسلمون وبقبورهم
بالاصنام والاوثان والانداد لله فيما يزيد عن اثني عشر موضعا^(١) وسنقل في تضاعيف ما
يأتي جملة من كلماتهم الصريحة في ذلك . واطلق حفيد ابن عبد الوهاب على المسلمين اسم
الكفر في ثلاثة مواضع ، والشرك في اربعة ، ومدعي الاسلام وانهم يحبون مع الله محبة
تأله وانهم شر من جاهلية العرب وان شركهم اشد واشنع واكبر من شركها وانه لم يبلغ
شرك الجاهلية الاولى شركهم ، ونسبهم الى الفساد وانهم من اجهل الخلق واضلهم
وخارجون عن الاسلام وعابدون لغير الله وخارجون عن الملة ، الى غير ذلك من الالفاظ
الشنيعه . وفي القصائد الملحقة بالهدية السنية تصريح بذلك في عدة مواضع يطول
الكلام بنقلها .

وفي خلاصة الكلام^(٢) كان محمد بن عبد الوهاب اذا اتبعه احد وكان قد حج حجة
الاسلام يقول له حج ثانياً فان حجتك الأولى فعلتها وانت مشرك فلا تقبل ولا تسقط عنك
الفرض واذا اراد احد الدخول في دينة يقول له بعد الشهادتين اشهد على نفسك انك كنت

(١) راجع الهدية السنية ص ١٠ الى ١٥ و ١٩ و ٢٠ و ٢٢ الى ٢٨ و ٣٠ الى ٣٤ و ٣٦ و
٣٧ و ٤١ و ٤٢ و ٤٥ و ٥٣ و ٥٥ الى ٥٧ و ٥٩ و ٦١ الى ٦٣ و ٦٥ و ٨٦ الى ٩٣ و ٩٥
و ١٠٢ الى ١٠٥ و ١٠٧ ويوجد مواضع غير هذه كثيرة يجدها المتتبع .

(٢) ص ٢٢٩ - ٣٣٠

كافراً وعلى والديك انها مائة كافرين وعلى فلان وفلان ويسمي جماعة من اكابر العلماء
الماضين انهم كانوا كفاراً فان شهد قبله والا قتله وكان يصرح بتكفير الامة منذ ستائة سنة
ويكفر من لا يتبعه ويسميهم المشركين ويستحل دماءهم واموالهم « انتهى »

وفي خطبة سعود بمكة التي تقدمت تصريحات عديدة بان جميع من عداهم من المسلمين
هم مشركون وانما يصيرون مسلمين باتباعهم اياهم مثل قوله : ولم نزل ندعو الناس
للاسلام وجميع القبائل انما اسلموا بهذا السيف . وقوله : فاحمدوا الله الذي هداكم للاسلام
وانقذكم من الشرك وانا ادعوكم ان تعبدوا الله وحده وتقلعوا عن الشرك الذي كنتم عليه .
وقد صرح بذلك محمود شكري الألوسي في تاريخ نجد على ما حكي وهو غير متهم في حق
الوهابيين ، فقال : ان سعوداً غالى في تكفير من خالف الوهابيين وان علماء نجد وعامتهم
يسمون غاراتهم على المسلمين بالجهاد في سبيل الله « انتهى » . وقد صرح بذلك صاحب
المنار في مجموعة مقالاته (الوهابيون والحجاز)^(١) فقال : كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب
مجدداً للاسلام في بلاد نجد بارجاع اهله عن الشرك والبدع الى التوحيد والسنة على طريقة
شيخ الاسلام ابن تيمية « انتهى » واذا كان هذا اعتقاد صاحب المنار في المسلمين فما باله
يكرر في تلك المجموعة نداءه للمسلمين بقوله : ايها المسلمون ان الحجاز مهبط دينكم ايها
المسلمون الى متى انتم غافلون ايها المسلمون ان الله لا يهلك المسلمين الا بقتال بعضهم لبعض
ايها المسلمون حسبكم ما بينا لكم ، الى غير ذلك ، بل كان عليه ان يقول ايها المشركون
المدعون للاسلام فما باله لا يبالي بالتناقض في كلامه ولعله يريد بالمسلمين خصوص اهل
نخلته الوهابية .

ومع كل هذه التصريحات التي لا تقبل التأويل والتي نشاهد اعمال الوهابية موافقة لها
وسيرتهم عليها فانهم لا يفترون عن غزو المسلمين والهجوم عليهم في عقر ديارهم وقتلهم
وقتلهم كلما سنحت لهم فرصة وامكنتهم ذلك ومناداتهم بقول يا مشركون ، نرى بعض
الوهابيين واتباعهم كصاحب المنار يريدون التبري من هذا المعتقد وستره لما رأوا بشاعته
وشناعته وتقييح الناس له ونفورهم عنهم وتشنيعهم عليهم بسببه ، وهيئات .
فمن رام ستر ذلك والتبري منه صاحب الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية فانه

قال في تلك الرسالة ^(١) : واما ما يكذب علينا سترأ للحق وتلبساً على الخلق . الى ان قال : وانا نضع من رتبة نبينا «ص» بقولنا : النبي رمة في قبره وعصا احدنا انقع له منه . الى ان قال : وانا نكفر الناس على الاطلاق اهل زماننا ومن بعد الستمائة الا من هو على ما نحن عليه ومن فروع ذلك ان لا تقبل بيعة احد الا بعد التقرر عليه بانه كان مشركاً وان ابويه ماتا على الشرك بالله الخ فجميع هذه الخرافات جوابنا عنها سبحانه هذا بهتان عظيم فمن نسب الينا شيئاً من ذلك فقد كذب وافترى وان جميع ذلك وضعه علينا اعداء الدين واخوان الشياطين تنفيراً للناس عن الازعان باخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة وترك انواع الشرك الذي نص عليه بان الله لا يغفره ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء « انتهى » .

وتراه في نفس اعتذاره الذي حاول فيه انكار تكفير المسلمين صرح بتكفيرهم وتشريكهم بقوله : « تنفيراً للناس عن الازعان باخلاص التوحيد لله بالعبادة وترك انواع الشرك » فحكم على الناس بانهم مشركون بشرك العبادة ، وان من ينسب الى الوهابية هذه الأشياء يريد تنفير الناس عن التوحيد وترك الشرك فكان بهذا الاعتذار شبيهاً بما يحكى ان رجلاً قال لأعجمي لماذا تقلبون الذال زايماً والقاف غيناً فقال (كزب الزبي يقول ذلك) ، وبما يحكى ان عالماً قال لبعض امراء الحرافشة : ان اهل هذه القرية يسبون الدين فهرم بترك ذلك ، فامر الامير مناديه ان ينادي : (يا اهل القرية اتركوا مسبة الدين ومن سب منكم الدين فالأمير يحرق دينه ودين دينه) . وهؤلاء يصرحون بان التوحيد لا يتم الا بتوحيد العبادة وان الناس مشركون وغير موحدين بتوحيد العبادة وان الذي احل دماء المشركين في زمن النبي «ص» واموالهم ودماءهم وسبي ذرارهم هو شركهم في العبادة وان المسلمين مثلهم بلا فرق . ومع ذلك يقولون : من نسب الينا انا نكفر الناس فقد كذب وافترى هذه خرافات هذا بهتان عظيم ومن نسب الينا انا نلزم المباحيع الشهادة على نفسه وابويه بالشرك فقد كذب وافترى واتى بالخرافة والبهتان العظيم . هل هذا الا التناقض الذي لا يرضى به لنفسه عاقل . ومن نسب الينا انا نكفر الناس فقد كذب وافترى وقصد بافترائه تنفير الناس عن الرجوع عن شركهم الى اخلاص التوحيد . فهذا

هو الاعتذار الذي وضع صاحب المنار فوقه الخطوط المستطيلة ليكون عذر الوهابية بارزاً جلياً للأنظار. ومن يكون أساس مذهبهم ومحوره الذي يدور عليه كفر المسلمين وشرهم واستغلال اموالهم ودمائهم وسبي ذرارهم. وكتبهم مشحونة بالتصريح بذلك وقد طبع منها الألوف ، الا يخرجون من انكاره والتبري منه بعبارة هي اقرار به ولئن صح عنهم قولهم عن النبي «ص» انه طارش ومضى وانه رمة في قبره وعصا احدنا انفع له منه أو لم يصح ، فجعلهم قبر النبي «ص» وثناً وتعظيمه والتبرك به شركاً ومنعهم من زيارته أو من شد الرحال اليها وغير ذلك لا يقصر عن هذا القول ومعتقده لا يستبعد منه قول ذلك . ومن رام ستر ذلك والتملص منه عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب فانه قال في الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية ^(١) : فان قال منفر عن قبول الحق : يلزم من قطعكم ان من قال يا رسول الله اسألك الشفاعة ، انه مشرك مهذور الدم ، ان يقال بكفر غالب الأمة لا سيما المتأخرين لتصريح علماءهم ان ذلك مندوب وشنوا الغارة على المخالف . قلت لا يلزم لأن لازم المذهب ليس بمذهب كما لا يلزم ان نكون مجسمة وان قلنا بجهة العلو ، ونقول فيمن مات : تلك امة قد خلت ولا نكفر الا من بلغته دعوتنا وقامت عليه الحجة وأصر مستكبراً معانداً كغالب من نقاتلهم اليوم وغير الغالب انما نقاتله لمناصرته لمن هذه حاله ونعتذر عن مضى بأنهم مخطئون معذورون والاجماع في ذلك ممنوع قطعياً ومن شن الغارة فقد غلط ولا بدع فقد غلط من هو خير منه عمر بن الخطاب في مسألة المهر فلما نبهته المرأة رجع بل غلط الصحابة والنبي بينهم فقالوا اجعل لنا ذات انواط . ثم قال : فان قلت هذا فيمن ذهل فلما نبه انتبه ، فكيف بمن حرر الأدلة وعرف كلام الأئمة واصر حتى مات ؟! قلت : ولا مانع ان نعتذر له ولا نقول بكفره لعدم من يناضل في هذه المسألة في وقته بلسانه وسيفه وسانه فلم تقم عليه الحجة بل الغالب على زمن المؤلفين المذكورين التواطؤ على هجر كلام أئمة السنة في ذلك رأساً ، ومن اطلع عليه اعرض عنه ، ولم تزل اكابرهم تنهي اصاغرهم عن النظر في ذلك ، وقد رأى معاوية واصحابه منابذة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وقتاله وهم مخطئون بالاجماع واستمروا على الخطأ حتى ماتوا ، ولم يكفرهم احد من السلف ولا فسقهم بل اثبتوا لهم اجر الاجتهاد.

ولا نقول بكفر من صحت ديانتته وشهر صلاحه وورعه وزهده وبذل نفسه لتدريس العلوم النافعة والتأليف فيها وان اخطأ في هذه المسألة كابن حجر الهيثمي فانا نعرف كلامه في الدر المنظم ^(١) ونعتني بكتبه ونعتمد على نقله .

اقول : اعتذاره عن لزوم تكفير غالب الأمة بل كلها عدى الوهابيين بان لازم المذهب ليس بمذهب فذهابهم الى ان من قال : يا رسول الله اسألك الشفاعة مشرك مهذور الدم وان لازم منه تكفير غالب الأمة لا سيما المتأخرين المصريحين بانه مندوب الا انهم لا يقولون بهذا اللازم ، غير صحيح : (اولاً) مخالفتهم لتصريحاتهم التي لا تقبل التأويل . (ثانياً) ان تكفير غالب الأمة ليس بلازم المذهب بل هو عين المذهب فان مذهبه ان كل من توسل أو تشفع بمخلوق فقد اشرك فإذا كان المسلمون يفعلون ذلك فمذهبه انهم مشركون بطريق الصراحة ودلالة المطابقة لا بطريق اللزوم ، وقياسه على مسألة التجسيم ان صحت قياس مع الفارق ، فالقائل بجهة العلو لا يصرح بالتجسيم لكن يلزم من جهة العلو الجسمية ولكن لا يلزم ان يكون القائل بجهة العلو قائلًا بالتجسيم لجواز ان يعتقد الشخص شيئاً ولا يعتقد بلازمه بل اذا سئل عن لازمه يبرأ منه ولذلك لم يكن لازم المذهب مذهباً بخلاف ما نحن فيه اذ مذهب الوهابية ان المتشفع والمتوسل بغير الله مشرك ، وهذا شامل بوجه العموم والدلالة المطابقة لمن يقول يا رسول الله اشفع لي لا بوجه الملازمة ولا يمكن الجمع بين القول بان من تشفع بغير الله مشرك ومن قال يا رسول الله اشفع لي ليس بمشرك بل هو تناقض صريح محال بخلاف الجمع بين القول بجهة العلو والقول بعدم الجسم فانه ممكن واقع .

وان ارادوا انهم لا يكفرون من يعتقد رجحان التشفع اذا لم ينطق به ، ففيه اولا انه اذا كان سؤال الشفاعة كفراً وشركاً لازم ان يكون معتقد جوازه كافراً مشركاً وان لم يتلفظ بالسؤال فهو كمن يعتقد جواز السجود للصنم وان لم يسجد . والكفر كما يكون بالاعمال يكون بالاعتقاد . ثانياً : ان هذا لو سلم لا ربط له بمسألة كون لازم المذهب ليس

(١) اسم كتابه الجوهر المنظم في زيارة قبر النبي المكرم لا الدر المنظم فالظاهر انه وقع سهو في ابدال احدهما بالآخر وهذا الكتاب هو الذي يرد فيه على ابن تيمية ويذمه باقبح الذم وسيأتي نقل كلامه فيه في فصل زيارة القبور وهو الذي أشاروا اليه بقولهم فانا نعرف كلامه الخ - المؤلف -

بمذهب . ثالثاً : انه لا يوجد بين المسلمين من لم يقل طول عمره يا رسول الله أسألك الشفاعة ولم يهتف باسمه ولم يستغث ولم يتوسل به ولم يفعل شيئاً مما يروونه كفراً وشركاً بل اعتقد جوازه فقط ولم يفعله ، وهم قد قطعوا بأن من قال ذلك مشرك مهدور الدم كما صرحوا به في نفس السؤال ، فقد قطعوا بأن جميع المسلمين مشركون مهدورة دماؤهم ، ولم ينفع هذا الاعتذار مهما اكثر صاحب المنار فوقه من الخطوط المستطيلة ليزيد في ظهوره للابصار وجلوته للانظار .

اما تقييده التكفير ببلوغ الدعوة الوهابية وقيام الحجة مع الاصرار مستكبراً معانداً فهو مخالف لما ذكره ابوه وغيره كما عرفت من اطلاق اسم الكفر والشرك والارتداد ونحو ذلك على عامه المسلمين من دون تقييد بذلك في مواضع تنبؤ عن الحصر بل عرفت تصريح الصنعاني احد مؤسسي مذهبهم بأن كفر المسلمين اصلي لا ارتدادي ، وكل ذلك مبطل لهذا العذر الواهي ، وجميع الوهابيين لا يخاطبون المسلمين الا بقولهم يا مشرك من غير نظر الى قيام الحجة على المخاطب وعدمه ، وسمعت بعض النجديين في مجلس صديقنا الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي يحضر صديقنا الشيخ عبد الرزاق البيطار يقول : قرر الاخوان ان لا يخاطبوا احداً الا بقول يا مشرك حتى لو اراد احدهم شراء لبن بعشر بارات فعليه ان يقول يا مشرك اعطني لبناً بعشر بارات ، فمع كل هذه التصريحات لا ينفع هذا الاعتذار عن الوهابيين شيئاً . اما اعتذاره عن مضي بانهم مخطئون معذورون لعدم بلوغ الدعوة لهم وتنظيره بغلط عمر في المهر والصحابة في ذات انواط : ففيه ان معتقد الكفر والشرك غير معذور لقيام الحجة عليه من العقل والنقل قبل ان يخلق الله الوهابيين ولو كان معذوراً لعذر عبدة الاصنام من اهل الجاهلية الذين ماتوا في الفترة ولم يقل احد بعذرهم مع ان بلوغ الدعوة المعتبر انما هو بلوغ الدعوة النبوية الى التوحيد وترك عبادة الاوثان وهذا قد حصل ومع ذلك فقد بقي المسلمون مصرين على عبادة الاوثان بقولهم : نسألك الشفاعة يا رسول الله ، وجهلهم بانه شرك لا يكون عذراً كجهل من عبد الاصنام بعد الاسلام ، والمجتهد معذور مثاب وان اخطأ في الفروع لا في الاصول . ومن ذلك يظهر بطلان التنظير بغلط عمر في المهر لانه في مسألة فرعية لا في مسألة اعتقادية توجب الشرك واما التنظير بغلط الصحابة وبينهم النبي (ص) في ذات انواط فنقول لو لم يرجعوا عن ذلك

لاشركوا فبطل التنظير . واما اعتذاره عن عدم كفر من حرر الادلة وعرف كلام الأئمة ومات مصرأ : بأنه لم يكن في زمانه وهابية يناضلون باللسان والسيف والبنادق ، فلم تقم عليه الحجة ، فغير صحيح لما عرفت من انه يكفي في قيام الحجة ادلة الشرع من العقل والنقل بعد ما اكمل الله الدين واتم الحجة قبل خلق الوهابية ثم ان هؤلاء المسلمين الذين يكفروهم الوهابية ويشركونهم ، يعتقدون ان حججهم اقوى من حجج الوهابية وان الوهابية مخطئون وكلهم يقولون لو ظهر لنا صحة اقوال الوهابيين لاتبعناها فكيف قامت عليهم الحجة وبقوا مصرين معاندين ، اللهم الا ان تكون حجة السيف والرصاص (وآية السيف تمحو آية القلم) ، وليس مع الوهابية معجز تقوم به الحجة كما كان مع الانبياء ولو كانت الحجة تقوم باللسان والسنان لما احتاج الأنبياء الى المعجز كما لم يحتاج اليه الوهابية ، ولو كانت الحجة لا تقوم الا بالسيف والسنان لكان الذين قبل منهم النبي (ص) الجزية ولم يجبرهم على الاسلام لقوله تعالى (لا إكراه في الدين) معذورين لأنهم لم تقم عليهم الحجة . ونسبته الى علماء المسلمين انهم تواطئوا على هجر كلام أئمة السنة والاعراض عنه افتراء وسوء ادب ، واذا كان منتهى قيام الحجة المناضلة باللسان والسيف والسنان ، لم يكن معوية واصحابه معذورين ، فقد ناضلهم امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام باللسان والسيف والسنان فكيف عذرتهم الامة واثبتت لهم أجر الاجتهاد . واما قوله لا تكفر من صحت ديانته الخ وان اخطأ في هذه المسألة فكيف تصح ديانته ويعتمد على نقله وقد اعتقد الكفر والشرك وفعل ما يوجبه وما ينفعه مع ذلك التدريس والتأليف (ان الله لا يغفر ان يشرك به)

ومن رام ستر الحقائق وانكار تكفير الوهابيين للمسلمين بكلام هو اقرار واعتراف بتكفيرهم للمسلمين ولم يبال بالتناقض الصريح الواقع في كلامه وكلامهم الشيخ رشيد رضا صاحب المنار في مجموعة مقالاته (الوهابيون والحجاز) فانه قال ^(١) ان الامير فيصل نجل السلطان عبد العزيز آل سعود نشر بلاغا في شوال سنة ١٣٤٢ جاء فيه ان اهل نجد يوافقون اخوانهم اهل مصر والهند في وجوب عرض مسألة الخلافة على مؤتمر يمثل الشعوب الاسلامية تمثيلا صحيحا ، وتعقبه صاحب المنار بقوله : فهذه تصريحات قطعية

ونصوص لا تحمل التأويل بأن أئمة نجد وحكامها يعدون جميع الشعوب الاسلامية اخوانا لهم خلافاً لما يفترى عليهم من عدم اعتراف النجديين لاحد بالاسلام غير الوهابيين « انتهى » ووصف في المجموعة المذكورة ^(١) مؤتمر الشورى المنعقد في الرياض في ذي القعدة سنة ١٣٤٢ وانه اجتمع فيه كبار علماء البلاد وزعمائها ورؤساء الاجناد وقوادها وتذاكروا في امر الحج وان السلطان ابن سعود اجابهم بما معناه ان شريف مكة لا يذعهم من الحج ولكنه يخشى وقوع فتنة في الموسم وفيه المسلمون كل جنس، الخ ثم قال ما نصه : وفي تصريح السلطان عبد العزيز نص قطعي باعترافه هو وعلماء بلاده باسلام جميع الشعوب الاسلامية والرغبة في التعارف والتواد معها، هذا كلامه « معزى ولو طارت » ^(٢) فاذا كانت هذه تصريحات قطعية ونصوص لا تقبل التأويل من سلطان نجد وعلماء بلاده وحكامها باسلام جميع الشعوب الاسلامية واخوتها للوهابية واذا كان في رسائل علماء بلاده التي طبعت بأمر جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد كما كتب على ظهرها، وغيرها من رسائل ابن عبد الوهاب التي طبعها صاحب المنار. وفي كلام صاحب المنار نفسه تصريحات قطعية ونصوص لا تقبل التأويل كما بيناه فيما سبق بتكفير جميع المسلمين واشراكهم عدى الوهابيين ومناداة بتكذيب هذه الدعوى وبأن مدعيها كمن يقول بان مكة ليست بوجوده والوهابيون لم يوجدوا في الدنيا ، كان كلام الوهابية ومنهم صاحب المنار متناقضاً تناقضاً صريحاً قطعياً لا يقبل التأويل ومن لا يبالي بالتناقض الصريح في كلامه لا يتكلم معه فعند حاجتهم الى المسلمين في ميدان السياسة وجلب القلوب يسمونهم اخوانهم ويعترفون باسلامهم وعند بيان معتقدهم وأساس مذهبهم ونشر دعوتهم يكفرون المسلمين ويشركونهم بدون تحاش فهم في ذلك كالنعامة قيل لها احملتي قالت انا طائر قيل لها طيري قالت انا جمل . وكان صاحب المنار يرى من موجبات الأخوة واهم اسباب التعارف بين الوهابيين والشعوب الاسلامية والتواد معها غزوها وشن الغارات عليها وقتلها كلما سنحت الفرصة لتتوثق عرى الاخوة ويتم التعارف وتكمل المودة .

(١) صفحة ٣٨ - ٤١

(٢) يقال ان رجلين رأيا غربانا واقعة على الارض فقال احدهما هذه غربان وقال الآخر هذه معزى ثم طارت فقال الاول اغلت انها غربان فقال له الثاني هي معزى ولو طارت - المؤلف -

وهذا حديث اجمالي عن اعتقادات الوهابية وتفصيل ذلك وردده في الباب الثاني والباب الثالث .

وحيث ذكرنا معتقدات الوهابية اجمالاً فيناسب ان نذكر هنا بعض ما يدل اجمالاً على فساد شبهتهم في حكمهم بشرك جميع المسلمين ، وهو ما رواه البخاري في باب الصلاة على الشهيد وعلامات النبوة والمغازي وذكر الحوض ، ومسلم في فضائل النبي (ص) ، وابو داود في الجنائز ، كذا النسائي ^(١) عن النبي (ص) اني والله ما اخاف عليكم ان تشرکوا بعدي ولكن اخاف الدنيا ان تنافسوا فيها وفي رواية لمسلم ^(٢) ان تنافسوا فيها وتقتلوا فتهلكوا كما هلك من قبلکم . ولو كان الامر كما زعم الوهابية من ان الناس اشركت كلها قبل ظهورهم وانهم جاؤا ليدعوهم الى التوحيد للزم تكذيب هذه الاحاديث كلها . وقوله «ص» ألا ان الشيطان قد ايس ان يعبد في بلدكم هذا ابدأ ولكن ستكون له طاعة في بعض ما تحقرون من اعمالكم فيرضى بها . رواه احمد والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجة وهذا ينافي حكم الوهابيين باشرک اهل مكة بل قالوا انهم لم يروا بلداً تعبد فيه القبور والاموات مثل مكة . وقوله «ص» ان الشيطان قد ايس ان تعبد الاصنام بأرض العرب ولكن رضي منهم بما دون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات ، رواه الحاكم وصححه وابو يعلى والبيهقي . وفي رواية انه «ص» قال ان الشيطان قد يشن ان يعبد في جزيرة العرب . ومكة والمدينة من جزيرة العرب قطعاً . بل حكى في النهاية الاثرية عن انس بن مالك انه قال اراد يجزيرة العرب المدينة نفسها وهذا ينافي حكمهم باشرک اهل جزيرة العرب عدا نجد بعبادة الاوثان وقال «ص» ان الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها ذكره ابن الأثير في النهاية وفيه من المبالغة في ثبوت الايمان ورسوخه في المدينة ما لا يخفى المنافي لما يدعيه الوهابية من رسوخ الكفر فيها وجعل بلادهم بلاد الايمان .

(١) صفحة ٣١

(٢) ص ١٦٠ ج ٩ بهامش ارشاد الساري



فصل

من آثام الحكم السعودي

في موسم حج العام ١٣٦٢ سفك السعوديون في مكة دم حاج إيراني جاء من بلاده يطوي المراحل تقريباً إلى الله بالحج إلى بيته فتقرب السعوديون بقتله ظلماً وعدواناً فسجلوا بذلك صفحة جديدة من صفحات غدرهم بالمسلمين واستهانتهم بدمائهم . ولقد كان لهذا الحادث ضجة كبرى شملت العالم الإسلامي وتركته في غليان شديد . وبعد أن تباهى السعوديون بفعلتهم تلك عادوا يحاولون التنصل منها بعد أن رأوا ما تركته من ثورة وهياج عليهم في كل مكان واليك تفصيل الحادث وذيوله :

تفصيل الحادث

كان الحاج الإيراني عبده طالب بن حسين يطوف حول الكعبة محرماً خاشعاً فاصيب وهو في طوافه بدوار فانقض عليه الزبانية السعوديون وساقوه إلى ساحة الموت حيث قطعوا رأسه واجروا دمه في اقدس بقعة اسلامية ، ثم لم ينجلوا مما فعلوه فنشروا في جريدة أم القرى التي يصدرونها في مكة في عددها ٩٩٠ بلاغاً رسمياً رقم ٨٢ قالوا فيه : القت الشرطة القبض في بيب الله الحرام في يوم ١٢ ذي الحجة ١٣٦٢ على المدعو عبده طالب بن حسين الإيراني من المنتسبين إلى الشيعة في إيران وهو متلبس بأقذر الجرائم واقبحها وهي حمل القاذورات « العذرة » ، وهو يلقيها في المطاف حول الكعبة المشرفة بقصد ايداء الطائفين واهانة هذا المكان المقدس وبعد اجراء التحقيق بشأنه وثبت هذا الجرم القبيح منه فقد صدر الحكم الشرعي بقتله وقد نفذ حكم القتل فيه في يوم السبت في ١٤ ذي الحجة ١٣٦٢ ولذا حرر « انتهى »

هذا هو البلاغ الرسمي الوقح الذي برروا به جريمتهم ، والحقيقة ان عقيدتهم في استحلال دماء المسلمين هي وحدها كانت الباعث لهم على استغلال الدوار الذي اصيب به الحاج الشهيد حيث شفوا احنهم باهراق دمه وقطع رأسه .

صدى الحادث

ولم يكذب يعلن الحادث الذي شهده مئات الالوف من المسلمين والذي تناقلت خبره

اسلاك البرق في كل مكان حتى هاجت النفوس على السعوديين فقطعت ايران علاقتها معهم بعد ان قدمت احتجاجاً صارخاً ، وثار البرلمان الايراني ، واننا لننقل بعض ما جرى فيه عن جريدة « النهار » البيروتية الصادرة يوم السبت في ٥ شباط سنة ١٩٤٤ .

طهران - اثار بعض النواب ضجة حول اعدام الحاج الايراني في الحجاز وسأل فريق منهم وزير الخارجية ماذا كان جواب الحكومة العربية السعودية على الاحتجاج الايراني ، فاجاب الوزير ان الحكومة الايرانية تلقت جواباً حاولت فيه حكومة الحجاز تبرير عملها وقد عدت طهران هذا الجواب غير مرض وقررت ان ترد عليه بمذكرة شديدة اللهجة قبل ان تتخذ التدابير التي يتطلبها الموقف .

وقالت « النهار » في نفس العدد :

اذاع راديو انقره نقلا عن القاهرة ان حادثاً خطيراً وقع بين ايران والمملكة العربية السعودية قد يؤدي الى وقف العلاقات بين الدولتين .

وقد تلقت جريدة « جمهوريت » رسالة من طهران جاء فيها ان حكومة الشاه بعثت بمذكرة الى الحكومة العربية السعودية تحتج فيها احتجاجاً شديد اللهجة على اعدام احد الحجاج الايرانيين . وتفصيل الحادث ان الحاج المذكور اتهم بانتهاك حرمة الكعبة المشرفة عمداً فاعتقل وحوكم فقضى الحاكم باعدامه . وقد نفذ الحكم به فوراً .

والظاهر ان جواب الحكومة السعودية على احتجاج ايران عد في طهران غير مرض . ولم تكتف حكومة ايران بالاحتجاج الى الحكومة السعودية بل قدمت مذكرة الى الحكومة المصرية تلفتها فيها الى خطورة الحادث بوصفها المكلفة حماية الحجاج الايرانيين في البلاد العربية السعودية .

وتقول صحف طهران في تعليقها على الحادث ان الديار المقدسة ليست ملكا لابن السعود وحكومته فعلى الأمم الاسلامية ان تؤمن سلامة ابنائها الذين يحجون الى مكة المكرمة بانشاء قوة مسلحة ذات طابع دولي « انتهى » .

تراجع السعوديين

والواقع ان النعمة على الحكم السعودي بسبب هذا الحادث بلغت ذروتها فاضطر السعوديون للتراجع

كشف الارتباب م ١٠

وحاولوا ستر فضيحتهم - ولكن هيهات - واليك نموذجاً مما نشره ، فقد جاء في العدد ١٨٤١ من جريدة « الرابطة الشرقية » ما يلي :

القاهرة ٤ - اوضحت الاوساط السعودية في القاهرة الحادث الايراني السعودي الذي تأثر له العالم الاسلامي في الشرق الاوسط ، وقد اعلنت ان الرجل المحكوم عليه بالموت ليس شيعياً بل مجوسياً لا ينتمي الى مذهب من مذاهب الاسلام . وهذا الكافر تجراً وستة عشر من رفاقه المجوسيين على تدنيس الكعبة المقدسة متحديا الاسلام . وحاول الحجاج تمزيقه ولكن رجال الامن اقبلوا في الموعد وقبضوا على الكافرين واحالوهم الى محكمة دينية شرعية .

وقد حكم عليهم جميعاً بالموت ، ولكن تدخل وزير العدل المصري - وكان يومذاك في مكة - قضى بقتل واحد وابعاد الآخرين الى ايران .

وترى الاوساط السعودية في القاهرة انه يجب اعتبار القضية مفروغا منها ما دامت اعلنت الحكم محكمة شرعية قانونية « انتهى » .

وهكذا بعد ان نشروا بلاغا رسمياً في ام القرى اكدوا فيه ان الشهيد هو شيعي عادوا هنا يقولون انه مجوسي ثم صرحوا انهم لم يكونوا يريدون ان يقتلوه وحده بل كانوا يريدون ان يقتلوا معه ستة عشر حاجاً غيره ، اما المحكمة الشرعية القانونية فهي من عرفت - فيما مر - كفاءتها ونزاهتها وعلمها .

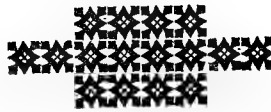
رد المؤلف

وعلى اثر ما نشره اذاع مؤلف هذا الكتاب بيانا قال فيه :

بيان حقيقة

لقد كثر اللفظ حول مسألة الرجل الايراني المسلم الموحد الحاج الى بيت الله الحرام الذي قتل ظلماً وعدواناً في حرم الله وامنه الذي من دخله كان آمناً والذي يأمن فيه الضير والوحش « مكة المكرمة » بحجة لا تنطلي على الأطفال الرضع وابانت عن ان قابليها ليسوا اهلاً للحكم : هي انه القى النجاسة في المسجد الحرام ، والحقيقة ان سبب ذلك هو التعصبات المذهبية المعروفة وان الرجل كان يطوف فغلب عليه الضعف فشهدوا عليه بانه جاء ليلقي النجاسة في المسجد فحكم بقتله بدون سؤال ولا تحقيق كما اخبرنا بذلك

متواترا الحجاج الصادقون الذين شاهدوا الحادث، وهو لا يحتاج الى اخبار مخبر بل كل من عنده ادنى ذرة من العقل لا يمكن ان يصدق بان رجلا مسلما تحمل المشاق من بلاد بعيدة وصرف الأموال الكثيرة لأجل ان يلقي نجاسة في المسجد الحرام وهو معظم عنده اكثر من الذين حكموا بقتله، وان كان غير مسلم فما الذي يدعوه لأن يسافر من شقة بعيدة ويصرف اموالا طائلة ليلقي نجاسة في مسجد المسلمين وما الذي يجنيه من وراء ذلك . والدولة الايرانية ليست وحدها التي ستطالب بدم هذا المسلم البريء بل سيطالب به بحق مائة وخمسون مليوناً من المسلمين أو اكثر ، هم بقدر الثلث من مجموع المسلمين .



الباب الثاني

في ذكر معتقدات الوهابية التي كفروا بها المسلمين

وحججهم على ذلك وردھا على وجه العموم

ناقلين لها من كتبهم المطبوعة المشهورة كرسالي اربع القواعد وكشف الشبهات عن خالق الأرض والسموات لمحمد بن عبد الوهاب ، والثانية هي التي ألفها لأهل نجد حيناً اتاهم بالدعوة وكتابهم الذي ارسلوه الى شيخ الركب المغربي ، وذكره الجبرتي في تاريخه في حوادث سنة ١٢١٨ ورسالة تطهير الاعتقاد عن ادران الاحاد لمحمد بن اسماعيل الأمير اليمني الصنعاني المعاصر لابن عبد الوهاب ورسالي الواسطة وزيارة القبور والاستنجاد بالمقبور لابن تيمية باذر البذر الأول لمذهب الوهابية والرسائل الخمس المسمى مجموعها بالهدية السنية وتاريخ نجد لمحمود شكري الألوسي الذي ينقل فيه عن كتبهم وغير ذلك مع استيفاء نقل كلماتهم كلها وردھا وان أدى ذلك الى الاطالة وبعض التكرار :

قال محمد بن عبد الوهاب في رسالة اربع القواعد ^(١) ما حاصله : ان الخلاص من الشرك يكون بمعرفة اربع قواعد : الأولى ان الكفار الذين قاتلهم رسول الله (ص) مقرون بان الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر ولم يدخلهم ذلك في الاسلام لقوله تعالى (قل من يرزقكم) (الاية) . « الثانية » انهم يقولو ما دعونا الاصنام وتوجهنا اليهم الا لطلب القرب والشفاعة (والذين اتخذوا من دون الله اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى . ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) « الثالثة » انه (ص) ظهر على قوم متفرقين في عبادتهم فبعضهم يعبد الملائكة وبعضهم الانبياء والصالحين وبعضهم الأشجار والاحجار وبعضهم الشمس والقمر فقاتلهم ولم يفرق بينهم . الرابعة ان مشركي زماننا اغلظ شركاً من الاولين لان أولئك يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة وهؤلاء شركهم في الحالين لقوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون .

وقال في رسالة كشف الشبهات ^(١) ما حاصله : ان التوحيد افراد الله بالعبادة وهو دين الرسل الذي ارسلهم الله به الى عباده فأولهم نوح (ع) ارسله الله الى قومه لما غلوا في الصالحين ودا وسواعا ويعوق ونسرا وآخرهم محمد (ص) الذي كسر صور هؤلاء الصالحين ارسله الى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله لكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله يقولون نريد منهم التقرب الى الله وشفاعتهم عنده كالملائكة وعيسى ومريم وغيرهم من الصالحين فبعثه الله يحددهم دين ابيهم ابراهيم ويخبرهم ان هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله لا يصلح منه شيء للملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عن غيرها والا فهم يشهدون ان الله وحده هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر الأمر وان السماوات والارض وما فيها كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره لقوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض ام من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون . قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون . قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل افلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يحير ولا يحار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون الله قل فأنى تسحرون) فاذا عرفت ان اقرارهم هذا لم يدخلهم في التوحيد وان التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد ^(٢) وكانوا يدعون الله ليلا ونهاراً ومنهم من يدعو الملائكة لصلاحهم وقربهم الى الله ليشفعوا له او رجلاً صالحاً كالللات او نبياً كعيسى عرفت انه (ص) قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم الى اخلاص العبادة كما قال (فلا تدعوا مع الله احداً . له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) وانه (ص) قاتلهم ليكون الدعاء والنذر والذبح والاستغاثة وجميع العبادات كلها لله وان اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الاسلام وان قصد الملائكة والانبياء والاولياء يريدون شفاعتهم والتقرب الى الله بذلك هو الذي احل دمائهم واموالهم وعرفت التوحيد

(١) صفحة ١ - ٣ الموضوع عليها - ٥٦ - ٥٨ - طبع المنار بمصر

(٢) يأتي نظيره في كلام الصنعاني حيث يقول بل يسمونه معتقداً كما ان سائر كلامه متوافق معه

الذي دعت اليه الرسل وابى عن الاقرار به المشركون وهو معنى لا إله الا الله فان الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الامور ملكا كان او نبيا أو وليا أو شجرة أو قبراً أو جنياً لا الخالق الرازق المدبر فأنهم يعلمون ان ذلك لله وحده كما مر وانما يعنون بالاله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ « السيد » والمراد من كلمة التوحيد معناها لا مجرد لفظها والكفار الجاهل يعلمون ان مراده « ص » بها هو افراد الله بالتعلق والكفر بما يعبد من دون الله فانه لما قال لهم قولوا لا إله الا الله قالوا « اجعل الآلهة الها واحداً ان هذا لشيء عجاب » فالعجب ممن يدعي الاسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة بل يظن ان ذلك هو التلظف بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني والحاذق منهم يظن ان معناها لا يخلق ولا يرزق الا الله فلا خير في رجل جهال الكفار اعلم منه بلا اله الا الله . ثم قال : فاذا عرفت ان هذا الذي يسميه المشركون في وقتنا الاعتقاد هو الشرك الذي انزل فيه القرآن وقاتل رسول الله « ص » الناس عليه فاعلم ان شرك الاولين اخف من شرك اهل وقتنا بأمرين احدهما ان الاولين لا يشركون الا في الرخاء وأما في الشدة فيخلصون لله « واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الاياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم . أرايتم ان اناكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسئون ما تشركون . واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيباً اليه الى قوله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار . واذا غشيم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين . الثاني : ان الاولين يدعون مع الله اناساً مقربين نبياً او ملكا ويدعون اشجاراً وأحجاراً مطيعة ليست عاصية واهل زماننا يدعون مع الله اناساً من افسق الناس يحكون عنهم الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك . وقريب من ذلك ما حكى عن محمود شكري اللوسي في تاريخ نجد انه حكاه عن ابن عبد الوهاب ولعله لخصه وانتخبه من مجموع كلماته فانما لم نجده بهذه العبارات في كتبه المطبوعة .

قال بعد ذكر الايات الدالة على توحيد الله والرد على المشركين الذين يعبدون مع الله آلهة اخرى والشرك المراد بهذه الايات ونحوها يدخل فيه شرك عباد القبور وعباد الانبياء والملائكة والصالحين فان هذا هو شرك جاهلية العرب الذين بعث فيهم عبد الله

ورسوله محمد «ص» فانهم كانوا يدعونها ويلجئون اليها ويسألونها على وجه التوسل يجاها وشفاعتها لتقربهم الى الله زلفى كما حكى ذلك الله عنهم بقوله تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله «الاية» . والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » وغيرها من الايات . ومعلوم ان المشركين لم يزعموا ان الانبياء والاولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السماوات والارض واستقلوا بشيء من التدبير والتأثير والايجاد ولو في خلق ذرة من الذرات قال تعالى «ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولن الله قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قال حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) فهم معترفون بهذا مقرون به لا ينازعون فيه ولذلك حسن موقع الاستفهام وقامت الحجة بما اقرؤا به من هذه الجمل وبجرد الاتيان بلفظ الشهادة من غير علم بمعناها ولا عمل بمقتضاها لا يكون به المكلف مسامحا بل هو حجة على ابن آدم خلافا لمن زعم ان الايمان مجرد الاقرار كالكرامية وبجرد التصديق كالجهمية وقد أكذب الله المنافقين فيما اتوا به وزعموه من الشهادة وسجل على كذبتهم مع انهم اتوا بالفاظ مؤكدة بانواع التأكيدات قال تعالى (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) فأكدوا بلفظ الشهادة وان واللام والجملة الاسمية فأكذبهم وأكد تكذيبهم بمثل ما اكدوا به شهادتهم سواء بسواء وزاد التصريح باللقب الشنيع وبهذا تعلم ان مسمى الاذعان لا بد فيه من الصدق والعمل ومن شهد ان لا اله الا الله وعبد غيره فلا شهادة له وان صلى وزكى وصام قال تعالى (أفئتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) الآية (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) الآية «انتهى» .

والجواب : اما اجمالا : فان جملة ما يصدر من المسلمين في حق الانبياء من الاستغاثة بهم وطلب شفاعتهم الذي مرجعه الى طلب الدعاء منهم والنذر والذبح لله والتصديق به واهداء الثواب اليهم الذي توهم انه نذر وذبح لهم وتعظيمهم وتعظيم قبورهم والتبرك بها وغير ذلك عبادة لهم ولقبورهم كعبادة الاصنام خطأ وغلط فانه ليس المراد من العبادة التي لا تصلح لغير الله وتوجب الشرك والكفر اذا وقعت لغيره مطلق التعظيم والخضوع كما

مر مفصلاً في المقدمات بل عبادة خاصة لم يصدر شيء منها من أحد من المسلمين . واما تفصيلاً فقله في رسالة اربع القواعد ان الذين قاتلهم رسول الله (ص) مقرون بان الله هو الخالق الرازق المدبر وان ذلك لم يدخلهم في الاسلام فنقول لم يدخلهم في الاسلام لأنهم يكذبون رسول الله (ص) ويقولون انه ساحر كذاب وينكرون جميع شرائعه ويدينون بدين الجاهلية وهذا كاف في كفرهم سواء تشفعوا بالانعام وعبدوها او لا فكيف يقاس بهم ويجعل مساوياً لهم من يؤمن بالله وبرسوله وبأن جميع ما جاء به من عند الله حق لأنه يتشفع الى الله تعالى بمن جعله شافعاً ومشفعاً ويتوسل اليه بمن جعل له الوسيلة سبحانه اللهم ما هذا التمويه والتضليل وليس موجب كفرهم تشفعهم بالانبياء والصالحين كما زعم واستدلالة على ذلك بالآيتين واضح الفساد كما يأتي في الفصل الثاني من الباب الثالث . قوله انه «ص» ظهر على قدم متفرقين في عبادتهم فقاتلهم ولم يفرق بينهم . نعم لم يفرق بينهم لاشتراكهم جميعاً في تكذيبه وانكار نبوته ورد ما جاء به من عند ربه والتمسك بأديان آبائهم الفاسدة وهؤلاء لا فرق بين ان يعبدوا ملكاً أو نبياً أو صنماً أو كوكباً أو لا يعبدوا . وانما يتم لابن عبد الوهاب ما اراد لو كان بعضهم آمن بالنبي «ص» وصدق بجميع ما جاء به ولكنه بقي يتشفع الى الله بنبي أو صالح فقاتله النبي «ص» ولم يفرق بينه وبين من يعبد الحجر والشجر والشمس والقمر واني له بذلك .

اما قوله في كشف الشبهات ان الله تعالى ارسل محمداً «ص» الى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون لكنهم يجعلون بعض الخواص وسائط بينهم وبين الله فيظهر فساد من وجوده : الاول : انهم كانوا يتعبدون ولكن كانت عبادتهم كما أخبر الله تعالى عنها بقوله (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية) المكاء التصغير والتصدية التصفيت . في الكشف كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها يقصفون « انتهى » . كانوا يتعبدون فيسجدون للانعام التي نهى الله عن السجود لها ويقربون لها القرابين ويهلون عليها باسمائها ويطولونها بدمائها هذه كانت عبادتهم ويحجون ولكنهم احدثوا في الحج بدعاً وقبائح كثيرة . منها : انهم كانوا يطوفون عراة رجالاً ونساء وعوراتهم بادية يتقربون الى الله بذلك . وقصة المرأة التي الزموها بذلك وكانت

جميلة ففعلت واجتمع اهل مكة للنظر اليها فطافت عارية ويدها على فرجها وهي تقول :
اليوم يبدر بعضه أو كله فما بدا منه فلا احله .

مشهورة فهؤلاء الذين انحصر كفرهم وشركهم في تشفعهم بالصالحين عند ابن عبد الوهاب (ويتصدقون) مع تكذيبهم الرسل فما تنفعهم صدقاتهم (ويذكرون الله) أحياناً ان صح ذلك وفي غالب أحوالهم أو كلها يعرضون عن ذكر الله ويذكرون أسماء أصنامهم كما كانوا يقولون (أعل هبل) وكانوا يذكرون أسماءها على ذبائحهم دون اسم الله . وما أدري لم لم يقل ابن عبد الوهاب ويصلون ويذكرون ولا يزنون ولا ينكحون ما نكح آبائهم ولا يشربون الخمر ولا يعملون الميسر ولا الأنصاب ولا الأزلام ولا يأكلون الربا ولا يشدون البنات ويفعلون جميع شرائط الاسلام حتى صلاة التراويح ولا يصدر منهم الا امر واحد وهو التشفع بذوي المكانة عند الله وجعلهم وسائط بينهم وبينه كالملائكة وعيسى فذلك قاتلهم النبي «ص» وحكم بشركهم وكفرهم أليس كذلك أيها الاخوان ألم يقل الله تعالى (وما كان صلاتهم عند البيت الامعاء وتصدية) ألم يكونوا يكرهون قتياتهم على البغاء وهن يردن التحصن ألم يكونوا يفعلون جميع الموبقات والمنكرات وأفعال الجاهلية فكيف يسوغ لمحمد بن عبد الوهاب أن يقول ان رسول الله «ص» لم يقاتلهم الا على تشفعهم الى الله بالملائكة والأنبياء والصالحين .

الثاني : ان حصره شرك وكفر من بعث اليهم النبي «ص» في جعلهم بعض المخلوقات وسائط وشفعاء عند الله جهل أو تمويه . أما مشركو قريش فانهم وان اعتقدوا ان الرازق الخالق الحي المميت المدبر الأمر المالك ما في السماوات والأرض هو الله كما دلت عليه الآيات التي ذكرها الا أنه لا شيء يدلنا على أنهم لا يعتقدون في الأصنام والأوثان ومعبوداتهم من الجن والانس والملائكة انه لا تأثير لها في الكون وان التأثير وحده لله تعالى وهي شافعة فقط اذ يجوز أن يعتقدوا ان لها تأثيراً بنفسها بغير ما في الآيات المستشهد بها فتشفي المرضى وتنصر على الأعداء وتكشف الضر وغير ذلك وانها تشفع عند الله حتماً ولا يرد شفاعتها أو ان الله تعالى جعل لها قسطاً من التأثير أو كله اليها بل ظاهر الآيات هو ذلك مثل قوله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً) بل ظاهر قوله تعالى (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً) انهم كانوا لا يسجدون لغير الأصنام ولا يعتقدون

الها غيرها وظاهر قوله تعالى حكاية عن أهل جهنم (قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم رب العالمين) اعتقادهم انها مساوية لرب العالمين وان لم يكن من جميع الوجوه بل يخرج عنه الأمور المذكورة في الايات المستشهد بها في كلام ابن عبد الوهاب وذلك كاف في الشرك والكفر وذلك أيضاً ظاهر جميع الايات الدالة على اتخاذهم آلهة من دون الله وشركاء لله ونحو ذلك . مثل (ان كاد ليضلنا عن آلهتنا . أننا لتاركو آلهتنا . أيفكا الهة دون الله تريدون . أجعل الالهة الها واحداً . ويوم يناديهم أين شركائي الذين كنتم تزعمون . وقالوا آلهتنا خير أم هو . أجبثنا لتأفكننا عن آلهتنا . وقالوا لا تذرن آلهتكم . وما نحن بتاركي آلهتنا . فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله . الذين يجعلون مع الله الهاً آخر . قل لو كان معه آلهة كما يقولون . واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً . واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرأ ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً) الى غير ذلك .

وكيف يمكن حصر شركهم وكفرهم في جعلهم بعض المخلوقات وسائط وشفعاء عند الله وهم يكذبون رسول الله «ص» ويحعلونه ساحراً وينكرون ما جاء به من عند ربه من الاحكام والشرائع مع ظهور المعجزات على يديه ويتمسكون بدين الجاهلية كما مر أفلا يكفي هذا في كفرهم وشركهم وماذا ينفعهم الاقرار بوجوده تعالى والعبادة وال الحج والصدقة وذكر الله ان سلم صدور ذلك منهم وهل ينفي ذلك عنهم الكفر الذي أوضحناه ويحصر شركهم في تشفعهم بالصالحين ؟ هيهات .

وكيف يمكن حصر كفرهم في ذلك وقد بدلوا دين الله تعالى الذي جاءهم به ابراهيم «ع» فاحدثوا البهيرة والسائبة والوصيلة والحامي والنسيء^(١) وغير ذلك من مبتدعاتهم ومخترعاتهم وهذا أيضاً كاف في كفرهم مع أنهم قد عبدوا الأصنام والأوثان والملائكة

(١) البهيرة : الناقة اذا تجت خمسة أبطن فان كان آخرها ذكراً مجرواً اذنها اي شقوها وحرموها ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى ولو لقبها المعبي لم يركبها (والسائبة) كان الرجل يقول اذا قدمت من سفري او برأت من مرضي فناقني سائبة فكانت كالبهيرة في تحريم الاتضاع (والوصيلة) كانت الشاة اذا ولدت انثى فهي لهم وان ولدت ذكراً ذبحوه لأقربهم فان ولدت ذكراً وانثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر (والحامي) الفحل كان اذا تجت من صلبه عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى (والنسيء) كانوا اذا احتاجوا الى القتال في شهر حرام قاتلوا فيه واخروه الى شهر غيره وجعلوه مكانه فتركوا فيه القتال .

- المؤلف -

وجعلوهم شركاء لله تعالى وعبادتهم لهم مشاهدة معلومة ولم تكن تلك العبادة مجرد التشفع والتوسل بمن جعل الله له الشفاعة والوسيلة وما يجري مجرى ذلك كما موه به ابن عبد الوهاب (أما عبادتهم للأصنام والأوثان) فانهم عمدوا الى أصنام من حجر أو نحاس أو خشب أو غيرها على صور قوم صالحين متوهمة أو غيرهم عملوها بأيديهم والى اشجار فعبدوها من دون الله وسجدوا لها ونحروا وذبحوا لها واهلوا بذبائحهم لها وذكروا اسماءها عليها دون اسم الله وطلوها بدمائها كما قال قائلهم :

اما ودماء مائرات تخالها على قنة العزى وبالنسر عندما

وطلبوا منها كل ما يطلب من الله وأعرضوا عن عبادة الله فكانوا يقولون لا طاقة لنا على عبادة الله فنحن نعبدها لتقربنا الى الله وهذا أيضاً صريح في ان عبادتهم لها غير طلب الشفاعة منها وتشفعوا بها وخالفوا امر الله وانبيائه في نهيمهم عن عبادتها وطلب شيء منها عناداً وعتواً وخالفوا مقتضى عقولهم الحاكمة لو رجعوا اليها بانها جماد لا تضر ولا تنفع ولا تعقل ولا تسمع ولا تقرب ولا تشفع ولو كانت على صورة نبي أو صالح فان الشافع هو النبي أو الصالح لا صورته الموهومة ولا تدفع عن أنفسها بول الثعالب عليها ولا تروث الدواب فوقها فقد كان لبعضهم صنم فجاء ثعلب فبال عليه فقال قائلهم :

لرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بال عليه الثعالب

ومنهم من عمل صنما من تمز فسجدوا له أول النهار وعبدوه فلما كان آخر النهار جاعوا فأكلوه . وكانوا يعينون أشياء من حرث ونتاج لله وأشياء منها لأهنتهم فاذا زكاهم جعلوه لله رجعوا فجعلوه للآلهة واذا زكاهم جعلوه للأصنام تركوه وذلك قوله تعالى : (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعيمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون) ولم يفعل أحد من المسلمين شيئاً من ذلك مع نبي ولا ولي ولا قبر ولا غيره وإنما تشفع المسلمون بمن جعله الله شافعاً وتوسلوا بمن جعل له الوسيلة وما التشفع سوى سؤال الدعاء الذي لا ينكره الوهابية وكذا الاستغاثة وما جرى مجراها لا يخرج عن سؤال الدعاء وأهدوا ثواب الصدقة بالمذبح الى النبي أو الولي الذي ثبت جواز اهداء الثواب اليه ولم يذكروا اسمه عليه بل اسم الله تعالى كما سيأتي تفصيل ذلك كله في الفصول المختصة بذلك . فهذه

الاعتقادات والأعمال والتكذيب للرسول هي التي قاتلهم النبي «ص» عليها ودعاهم إلى تركها لا على مجرد التشفع بنبي أو صالح والتوسل به إلى الله تعالى . وأما عبادتهم للملائكة فقد اتخذوهم أرباباً من دون الله كما يدل عليه قوله تعالى في سورة آل عمران (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله) إلى قوله تعالى (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيا أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) وفي هذا دليل على أنهم فعلوا أو اعتقدوا بالنسبة إليها ما هو من خصائص الربوبية ولا يليق إلا بالله تعالى من سجود ونحوه من أنواع العبادات والاعتقادات وليس لنا ما يدل على أنه لم يصدر منهم إلا مجرد التشفع بالملائكة إلى الله . وذكر صاحب الكشف في تفسير الآية أنه «ص» كان ينهي قريشاً عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزيز والمسيح فلما قالوا له أنتخذك رباً قيل لهم ما كان لبشر «الآية» وقوله تعالى في ذيلها أيا أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون دليل على أن المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه أن يسجدوا له « انتهى » وفي ذلك دليل على أن اتخذهم الملائكة أرباباً كان من هذا السنخ بارادة عبادتهم لهم بالسجود وغيره كما أرادوا أن يتخذوه «ص» رباً ويسجدوا له . وكانوا يقولون في الملائكة أنهم بنات الله كما قالت اليهود والنصارى في عزيز والمسيح إنها ابنا الله وقد أخبر الله تعالى عنهم بذلك كله بقوله في سورة الزخرف (وجعلوا له من عباده جزءاً . أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاك بالبنين . وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم . وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً . وقالوا لو شاء الله ما عبدناهم) ففي قوله تعالى لا يأمركم أن تتخذوا الملائكة أرباباً دليل على فعلهم معها ما هو من خصائص الربوبية كما مر وقوله تعالى (لو شاء الله ما عبدناهم) صريح في عبادتهم لهم ولا شيء يدل على أنها كانت مجرد الاستغاثة والتشفع بل ما مر يدل على عدمه . وقوله بما ضرب للرحمن مثلاً دليل على جعلهم لها مائلة لله تعالى ومشابهة له لأن الولد مماثل للوالد ومن جنسه وكذلك قوله من عباده جزءاً (قال صاحب الكشف) فجعلوهم جزءاً له وبعضاً منه كما يكون الولد بضعة من والده وجزءاً له « انتهى » وافترضوا على الله في ذلك عدة افتراءات . « أحداها » نسبة الولد إلى الله تعالى « ثانيها » نسبتهم إليه أحسن النوعين الذي كانوا إذا بشر به أحدهم ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ووأده حياً « ثالثها » جعلهم لها من الملائكة الذين هم من أكرم عباد الله

عليه فاستخفوا بهم « رابعتها » نسبتهم الى الله تعالى أنه رضي لهم عبادة الملائكة . وبذلك ظهر أن كفرهم ليس بمجرد استغاثتهم بالملائكة وتشفعهم وتوسلهم بهم وستعرف ان الملائكة ممن ثبتت لهم الشفاعة باعتراف الوهابية فالمتشفع بهم ليس مخطئاً فضلاً عن ان يكون مشركاً وكذا المتشفع بالنبي «ص» ومن جعل الله له الشفاعة فليس مخطئاً فضلاً عن ان يكون مشركاً فكيف يقاس من يستغث ويتشفع ويتوسل بنبي أو وصي ليشفع له الى الله تعالى بالمشركون في عبادتهم الملائكة وكون قريش لم تكن تعتقد في الملائكة انها تخلق وترزق وتدبر الأمر من دون الله بدليل (قل من يرزقكم من السماء والأرض الى قوله فيقولون الله) لا يدل على ان كفرها وشركها لتشفعها وتوسلها واستغاثتها بالملائكة لأن الشرك يكون بغير اعتقاد الخلق والرزق مما مر في صدر الكلام ولو كان الصادر منها الاستغاث بالملائكة والتشفع بها فقط لم يكن ذلك موجباً لشركها وكفرها واما من عبد المسيح واما فلم يكن منه مجرد الاستغاث والتوسل وطلب الشفاعة قطعاً بل جعل المسيح «ع» الها مستحقاً لجميع صفات الألوهية وقد أخبر الله تعالى عنهم في القرآن تارة بأنهم قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وتارة انهم قالوا إن الله ثالث ثلاثة المسيح أحدهم وذلك انهم قالوا الاقاييم الثلاثة آله واحد وتارة انهم اتخذوه واما الهين من دون الله بقوله تعالى : (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله) وتارة ان المسيح ابن الله فتسوية ابن عبد الوهاب بين من يستغث ويتشفع ويتوسل من المسلمين الى الله بنبي أو ولي جعل الله له الشفاعة والوسيلة وجعله مغيثاً بدعائه وبين من يعبد المسيح واما تمويهه وتضليله .

وأما قوم نوح «ع» فقد فعلوا فعل مشركي قريش من تكذيب الرسل وانكار ما جاء به وعبادة غير الله كما أخبر بذلك عنهم القرآن الكريم وكفى ذلك في كفرهم ولم يرد في دليل قوي ولا ضعيف ان عبادتهم لغير الله كانت مجرد التشفع والتوسل اليه بالصالحين وانهم كانوا يقيمون جميع شرائع الدين سوى هذه وان نوحا «ع» ما بعث الا لينهاهم عن التوسل بالصالحين والتشفع بهم وأي كتاب أو سنة نطق بذلك . بلى انهم قد غلوا في الصالحين وعبدوهم بما نهى الله عنه كما أخبر الله عنهم في كتابه العزيز اما انه لم يصدر منهم الا مثل ما يصدر من المسلمين من الاستغاث والتوسل والتشفع بالصالحين فهو تخرص على الغيب بل افتراء محض وكذا غيرهم من امم الانبياء عليهم السلام وظاهر

قوله تعالى حكاية عن قوم هود في خطابهم لهود «ع» (ان نقول الا اعتراك بعض آهتنا بسوء) اعتقادهم بانها قادرة مختارة بنفسها على الضر والنفع والاعتراء بسوء فظهر ان عبادة المشركين للاصنام لم تكن مجرد الاستغاثة والتوسل والتشفع الى الله بذوي المكانة عنده كما توهم الوهابيون . وسيأتي كلام في مثل ذلك في رد كلام الصنعاني ويأتي له مزيد توضيح في الباب الثالث ان شاء الله .

(قوله) فبعثه الله يحدد لهم دين ابيهم ابراهيم الخ قد ظهر بطلانه مما مر فان دين ابيهم ابراهيم الذي بعث محمد «ص» لتجديده ليس هو عبارة عن عدم التشفع بالصالحين ولا داخلا فيه . أما انه ليس عبارة عن عدم التشفع بالصالحين فلأن دين ابيهم ابراهيم الذي جدد له رسول الله «ص» وترك ما كانوا يفعلونه من المحرمات والموبقات التي مر بعضها كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي والنسيء والطواف بالبيت عراة ونكاح أزواج آبائهم والخمر والميسر واكره افتياتهم على البغاء ووأد بناتهم وسجودهم للاصنام وذكر اسمائها على ذبائحهم وتركهم الصلاة واستبدالها بالمكاء والتصدية وغير ذلك فهذا وأمثاله مما بدلوه من دين ابيهم ابراهيم هو الذي بعث رسول الله «ص» ليجده لهم واما ان عدم التشفع والتوسل بالصالحين ليس داخلا فيما جدد له فلان ذلك وما يجري مجراه لم ينههم الرسول «ص» عنه فضلا عن ان يكون بعثه محصوراً في ذلك بل اقرهم على التشفع والتوسل الذي هو نوع من طلب الدعاء منه بما حث عليه من سؤال الدعاء من المؤمنين وبما اخبرهم به من ان الله تعالى جعل له الشفاعة والوسيلة واكرمه بذلك كما ستعرفه مفصلاً في الفصول الخاصة بذلك ولا ينكره الوهابيون .

قوله : ويخبرهم ان هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله ، هذا افتراء على الله وعلى ابراهيم عليه السلام فتى امر الله تعالى محمداً (ص) ان يخبرهم انه لا يجوز طلب الشفاعة من له الشفاعة وان طلبها محض حق الله لا يجوز طلبها من غيره ومتى اخبرهم محمد (ص) بان لا يطلبوا منه الشفاعة بل الامر بالعكس فقد أخبرهم بأنه الشفيع المشفع وصاحب الوسيلة ولازم ذلك ان يطلب منه ما جعله الله له ولم يقل لهم حين أخبرهم بذلك ان طلب الشفاعة منه شرك وكفر مع انه امرهم يطلب الدعاء من الغير ، وطلب الشفاعة لا يخرج عن ذلك كما ستعرف وتشبث الوهابية لمنع بآية « لله الشفاعة جميعاً » . فلا تدعوا مع الله أحداً) ستعرف انه من السخافة بكان . فالذي اوجب شركهم وكفرهم واحل

قتالهم تبديلهم دين الله وتكذيبهم رسله وعبادتهم الصور والتماثيل من دون الله لا مجرد التشفع بالصالحين الى الله . وبذلك تعرف ان توحيد العبادة الذي جحدوه ليس هو عدم التشفع والتوسل بالصالحين الى الله وان هذا التشفع ليس عبادة لغير الله ولا منافيا لتوحيد الله في العبادة وان ما يسميه المسلمون الاعتقاد لا محذور فيه فانهم لم يعتقدوا في الانبياء والصالحين الا بما جعلهم الله له اهلا . قوله: وكانوا يدعون الله ليلا ونهاراً ومنهم من يدعو الملائكة لصلاحتهم وقربهم ليشفعوا له أو رجلا صالحا كاللات أو نبيا كعيسى . فيه ان دعاءهم الله ليلا ونهارا لم ينفعهم لانهم بدلوا دينه وكذبوا رسله وعبدوا غيره بما نهى الله عنه لا بطلب الشفاعة ممن له الشفاعة . وعبادتهم للملائكة لم تكن مجرد تشفعهم بهم بل فعلهم معهم ما هو من خصائص الربوبية واعتقادهم بمائلتهم لله وانهم بناته الى غير ذلك كما مر مفصلا وعبادتهم لللات الذي هو رجل صالح لم تكن مجرد التشفع به الى الله بل السجود وانواع العبادة لحجبر زعموا انه على صورته مع نهى الله لهم عن ذلك على لسان انبيائه الى غير ذلك مما مر . وعبادة النصارى لعيسى عليه السلام ليست مجرد التشفع به الى الله بل أثبتوا له جميع صفات الالهية كما مروا كيف يتوهم عاقل ان عبادتهم له مجرد التشفع به ان هذا الخالفة للمحسوس وتكذيب للقرآن وتمويه وتضليل . قوله: وانه قاتلهم ليكون الدعاء والنذر والذبح والاستغاثة وجميع العبادات كلها لله سيأتي الكلام على الاربعة المذكورة كل في فصله وما تقدم هنا حديث اجمالي وقد ظهر ان قوله: ان قصدهم الملائكة والانبياء والاولياء يريدون شفاعتهم والتقرب الى الله بذلك هو الذي احل دمائهم وأموالهم كذب وافترأ على الله وعلى رسوله بل الذي أحل دمائهم وأموالهم تبديلهم للدين وتكذيبهم له (ص) بعد ما رأوا معجزاته ودلائل نبوته وعبادتهم للاصنام بالوجوه التي ذكرناها من دون امر من الله بل عناداً وخلافاً عليه لا مجرد تشفعهم وتوسلهم بالصالحين

ومن ذلك يعلم انه يهدم وفساد كل ما بنى على هذا الاساس الفاسد من تفسير كلمة التوحيد التي دعا النبي (ص) المشركين الى الاقرار بها بأن المراد بالاله فيها ما يعم من قصد لأجل الشفاعة ونحوها وانه ليس المراد به الخالق الرازق المدبر فقط لانهم كانوا يعلمون ان ذلك لله وحده فان المبنى في الكل واحد وهو توهم ان الاستغاثة والتشفع الى الله بذوي

المكانة عنده يوجب اتخاذهم آلهة ويكون عبادة لهم وقد عرفت وستعرف مفصلاً فساد هذا التوهم وسخافته وإن التشفع بذوي المكانة وما يجري مجراه ليس عبادة لهم ولا يوجب اتخاذهم آلهة لهم وإن قياسهم على عباد الاصنام والكواكب وعيسى ومريم والملائكة جهل أو عناد وإن تفضيل جهال مشركي قريش وعبدة الاصنام على المسلمين اليوم من اعظم الجبهالات والافتراءات وأقبحها وأنه لا يظن ولا يحتمل احد من المسلمين ان الاسلام هو التلفظ بكلمة التوحيد من دون اعتقاد معناها ولا يظن حاذق منهم ولا غيره ان معناها لا يخلق ولا يرزق الا الله وكلهم يعلمون ان من كذب الرسل وخالفهم وعمل عمل عبدة الاصنام او انكر شيئاً من ضروريات الدين كافر لكنهم لا يعتقدون ان من عظم الذي امر الله بتعظيمه واستشفع بمن جعله الله شافعاً وتوسل بمن جعل الله له الوسيلة كافر ومشارك مع انه لم يخرج عن امر الله وطاعته . فاي الفريقين احق بنسبة الجهالة اليه لو كانوا يعلمون؟! وكذلك ظهر فساد قوله وإنما يعنون بالاله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد فان المسلمين الذين سماهم المشركين لا يعنون بلفظ السيد معنى ينافي العبودية الخالصة وإنما يعنون به ان له منزلة عند الله اوجبت امتيازاه عن غيره وان يقبل الله شفاعته ويسمع دعاء من تشفع به اليه كرماً منه تعالى وفضلاً فهم لم يثبتوا له الا ما أثبتته الله . اما الوهابية فنفوا عنه ما جعله الله له ونسبوا الى المسلمين ما هم منه براء فكانوا اشبه بالمشركين الذين خالفوا الله ورسله ونسبوا الى الرسل واتباعهم ما هم منه براء . أما اطلاق السيد على غير الله تعالى بل والرب فلا مانع منه اذا لم يقصد به معنى ينافي العبودية الخالصة لله تعالى كما ستعرفه في الفصل الخاص به مفصلاً وحاش لله ان يقصد به احد من المسلمين معنى ينافي العبودية الخالصة لله تعالى .

ومما ذكرنا تعلم فساد المحكي في تاريخ نجد عن ابن عبد الوهاب . واذا كان المشركون لم يزعموا أن الانبياء والاولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السموات والارض او ذرة من الذرات كما قال فلا دليل يدلنا على انهم لم يزعموا استقلالهم بشيء من التدبير والتأثير وآية (ان أرادني الله بضرب هل من كاشفات ضره أو ارادني برحمة هل من مسكات رحمته) لا تنفي ذلك اذ لم يظهر منهم الاعتراف بذلك بل الظاهر والله اعلم انه من قبيل الاحتجاج عليهم واظهار بطلان معتقدهم انها تكشف الضر وتمسك الرحمة فلا يدل على انهم لا يعتقدون انها كذلك وبذلك يحسن موقع الاستفهام فيكون انكارياً لا تقريرياً

وهم لم يقرؤا بجميع تلك الجمل مع انهم كانوا يعبدون صور الانبياء والصالحين لا انفسهم
 وكانوا يقولون عن الملائكة انها بنات الله ومن عبد المسيح يعتقد فيه ما يعتقد في الله كما
 مر ذلك كله واذا كانوا لا يعتقدون في الاوثان ما ورد في الآيات مما أقروا به فلا دليل على
 انهم لا يعتقدون غيره من صفات الربوبية كما مر مفصلاً اما ما اطال به من قوله ان مجرد
 الاتيان بلفظ الشهادة الخ فهو تطويل بلا طائل فلسنا نكتفي بمجرد الاتيان بلفظ الشهادة
 كالكرامية ولكن أين العرش حتى تنقش وكون الايمان مجرد التصديق عند الجهمية لا
 يظهر لذكره فائدة غير التطويل ومثله الاستشهاد بآية المنافقين التي لا مستاس لها بما نحن فيه
 والاطالة في تفسيرها . وما بيناه من عدم وقوع العبادة المنهي عنها من احد من المسلمين
 لنبي ولا صالح ولا قبر ولا غيره تعرف انه دمار ما بناء على ذلك من قوله : من شهد ان
 لا اله الا الله وعبد غيره فلا شهادة له (ثبت العرش ثم انقش) وكذا الاستشهاد بباقي الايات .
 ثم قال محمد بن عبد الوهاب في رسالة كشف الشبهات ^(١) : اذا تحققت ان الذين قاتلهم
 رسول الله «ص» أصح عقولا واخف شركاً من هؤلاء فاعلم ان هؤلاء شبهة يوردونها على ما
 ذكرنا وهي من أعظم شبههم ، ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الينا : وهي ان الذين
 نزل فيهم القرآن لا يشهدون ان لا إله الا الله ويكذبون الرسول وينكرون البعث
 ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً ونحن نشهد الشهادتين ونصدق القرآن ونؤمن بالبعث
 ونصلي ونصوم فكيف تجعلوننا مثل اولئك ؟! (فالجواب) انه لا خلاف بين العلماء ان
 من صدق رسول الله «ص» في شيء وكذبه في شيء أو آمن ببعض القرآن وجحد بعضه
 كافر كما قال الله تعالى : (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله
 ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلاً اولئك هم
 الكافرون حقاً) ، ولما لم ينقد اناس للحج نزل فيهم : (والله على الناس حج البيت الى قوله
 ومن كفر «الآية») فإذا كان من صدق الرسول في كل شيء وكذبه في شيء واحد كالبعث
 أو الصلاة أو الصيام فهو كافر حلال الدم والمال ، فكيف اذا جحد التوحيد الذي هو
 دين الرسل كلهم لا يكفر ، سبحان الله ما أعجب هذا الجمل . ثم استشهد بان اصحاب

رسول الله «ص» قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون الشهادتين ويصلون ويؤذنون . (قال) فان قال انهم يقولون ان مسيلمة نبي قلنا هذا هو المطلوب اذا كان من رفع رجلا الى رتبة النبي كفر وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهادتان والصلاة فكيف بمن رفع شمسان ويوسف أو صحابياً أو نبياً في مرتبة جبار السماوات والأرض كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون (قال) وبنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمن بني العباس كلهم يشهدون الشهادتين ويدعون الاسلام ويصلون الجمعة والجماعة فلما اظهروا مخالفة الشريعة في اشياء دون ما نحن فيه اجمع العلماء على كفرهم وقتلهم وان بلادهم بلاد حرب وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين (قال) واذا كان الأولون لم يكفروا إلا انهم (كذا) جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول والقرآن وانكار البعث وغير ذلك فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب باب المرتد وهو المسلم الذي يكفر بعد اسلامه وذكروا انواعاً كثيرة كل منها يكفر ويحل دم الرجل وماله حتى انهم ذكروا اشياء يسيرة عند من فعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو على وجه المزح واللعب (قال) والذين نزل فيهم يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم كفرهم الله تعالى بكلمة مع انهم في زمن الرسول «ص» يجاهدون معه ويصلون ويزكون ويحجون ويوحدون والذين نزل فيهم (قل ابا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) كانوا مع رسول الله «ص» في غزوة تبوك وقالوا كلمة ذكروا انهم قالوها على وجه المزح فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم تكفرون المسلمين اناساً يشهدون ان لا إله إلا الله ويصلون ويصومون ثم تأمل جوابها فانه من اتفق ما في هذه الأوراق (واستدل أيضاً) بما حكاه الله تعالى عن بني اسرائيل مع اسلامهم وعلمهم وصلاحهم انهم قالوا لموسى اجعل لنا الهام كما لهم آلهة وقول ناس من الصحابة اجعله لنا ذات اواط ^(١) فحلف «ص» ان هذا نظير قول بني اسرائيل اجعل لنا الهام . (ثم قال) وللمشركين شبهة اخرى يقولون انكر النبي «ص» على اسامة قتل من قال لا إله إلا الله وقال أقتلته بعد ما

(١) روى الترمذي عن ابي واقد الليثي خرجنا مع رسول الله «ص» الى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يمكفون عندها وينوطون بها اسلحتهم يقال لها ذات اواط فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات اواط كما لهم ذات اواط فقال رسول الله «ص» الله اكبر انها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا الهام كما لهم آلهة «الآية» لتبعن سنن من كان قبلكم . - المؤلف -

قال لا إله إلا الله (وقال) امرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله واحاديث اخرى في الكفر عن قال لا إله إلا الله (قال) ومراد هؤلاء الجبهة ان من قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل (واجاب) بان اليهود وبني حنيفة والذين حرقهم علي بن أبي طالب يقولون لا إله إلا الله وهؤلاء الجبهة يقولون من جحد شيئاً من اركان الاسلام كفر وقتل ولو قالها فكيف اذا جحد التوحيد قال ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث (فاما) حديث أسامة فانه قتل رجلا ادعى الاسلام لظنه أنه ما ادعاه إلا خوفاً والرجل اذا اظهر الاسلام وجب الكفر عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك وأزل الله تعالى في ذلك (يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) أي تثبتوا ولو كان لا يقتل اذا قالها لم يكن للتثبت معنى وكذلك الأحاديث الاخر . والدليل على هذا ان رسول الله «ص» الذي قال أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله وقال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله هو الذي قال في الخوارج أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً حتى ان الصحابة يحقرون انفسهم عندهم وتعلموا العلم من الصحابة فلم ينفعهم لا إله إلا الله ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الاسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة «انتهى» .

وقال ابن عبد الوهاب أيضاً فيما حكاه عنه الألوسي في تاريخ نجد : الكفر نوعان ، مطلق ومقيد ، فالمطلق أن يكفر بجميع ما جاء به الرسول «ص» ، والمقيد أن يكفر ببعضه ، حتى ان بعض العلماء كفر من أنكر فرعاً مجمعاً عليه كتورث الجد والأخت وان صلى وصام ، فكيف بمن يدعو الصالحين ويصرف لهم خالص العبادة ولها وهذا مذكور في المختصرات من كتب المذاهب الأربعة ، الى ان قال : فتشبيه عباد القبور بانهم يصلون ويعصمون ويؤمنون بالبعث مجرد تعمية على العوام وتلبيس لينفق شرهم ويقال باسلامهم وإيمانهم ويأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون «انتهى» .

(والجواب) ان انكار شيء مما جاء به النبي «ص» بعد العلم يانه جاء به لكونه مما ورد في القرآن أو جاءت به السنة القطعية وصار من ضروريات الدين لا ريب في أنه تكذيب للنبي «ص» موجب للكفر واذا وقع من مسلم حكم بارتداده ولا يحتاج الى الاطالة واكثر الشواهد عليه من الآيات وغيرها وذكر العلماء باب المرتد وغير ذلك الذي اطلال به بدون طائل . انما الكلام في ان الاستغاثة والتشفع والتوسل بالصالحين هل هي

موجبة لحدود التوحيد وللرفع في مرتبة جبار السماوات والارض كما زعم وقد تبين بما شرحناه ووضحناه في هذا المقام وغيره وفي الفصول المختصة بتلك الأمور انه ليس فيها شيء مما ينافي التوحيد ولا توجب رفع مخلوق الى رتبة جبار السماوات والارض ولا تخرج عن طلب الدعاء ممن يرجى من الله اجابة دعائه لنا لما له من المنزلة عنده باخلاصه في عبوديته . ولما قاس الوهابيون حال المسلمين المستغيثين بالصالحين على حال مشركي قريش فقالوا ان كليهما أقر بتوحيد الربوبية ولكنه تشفع واستغاث وتوسل بالمخلوقين فلم ينفعه اقراره بتوحيد الربوبية وان النبي «ص» لم يقاتل عبدة الاوثان إلا على استشفاعهم بغير الله رجلاً صالحاً أو غيره فدل ذلك على ان الاستشفاع عبادة وعبادة غير الله شرك كما صرح به ابن عبد الوهاب في كلماته السابقة ، توجه عليهم حينئذ اعتراض بعض أهل الاحساء بان هذا قياس مع الفارق : فشركو قريش لا يشهدون الشهادتين ويكذبون الرسل والقرآن وينكرون البعث ، وهذا هو الذي اوجب كفرهم وأحل قتالهم ، ونحن نفر بذلك كله ، فبطل القياس ، نعم لو كان الصادر من الاولين مجرد الاستغاثة والاستشفاع وتعظيم القبور كان القياس صحيحاً ، ولكن الصادر منهم غير ذلك مما يوجب الكفر والشرك ، ولا ينفع الجواب بان من صدق الرسول في شيء وكذبه في شيء كفر ، الذي لا ينكره أحد . ومن ذلك تعلم ان قوله : سبحان الله ما اعجب هذا الجهل ، لا ينطبق الا عليه خاصة .

وان قوله : كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ، ليس احد اولى به منه . ومع كون الشواهد التي استشهد بها وأطال بذكرها لا حاجة اليها بل هي تطويل بلا طائل اكثرها غير صحيح في نفسه كدعواه ان الفاطميين المصريين بنو عبيد قد أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم وان بلادهم بلاد حرب ، فانه ادعاء باطل وافتراء على العلماء ، ولو كان ذلك صحيحاً لتمسك به أعداؤهم خلفاء بني العباس وجعلوه من أعظم الحجج لهم فأخذوا فتاوى العلماء بذلك ، ولو وقع ذلك لشاع وذاع ولذكره أهل السير والتواريخ ونقله الاخبار مع انه ليس له في كتبهم عين ولا أثر ، ولما كان بنو العباس يعدلون عنه الى كتابة محضر بعدم سحة نسبهم فقط ، شهد فيه جماعة من العلماء خوفاً على أنفسهم وامتنع من الشهادة الشريف الرضي ، وقصته في ذلك مع القادر العباسي مشهورة ذكرها المؤرخون .

ولا شيء أطرف من قوله : وغزاهم المسلمون حتى استنقدوا ما بأيديهم من بلاء

المسلمين ، فإثنا لا نعلم أحداً من المسلمين غزاهم ، وهذه كتب التواريخ شاهدة بذلك وإنما استنجد آخر خلفائهم الملقب بالعاضد بنور الدين ملك الشام لما خاف على بلاده من الأفرنج ، فارسل إليه صلاح الدين الأيوبي ، فكان انقراض دولتهم على يده بدون حرب ولا قتال ولا غزو بل على عادة الملوك في تغلبهم على ملك غيرهم إذا انسوا منهم ضعفاً ، كما تغلب صلاح الدين على ملك مصر وخرج عن طاعة نور الدين مع أنه هو الذي أرسله وكان بمنزلة العامل عنده ، ثم تغلب صلاح الدين على الشام بعد موت نور الدين وطرد ولده من الملك . وخبر ذلك في التواريخ مشهور ، أفهذه أدلة محمد بن عبد الوهاب وهذا مبلغ علمه بالتاريخ ؟!

وقوله : غزاهم المسلمون طريف جداً فإنه مناف لتكفير الوهابية المسلمين واشراكهم إياهم فإن المسلمين في عصر الفاطميين المصريين مثلهم في عصر الوهابيين لا يزيدون عنهم بشيء فقد كانوا في ذلك العصر يبنون القباب على القبور ويعظمونها ويتشفعون بالصالحين ، فإن كان هؤلاء مشركين فأولئك مشركون ، ولم يكن في عصر الفاطميين وهابية يغزون فكيف سماهم مسلمين . وهذا كقول صاحب المنار : أيها المسلمون . مع تصويبه اعتقاد الوهابية فيهم كما بيناه في غير هذا الموضع . ولكن هؤلاء عند حاجتهم للمسلمين يعترفون بإسلامهم وإذا استغنوا عن ذلك كفروهم واشركوهم . نعم إن المسلمين اجتمعوا على ضلالة الوهابيين وخروجهم من الجماعة وقتالهم وغزاهم المسلمون بأمر خليفة الاسلام حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين كما فصلناه في تاريخهم ، فإن كان ذلك دليلاً على الكفر الارتداد فهو دال على كفر الوهابية وخروجهم من الدين ، كما أنك قد عرفت في الباب الأول أقوال العلماء في حق ابن تيمية قدوة الوهابية وبادر بذور مذهبهم وأول من زقا بالقول بالتجسيم وصنف فيه . فاجماع العلماء قائم على ضد قول ابن عبد الوهاب لا معه مع أنه لا قيمة لاجماع العلماء عنده وإن تظاهر بالتمسك به . أما قوله : إذا كان الأولون لم يكفروا إلا أنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسل وغير ذلك ، فما معنى ذكر العلماء باب المرتد الخ : ففيه كما مر أن المعارض لم يقل أن الأولين لم يكفروا إلا أنهم جمعوا بين هذه الأشياء بحيث لو نقص واحد منها لم يكفروا وأنه ليس شيء سواها مكفراً بل لما قاس الوهابية حال المسلمين اليوم على حال مشركي قريش توجه عليهم الاعتراض بأن هذا قياس مع الفارق كما عرفت . نعم لو كان الصادر من الأولين مجرد الاستغاثة والتوسل والاستشفاع وتعظيم القبور كان القياس صحيحاً ولكن الصادر منهم غير ذلك مما يوجب التكفير فلم يبق في ذلك دلالة على أن الاستشفاع ونحوه موجب للكفر وحينئذ فاستشهاد

بذكر العلماء باب المرتد تطويل بلا طائل كما عرفت لعدم انكار أحد امكان حصول الارتداد مع الاقرار بالشهادتين انما الكلام في ان المتنازع فيه هو موجب للارتداد ام لا وهذا لا ينفع فيه ذكر العلماء باب المرتد. على ان جميع علماء المذاهب الذين ذكروا باب المرتد وبينوا ما يوجب الارتداد لم يذكروا من جملته الاستغائة والاستشفاع بالصالحين فدل على اجماعهم على أنه ليس موجبا للارتداد وبطل بذلك زعم الوهابية . فما استشهد به شاهد عليه لا له . قوله : مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه . أقول : الذي ذكره علماء المذاهب في باب المرتد ان من تكلم بكلمة الكفر كقوله الله ثالث ثلاثة استهزاء أو عناداً كفر ^(١) لا مطلق من قالها . كما يقتضيه اطلاق كلامه قصداً لتهوين امر الارتداد . قوله : أو على وجه المزح واللعب ستعرف مما يأتي بعده شرح ذلك ورده وانه خيانة في النقل وتدليس .

ومن الغريب قوله بأن الذين نزل فيهم يحلفون بالله ما قالوا (الاية) كفرهم الله بكلمة مع انهم في زمن الرسول (ص) يجاهدون معه ويصلون ويذكرون ويحجون ويوحدون فان هذه الآية مع كونها كغيرها من استشهاداته لا حاجة الى الاستشهاد بها كما عرفت نزلت في المنافقين . ففي اسباب النزول للواحدي قال الضحاك : خرج المنافقون مع رسول الله (ص) الى تبوك وكانوا اذا خلا بعضهم ببعض سبوا رسول الله (ص) واصحابه وطعنوا في الدين فنقل ما قالوا حذيفة الى رسول الله (ص) فقال (ص) يا أهل النفاق ما هذا الذي بلغني عنكم فحلفوا ما قالوا شيئاً من ذلك فانزل الله تعالى هذه الآية إكذاباً لهم وقال قتادة : ذكر لنا ان رجلاً من جبهة ورجلاً من غفار اقتتلا فظهر الغفاري على الجهني فنادى عبد الله بن ابي يا بني الأوس انصروا أخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يا كلك والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فأخبر النبي (ص) فارسل اليه فجعل يحلف بالله ما قتال فنزلت الآية « انتهى » وفي الكشف أقام رسول الله (ص) في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم الجلّاس بن سويد فقال الجلّاس والله لئن كان ما يقول محمد حقاً لاخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا وأشرافنا فنحن شر من الحمير فقال له عامر بن قيس الانصاري أجل والله ان محمداً لصادق

(١) راجع الاقتناع في حل الفاظ ابي شجاع وحاشيته ص ٢٢٩ ج ٢ في الفقه الشافعي وحاشية الشرقاوي على شرح التحرير لتركيا الانصاري ص ٣٩٠ ج ٢ في الفقه الشافعي ايضاً (المؤلف)

وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله (ص) فاستحضره فحلف بالله ما قال فنزلت الآية « انتهى » وهي قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهو بما لم ينالوا. ولكونها نزلت في المنافقين قال صاحب الكشاف: « كفروا بعد اسلامهم » أظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام « انتهى » والذي هموا به فلم ينالوه: الفتك برسول الله (ص) عند مرجعه من تبوك توافق خمسة من المنافقين على ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي ذا صعد العقبة فرأهم عمار قائد ناقة النبي (ص) او حذيفة سائقها ملثمون فقال اليكم اليكم يا أعداء الله فهربوا ذكره الواحدي عن الضحاك وذكره الزحشري فهو لاء هم الذين قال عنهم ابن عبد الوهاب انهم يجاهدون ويصلون ويذكرون ويحجون ويوحدون وما ينفعهم ذلك وهم منافقون يسبون رسول الله (ص) ويطعنون في الدين ويقولون في حقه (ص): سمن كلبك يأكلك ويحاولون قتله والقاءه عن راحلته الى الوادي فجعلهم كالمسلمين الذين يستشفعون الى الله تعالى ويستغيثون بالنبي (ص) الذي جعله شافعاً ومغيثاً على السواء. هذا علم ابن عبد الوهاب وهذه حججه وادلته وكذلك قوله: ان آية ابا الله وآياته الخ نزلت فيمن قالوا كلمة ذكروا انهم قالوها على وجه المزح^(١) تهوينا وتصغيراً وتخفيفاً لعملهم ، حتى يتسنى له تشبيه المسلمين بهم وهل ينفعهم ذلك وادعائهم المرح، والحال انهم من المنافقين الذين انزل الله تعالى فيهم « يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبا الله وآياته ورسله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) في الكشاف : بينا رسول الله «ص» يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فأطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من امرك ولكن في شيء مما يخوض فيه الركب

(١) يتبين مما سيأتي في سبب نزول الآية انهم لم يعترفوا بتلك الكلمة ولا ادعوا قولها لا على سبيل المزاح كما يدعيه ابن عبد الوهاب ولا غيره بل انكروها بتاتاً وادعوا أنهم كانوا يمزحون بشيء غيرها . ثم انه هنا يقول ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح وفي صفحة ٧٢ من كشف الشبهات يقول : كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب والمزح فجزم بذلك فتناقض كلامه وكلامه للواقع فانظر الى تحريفه الاخبار ترويحاً لمقاصده .

ليقصر بعضنا على بعض السفر فنزلت الآية . وذكر نحوه الواحد في أسباب النزول عن قتادة وانهم قالوا يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب وذكر الواحد ايضاً عن زيد بن اسلم ومحمد بن وهب ان رجلاً من المنافقين قال في غزوة تبوك ما رأيت مثل هؤلاء يعني النبي « ص » وأصحابه ارجب بطونا ولا اكذب السناً ولا أجن عند اللقاء فأخبر النبي « ص » فاعتذر القائل بانا كنا نخوض ونلعب فنزلت الآية « انتهى » ابهؤلاء يقاس المسلمون المتشفعون الى الله تعالى بنبية صاحب الشفاعة عنده . ثم يتبجح بقول : تأمل هذه الشبهة ثم تأمل جوابها فانه من انفع ما في هذه الاوراق . وهو كما عرفت لم يأت بجواب ولا شبه جواب وكذا استشهاده بحلف النبي (ص) ان قول بعض الصحابة له اجعل لنا ذات اواط نظير قول بني اسرائيل اجعل لنا الها كما لهم آلهة لا محل له ولا فائدة فيه ومن الذي يشك في أن اتخاذ شجرة تناط بها الأسلحة وتعبد كما تعبداً الأصنام هو نظير عبادة بني اسرائيل للأصنام وطلب بعض الصحابة ذلك من النبي (ص) هو نظير طلب قوم موسى منه ولكن هذا لا يثبت أن الاستغاثة والاستشفاع بالنبي (ص) نظير عبادة الأصنام

وأما جوابه عن قصة اسامة وتنظيره باليهود وبني حنيفة والذين حرقهم علي بن ابي طالب والخوارج فهو مبني على الأساس الفاسد الذي أسسه من جعل الاستشفاع والتوسل بالصالحين عبادة لهم وشركاً فلا ينفع معها قول لا اله الا الله وحيث عرفت فساد هذا الأساس تعرف فساد ما بني عليه وتعرف ان من وصفهم باعداء الله وهو أحق بهذا الوصف منهم قد فهموا معنى الاحاديث وافنوا أعمارهم في فهمها ودراستها وانها تدل على أن من قال لا اله الا الله حرم دمه الا ان يثبت خروجه عن الاسلام بيقين ولا يجوز تكفيره واستحلال دمه بمجرد الظن والتخمين فاليهود انكروا نبوة عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم وجميع شرائع الاسلام (وبني حنيفة) الذين قتلهم خالد اعتل لقتلهم بمنع الزكاة التي وجوبها من ضروريات الدين التي يكفر منكرها والذين اتبعوا مسيئة ادعوا فيه النبوة وارتدوا عن الاسلام . وجعله المسلمين اشد كفراً منهم باعتبار أن اولئك ادعوا النبوة في مسيئة والمسلمون رفعوا المخلوقين الى درجة الالهية بسبب استغاثتهم وتشفعهم بهم من السخافة بكان لما عرفت ولما هو اوضح من الشمس في رابعة النهار من ان استغاثة المسلمين واستشفاعهم بدوي المكانة عنده تعالى وجميع ما يفعلونه ليس فيه شائبة

رفع المخلوق عن درجة العبادة الى درجة الالهية وقد أوضحنا ذلك مكرراً فلا نطيل باعادته . والذين حرقهم علي بن ابي طالب قالوا له أنت الله أما من توسل بنبي او صالح الى الله ودعاه واستغاث به ليدعوا الله له ويكون له شفيعاً فلم يكفر ولم يشرك ولم ينكر ضرورياً حتى يباح دمه الا عند الجاهل الذي لا يفهم معنى الاحاديث واما استشهاده بأخبار الخوارج وان الرسول (ص) امر بقتلهم لما ظهر منهم من مخالفة الشريعة ففيه أن الذي ظهر منهم هو تكفير المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم واخافة السبيل واشهار الحرب على المسلمين لشبهة دخلت عليهم أعظم اسبابها الجهود، واشبه الناس بهم في هذا الزمان كما مر من يكفر المسلمين ويستحل دماءهم وأموالهم ويفزو بلاد الاسلام ويشهر الحرب على المسلمين ويخيف السبل بشبهة انهم يستغيثون ويستشفعون بذوي المكانة عند الله وتوهم ان ذلك شرك بالله ، والحال أنه ليس فيه من ذلك شائبة كما بيناه وأوضحناه فاي الفريقين أحق بان يشبه بالخوارج لو كانوا يعقلون .

(واما قوله) فيما حكى عنه في تاريخ نجد أن بعض العلماء كفر من انكر فرعاً مجمعا عليه فهو اعتراف منه على نفسه وعلى اتباعه بالكفر فانهم قد انكروا فروعاً فضلاً عن الفرع الواحد مجمعا عليها بين المسلمين كالاستشفاع بالنبي «ص» وتعظيم قبره والتبرك به وغير ذلك مما خالفوا فيه عامة المسلمين بعد اتفاقهم واجماعهم عليه اجيالاً عديدة فتوى وعملاً (قوله) : فتشبيه عباد القبور الخ قد علمت مما بيناه وشرحناه انه ليس في ذلك تشبيه بل هو الحق الذي لا شبهة فيه وان تشبيه الوهابيين بان الاستشفاع والتوسل بالنبي «ص» الذي جعله الله شافعاً وجعل له الوسيلة كفر وشرك مجرد تعمية على العوام وتلبس لتنفق ضلالتهم التي كفروا بها المسلمين ويأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون .

ومما ذكره ابن عبد الوهاب في رسالة كشف الشبهات ^(١) انه ما بعث الله نبياً بهذا التوحيد الا جعل الله له أعداء كما قال (وجعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن) وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال تعالى (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) فاذا عرفت ان الطريق الى الله لا بد له من اعداء قاعدين عليه اهل فصاحة وعلم وحجج فالواجب عليك ان تعلم من دين الله ما يصير

لك سلاحاً تقاثل هؤلاء الشياطين الذين قال امامهم ومقدمهم لربك عز وجل لأقعدن لهم صراطك المستقيم لاثنين من بين ايديهم (الآية) ولكن اذا اقبلت على الله فلا تحف (ان كيد الشيطان كان ضعيفاً) والعامي من الموحدين يغلب الفأ من علماء هؤلاء المشركين فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان والسيف والسنان (ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيراً) قال بعض المفسرين هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل الى يوم القيامة .

(ونقول) جعله علماء المسلمين كالشياطين الذين يصدون عن سبيل الله وقده في علومهم وكتبهم وحججهم لانهم لا يوافقونه على معتقده الفاسد كجملة من كلماته الشنيعة في حقهم السابقة والآتية خروج عن جادة الأدب وعما أمر الله تعالى به نبيه « ص » من المجادلة بالتي هي احسن والدعاء الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ولو كان له دليل واضح لاكتفى به ولم يحتج الى سوء القول في علماء المسلمين وحماة الدين وما أحقه بما وصمهم به واشد انطباقه عليه وعلى اتباعه .

قال : وانا اذكر لك اشياء مما ذكر الله في كتابه جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا (فنقول) جواب أهل الباطل من طريقتين مجمل ومفصل اما المجمل فهو الأمر العظيم وانفاذة الكبيرة وهو قوله تعالى (هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب وأخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) وقد صح عنه « ص » اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين سمى الله فاحذروهم . مثال ذلك اذا قال لك بعض المشركين (الا إن اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وان الشفاعة حق والانبياء لهم جاه عند الله أو ذكر كلاماً للنبي « ص » يستدل به على شيء من باطلها وانت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره فجاوبه بان الذين في قلوبهم زيغ يتركون الحكم ويتبعون المتشابه وكون كفر المشركين بتعلقهم على المخلوقين وتشفعهم بهم محكم وما ذكرت لي لا اعرف معناه ولكن اقطع ان (كلام ظ) الله لا يتناقض وان كلام النبي لا يخالف كلام الله وهذا جواب سديد ولكن لا يفهمه الا من وفقه الله فلا تستهونه فانه كما قال تعالى ولا يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم .

(ونقول) : ما أحقه بهذه الاوصاف التي وصف بها المسلمين . واما ايضاؤه من يتبعه بان يجعل كلام مخالفه من المتشابه ومعتقده هو من المحكم ليدخل مخالفه تحت (واما الذين في قلوبهم زيغ « الآية ») فطريف جداً وما ندري ما الذي يجعل الا ان أولياء الله لا خوف عليهم وكون الشفاعة حقاً والانباء لهم جاء عند الله من المتشابه . (فالمتشابه) كما ذكرناه في الامر الثاني من المقدمة الثانية ما لا يكون ظاهر المعنى لسبب من الاسباب وهذه الالفاظ معناها بين ظاهر فكيف جعلها من المتشابه . (قوله) أو ذكر كلاماً للنبي « ص » يستدل به على شيء من باطلها « أي الشفاعة » فجأوبه الخ . هذا خطأ منه في تعليم الاحتجاج والمجادلة فانه اذا كان الحديث مجماً متشابهاً والوهابي لا يفهم معناه مع كونه من أهل العلم والفهم فكيف يستدل به العلماء وأهل المعرفة والفهم واذا فرض فالجواب عنه سهل مختصر وهو انه لا دلالة فيه لاجاله من جهة كذا ولا يحتاج الى هذه المقدمة الطويلة العريضة والتبجح الزائد بقوله فهو الامر العظيم والفائدة الكبيرة وقوله فهذا جواب سديد الخ . ولعله يكون ظاهر الدلالة والمحاطب لا يفهم معناه لكونه اعرابياً نشأ في البادية ولم يتعلم وان كان قلبه محشواً بالتوحيد فكيف يسوغ لمحمد بن عبد الوهاب أن يعلمه هذا الجواب . اما السر في هذه الوصية فهو انه لما منى أصحابه الموحدون ان الواحد منهم يغلب الالوف من المشركين وعلم انهم لا بد ان يغلبوا في كثير من مجادلاتهم أراد ان يعلمهم طريقاً يرفع به عن نفسه خلف الوعد والكذب فيما وعدهم ومناهم به ويتخلصون به عند ما يجابون بجواب فيعجزون عن رده وهو ان يقولوا لخصمهم : هذا الذي ذكرته متشابه وما نعتقد محكم والمتشابه لا يجوز التمسك به ولا يعارض المحكم . فهذه طريقة يمكن التخلص بها في كل مقام ومن كل ايراد ، ولم يعلم ان المتشابه لا يكون متشابهاً بمجرد الدعوى بل له أسباب لا بد لمن يدعي التشابه من بيانها مثل كونه مشتركاً بين معنيين ولا قرينة على تعيين احدهما أو انه قامت قرينة على عدم ارادة المعنى الحقيقي ولم تعين المجازي ونحو ذلك . (ونظير هذه الوصية) ما حكى ان رجلاً طلب للمحاكمة مع آخر فاسترشد صديقه ما الذي ينبغي ان يفعله حتى لا يغلب فاوصاه باستعمال الانكار فلما حضر للمحاكمة ادعى عليه خصمه بمال فسأله القاضي عن اسمه فقال انا منكر فقال هل أخذت منه هذا المال قال نعم ولكن انا منكر فامر القاضى بدفع المال فقال انا منكر ولم يفهم المسكين ان الانكار بعد الاقرار لا يفيد . اما جعله كذا .

وتشفعهم بهم من الحكم فقد عرفت وستعرف بما لا مزيد عليه انه من الوهي والوهن بمكان وانه لا احكام فيه بل هو رقم على الماء وان جوابه لا شيء فيه من السداد .

قال : (واما الفصل) فان اعداء الله لهم اعتراضات كثيرة يصدون بها الناس . منها قولهم نحن لا نشرك بالله بل نشهد انه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر الا الله وحده لا شريك له وان محمداً « ص » لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرراً فضلاً عن عبد القادر أو غيره ولكن أنا مذهب والصالحون لهم جاه عند الله واطلب من الله بهم فجاوب بما تقدم وهو ان الذين قاتلهم « ص » مقرون بما ذكرت وبان اوثانهم لا تدبر شيئاً وانما ارادوا الجاه والشفاعة وقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه فان قال انها نزلت فيمن يعبد الاصنام فكيف تجعلون الصالحين اصناماً فجاوبه بما تقدم فاذا اقر ان الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله وانهم ما ارادوا من قصدوا الا الشفاعة واراد ان يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكره فاذكر له ان الكفار منهم من يدعو الصالحين والاصنام ومنهم من يدعو الاولياء الذين قال الله فيهم (اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب) ويدعون عيسى واما واذكر قوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون) فان قال : الكفار يريدون منهم وانا اشهد ان الله هو النافع الضار المدبر لا اريد الا منه والصالحون ليس لهم من الامر شيء ولكن ارجو شفاعتهم فالجواب ان هذا قول الكفار بعينه (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى . هؤلاء شفعاؤنا عند الله) « قال » : وهذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم .

(ونقول) يظهر فساد ما أطال به بلا طائل مما قدمناه من ان الذين قاتلهم رسول الله « ص » لم يقاتلهم على مجرد التشفع بالصالحين اليه بل على عدم قبولهم احكام الاسلام وتكذيبهم له مع ظهور المعجزات على يديه وارتكابهم الموبقات والعظائم وغير ذلك مما مر في صدر الكلام حتى من يعبد صور الصالحين من الاحجار المنحوتة اما قوله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه) فنزلت على ما ذكره المفسرون في قوم من العزب كانوا يعبدون الجن . أو كانوا يعبدون الملائكة وقيل كانوا يعبدون عيسى وعزيراً واعترضه الطبري في تفسيره بما حاصله : ان

الاية دالة على وجودهم في عهد النبي « ص » وعزير وعيسى ليسا كذلك « انتهى » (وفي الكشاف): « أولئك » مبتدا و (الذين يدعون) صفته و (يبتغون) خبره و (أيهم) موصولة بدل من واو يبتغون يعني ان آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة وهي القرية الى الله الذين هم أقرب منهم وازلف فكيف بغير الاقرب « انتهى » فالآية دالة على انهم اتخذوهم آلهة من دون الله وعبدوهم وليس فيها ما يدل على انه لم يصدر منهم في حقهم الا طلب شفاعتهم عند الله والتوسل بهم اليه وان اشتملت على لفظ الدعاء وان المدعويين يبتغون الى ربهم الوسيلة، لكن قوله لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا دال على أنهم كانوا يعتقدون فيهم القدرة على كشف الضر وتحويله عنهم بانفسهم ولذلك عبدوهم واتخذوهم آلهة دون الله بدليل قوله تعالى : الذين زعمتم من دونه . ومع ذلك فقد كذبوا الرسل وعاندوهم . واما من يعبد عيسى وأمه فحالمهم أوضح وأظهر . والعجب كيف جعل عبادة عيسى وأمه وجعله الها خالقاً رازقاً مدبراً للكون متحداً مع الله تعالى كمن يتشفع بصالح الى الله ! ما هذا الا الجهل أو العناد . وكذلك جعله رجاء الشفاعة من الصالحين هو قول المشركين : ما نعبدكم الا ليقربونا هؤلاء شفعاؤنا ، واضح الفساد بما عرفت من صراحة الآيتين في وقوع عبادة منهم غير الشفاعة جعلت علة لها مرة وعطفت عليها اخرى والعلة غير المعلول ومقتضى العطف التغاير كما سيأتي في فصل الشفاعة .

وقال الصنعاني في تطهير الاعتقاد ^(١) ما حاصله بعد حذف تكريرات كثيرة وتقديم وتأخير : التوحيد قسمان توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ونحوها أي ان الله وحده هو الرب الخالق الرازق للعالم وهذا لا ينكره المشركون . وتوحيد العبادة أي افراد الله وحده بجميع انواع العبادات وعدم عبادة غيره معه وهذا الذي جعلوا لله فيه الشركاء ولفظ الشريك يشعر بالاقرار بالله تعالى . والرسل والانبياء من أولهم وهو نوح الى آخرهم وهو محمد بعثوا لتقرير توحيد الربوبية كقولهم (أفي الله شك . هل من خالق غير الله . أغير الله اتخذ ولياً . اروني ماذا خلق الذين من دونه . اروني ماذا خلقوا من الأرض) . استفهام تقرير لهم لأنهم به مقرون ولم ترد الايات في الغالب الا بصيغة استفهام التقرير . والدعاء الى توحيد العبادة واخلاصها والنهي عن شركها . قال الله تعالى (ولقد بعثنا في

كل امة رسولا ان اعبدوا الله (فأفاد ان جميع الأمم لم ترسل اليهم الرسل الا لطلب توحيد العبادة) ان لا تعبدوا الا الله . وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين (وكل رسول اول ما يقرع به اسماع قومه) يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره . ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون (ولم ترسل الرسل لطلب توحيد الربوبية لأن المشركين مقرون به بدليل قوله تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله . ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم . قل من يرزقكم) الآيات المقدمة في كلام ابن عبد الوهاب . وكل مشرك مقر بان الله خالقه وخالق السماوات والأرض ولهذا احتج عليهم الرسل بقولهم (أفمن يخلق كمن لا يخلق . ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له) والعبادة اعتقادية كالاقتصاد بالتوحيد ولفظية كالنطق بكلمته وبدنية كالسلاة ومالية كالزكاة .

والعبادة اقصى باب الخضوع والتذلل ولم تستعمل الا في الخضوع لله لأنه مول أعظم النعم فكان حقيقاً باقصى غاية الخضوع كما في الكشف .

ورأس العبادة وأساسها التوحيد الذي تفيده كلمته والمراد اعتقاد معناها وهو أفراد الله بالعبادة والالهية والنفي والبراءة من كل معبود دونه لا مجرد قولها وقد علم الكفار هذا المعنى لأنهم أهل اللسان فقالوا (اجعل الالهة الهاً واحداً) وقالوا (أجبئنا لنعبد الله وحده) أي لفردة بالعبادة دون الاوثان فانكروا افراده بالعبادة وعبدوا معه غيره واتخذوا له انداداً قال تعالى (فلا تجعلوا لله انداداً وأنتم تعلمون) أي وانتم تعلمون انه لا ند له وكانوا يقولون في تلبيتهم للحج :

لبيك لا شريك لك الا شريكاً هو لك

تلكه وما ملك

فالشر كون انما أشركوا في العبادة ولم يشركوا في توحيد الربوبية وكانت عبادتهم للأصنام هي اعتقادهم فيها أنهم يضرون وينفعون ويقربونهم الى الله زلفى ويشفعون لهم عنده فنحروا لهم النحائر وطافوا بهم ونذروا النذور عليهم وقاموا متذللين متواضعين في خدمتهم وسجدوا لهم ولم يعبدوهم بالخضوع لهم والتقرب بالنذور والنحر لهم الا لاعتقادهم انها تقرهم من الله زلفى وتشفع لهم لديه وقالوا وهم في النار : (تالله ان كنا لفي

ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين) مع انهم لم يسووههم به من كل وجه ولا جعلوهم خالقين رازقين وكان المشركون منهم من يعبد الملائكة ويناديهم عند الشدائد ومنهم من يعبد احجاراً ويهتف بها عند الشدائد فبعث الله محمداً «ص» يدعوهم الى افراد الله بالعبادة كما أفردوه بالربوبية وان لا يدعوا مع الله احداً قال تعالى : له دعوة الحق (الاية) وقال (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) أي من شرط الصدق (كذا) بالله ان يفرده بالتوكل كما يجب افراده بالدعاء والاستغفار وهذه الحال التي أشرك بها السابقون بشرك العبادة هي بعينها حال المسلمين مع الأنبياء والصالحين وغيرهم فاعتقدوا فيهم انهم يضررون وينفغون ويقربون الى الله ويشفعون عنده فدعوههم ونادوهم في الشدائد والرخاء وهتفوا باسمائهم واستغاثوا واستعانوا وتوسلوا وتشفعوا وحلفوا بهم وطلبوا منهم ما لا يطلب الا من الله من عافية المريض وقدم الغائب ونيل المطالب ونذروا لهم باموالهم واولادهم ونحروا على قبورهم وطافوا بها وتبركوا وتسحوا بها فصار الذين يعتقدون في القبور والاولياء والفسقة والخلعاء مشركين كالذين يعتقدون في الأصنام لأنه قد حصل منهم ما حصل من اولئك وساووهم في ذلك بل زادوا في الاعتقاد والانقياد والاستعباد فلا فرق بينهم .

وكما أن السابقين كانوا مقرين بتوحيد الربوبية ولم ينفعهم ذلك لأنهم مشركون بالعبادة فلم ينفعهم اقرارهم بالله لأنه نافاه فعلمهم كذلك المسلمون وان كانوا مقرين بتوحيد الربوبية لم ينفعهم اقرارهم لأنه نافاه عملهم .

فالمشركون لم يتخذوا الأصنام ولم يعبدوها ولم يتخذوا المسيح وامه والملائكة شركاء لله لأنهم اشركوهم في الخلق بل لأنهم يقربونهم الى الله زلفى كما قالوه وانهم شفعاء عند الله قال الله تعالى (قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) فجعل اتخاذهم للشفعاء شركاً ونزه نفسه عنه لأنه لا يشفع عنده أحد الا باذنه فكيف يثبتون شفعاء لهم لم يأذن الله لهم في شفاعته ولا هم اهل لها ولا يغنون عنهم من الله شيئاً . فما يفعله المسلمون هو بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية وانما يفعلونه لما يسمونه وثناً وصناً وفعله القبوريون لما يسمونه ولياً وقبراً ومشهداً والاسماء لا تغير المعاني فمن شرب الخمر وسماها ماء ما شرب الا خمرأ ولعل عقابه اشد للتدليس والكذب وقد ثبت في الاحاديث انه يأتي قوم يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها وصدق «ص» فانه أتى

طوائف من الفسقة يشربون الخمر ويسمون بها نبذاً وأول من سمي ما فيه غضب الله وعصيانته بالاسماء المحبوبة عند السامعين ابليس فقال هل أدلك على شجرة الخلد فسمى الشجرة التي نهى آدم عن قربانها شجرة الخلد جذباً لطبعه اليها وتدليسا عليه بالاسم الذي اخترعه لها كما يسمي اخوانه المقلدون الحشيشة بلقمة الراحة وكما يسمي الظلمة ما يقبضونه من أموال عباد الله ظلماً ادباً فيقولون أدب القتل أدب التهمة أدب المكايل والموازين أو باسم النفاة والسيافة وكذلك تسمية القبر مشهداً والرجل ولياً لا يخرجهم عن اسم الصنم والوثن لمعاملتهم لها معاملة المشركين للأصنام ويطوفون بهم طواف الحجاج بالبيت ويستلمونهم استلامهم لأركانهم ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية كقولهم على الله وعليك ويهتفون باسمائهم عند الشدائد وكل قوم لهم رجل ينادونه فأهل العراق والهند عبد القادر الجيلي وأهل التهائم يقولون يا زيلعي يا ابن العجيل وأهل مكة والطائف يا ابن العباس وأهل مصر يا رفاعي يا بدوي والسادة البكرية وأهل الجبال يا ابا طير وأهل اليمن يا ابن علوان وفي كل قرية أموات يهتفون بهم وينادونهم ويرجونهم لطلب الخير ودفع الضر وقد يعتقدون في بعض فسقة الأحياء وينادونه في الشدة والرخاء وهو عاكف على القبائح لا يحضر جمعة ولا جماعة ولا يعود مريضاً ولا يشيع جنازة ولا يكتسب حلالاً ويضم إلى ذلك دعوى التوكل وعلم الغيب ويجلب ابليس اليه جماعة قد عشت في قلوبهم وباض فيها وفرخ يصدقون بهتانه ويعظمون شأنه ويجعلون هذا نداً لرب العالمين ومثلاً . فافراد الله بتوحيد العبادة لا يتم إلا بان يكون الدعاء كله والنداء في الشدائد والرخاء والاستعانة واللجأ والنذر والنحر وجميع انواع العبادات من الخضوع والقيام تذلاً والركوع والسجود والطواف والتجرد عن الثياب والحلق والتقصير كلها لله ومن فعل ذلك لمخلوق حي أو ميت أو جاد أو غيره ملكاً أو نبياً أو ولياً أو شجراً أو قهراً أو جنياً فهذا شرك في العبادة وصار من تفعل له هذه الأمور الهماً لعابديه وصار بهذه العبادة أو أي نوع منها عابداً لذلك المخلوق وإن أقر بالله وعبدته فإن اقرار المشركين بالله وتقربهم اليه لم يخرجهم عن الشرك وعن وجوب سفك دمائهم وسي ذرارهم ونهب اموالهم ومن اعتقد في شيء من ذلك انه ينفع أو يضر أو يقرب الى الله أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به والتوسل اليه تعالى إلا ما ورد في حديث فيه

مقال في حق نبينا «ص» ^(١) أو نحو ذلك فقد اشرك مع الله غيره واعتقد ما لا يحل اعتقاده كما اعتقد المشركون في الاوثان وصار حلال المال والدم كما حلت دماء المشركين واموالهم قال الله تعالى أنا اغنى الشركاء عن الشرك لا يقبل الله عملا شورك فيه غيره ولا يؤمن به من عبد معه غيره بل سمي الله الرياء في الطاعات شركا مع ان فاعلها ما قصد بها إلا الله وانما أراد طلب المزية بها في قلوب الناس فلم تقبل وسماها شركا اخرج مسلم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه . عنه «ص» يقول الله تعالى (أنا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا واشرك فيه معي غيري تركته وشركه) بل سمي الله التسمية بعبد الحارث شركا بقوله تعالى (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) اخرج الامام احمد والترمذي من حديث سمرة عنه «ص» لما حملت حواء وكان لا يعيش لها ولد طاف بها ابليس وقال لا يعيش لك ولد حتى تسميه بعبد الحارث فسمته فعاش وكان ابليس تسمى بالحارث .

ثم قال ^(٢) فهؤلاء القبوريون والمعتقدون في جهال الأحياء وضلالهم سلكوا مسالك المشركين حذو القذة بالقذة فاعتقدوا فيهم ما لا يجوز ان يعتقد الا في الله وجعلوا لهم جزءا من المال وقصدوا قبورهم من ديارهم للزيارة وطافوا حول قبورهم وقاموا خاضعين عندها وهتفوا بهم عند الشدائد ونحروا تقربا اليهم وهذه هي انواع العبادات التي عرفناك ولا ادري هل فيهم من يسجد لهم لا استبعد ان فيهم من يفعل ذلك بل اخبرني من اتق به انه رأى من يسجد على عتبة باب مشهد الولي الذي يقصده تعظيما له وعبادة . وقال ^(٣) فان قلت القبوريون يقولون نحن لا نشرك بالله تعالى ولا نجعل له نداً والالتجاء الى الأولياء ليس شركا قلت يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم لكن هذا جهل منهم بمعنى الشرك فان تعظيمهم الأولياء ونحرمهم النجاسات لهم شرك وما يفعلونه عين ما فعله المشركون وصاروا به مشركين ولا ينفعهم قولهم نحن لا نشرك بالله شيئا لأن فعلهم اكذب قولهم . ثم قال : فان قلت هم جاهلون انهم مشركون بما يفعلونه قلت قد خرج الفقهاء في باب الردة ان

(١) المراد حديث سؤال الاعمى الاتي في الفصل الثالث في التوسل . - المؤلف - (٢) من ١٣

(٣) ص ١١

من تكلم بكلمة الكفر يكفر وان لم يقصد معناها وهذا دال على انهم لا يعرفون حقيقة الاسلام ولا ماهية التوحيد فصاروا حينئذ كفاراً كفرةً أصلياً ومن نادى الله ليلاً ونهاراً وسراً وجهاً وخوفاً وطمعاً ثم نادى معه غيره فقد اشرك في العبادة .

ثم أورد سؤالاً بانهم اذا كانوا مشركين وجب جهادهم والسلوك فيهم ما سلكه (ص) في المشركين واجاب بأنه ذهب الى هذا طائفة من أهل العلم وقال انه يجب دعاؤهم الى التوحيد ويجب على العلماء بيان ان ما يفعلونه شرك وانه عين ما كان يفعله المشركون لأصنامهم فاذا ابانت العلماء ذلك للأئمة والملوك وجب عليهم بعث دعاة الى اخلاص التوحيد فمن رجع حقن عليه ما له ودمه وذرايه ومن اصر فقد اباح الله منه ما اباح لرسوله (ص) من المشركين ثم قال فان قلت لا سواء لأن هؤلاء قد قالوا لا اله الا الله وقد قال النبي (ص) امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وقال لأسامة قتلته بعد ما قال لا اله الا الله وهؤلاء يصلون ويصومون ويذكرون ويحجون بخلاف المشركين قلت قد قال (ص) الا بحقها وحقها افراد الألوهية والعبودية لله والقبوريون لم يفردوا هذه العبادة فلم تنفعهم كلمة الشهادة فانها لا تنفع الا مع التزام معناها ولم ينفع اليهود قولها لانكارهم بعض الانبياء وبنو حنيفة كانوا يشهدون الشهادتين ويصلون لكنهم قالوا مسيئة نبي فقاتلهم الصحابة وسبوا فكيف بمن يجعل للولي خاصة الالهية ويناديه للبهات وهذا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب حرق اصحاب عبد الله بن سبا وكانوا يشهدون الشهادتين ولكن غلوا في علي واعتقدوا فيه ما يعتقد القبوريون واجمعت الأمة على ان من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا اله الا الله فكيف بمن يجعل لله نداً وانكاره (ص) على اسامة قتله من قال لا اله الا الله لأن من قالها من الكفار حقن ماله ودمه حتى يتبين منه ما يخالف ما قاله فان تبين لم تنفعه هذه الكلمة كما لم تنفع اليهود ولا الخوارج مع عبادتهم التي يحتقر الصحابة عبادتهم الى جنبها بل امر (ص) بقتلهم وقال لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد وذلك لما خالفوا بعض الشريعة وكانوا شر القتلى تحت اديم السماء كما ثبتت به الاحاديث فان قلت القبوريون ومن يعتقد في فسقه الناس وجهالهم من الاحياء يقولون نحن لا نعبد هؤلاء ولا نعبد الا الله وحده ولا نصلي لهم ولا نصوم ولا نحج . قلت : هذا جهل بمعنى العبادة فانها لا تنحصر فيما ذكرت

بل رأسها واساسها الاعتقاد وقد حصل في قلوبهم ذلك بل يسمونه معتقداً ويصنعون له ما سمعت مما تفرع عن الاعتقاد من دعائهم وندائهم والتوسل بهم والاستغاثة والاستعانة والحلف والنذر وغير ذلك وقد ذكر العلماء ان من تزيا بزي الكفار صار كافراً ومن تكلم بكلمة الكفر صار كافراً فكيف بمن بلغ هذه الرتبة اعتقاداً وقولاً وفعلًا « انتهى »

والجواب : ان تقسيمه التوحيد الى توحيد الربوبية وتوحيد العبادة تطويل بدون طائل فانه لا شك في وجوب توحيد الباري تعالى في ذاته وصفاته وعبادته وجميع ما هو من لوازم الربوبية وصفات الكمال ونفي صفات النقص عنه ولا يحتاج الى كل هذا التطويل والتكرير الذي اعتادوه ولا الى اكثر الشواهد القرآنية عليه ولا الى الاشتهاد بأياك نعبد وامثالها وانما الذي ينفع بيان ما هي العبادة التي لا تليق بغير الله واذا فعلت لغيره توجب الشرك والكفر هل هي مطلق التعظيم والخضوع والنداء والدعاء والاستعانة والاستغاثة والتشفع والتوسل والنذر والذبح والنحر الذي يفعله المسلمون داخلها فيها او عبادة خاصة وهم لم يأتوا على ان ما يفعله المسلمون داخل في ذلك بيينة ولا برهان بل البرهان على خلافه قائم لما بيناه مراراً عند الكلام على هذه الامور اجمالاً وتفصيلاً من أن مطلقها ليس ممنوعاً فضلاً عن كونه كفراً وشركاً وان تعظيم من هو عظيم عند الله والخضوع له والاستغاثة والتشفع والتوسل بمن جعله الله مغيثاً شافعاً وجعل له الوسيلة كلها عبادة لله وان النذر والذبح والنحر الذي يفعله المسلمون هو لله تعالى وعبادة وطاعة له فجميع هذه الامور سواء سميت عبادة او لا تعد شركاً ولا كفراً لأن المنوع منه الموجب للشرك هي عبادة خاصة وهي ما كان عن غير أمر الله او عناداً له او بقصد الاستحقاق الذاتي كاستحقاق الله أو نحو ذلك مع ان قوله ان جميع الرسل بعثوا لتقرير توحيد الربوبية والدعاء الى توحيد العبادة ولم يبعثوا للدعاء الى توحيد الربوبية جهل محض فان الأمم التي بعثت اليها الرسل منها من كان يعتقد في عيسى الالهية ويثبت له جميع صفاتها كما مر في رد كلام ابن عبد الوهاب فكيف يقول ان جميع من بعثت اليهم الرسل موحدون بتوحيد الربوبية ، ومنه يعلم فساد قوله ان من اتخذوا المسيح وامه لم يتخذوهم لأنهم أشركوهم في الخلق بل لأنهم يقربونهم الى الله زلفى ومنها من كان ينكر الله تعالى وينكر البعث وهم الذين قالوا كما حكى الله تعالى عنهم في كتابه العزيز : ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ، ففي تفسير الطبري يقول الله مخبراً عن هؤلاء

المشركين انهم قالوا وما يهلكنا فيفنيها الا مر الليالي والايام وطول العمر انكاراً منهم ان يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم . وفي مجمع البيان اي ما يميتنا الا الايام والليالي اي مرور الزمان وطول العمر انكاراً منهم للصانع . وفي تفسير الرازي ان الله حكى عنهم شبهتهم في انكار القيامة وفي انكار الاله القادر اما شبهتهم في انكار القيامة فهي قولهم ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحىي واما شبهتهم في انكار الاله الفاعل المختار فقولهم وما يهلكنا الا الدهر يعني تولد الاشخاص انما كان بسبب حركه الافلاك الموجبة لامتزاجات . الطبايع واذا وقعت تلك الامتزاجات على وجه خاص حصلت الحياة واذا وقعت على وجه آخر حصل الموت فالموجب للحياة والموت تأثير الطبايع وحركة الافلاك ولا حاجة في هذا الباب الى اثبات الفاعل المختار فهذه الطائفة جمعوا بين انكار الاله وبين انكار البعث والقيامة وفي تفسير النيشابوري ، انهم لم يقنعوا بانكار المعاد حتى ضحوا اليه انكار المبدأ قائلين وما يهلكنا الا الدهر « انتهى » . ثم ان قوله تعالى اعبدوا الله ولا تعبدوا الا الله ليس صريحاً في طلب توحيد العبادة فقط لجواز ان يعبر باللازم عن الملزوم فيكون قد طلب افراد الله بالعبادة وملزومه الذي هو افراده بالربوبية . ثم ان تقسيمه العبادة الى اعتقادية ولفظية وبدنية الذي اختصرناه . وقوله : ان العبادة أقصى غاية الخضوع وان مستحقها الله تعالى لا يلائه أعظم النعم كما نقله عن الكشف لا يظهر لذكره في هذا المقام فائدة بل هو تطويل بلا طائل كما هي عادتهم في التطويل بتكرير المعنى الواحد واعادته مراراً كثيرة كما وقع في كلامه من تكرير القول بان الانبياء بعثوا للدعاء الى توحيد العبادة لا توحيد الربوبية مراراً كثيرة وقد اختصرناه ووجه كون ذلك تطويلاً بلا طائل انه لا ينكر أحد ان الحقيق بغاية الخضوع والتذلل هو الله تعالى ولكن الذي ينفع هو إثبات ان كل خضوع وتذلل لغير الله هو عبادة له موجبة للشرك والكفر وانى لهم بذلك بل هو بكلامه هذا رد على نفسه فانه جعل العبادة الخاصة بالله تعالى هي غاية الخضوع والتذلل فدل على ان مطلق الخضوع والتذلل ليس كذلك وتقسيم العبادة لا مساس له بما هو بصدده وكذا قوله ان رأس العبادة واساسها التوحيد وان المراد معنى كلمة الشهادة لا مجرد قولها تطويل بلا طائل اذ لا ينكر أحد ذلك ومن التطويل بلا طائل قوله وقد علم الكفار هذا المعنى الخ كما لا يخفى . أما رجز التلبية الذي استشهد به فهو عليه لا له فانهم بعدما جعلوا الاصنام شركاء لله يعبدونها بانواع العبادة التي نهى الله

عنها ولم يقع شيء منها من أحد من المسلمين كما ستعرف لا ينفعهم قول : هو لك تملكه وما ملك . قوله : وكانت عبادتهم للأصنام اعتقادهم أنهم يضرون وينفعون الخ جعل تارة عبادة الأصنام هي اعتقاد أنهم يضرون وينفعون ويشفعون المتفرع عنه النحر لهم والطواف بهم والنذر عليهم والذل والخضوع والسجود لهم وتارة جعل عبادتهم هي الخضوع والتقرب بالنحر والنذر المتسبب عن اعتقاد الشفاعة ولا يخفى تهافت ذلك وتناقضه وسواء كانت عبادة الأصنام هي الاعتقاد المذكور المتفرع عنه تلك الأفعال أو تلك الأفعال المتفرعة عن الاعتقاد المذكور أو هما معاً فقياس حال المسلمين بهم قياس فاسد وجعل محض كما علم بما مر في الرد على ابن عبد الوهاب . فالمشركون كذبوا الرسول «ص» وانكروا ما جاء به ومنهم من قال عيسى هو الله . والمسلمون أقروا بالله وبرسوله وبكل ما جاء به فكيف يقاس أحدهما بالآخر ويجعل مساوياً له هل هذا إلا الضلال نعوذ بالله منه . والمشركون اعتقدوا في أحجار وأشجار وجادات لا تضر ولا تنفع ولا تعقل ولا تسمع ولا تغيث ولا تشفع سواء كانت صور صالحين أو غيرهم فالشافع الصالح لا صورته أنها تضر وتنفع وتغيث وتشفع فتشفعوا واستغاثوا بها وعظموها ولم يجعل الله لها شيئاً من ذلك بل نهى عن التشفع والاستغاثة بها وتعظيمها . والمسلمون اعتقدوا ان الانبياء والصالحين ينفعون بدعائهم وشفاعتهم احياء وامواتا كما نصت عليه أحكام دينهم وادلته التي ستعرفها والتي اثبتت لهم الشفاعة والدعاء ويضرون بترك ذلك وبالبعد عن نيل بركتهم وهو اعتقاد صحيح مطابق لدالة الدين الاسلامي فطلبوا منهم ما جعله الله لهم من دعائه والشفاعة لديه . والمشركون عظموا ما لا يستحق التعظيم سواء كان صورة صالح متوهمة أو غيره فان الصورة لا تستحق تعظيماً فانها ان كانت مجسمة فعملها حرام واتلافها واجب وان كانت غير مجسمة فعملها حرام أو مكروه واتلافها واجب أو مستحب وطافوا وتبركوا بما لم يجعله الله مباركا . والمسلمون عظموا من امر الله بتعظيمه حياً وميتاً وجعله معظماً من الانبياء والصالحين وقبورهم وطافوا وتسبحوا وتبركوا بها لتشرفها بجسادهم الشريفة كما تشرف الجلد المعمول للمصحف فهل يسوي بين هؤلاء وهؤلاء الا جاهل مضل أو معاند . والمشركون عبدوا تلك الاحجار والأشجار بانواع العبادات التي نهاهم الله تعالى عنها فسجدوا لها وذبحوا ونحروا لها مهلين باسمائها على ذبائحهم دون اسم الله تعالى وطلوها بدمائها واعرضوا عن عبادة الله بالكلية وقالوا لا قدرة لنا على

عبادته فنحن نعبدھا لتقربنا اليه واعتقدوا ان لها شرفاً ذاتياً واستحقاقاً للعبادة بالاستقلال واختياراً وتدبيراً وكانوا يقولون (اعل هبل) قاصدين أن تكون كلمة الأصنام ودين الجاهلية هي العليا وكلمة الله ودين الاسلام هي السفلى . فاجابهم النبي « ص » بقوله : (الله أعلى واجل) فاعرضوا عن ذكر الله واكتفوا بذكرها . وكذبوا الرسل الذين نهوهم عن عبادتها ولم يكتفوا بذلك بل بدلوا دين الله وغيروا احكامه ومنهم من عبد الملائكة وسماهم بنات الله . والمسلمون لم يعبدوا نبياً ولا صالحاً ولا قبره بل عبدوا الله وحده فلم يسجدوا للقبر ولا لولي ولم يذبحوا له ولم يذكروا اسمه على ذبيحتهم . بل ذبحوا لله وحده وذكروا اسمه على المذبح واهدوا ثواب الصدقة بالذبيحة اليه فهل يسوي بين عمل المسلمين هذا وعمل المشركين الا جاهل أو مكابر . وسيأتي لهذا مزيد توضيح في الباب الثالث ومر في رد كلام ابن عبد الوهاب في هذا الباب ما له علاقة بالمقام فراجع . ومن ذلك يظهر فساد استشاده بأية اذ نسويكم برب العالمين ، وان المسلمين يتشفعهم وتبركهم وتعظيمهم لمن جعله الله شافعاً مباركاً عظيماً لم يسووه برب العالمين . قوله : ومنهم من كان يعبد الملائكة ويناديهم عند الشدائد . قد عرفت في رد كلام ابن عبد الوهاب ان عبادتهم للملائكة لم تكن مجرد التوسل والتشفع الذي يقع مثله من المسلمين فلا نطيل باعادته . قوله : وان لا يدعوا مع الله احداً ستعرف في فصل البعاء ان المنهي عنه ليس هو ما يقع من المسلمين من طلب الشفاعة وان آية له دعوة الحق لا دلالة فيها على شيء مما يزعمونه . قوله : كما عرف من علم البيان ان تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر . كيف ذكر ما قاله علماء البيان هنا ونسي ما قالوه في باب المجاز العقلي من ان قول انبت الربيع البقل اذا صدر من المسلم كان مجازاً عقلياً من باب الاسناد الى الزمان واذا قاله الدهري كان حقيقة ولم يعمل به في طلب المسلمين من النبي أو الولي عافية المريض أو قدوم الغائب ونحو ذلك فيجعله مجازاً عقلياً من باب الاسناد الى السبب وقرينته ظهور حال المسلم كما جعل اهل البيان انبت الربيع البقل مجازاً عقلياً وقرينته صدوره من مسلم بل كفر به المسلمين واستحل اموالهم ودماءهم . قوله : فاعتقدوا انهم يضررون وينفعون تقدم الكلام على مثله آنفاً فراجع . قوله : ويقربون الى الله ويتشفعون عنده . نعم يقربون الى الله بدعائهم لنا ويشفعون لنا عنده ودعاء المؤمن لأخيه فضلاً عن النبي والشفاعة لا ينكرها الوهابية كما ستعرف أما الأحجار والأشجار فليست لها هذه الصفة فبطل القياس . قوله : فدعوهم الى قوله وتمسحوا بها سيأتي الكلام

عليها مفصلاً في الفصول الآتية ان شاء الله وباقى كلامه يفهم رده مما مر . قوله : فجعل
اتخاذهم للشفعاء شركاً سيأتى الكلام عليه مفصلاً في فصل الشفاعة وان هذه الدعوى محض
افتراء على الله تعالى وان اتخاذ الشفعاء الذين جعل الله لهم الشفاعة كنبينا « ص » هو عين
إطاعة الله تعالى وان جعله شركاً من أعظم الموبقات واقبح الافتراءات عليه تعالى وكذا
بقية كلامه الذي من هذا القبيل . قوله : والاسماء لا تغير المعاني . نعم لا تغيرها فتسمية
الوهابية الانبياء والاولياء وقبورهم ومشاهدهم اوثاناً لا تجعلها اوثاناً وتسميتهم طاعة الله
وما امر به من تعظيم اوليائه والتشفع بهم شركاً لا تجعله شركاً وتسمية انفسهم الموحدين لا
تجعلهم كذلك بعد ما نسبوا الى الله التجسيم ولوازم الحدوث . وقياسه تسمية القبر مشهداً
والرجل ولياً بمن يسمي الحجر نبياً والشجرة المنهي عنها شجرة الخلد والحشيشة لقمة
الراحة والظلم أدباً قياس فاسد وجهل محض فالمسلمون سموا محل القبر مشهداً بكرم
صاحبه على الله ومكانته عنده وشرفه لديه باخلاصه له في العبودية وتشرفه بحسبه تشرف
الاديم والورق والمداد بكلام الله تعالى وسما من اخلص لله في العبودية والطاعة ولياً كما
سماه الله تعالى بقوله (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا « الآية » . الا ان اولياء الله لا
خوف عليهم ولا هم يحزنون) وغير ذلك . نعم قد يطلق اسم الولي على من لا يستحق
ذلك لكونه معتوهاً أو مشعوذاً أو مع كونه جاهلاً أو فاسقاً ولكن هذا لا يوجب أن
يكون اطلاقه على أهله خطأ وإثماً ، وكون بعض الناس قد يعتقد في فسقة الاحياء
وجهاً لا يوجب فساد اعتقادهم في شفاعة الانبياء والاولياء وطلب دعائهم . اما
استدلاله على كون ما يسمى مشهداً أو ولياً هو وثن وصنم بانهم يعاملونها معاملة المشركين
للانصام ويطوفون بهم طواف الحجاج بالبيت ويستلمونهم استلامهم لاركانه فيظهر فساد
ما ستعرف في الفصول الآتية فان طوافهم بقبورهم واستلامهم لها تبركاً بها وبمن فيها
لمكانتهم عند الله وشرفهم عنده باخلاصهم له في العبودية وبذلهم انفسهم في طاعته هو
طاعة لله الذي جعلهم مباركين وميزهم عن عباده كما ميز البيت واركانه وشرفها بالطواف
والاستلام وهي أحجار وجاد لا تضر ولا تنفع ولا تمقل ولا تسمع ومن ذلك تعرف انه
لم يعامل احد الانبياء والاولياء وقبورهم معاملة الانصام بل عاملوهم بما امر الله ان
يعاملوهم به وان هتافهم بهم لطلب الدعاء والشفاعة الذي لا محذور فيه . اما قولهم على

الله وعليك فلا يراد به الا على الله قضاء حاجتي وعليك الشفاعة عنده ودعاؤه في قضائها وهذا مقصد صحيح لا مغمز فيه ولا محذور ولا يريدون مساواته بالله تعالى في القدرة والطلب منه فهو نظير قوله تعالى : (ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله) فكيف نسب الله الايتاء اليه والى رسوله على السواء في ظاهر اللفظ وامر المسلمين أن يقولوا ذلك ولم يكن ذلك شركا وكان قوله على الله وعليك شركا وكفرا وهو مثله ونظيره ولو فرض جهل مقصدهم لوجب الحمل على ما ذكرنا لوجوب حمل أفعال المسلمين واقوالهم على الصحيح مما يمكن كما مر في المقدمات وكذا هتافهم باسمائهم عند الشدائد لا يراد به الا ذلك كما تكرر بيانه واتفاق اهل جميع بلاد الاسلام على المنادة بذلك واستمرار سيرتهم عليه أقوى دليل على اجماع المسلمين على ذلك واخذ الخلف له عن السلف واجماع المسلمين وسيرتهم حجة كما مر في المقدمات . اما قوله : ان افراد الله بتوحيد العبادة لا يتم الخ فهو على اطلاقه بالنسبة الى الدعاء والنداء والاستعانة والخضوع والتذلل وامثال ذلك فاسد لما عرفت وستعرف من ان مطلق هذه الامور لا يكون عبادة منهيّا عنها أو موجبا للشرك وان الممنوع منه ما كان خلافا على الله ومعاندة لامره وتعبداً بما لم يأذن به وان ما يفعله المسلمون خارج عن ذلك كله واما النذر والنجر فيأتي كل منهما في فصله . قوله : من اعتقد في شيء من ذلك انه ينفع أو يضر ، مر الكلام في مثله ويشمل كلامه هذا من سأل رجلاً ان يدعو له واعتقد انه ينفعه بدعائه ومن اعتقد في شخص انه يضره بدعائه عليه أو نحو ذلك ومن اعتقد في شخص حي انه ينفعه ببره أو يضره بشيء من مزار الدنيا فيلزم كفر الجميع . قوله : أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع الخ سيأتي الكلام عليه في فصل الشفاعة .

اما الحديث الذي قال ان فيه مقالا فهو حديث سؤال الاعمى الآتي في فصل التوسل حيث امره النبي (ص) ان يتوسل به الى الله وستعرف انتفاء كل مقال عنه واذا كان التوسل به (ص) في حياته ومماته شركا وكفرا كما يقتضيه قوله حي او ميت فيلزم القطع بكذب هذا الحديث لا ان يكون فيه مقال . أما استشهاده بالحديث القدسي : انا اغني الشركاء الخ فغريب لأنه وارد في الرياء كما صرح به بعد ذلك وانه تعالى لا يقبل عمل المرائي وتسمية الرياء شركا في الاخبار من باب المجاز والمبالغة كتسمية بعض الذنوب كفراً كما بيناه في الامر الخامس من المقدمة الثانية والا فلم يقل احد بأن المرائي صار كافراً مشركاً حلال

المال والدم حتى يتوب ولا نظن ان الوهابيين يلتزمون بذلك وان كان لا يستبعد شيء من جودهم وتعسفهم وتعنتهم وقد صرح بعضهم في الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية ^(١) بأن الرياء لا يخرج عن الملة وانه شرك اصغر ومن ذلك ظهر ان استشهاده اخيراً بتسمية الرياء شركاً لا محل له ، أما استشهاده بتسمية حواء ولدها بعبد الحارث بأمر من ابليس الذي تسمى الحارث وتسمية الله له شركاً فجيب فان ابليس ما اراد بأمرها ان تسميه بعبد الحارث اي عبد الشيطان الا ان يكون عبداً له كما هو عبد الله فاذا اطاعته حواء في ذلك فقد جعلت له شريكاً فيما آتاه فهل يقاس بذلك المتشفع الى الله بمن جعل الله له الشفاعة والمعظم لمن جعله الله عظيماً والمتبرك بمن جعله مباركاً الى غير ذلك ، قوله : والمعتقدون في جهال الاحياء وضلالهم . لا كلام لنا فيمن يعتقد في جهال الاحياء والأموات وضلالهم فنحن لا نعتقد فيهم ونخطيء من يعتقد فيهم وانما كلامنا في الأنبياء والأولياء والصلحاء ، قوله : فاعتقدوا فيهم ما لا يجوز ان يعتقد الا في الله الى قوله : ونحروا تقرباً اليهم . قد عرفت اننا لم نعتقد فيهم الا ما جعلهم الله له أهلاً . وستعرف انه لم يجعل احد لهم جزءاً من المال وانما ينذر الصدقة واهداء الثواب اليهم الذي ثبت جوازه في الشرع وان زيارة قبور الانبياء والصلحاء والقصد اليها مما يتقرب به اليه تعالى وان الطواف حول قبورهم التي يوركت بهم كما يورك جلد الشاة والورق بالمصحف والخضوع عندها احتراماً لأهلها لا محذور فيه وهو اطاعة لله تعالى وان الاهتاف بأهلها عند الشدائد لطلب دعائهم وشفاعتهم لا مانع منه وان النحر هو تقرب الى الله لا اليهم وانما يهدى ثواب الصدقة بالمنحور لهم وانه ليس في شيء من ذلك شائبة العبادة لغيره تعالى . (أما السجود على العتبة) الذي حكاه عن يثيق به فالذي نظنه ان هذا المخبر رأى من يقبل العتبة فظنه سجوداً وتقبيل العتبة كتقبيل الضريح تعظيماً له وتبركاً به لا مانع منه ولا محذور فيه ، وان اباه جود الوهابية وتعنتهم وستعرف ذلك في فصل التبرك بقبور الصالحين بالمس والتقبيل وغير ذلك وان صح ما نقل من السجود على عتبة مشهد الولي ولا نظنه صحيحاً فيجب حمله على السجود لله تعالى شكراً له على التوفيق لزيارة النبي او الولي التي ثبت انها طاعة كما ستعرف اذ لا يظن ولا

ولا يحتمل بمسلم السجود لغير الله وهو يعلم انه غير جائز فما دام له محل صحيح لا يجوز حمله على الفاسد ولا يجوز الحكم بكفر فاعله كما مر في المقدمات، نعم الأرجح تركه لأنه موم للسجود لغير الله، قوله: هذا جهل منهم بمعنى الشرك. قد ظهر بما عرفت وستعرف انه احق بنسبة الجهل اليه. قوله: فان تعظيمهم الأولياء ونحرم النحائر لهم شرك. بل تعظيم من عظم الله من الانبياء والأولياء والصلحاء من أعظم الطاعات لله تعالى ونسبة فاعلها الى الشرك وعدم تعظيمهم بل اهانتهم يهدم قبورهم وجعلها معرضاً لكل هوان من أعظم الموبقات التي ان لم تكن كفراً لخالفتها اجماع المسلمين بل ضرورة الدين لا تنقص عن الكفر والشرك وقد عرفت مما ذكرناه ان ما يفعله المسلمون بعيد عما فعله المشركون اكثر من بعد السماء عن الارض وان افعالهم تصدق اقوالهم ولا تكذبها، قوله: خرج الفقهاء في باب الردة ان من تكلم بكلمة الكفر يكفر وان لم يقصد معناها. قد مضى في رد كلام ابن عبد الوهاب ان الذي ذكره الفقهاء في باب الردة ان من تكلم بكلمة الكفر استهزاء او عناداً او اعتقاداً كفر لا مطلق من قالها، قوله: وهذا دال على انهم لا يعرفون حقيقة الاسلام ولا ماهية التوحيد بل ما عرفت دال على انه ومن تبعه لا يعرفون حقيقة الاسلام ولا الشرك ويرمون المسلمين بما هم منه براء. وافحش من هذا كله قوله: افصاروا حينئذ كفاراً كفراً اصلياً، افقراء تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هذا ان يكون المسلمون المقرون لربهم بالوحدانية ولنبية بالرسالة والمقيمون الصلاة والمؤتون الزكاة والقائمون بجميع فروض الاسلام كفاراً كفراً اصلياً موجباً لحل دماءهم واموالهم واعراضهم، لماذا؟! لانهم يسألون الشفاعة ممن جعل الله له الشفاعة ويستغيثون بمن جعله الله مغيثاً ليدعوا الله لهم في نجاح مطالبهم وهم لا يعتقدون الا انه نبي شرفه الله بالرسالة ولا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرراً الا بأمر الله تعالى، قوله: فمن نادى الله الى قوله: فان الدعاء من العبادة الخ، ستعرف تفصيل الجواب عنه بما لا مزيد عليه في فصل الدعاء والاستغاثة وان طلب الشفاعة والاستغاثة بمن جعله الله شافعاً ومغيثاً لا يدخل في ذلك وقد بان من ذلك انه يهدم ما بناء على هذا الوهم الفاسد من الاسئلة والاجوبة الفاسدة بقوله: اذا كانوا مشركين وجب جهادهم الخ. والسؤال الذي بعده المتضمن لقصة أسامة وجوابه المتضمن تشبيه المسلمين بطلبهم الشفاعة من النبي «ص» واستغاثتهم به ليدعوا الله

لهم باليهود المنكرين بعض الانبياء المتسكين بشريعة منسوخة وببني حنيفة القائلين ان مسيلة نبي او الذين اعتل لقتلهم بمنع الزكاة التي وجوبها من الضروريات وباصحاب عبد الله بن سبا القائلين لامير المؤمنين علي بن ابي طالب انت الله^(١) وبمنكري البعث والحوارج الذين هم اشبه الناس بالوهابية كما عرفت في المقدمات والذين أنكروا حب علي بن ابي طالب وهو من ضروريات الاسلام واستحلوا دماء المسلمين وكفروهم كما انكر الوهابيون حرمة قبر رسول الله «ص» ووجوب تعظيمه وهي من ضروريات الدين وجعلوه وثنا وصفا واستحلوا دماء المسلمين وكفروهم ، قوله : هذا جهل بمعنى العبادة فانها لا تنحصر فيما ذكرت بل رأسها واساسها الاعتقاد الخ كأنه يريد انهم يعتقدون فيهم انهم يقدرّون على ما يطلب منهم فيصنعون ما يتفرع عن الاعتقاد من الدعاء والنداء الخ ، فنقول : هذا جهل منه واضح فالمتشفعون والمتوسلون من المسلمين بالانبياء والاولياء والصالحين لا يعتقدون فيهم انهم يملكون لانفسهم ولا لغيرهم نفعا ولا ضرا وان الامر كله لله وانما يعتقدون فيهم ما جعلهم الله له اهلا من الشفاعة والوسيلة واجابة الدعاء وانه ميزهم على غيرهم من الخلق وقربهم منه بطاعتهم له فمعتقد ذلك فيهم مصيب لا مخطئ فلذلك يدعونهم ليشفعوا لهم عند من جعل لهم الشفاعة ويتوسلون بهم الى من جعل لهم الوسيلة ويستغيثون ويستعينون بهم ليسألوا الله في قضاء حوائجهم ويحلفون بهم لان لهم قدراً وشأناً عند الله تعالى بإطاعتهم واستعرف في فصل الحلف انه لا محذور فيه وينذرون التذور ويهدون ثوابها اليهم الى غير ذلك فهذا الاعتقاد لا مساس له بالعبادة حتى يجعل اسها ورأسها والمتفرع عنه لا ضرر فيه ولا محذور ، قوله : وقد ذكر العلماء ان من تزيا بزي الكفار صار كافراً ، فمع اننا لم نر ذلك في كلام العلماء ولو فرض فلا دليل عليه وانما يكون آثماً . فيه ان قياسه بما يفعله المسلمون قياس فاسد لما عرفت من ان ما يصدر من المسلمين لا محذور فيه والعجب من هؤلاء تارة يجعلون ما ينسبونه الى العلماء حجة وتارة يكفرون جميع المسلمين عالمهم وجاهلهم ولا يعبأون بما استمرت عليه سيرتهم جيلا بعد جيل ، قوله : ومن تكلم بكلمة الكفر صار كافراً ، أقول : قد عرفت انهم يكفرونه بذلك اذا قالها استهزاء او عناداً او اعتقاداً لا مطلقاً كما يقتضيه كلامه . قوله : فكيف بمن بلغ هذه الرتبة اعتقاداً وقولا وفعلًا . قد عرفت انه لم يعتقد الا ما هو الواقع ولم يقل ولم يفعل الا ما هو الصواب .

(١) ان صح ذلك ، فقد ثبت ان عبد الله بن سبا شخصية وهمية لا وجود لها في الخيال ، راجع كتاب عبد الله بن سبا للسيد مرتضى العسكري . « الناشر »

وقال ابن تيمية في رسالة الواسطة ^(١) في جواب مسألة عن رجلين تناظرا فقال احدهما لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله فانا لا نقدر ان نصل اليه بغير ذلك : ان اراد انه لا بد من واسطة تبلغنا امر الله فهذا حق ، الى ان قال : وان اراد انه لا بد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار مثل ان يكون واسطة رزق العباد ونصرهم وهدايتهم يسألونه ذلك فهذا من اعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يحتلبون بهم المنافع ويحتملون المضار ، الى ان قال : فمن جعل الملائكة والانبيا وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل ان يسألهم غفران الذنب وهداية القلوب وتفريج الكربوسد الفاقات فهو كافر باجماع المسلمين ، الى ان قال : ومن أثبت مشايخ العلم والدين وسائط بين الله وخلقه كاللحجاب بين الملك ورعيته يكونون هم يرفعون الى الله حوائج خلقه فإله انما يهدي ويرزق بتوسطهم فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله تأدبا او لان سؤالهم أنفع لقرهم فهو كافر مشرك يجب ان يستتاب فان تاب والا قتل « انتهى »

والجواب : ان ما ذكره من القول بأذ لا بد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار او ان المشايخ وسائط كاللحجاب بين الملك ورعيته والله لا يهدي ولا يرزق الا بتوسطهم غير موجود لأحد من المسلمين فسواء كان جعل ابن تيمية له كفرا وشركا صوابا او خطأ لا يضر احداً وذكره له تطويل بلا طائل فلا نطيل برده وان كانت دعواه الاجماع على التكفير بالأول غير ثابتة ولا مستند لها ومن الذي عنون هذه المسألة الفرضية وتكلم على حكمها من المسلمين حتى يدعى اجماعهم على ذلك على ان مجرد سؤال غفران الذنب وتفريج الكرب ونحو ذلك لا يعد غلطاً وخطأ وفضلا عن ان يكون شركا وكفراً لأنه محمول على الصحة من باب المجاز في الإسناد بارادة الاسناد الى السبب كما فصلناه في المقدمات وفي تضايف ما مر كما ان حكمه بكفر وشرك من اثبت المشايخ واسطة على النحو المذكور واستحلال دمه ان لم يتب . لو فرض وجود من يعتقد ذلك لا دليل عليه وهو تهجم على الدماء وتقول على الله لأن الظاهر مراده انهم وسائط وشفعاء الى الله في ذلك لا انهم يفعلونه من انفسهم كما صرح به في قوله : ومن اثبت مشايخ العلم الى قوله : فالخلق

يسألونهم وهم يسألون الله تأديبا . ودعوى انها كعبادة الاصنام والاعتقاد فيها يدفعها ما مر ويأتي مفصلا من ان عبادة الاصنام واشراك عابديها ليس من هذا القبيل ، نعم اعتقاد ذلك غلط وخطأ اما ان معتقده كافر مشرك فلم يقيم عليه دليل ان لم يقيم على عدمه .

وذكر الجبرتي في حوادث سنة ١٢١٨ ان الوهابي ارسل كتابا الى شيخ الركب المغربي ومعه اوراق تتضمن دعوته وعقيدته وفيها بعد المقدمة ما نصه : ان الرسول (ص) اخبرنا بأن امته تأخذ مأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع وثبت في الصحيحين وغيرهما عنه (ص) لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن . واخبر في الحديث الاخر ان امته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال من كان على مثل ما انا عليه اليوم واصحابي . اذا عرف هذا فمعلوم ما قد عمت به ابلوى من حوادث الأمور التي أعظمها الاشراك بالله والتوجه الى الموتى وسؤالهم النصر على الاعداء وقضاء الحاجات وتفريج الكربات التي لا يقدر عليها الارب الارض والسموات وكذلك التقرب اليهم بالنذر وذبح القربان والاستغاثة بهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد الى غير ذلك من انواع العبادة التي لا تصلح الا لله وصرف شيء من انواع العبادة لغير الله كصرف جميعها لأنه سبحانه وتعالى اغنى الأغنياء عن الشرك ولا يقبل من العمل الا ما كان خالصا كما قال تعالى (فاعبدوا الله مخلصين له الدين الا الله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) فاخبر سبحانه انه لا يرضى من الدين الا ما كان خالصا وجهه واخبر ان المشركين يدعون الملائكة والانباء والصالحين ليقربوهم الى الله زلفى ويشفوا لهم عنده واخبر انه لا يهدي من هو كاذب كفار . وقال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الى قوله : سبحانه وتعالى عما يشركون) فاخبر انه من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدهم واشرك بهم وذلك ان الشفاعة كلها لله (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه . فيومئذ لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم . يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا) وهو لا يرضى الا التوحيد ^(١) (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) فالشفاعة

(١) ولا موحد الا الوهابيين فلا شفاعة الا لهم .

حق ولا تطلب في دار الدنيا الا من الله كما قال (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً . ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك) فاذا كان الرسول (ص) وهو سيد الشفعاء وضاحب المقام المحمود وآدم فمن دونه تحت لوائه لا يشفع الا باذن الله لا يشفع ابتداء بل يأتي فيخبر الله ساجدا فيحمده بمحامد يعلمه اياها ثم يقال ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع ثم يجد له حدا فيدخلهم الجنة فكيف بغيره من الانبياء والاولياء وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه احد من العلماء المسلمين بل قد اجمع عليه السلف الصالح من الاصحاب والتابعين والائمة الاربعة وغيرهم واما ما حدث من سؤال الانبياء والاولياء من الشفاعة بعد موتهم وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها واسراجها والصلاة عندها واتخاذها اعيادا وجعل السدنة والنذور لها فكل ذلك من حوادث الأمور التي اخبر بها النبي (ص) امته وحذر منها كما في الحديث : لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من امتي بالمشركين وحتى تعبد قنাম من امتي الاوثان وهو « ص » حمى جناب التوحيد أعظم حماية وسد كل طريق يؤدي الى الشرك فنهى أن يخصص القبر وأن يبنى عليه كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر وثبت فيه ايضاً انه بعث علي بن ابي طالب وامره ان لا يدع قبراً مشرفاً الا سواه ولا تماثلاً الا طمسه ولهذا قال غير واحد من العلماء يجب هدم القباب المبنية على القبور لانها اسست على معصية الرسول «ص» فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس وهو الذي ندعو الناس اليه ونقاتلهم عليه بعد ما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله «ص» واجماع السلف الصالح من الامة ممثلين لقوله تعالى: وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله. الى ان قال : ونعتقد أيضاً ان امة محمد المتبعين للسنة لا تجتمع على ضلالة وانه لا تزال طائفة من امته على الحق منصوره لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي امر الله وهم على ذلك «انتهى» .

والجواب عما تضمنه هذا الكتاب مما روي عنه «ص» من اتباع هذه الامة سنن الأمم قبلها كاليهود والنصارى : انه لا يبعد ان يكون النبي «ص» أشار به الى الوهابية فاولئك اتخذوا احبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله وقد ورد في الحديث انهم ما صاموا لهم ولا صلوا وانما احلوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فاتبعوهم ، وهؤلاء قلدوا محمد بن عبد الوهاب في كل ما يقوله فحرم عليهم حلالاً كالتشفع والتوسل بذوي المكانه عند الله ونحو

ذلك وحلل لهم حراماً وهو سفك دماء المسلمين واستباحة أموالهم واعراضهم فاتبعوه بدون تحقيق ولا تمحيص للأدلة حتى كأن كلامه وحي منزل وهو ممن يجوز عليه الخطأ وادلته التي يستدل بها كلها ضعيفة. واهية كما بيناه في هذا الكتاب وهم يأخذونها بالقبول ولا يقبلون عليها رداً ولا في مقابلها دليلاً ولا يحددون عنها قيد اثلة ولا يزيدون عليها ولا ينقصون منها كلمة واحدة ويتوارثها آخروهم عن أولهم بلفظ واحد ومعنى واحد ويسمون انفسهم بالسلفيين أي انهم اتباع السلف واذا اورد لهم شيء من اقوال السلف يخالف معتقدهم لا يتحاشون من نسبة قائله الى الشرك والكفر ويقولون مقتدانا الكتاب والسنة فهم في خطأ على الحاليين فان اقوال السلف ليست حياً منزلاً ولا اصحابها معصومون من الخطأ حتى نقلدهم على كل حال واذا جاز تقليدهم فما بالتنا نقلدهم تارة ونكفرهم اخرى وستعرف في الفصول الآتية مخالفة السلف للوهابيين في الشفاعة والتوسل وزيارة القبور والبناء عليها وغير ذلك مما تجده في تضاعيف هذا الكتاب . وأما ما تضمنه الكتاب المذكور من الحديث القائل ان الفرقة الناجية هي من كان على مثل ما كان عليه الرسول «ص» واصحابه فهو من البديهيات والضروريات التي لا تحتاج الى الاستدلال بالأحاديث واطالة الكلام اذ لا شك في ان متبع النبي «ص» ناج ومخالفه هالك والا لم يكن نبيا وقد قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا . وما كان عليه النبي «ص» هو دين الاسلام واصحابه اقتدوا به واتبعوه عليه فالميزان في الحقيقة هو ما كان عليه النبي «ص» فقط لان اتباع اصحاب النبي «ص» المتبعين له اتباع له «ص» وان خالفوه لم يجز اتباعهم وأي مسلم يشك في وجوب اتباع النبي «ص» دون غيره . اللهم انا لا نتبع الا طريقة رسولك وسنته ونبرأ اليك من خالفها ولو ظهر لنا ان الاستغاثة والتشفع والتوسل بذوي المكانة عندك وتعظيم قبور الانبياء والصالحين تخالف سنة نبيك «ص» لكننا أول من تبرأ منها . وهذا ليس محلاً للكلام ولا محطاً للانظار وانما محل الكلام معرفة ما كان عليه النبي «ص» واتبعه عليه اصحابه فقد وقع الاختلاف الكثير فيه بين المجتهدين وعلماء المسلمين فما اثبتته هذا نفاه ذلك (وكل يدعي وصلاً بليلي) وكل يقول ان قوله هو ما كان عليه الرسول «ص» واصحابه ، لا يوجد من يقول اني لا اتبع ما كان عليه الرسول «ص» واصحابه بل الصحابة انفسهم اختلفوا في مسائل عديدة ليس هذا محل تفصيلها وستعرف ان الاستغاثة بذوي المكانة طلباً لدعائهم والاستشفاع بهم اليه والبناء على القبور والصلاة

عندها سيرة المسلمين خلفا عن سلف وسيرة الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وقد اعترف صاحب الكتاب بحجية اجماع السلف الصالح وان الامة لا تجتمع على ضلالة وتقييده الامة بالتبعين للسنة لا يظهر له معنى ولا فائدة اذ لا يوجد مسلم تظهر له سنة رسول الله «ص» ويقول لا اتبعها وانما أراد بذلك ان يحفظ لنفسه خط الرجعة فيحصر اتباع السنة بالوهابيين فقط حينما يحتج عليه احد باجماع الامة وانى له ذلك فان ثبت قول الرسول «ص» لا تجتمع امتي على ضلالة كان ذلك دالا على ان ما اتفقوا عليه هو من سنته وعلى طبق شريعته فهذا القيد الذي قيد به فضول فاسد. ومر في المقدمات ان سيرة المسلمين واجماعهم كاشف عن ان ذلك مما كان عليه النبي «ص». قوله : وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من العلماء المسلمين واجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة ستعرف في الفصول الآتية عدم صحة هذه الدعوى وان الذي اجمع عليه السلف الصالح وعلماء المسلمين خلاف ما عليه الوهابية . أما باقي الكتاب فيفهم رده مما مر في كلام ابن عبد الوهاب والصنعاني فان كلماتهم كلها تدور على محور واحد .

وعن تاريخ نجد لمحمود شكري الألوسي انه حكى عن عبد اللطيف حفيد ابن عبد الوهاب انه قال : ذكر طرف من معتقد المغالين في القبور والصالحين . ونذكر لك طرفا من معتقد هؤلاء ليعلم الواقف عليه أي الفريقين احق بالأمن ان كان الواقف ممن اختصه الله بالفضل والامن ولئلا يلتبس الأمر بتسميتهم لكفرهم ومحالهم تشفعا وتوسلا مع ما في التسمية من الهلاك المتناهي عند من عقل الحقائق . من ذلك محبتهم مع الله محبة تأله وخضوع ورجاء ودعائهم مع الله في المهمات والملمات والحوادث التي لا يكشفها ولا يوجب الدعاء فيها الا الله والمكوف حول اجدانهم وتقويل اعتابهم والتسبح بآثارهم طلبا للغوث واستجابة الدعوات واطهار الفاقة وابداء الفقر والضراعة واستئزال الغيوث والأمطار وطلب السلامة من شدائد البراري والبحار وسؤالهم تزويج الارامل والايامى واللفظ بالضعفاء واليتامى والاعتماد عليهم في المطالب العالية وتأهيلهم لمغفرة الذنوب والنجاة من الهاوية واعطاء تلك المراتب السامية . وجماهيرهم لما ألفت ذلك طباعهم وفسدت به فطرهم وعز عنه امتناعهم لا يكاد يخطر ببال أحدهم ما يخطر ببال آحاد المسلمين من قصد الله تعالى والابانة اليه بل ليس ذلك عندهم الا الولي الفلاني ومشهد الشيخ فلان حتى جعلوا الذهاب الى المشاهد عوضا عن الخروج للاستسقاء والابانة الى الله

تعالى في كشف الشدائد والبلوى كل هذا رأيناه وسمعناه عنهم فهل سمعت من جاهلية العرب مثل هذه الغرائب التي ينتهي عندها العجب والكلام مع ذكي القلب يقظ الذهن قوي الهمة العارف بالحقائق ومن لا ترضى نفسه بحضيض التقليد في اصول الديانات والتوحيد واما ميت القلب بليد الذهن وضيع النفس جامد القرينة ومن لا تفارق همته التشبث باذيال التقليد والتعلق على ما يحكى عن فلان وفلان في معتقد أهل المقابر والتنديد فذاك فاسد الفطرة معتل المزاج وخطابه محض عناء ولجاج. ومن وقف على كتب المتصوفة ومناقب مشايخهم وقف على ساحل بحر من ضلالهم وفي حاشية البيجوري على السنوسية نقلا عن الدردير عن الشرعاني ان الله وكل بقبر كل ولي ملكا يقضي حاجة من سأل ذلك الولي فقف هنا وانظر الى ما آل اليه افكهم فاين هذا من قوله تعالى (واذا سألك عبادي عني « الآية » ادعوا ربكم تضرعا وخفية . فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب . ام من يجيب المضطر اذا دعاه . وقال ربكم ادعوني استجب لكم) واي حجة في هذا الذي قاله الشرعاني لو كانوا يعلمون ولكن القوم أصابهم داء الأمم قبلهم فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . ومن هذا الجنس ما ذكره الشرعاني في ترجمة شمس الدين الحنفي انه قال في مرض موته من كانت له حاجة فليات قبري ويطلب أن اقضيها له فاتمأ بيني وبينه ذراع من تراب وكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب فليس برجل وباب تصرف المشايخ والأولياء قد اتسع حتى سلكه جمهور من يدعي الاسلام من أهل البسيطة وخرقه قد هلك في بحاره اكثر من سكن الغبراء واطلته المحيطة حتى نسي القصد الأول من التسفع والوساطة فلا يمرج عليه عندهم الا من نسي عهود الحمى فعاد الأمر الى الشرك في توحيد الربوبية والتدبير والتأثير ولم يبلغ شرك الجاهلية الأولى الى هذه الغاية بل ذكر الله عز وجل انهم يعترفون له بتوحيد الربوبية ويقولون به ولذلك احتج عليهم في غير موضع من كتابه بما أقروا به من الربوبية والتدبير على ما أنكروه من الالهية . ومن عجيب أمرهم ما ذكره حسين بن محمد النعمي اليمني في بعض رسائله ان امرأة كف بصرها فنادت وليها أما الله فقد صنع ما ترى ولم يبق الا حبل « انتهى » . وروى ان بعض المغاربة قدموا مصر يريدون الحج فذهبوا الى الضريح المنسوب الى الحسين رضي الله عنه

بالقاهرة فاستقبلوا القبر وأحرموا ووقفوا وركعوا وسجدوا لصاحب القبر حتى أنكر عليهم سِدنة المشهد وبعض الحاضرين فقالوا هذا محبة في سيدنا الحسين وكثير من علماء مصر يقول لا يدق وتد في القاهرة الا باذن السيد احمد البدوي وقد اشتهر ما يقع من السجود على أعتاب المشهد وقصد التبرك مع ما فيه لا يمنع حقيقة العبادة الصورية ومن المعروف عندهم شراء الولدان من الولي بشيء معين يبقى رسماً جارياً يؤدي كل عام وان كانت امرأة فمهرها أو نصف مهرها لأنها مشترة منه ولا يمانع هذا الا مكابر في الحسيات وان فقد بعض أنواعه في بعض البلاد فك له من نظائر وهذا أشد واشنع مما ذكر جل ذكره عن جاهلية العرب (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) « الآية » . وكذلك جعل السوائب باسم الولي لا يحمل عليها ولا تذبح وسوق الهدايا والقرايين الى مشاهد الاولياء وذبحها حبا للشيخ وتقربا اليه وهذا وان ذكر اسم الله عليه فهو أشد تحريماً مما ذبح وذكر عليه اسم غير الله فان الشرك في العبادة اكبر من الشرك بالاستعانة . ومن ذلك ترك الأشجار والكلأ والعشب اذا كان بقرب المشهد وجعله من ماله . ومنها الحج الى المشاهد في أوقات مخصوصة مضاهاة لبیت الله فيطوفون حول الضريح ويستغيثون ويهدون لصاحب القبر وينجبون وبعض مشايخهم يأمر الزائر بحلق رأسه اذا فرغ من الزيارة وقد صنف بعض غلاتهم كتاباً سماه حج المشاهد . ومنها التعريف في بعض البلاد عند من يعتقدونه من اهل القبور فيصلون عشية عرفة عند القبر خاضعين سائلين والعراق فيه من ذلك الحظ الأكبر بل فيه البحر الذي لا ساحل له والمهام التي لا ينجو سالكها ولا يكاد ومن نحوه عرف الكفر وظهر الشرك والفساد كما يعرف ذلك من له المام بالتواريخ ومبدأ الحوادث في الدين ومن شاهد ما يقع منهم عند مشهد علي والحسين وموسى الكاظم ومحمد الجواد رضي الله عنهم عند رافضتهم والشيخ عبد القادر والحسن البصري والزيير وأمثالهم رضي الله عنهم عند سنتهم من العبادات وطلب العطايا والمواهب والتصرفات وانواع الموبقات علم أنهم من أجهل الخلق واضلهم وانهم في غاية من الكفر والشرك ما وصل اليها من قبلهم ممن ينتسب الى الاسلام والله المسؤول ان يبصر دينه ويعلي كلمته ويمحو هذه الضلالات حتى يعبد وحده فتسلم الوجوه له وتعود البيضاء كما كانت ليلها كنهارها « انتهى » .

ونحن نبين لك بأجلى بيان ان ما نسبته الى المسلمين والى زوار قبور الأئمة والصالحين بعضه زور وبهتان وبعضه لا يستلزم الشرك ولا العصيان ليعلم الواقف عليه أي الفريقين أحق بالأمن وبتسميته بالمسلم الموحد المطيع لله ولرسوله والمتبع سنة نبيه (ص) ان كان الواقف ممن سلم من العصبية والعناد وتقليد الآباء والاجداد ولئلا يلتبس الامر بتسميتهم لضلالهم ومحالهم توحيداً ولتعظيم من امر الله بتعظيمه شركاً وكفراً ولخالفة السنة واجماع المسلمين وطريقة السلف اتباعاً للسنة وللشلف مع ما في ذلك من الهلاك المتناهي واستباحة الدماء والاموال التي حرمها الله تعالى عند من يعقل الحقائق . زعم ان المسلمين يحبون مع الله محبة تأله . نعم أنهم يحبون في الله والله وبامر الله وتلك لا تخرج عن محبة الله اما انهم يحبون مع الله فان اراد المعية في الوجود فلا محذور فيه وان اراد المساواة لمحبة الله كما في قوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) فالمسلمون مبرؤون من ذلك وابن محبة المشركين للانصنام وإطاعتهم لهم المخبر عنها في الآية كما عن قتادة ومجاهد واكثر المفسرين الذين لا يستحقون محبة ولا اطاعة أو لرؤسائهم الذين كانوا يطيعونهم كما عن السدي من محبة المسلمين للانبياء والاولياء والصالحاء التي هي محبة الله تعالى لأمره بها في كتابه العزيز وعلى لسان نبيه الكريم (ص) بقوله تعالى (قل لا اسألكم عليه أجرأ الا المودة في القربى . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا . فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم) وقرن حب رسوله (ص) بحبه في قوله (أحب اليكم من الله ورسوله) وعن انس ان رسول الله (ص) قال (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين) اخرج البخاري ومسلم وابن ماجة في سننه عن العباس بن عبد المطلب قال رسول الله (ص) : ما بال اقوام يتحدثون فاذا رأوا الرجل من اهل بيتي قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم الله ولقرابتهم مني) وقال رسول الله (ص) في علي (ع) يوم خيبر (لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) اخرج الشيخان وقال له (يا علي حبك ايمان وبغضك نفاق) الى غير ذلك ولا يتم الحب لله تعالى الا بحب هؤلاء لان حبهم من حبه تعالى لانه عن أمره . ولان المؤمن انما يحبهم لانهم عباد الله المطيعون لأمره المتفانون في طاعته المجاهدون باموالهم وانفسهم في سبيله ولاعلام

كلمته واحياء دينه فكلما كمل ايمان المؤمن وإسلامه كملت محبتهم في قلبه وهيهات ان يكمل إسلام المسلم وإيمانه بدون كمال محبتهم فمن جعل كمال محبتهم من اسباب الشرك كهذا الرجل واهل نحلته فهو بعيد عن الاسلام والايمان مستحق لسخط الرحمن بنص قوله (ص) لا يؤمن احدكم حتى أكون احب اليه من ولده ووالده فحبهم مع الله لله ولقرابتهم من رسول الله (ص) من متمات الاسلام والايمان فاي الفريقين أحق بالامن أمن يجعل كمال حبهم من اسباب الشرك أم من يعتقد من متمات الايمان كما جعله الله ورسوله . ومنه يعلم ان قوله : محبة تأله افك وافتراء وان ما يحكى عن كتاب التوحيد لابن عبد الوهاب من قوله : ان من حقق محبة مشركي زماننا لآلهمم التي يسمونها بالاولياء يعلم يقيناً انهم يحبونها اكثر من محبتهم لله ويتصدقون لوجوها مما لا يقدر ان يتصدقوا بعشره في وجه الله - ايضاً كذب وافتراء فليس احد من المسلمين الذين سماهم مشركين يحب احداً من الناس نبياً أو ولياً الا في حبه تعالى لكونه محبوباً له مقرباً عنده بطاعته له تعالى فحبه حب لله غير خارج عنه فضلاً عن ان يكون اكثر من حبه تعالى ولا يتصدق واحد لوجوهم وانما يتصدق عنهم لوجه تعالى فيهدي الثواب اليهم . قوله : وخضوع ورجاء اما الخضوع فحاصل ولا محذور فيه واما الرجاء فيرجون منهم الدعاء والشفاعة ومنه تعالى إجابة دعائهم وقبول شفاعتهم وهذا لا محذور فيه ايضاً وهو عين اطاعته تعالى وعبادته كما مر مراراً . قوله : ودعائهم مع الله في المهات والملمات الخ قد عرفت انهم لا يدعونهم لكشف المهات ودفع الملمات ليكشفوها بانفسهم وانما هو طلب الدعاء والشفاعة . قوله : والعكوف حول اجداثهم ، سمي زيارة قبورهم وتلاوة القرآن والصلاة والدعاء وطلب الحوائج من الله تعالى عندها والتبرك بها ونحو ذلك عكوفاً تشبيهاً بالعكوف على الاصنام كما سماه غيره من اصحاب نحلته على ما مر وقد عرفت وستعرف ان ذلك كله مطلوب مرغوب فيه شرعاً لا مانع منه ولا محذور فيه سواء ساء عكوفاً او لا . وقد روى البخاري في صحيحه لما مات الحسن بن الحسن ضربت امرأته على قبره قبة ولبثت هناك سنة كاملة . قوله : وتقبييل اعنائهم والتمسح بآثارهم ، ستعرف في فصل التبرك بالقبور ان تقبييل الاعتاب والقبور والتمسح بها وبآثار الصالحين تبركاً وتعظيماً جائز وراجح لا مانع منه ولا محذور فيه طلباً للفرح بالشفاعة والدعاء واستجابة الدعاء

منه تعالى ببركة المكان والمكين . قوله : واظهار الفاقة وابداء الفقر والضراعة ، وهذا لا مانع منه فالثلاثة حاصلة منا لله تعالى بلا زيب واظهارها عند قبر النبي أو الولي لشرفه وحاصلة منا للنبي أو الولي لطلب دعائه وشفاعته . قوله : واستنزال الغيث والامطار ، لا مانع من ذلك ببركتهم ودعائهم وشفاعتهم وهو نظير ما يأتي من ان اهل المدينة قحطوا فقالت عائشة انظروا قبر النبي (ص) فاجعلوا منه كوة الى السماء فطروا . قوله : وطلب السلامة من شدائد البراري والبحار ، ولا مانع منه بتسببهم بالدعاء والشفاعة وسيأتي في فصل الدعاء والاستغاثة استغاثة من اضل شيئاً أو اراد عوناً في أرض ليس فيها انيس بقول يا عباد الله اعينوني أو اغيثنوني فيه طلب السلامة من شدائد البراري والبحار من غير الله تعالى . قوله : وسؤالهم ترويض الارامل والايامى الى قوله : المطالب العالية ، لا مانع من ذلك بطلب دعائهم وشفاعتهم ولو كان ظاهر اللفظ اسناد الافعال اليهم حملاً لفعل المسلم وقوله على الصحة من باب المجاز في الاسناد كما مر في المقدمات . قوله : وتأهيلهم لمغفرة الذنوب الخ هذا كذب وافتراء منه على المسلمين فكلهم يعلم انه لا يغفر الذنوب ولا ينجي من الهاوية ولا يعطي المراتب السامية في الجنان الا الله قد قرأوا ذلك في كتاب ربهم وعرفه عامتهم وخاصتهم وهيئات ان يؤهل احد منهم احداً من اخلاقيين نبياً فمن دونه لمغفرة الذنوب وانما يرجون بتوسلهم بالاولياء والصالحين وتشفعهم بهم وطلب دعائهم واستغفارهم وزيارة قبورهم ومحبة الرسول (ص) واهل بيته ان يغفر الله لهم وينجيهم من الهاوية ويعطيهم المراتب السامية وقد وعد الله تعالى على لسان نبيه (ص) المتمسك بهم النجاة بقوله (ص) مثل اهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى . مثل اهل بيتي كمثل باب حطة في بني اسرائيل من دخله كان آمناً . ولكن يابى قصد ترويض الباطل لهؤلاء الا الكذب والافتراء وقذف المسلمين بما هم منه براء . قوله : وجاهيرهم لما الفت ذلك طباعهم وفسدت به فطرهم وعز عنه امتناعهم لا يكاد يخطر ببال احدهم ما يخطر ببال آحاد المسلمين من قصد الله تعالى والاثابة اليه بل ليس ذلك عندهم الا الولي الفلاني ومشهد الشيخ فلان حتى جعلوا الذهاب الى المشاهد عوضاً عن الخروج

للاستسقاء والانابة الى الله تعالى في كشف انشدايد والبلوى كل هذا رأينا وسمعنا عنهم فهل سمعت من جاهلية العرب مثل هذه الغرائب التي ينتهي عندها العجب والكلام مع ذكي القلب ومن لا ترضى نفسه بحضيض التقليد في اصول الديانات والتوحيد واما ميت القلب بليد الذهن ومن لا تفارق همته التشبث باذيال التقليد والتعلق على ما يحكى عن فلان وفلان في معتقد اهل المقابر فذاك فاسد الفطرة وخطابه محض عناء . هذا ايضا افتراء منه على المسلمين فكلهم يعلم ان القادر المختار على كل شيء هو الله تعالى وحده وان النبي فمن دونه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا الا باذن الله وانه لا ينفع الا قصده تعالى والانابة اليه وهذا راسخ في نفوسهم خاطر دائما ببالهم مطابق لافعالهم واقوالهم وليس للولي ولا لمشهد الشيخ في نفوسهم شيء غير ما جعله الله له من البركة والشفاعة واستجابة الدعاء فيقصدون مشهده وينادونه طلبا لذلك الذي لا يخرج عن قصد الله تعالى والانابة اليه كما لم يخرج سؤال الدعاء من المؤمن عن ذلك . واما قوله : حتى جعلوا الذهاب الى المشاهد عوضا عن الخروج للاستسقاء فهو كسابقه في انه كذب وافتراء فكلهم يخرجون الى الاستسقاء عند احتباس قطر السماء ويدعون الله مع ذلك في المشاهد المباركة كما يدعونه في المساجد وفي كل مكان هو مظنة اجابة الدعاء ولم نر ولم نسمع عنهم غير ذلك ، نعم يوجد في الناس من يدعي الولاية لمن ليس اهلا لها ولكن لا يقاس به من اثبت الولاية لاهلها ودخل البيوت من ابوابها فيعمم الكلام لجميع المسلمين . ولكن الوهابية لما الفت طباعهم شبهات ابن عبد الوهاب وفسدت بها فطرتهم وعز عنها امتناعهم لا يكاد يخطر ببال احدهم ما يخطر ببال آحاد المسلمين من احترام من جعل الله له الحرمه والتشفع والتوسل والتبرك بمن جعل الله له الشفاعة والوسيلة والبركة حتى جعلوا قبور الانبياء والاولياء اصناما واوثانا ومن عظمها وتبرك بها كافرا مشركا فهل سمعت من جاهلية العرب أو من احد من أهل الملل والنحل مثل هذه الغرائب التي ينتهي عندها العجب، والكلام مع المسلم الذي القلب المتبع طريقة المسلمين المنصف العارف بمنزلة الانبياء والاولياء عند الله تعالى ورفيع درجتهم أما ميت القلب بليد الذهن جامد القريحة الذي

نبت ما عليه المسلمون كافة وخالف اجماعهم وطريقتهم وجهل منزلة الانبياء والاولياء وقصر بهم عن المرتبة التي جعلها الله لهم وتمحل وعاند ومن لا تفارق همته التثبت باذيال التقليد لشخص واحد يجوز عليه الخطأ والتعلق على ما يقوله والاتباع لشبهة سنه وضلالة ابتدعها حتى كأنها وحي منزل فذلك ميت القلب بليد الذهن فاسد الفطرة وخطابه محض عناء . أما المتصوفة : فاذا فرض نقلهم بعض المناقب المكذوبة من مشايخهم فهل يوجب ذلك بطلان مناقب الانبياء والاولياء على العموم ومع ذلك فالظواهر انهم لا يعتقدون في مشايخهم الاستقلال في التصرف ولا يزيدون عن اعتقاد انهم عباد مكرمون ومع الشك يجب حملهم على ذلك لوجوب حمل افعال المسلمين واقوالهم على الصحة مع الامكان . وما نقله عن حاشية البيهقري لا يوجب اعتقاده كفرأً ولا شركاً لانه ممكن فيجب قبوله اذا دل عليه النقل وهب ان نقله كاذب فلا يكون كفرأً بل عاصياً . اما امكانه : فلتواتر النقل بانه تعالى يستعمل الملائكة في نظام عالم التكوين بلا حاجة منه اليهم . فلا مانع من ان يوكل الله تعالى ملكاً لقضاء حوائج الخلق ولا يكون معتقده كفرأً اذا كان مخطئاً فضلاً عن المصيب ولا ينافي ذلك الآيات التي ذكرها فوجب الدعوة وقاضي الحاجة حقيقة هو الله تعالى كما انه تعالى ثارة قال (الله يتوفى الأنفس حين موتها . والله خلقكم ثم يتوفاكم) وثارة قال : (قل يتوفاكم ملك الموت . الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم . الذين تتوفاهم الملائكة طيبين . توفته رسلنا . اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة . فكيف اذا توفتهم الملائكة . حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم . فكما لا تناقض بين هذه الآيات لا تناقض بين ما ذكره بعد صحة النقل المذكور . ومنه يعلم انه أولى بنسبة نبت كتاب الله وراء ظهره اليه . وما ذكره الشعرا في ترجمة الحنفي لا يوجب اسقاط حرمة الانبياء والاولياء وشفاعتهم واستغفارهم ودعائهم ووسيلتهم رأساً واذا تجاوز الشعرا في بعض شطحه لا يتعدى ذلك الى غيره . واذا اعتقد بعض الناس في المشايخ والاولياء الذين بعضهم من الدجالين والمحتالين أو المجانين ما لا ينبغي اعتقاده فليس لنا ان نأخذ بذنبهم غيرهم ممن اعتقد في الانبياء والاولياء والصلحاء

الحقيقيين . اما قوله : ولم يبلغ شرك الجاهلية الى هذه الغاية فقد مر نظيره في كلام الصنعاني ومر الكلام عليه . وأما حكاية المرأة التي كف بصرها : فلا يقاس عليها غيرها مع أنه يمكن ان يلتبس لكلامها وجه صحيح ان صحت الحكاية وهو ان الله تعالى قد اقتضت مشيئته كف بصرها فلم يبق الا ان تتوسل بهذا الولي وبجبه الى الله ليرد عليها بصرها . اما ما حكاه عن بعض المغاربة فغير بعيد انه من الاكاذيب نظير ما مر حكايته من ان رجلا صلى الى ضريح ابن عباس وترك القبلة عامداً فان لم نر ولم ينقل لنا وقوع شيء من هذا في شيء من البلدان والازمان ولو صح لم يقس عليه غيره وهو خاص بفاعله كقول من قال لا يدق وتد في القاهرة الا باذن السيد البدوي مع ان من يقول هذا لا يصح ان يسمى عالماً فهل اذا غلظت امرأة كف بصرها أو بعض المغاربة أو بعض علماء مصر نغلط كافة الأمة ونكفرهم . قوله : وقد اشتهر ما يقع من السجود على أعتاب المشهد ، مر الكلام عليه في هذا الباب عند الرد على الصنعاني . قوله : لا يمنع حقيقة العبادة الصورية ، المدار على العبادة الحقيقية لا الصورية والاعمال بالنيات أما شراء الولد بشيء معين والمرأة بشيء من مهرها فلم نسمع بذلك ولم نره ولو فرض صحته فيختص بفاعله مع ان له وجهاً صحيحاً وهو قصد التصديق عن الولد أو المرأة بمال واهداء ثواب الصدقة الى الولي فيجب الحمل على الصحة ما امكن ولا يوجب ذلك شركاً ولا كفراً ولا يقاس بفعل جاهلية العرب الذين جعلوا لشركائهم نصيباً كما حكى الله تعالى عنهم كما مر الكلام على نظير ذلك في كلام الصنعاني فراجع . وأما السوائب فلم نرها ولم نسمع بها في شيء من بلاد الاسلام . واما سوق الهدايا والقرايين الى مشاهد الاولياء وذبحها فستعرف في فصل الذبح انه يقصد ذبحها لله وتقربا اليه لا للشيخ وانما يهدى له ثواب الصدقة بها فجعله ذلك وان ذكر اسم الله عليه اشد تحريماً مما ذكر عليه اسم غير الله جهل محض وتعليله بان الشرك في العبادة اكبر من الشرك بالاستعانة لا يكاد يظهر له معنى . اما ما ادعاه من ترك الشجر والعشب اذا كان بقرب المشهد فمع صحته لا مانع منه فتترك الشجر لاستغلال الزائرين والمارة اكراماً لصاحب المشهد وترك العشب لنزهتهم ورعي دوابهم . قوله : ومنها الحج الى المشاهد في اوقات مخصوصة مضاهاة لبیت الله . اخذ هذا الكلام من ابن تيمية الذي قال في كتابه

منهاج السنة : الرافضة يعظمون المشاهد المبنية على القبور فيعكفون عليها مشابهة للمشركين ويحجون اليها كما يحج الى البيت ومنهم من يجعل الحج اليها اعظم بل يسبون من لا يستغني بالحج اليها عن الحج الذي فرضه الله وهذا من جنس دين النصارى والمشركين الذين يفضلون عبادة الاوثان على عبادة الرحمن وقد صنف شيخهم المفيد كتابا سماه مناسك المشاهد جعل قبور المخلوقين تحج كما تحج الكعبة والبيت الحرام الذي جعله الله قياما للناس. ونقول : قد ثبت بما سنذكره في فصل الزيارة استحباب زيارة قبور الانبياء والاولياء والصلحاء وشد الرحال اليها رغما عن تشددات ابن تيمية واتباعه الوهابية فسواء سما زيارتها حجا قصداً للتشنيع أو لم يسموها وسواء سمى ابن تيمية الصلاة لله ودعاءه عندها عكوفاً اولاً ، لا يضرنا شيئاً وكون الزيارة في اوقات مخصوصة لا قبح فيه لأن تلك الأوقات مما ثبت فضلها وشرفها والله تعالى قد فاوت بين مخلوقاته في الفضل حتى الأزمنة كما مر في المقدمات فيتضاعف اجر الزيارة بفضل الزمان فقصدهم الى التشنيع بذلك بأنه كالحج الذي هو في اوقات مخصوصة لا شناعة فيه الا عليهم كقوله مضاهاة لبيت الله وكقول ابن تيمية انهم يحجون اليها كما يحجون الى البيت فهم يزورنها اقتداء بنبيهم (ص) الذي سن الزيارة وفعلها واتبعه المسلمون عليها وسن شد الرحال اليها خلافاً للوهابية كما ستعرف في فصل الزيارة فهم مقتدون بسنة نبيهم (ص) التي خالفها هو وشنع على من اقتدى بها فهم لم يبنوا كعبة يضاهون بها بيت الله لم يأذن الله ببنائها ولا بزيارتها بل ذهبوا لزيارة قبر أنبيائهم واوليائهم حسب امرهم ربهم فسواء ضاهى ذلك بيت الله او لم يضاهه لا ضرر فيه وهل هذه المشاهد المشرقة بشرف من فيها ليست بيوت الله ؟ ! بل هي بيوت الله والكعبة بيت الله والمساجد بيوت الله وكلما كان عن أمر الله فهو الله ، وستعرف في فصل البناء على القبور رجحان بناء المشاهد . والشيعنة توجب الحج على كل من استطاع اليه سبيلا ولا تجعل شيئاً مغنياً عنه لا زيارة مشهد ولا غيرها ، وتسب من لا يعتقد ذلك ، ومن نسب اليها غير ذلك فقد أفك وافترى . هذه كتبها الفقهاء التي تعد بمئات الألوف وطبع منها الملايين شاهدة بذلك وناصة عليه حتى انهم يوجبون القضاء عن مات مستطيعاً ولم يحج وحجاجها في كل عام من بلاد المشاهد وغيرها تنبو عن الحصر فان كان الحج اليها أعظم أو مغنياً عن الحج المفروض كما

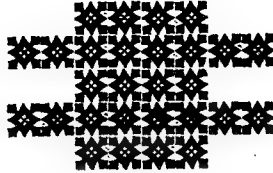
افتراه ابن تيمية فلماذا يتحملون كل هذه المشاق لأجل الحج . قوله : فيطوفون حول الضريح ، نعم يطوفون تبركاً به ولا ينكر بركته الا من أعمى الله بصيرته . قوله : ويستغيثون ، ستعرف في فصل الاستغاثة انه لا محذور في ذلك . قوله : ويهدون لصاحب القبر ويدبحون . كلا بل يدبحون لله ويتصدقون على الفقراء ويهدون الثواب لصاحب القبر قوله : وبعض مشايخهم يأمر الزائر بحلق رأسه . ابى شيطان هؤلاء الا ان يزين لهم ترويج ضلالتهم ولو بالكذب والافتراء فبعد ان سمى زيارة الانبياء والاولياء حجاً وانها في اوقات مخصوصة كالحج وانهم يطوفون ويهدون كالحجاج اراد ان يتم حجهم بالفرية السقي نقلها من ان بعض المشايخ يأمر الزائر بحلق رأسه ، ما رأينا هذا ولا سمعنا به ان هذا الا اختلاق وكان ينبغي له ان يتم احكام الحج من الاحرام ورمي الجمار والسعي وغير ذلك . اما قوله : وقد صنف بعض غلاتهم كتاباً سماه حج المشاهد فمأخوذ من كلام ابن تيمية الذي سمعته على عاداتهم في تقليد الخلف للسلف في كل ما يقول وهي فرية كفرية حلق الرأس ، وابن تيمية كان بالشام والمفيد بالعراق وبينهما نحو من ثلاثمائة سنة فأين رأى كتابه الموهوم المسمى حج المشاهد وابن رآه حفيد ابن عبد الوهاب المنحاز في بادية نجد نعم يوجد بعض الكتب التي فيها آداب الزيارة وفيها الادعية التي يدعى بها الله تعالى في المشاهد اما كتاب حج المشاهد فهو من عنديات ابن تيمية وحفيد ابن عبد الوهاب والله تعالى يجزي كلا بعمله . قوله : ومنها التعريف في بعض البلاد عند من يعتقدونه من اهل القبور فيصلون عشية عرفة عند القبر خاضعين سائلين . اقول : هذا التعريف لم نسمع له بتعريف هو ثالث الفريتين ان يوم عرفة من الايام الشريفة كيوم الجمعة وغيره من الايام وقد ورد استحباب صومه والاكثر من دعاء الله تعالى فيه والخضوع وطلب الحاجات منه تعالى في اي موضع كان الانسان واذا كان ذلك في مكان شريف كالمسجد او المشهد المشرف بن فيه كان اولى وأفضل ، فهذا الذي عابه على المسلمين ونسبهم فيه الى الشرك والكفر . قوله : والعراق فيه من ذلك الحظ الاكبر الخ . وهذا ايضاً مبني على اساسهم الفاسد الذي انسوه من المنع من زيارة قبور الأئمة والاولياء وتعظيمهم وتعظيم قبورهم وبناء المشاهد والقباب لهم وعمل الضرائح وجعل الخدمة والسدنة والصلاة عند قبورهم ودعاء الله تعالى عندها والتوسل باصحابها اليه تعالى في قضاء حوائج الدنيا والاخرة وما يجري هذا المجرى ولما كان تعظيم المسلمين لقبور أئمة أهل البيت في

العراق وهم أمير المؤمنين علي بن ابي طالب بنجف الكوفة وولده الحسين السبط الشهيد بكربلا والامام موسى الكاظم وحفيده الامام محمد الجواد في بغداد وابنه الامام علي بن محمد الهادي وابنه الامام الحسن العسكري في سامراء عليهم السلام والمواظبة على زيارتهم والصلاة ودعاء الله تعالى في مشاهدهم بالغاً الغاية لما لهم عند الله تعالى من المكانة ولما لهم من الفضل العظيم في حماية الدين ونشر علوم سيد المرسلين . وكذلك قبر الشيخ عبد القادر الجيلاني والامام ابي حنيفة ومعروف الكرخي في بغداد والحسن البصري والزيبر أحد الصحابة العشرة في البصرة ، عظم على هذا النجدي ذلك فقال ان في العراق من ذلك الحظ الاكبر والمهمة التي لا ينجو سالكها ولا يكاد . وأنى يكون المتمسك بولاية أهل البيت الطاهر وزائر قبورهم والمتعبد ربه بانواع العبادة عندها غير ناج وهم سفينة النجاة التي من ركبها نجا ومن تخلف عنها هوى وباب حطة الذي من دخله كان آمناً بنص جدهم (ص) ، وتكون النجاة محصورة في اهل نجد مطلع قرن الشيطان ومحل الزلازل والفتن والذين جعلوا دأبهم وديندهم غزو بلاد الاسلام ، ومن اعمالهم ذبح المجاورين لقبر ابن بنت رسول الله (ص) في كربلاء وهدم ضريحه وهتك حرمة وربط الخيل والدواب في صحنه ودق القهوة وإشعال النار في مئذنه وفوق رأسه كما مر في تاريخهم .

أما قوله : إن من نحو العراق عرف الكفر وظهر الشرك والفساد فيكذبه أن العراق ما زال ولم يزل مهبط الدين ومنبع الايمان والاسلام وحب أهل البيت وموالاتهم ولم يظهر الكفر والفساد إلا من بلاد نجد بلاد مسيلمة وبلاد الوهابية المجسمة الذين ما فتئوا يعيشون في الارض فساداً يسفكون الدماء وينهبون الاموال ويحترقون المسلمين ويرمونهم بالكفر والشرك ويحترقون الانبياء والمرسلين وعظماء الدين يهدمون قبورهم ويجعلونها معرضاً لدوس الاقدام وترويت الدواب والكلاب ووقوع القاذورات ويهينون من يزورها او يحترمها او يتبرك بها او يصلي لربه عندها فأى فساد اعظم من هذا . وهم يقولون إن من العراق ظهر الفساد ومن نجدهم ظهر الصلاح وقد عرف صحة ما قلناه كل من له ادنى إلمام بتاريخ الوهابية وقدوتهم ابن تيمية ومبدأ حواشيهم في الدين . أما ما يقع من شيعة أهل البيت الطاهر الذين نبزههم بالرافضة عند مشاهد الأئمة الطاهرين بالعراق الذين حرم من حلاوة مودتهم ومحبتهم والفوز بولايتهم فلا يعدو عبادة الله تعالى وتوحيده والخضوع

لعظمته فالقاصدون لتلك المشاهد الشريفة منهم الزائر لقبورهم المعدد لمناقبهم ومآثرهم في خدمة الدين والاسلام ومنهم المصلي لربه الراكع الساجد الخاشع ومنهم الداعي لله تعالى القائم في خدمته الباكي من خشيته المتضرع اليه المتوسل والمتشفع اليه بمن اعطاهم الشفاعة وجعل لهم الوسيلة ومنهم الخاطب الواعظ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الى غير ذلك من انواع العبادات والطاعات لله تعالى ، ولا يعبدون احدا منهم بشيء مما حظه الله تعالى ، ولكن الوهابين لما اقتضى جودهم وغباوتهم وعنادهم ان تعظم القبور واهلها والصلاة لله ودعائه عندها والتشفع والتوسل بأهلها عبادة لغير الله موجبة للشرك والكفر عدوا فعل المسلمين بالعراق عند المشاهد كفرا وشركا وحيث قد بينا مرارا بما لا مزيد عليه خروج ذلك عن العبادة لغير الله الموجبة للشرك والكفر بل هو عين الطاعة لله تعالى ظهر ان عد ذلك شركا من اعظم الموبقات وان من عده كذلك من اجهل الخلق واصلهم بمخالفته لما اجمع عليه المسلمون خلفا عن سلف وان مخالف اجماع المسلمين وسيرتهم ومثبت الوجه واليدين والعينين لله تعالى والاستواء على العرش الذي هو فوق السماوات على الحقيقة من دون تأويل اولى بغاية الكفر والشرك التي ما وصل اليها قبله احد ممن ينتسب الى الاسلام واي شرك او كفر او عبادة لغير الله تعالى تحصل في مشاهد الأئمة بالعراق ؟ **أول كلام** يقال عند فتح ابواب مشاهدهم هو لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله جاء بالحق من عنده وصدق المرسلين الخ . ولا تشتمل الزيارات والادعية التي تقرأ في تلك البقاع الطيبة الا على توحيد الله تعالى وتمجيده والثناء عليه وما يشتمل منها على التوسل والتشفع وطلب الحوائج والعطايا والمواهب من صاحب القبر لا يخرج عن سؤال الدعاء والشفاعة الذي بينا في فصله **أجوازه** ورجحانه واذا فرغ الزائر من الزيارة يصلي لله تعالى ركعتين مستحبتين يهدي ثوابها للمزور ويقول بعدهما كما هو مأثور عن أئمة اهل البيت الطاهر (اللهم اني صليت وركعت وسجدت لك وحدك لا شريك لك لأن الصلاة والركوع والسجود لا تكون إلا لك لأنك انت الله الذي لا إله الا انت اللهم وهاتان الركعتان هدية مني الى سيدي ومولاي (ويسمى المزور) اللهم فتقبلها مني باحسن قبولك وأجرني على ذلك بأفضل أمني ورجائي فيك وفي وليك يا ارحم الراحمين) .

ورجاؤه فيه تعالى الثواب والمغفرة وفي وليه الدعاء والشفاعة .
والله المستول ان ينصر دينه ويعلي كلمته ويمحو هذه الضلالات التي جاء بها هؤلاء
ويرد عاديتهم عن المسلمين ويردهم الى سبيل الرشd ويريح المسلمين من تشدداتهم وتعنتاتهم
حتى تبقى السهلة السمحاء كما كانت وينزه الباري تعالى عن نسبة ما لا يليق بجلاله وتبقى
البنضاء كما كانت ليلها كنهارها .



الباب الثالث

في تفصيل الامور التي كفر بها الوهابية المسلمين

ورد كل واحد منها بخصوصه

حيث ظهر لك ان منشأ شبه الوهابيين في حكمهم بشرك جميع المسلمين وكفرهم واستحلال دماءهم واموالهم هو زعمهم انهم يعبدون القبور بتعظيمهم لها بالتقبيل والطواف والتمسح وبناء القباب والاسراج وغير ذلك من انواع التعظيم وانهم يعبدون الاموات بدعائهم لهم وطلبهم منهم قضاء حوائجهم وانهم يندرون وينحرون لهم كما كان اهل الجاهلية يفعلون مثل ذلك مع اصنامهم فكان ذلك عبادة لغير الله وشركا به وقد عرفت فساد ذلك بوجه العموم في الباب السابق فلنتكلم على كل واحد من هذه الامور التي هي منشأ شبهتهم بخصوصه مضافا الى ما مر في الباب السابق لأن اكثرها يختص بما لا يشاركه فيه غيره وذلك في ضمن فصول .

الفصل الاول في الشفاعة

اعلم ان طلب الشفاعة من الانبياء والصالحين والملائكة الذين أخبر الله تعالى ان لهم الشفاعة بما منعه الوهابيون وجعلوه كفراً وشركاً صرح بذلك ابن عبد الوهاب في كلامه المتقدم في رسالة أربع القواعد التي قال ان الخلاص من الشرك يتم بها بقوله : الثانية انهم يقولون ما دعونا الاصنام وتوجهنا اليهم الا لطلب القرب والشفاعة . وفي رسالة كشف الشبهات . بقوله : لكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله يقولون نريد منهم القرب الى الله وشفاعتهم عنده . وقوله : ومنهم من يدعو الملائكة لصلاحهم وقربهم الى الله ليشفعوا له او رجلا صالحا كاللات او نبيا كعيسى . وقوله : ان قصدهم الملائكة والانبياء والاولياء يريدون شفاعتهم والتقرب الى الله بذلك هو الذي احل دماءهم ، وفيما حكاه الألوسي عنه حيث جعل طلب الشفاعة مثل شرك جاهلية العرب وفي كلامه الأخير في كشف الشبهات الذي علم به الاحتجاج على المسلمين بقوله : ان الذين قاتلهم (ص) مقرون بما ذكرت وبأن اوثانهم لا تدبر شيئا وانما ارادوا الجاه والشفاعة وانهم ما ارادوا

من قصدوا الا الشفاعة وان طلب الشفاعة من الصالحين هو بعينه قول الكفار ما نعبدهم الا ليقربونا . هؤلاء شفعاؤنا عند الله الى غير ذلك ، والصنعاني في كلامه السابق حيث جعل من جملة عبادة المشركين الاصنام اعتقادهم انها تشفع عنده وجعل من جملة عبادة الانبياء والصالحين اعتقاد ذلك والتشفع بهم . وقوله : فجعل اتخاذهم للشفعاء شركاً ونزه نفسه عنه لانه لا يشفع عنده احد الا باذنه فكيف يثبتون شفعاء لهم لم يأذن الله لهم في شفاعة ولا هم اهل لها ومن اعتقد في حي او ميت انه يقرب الى الله او يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به فقد اشرك مع الله غيره واعتقد ما لا يحل كما اعتقد المشركون في الاوثان وصار حلال المال والدم وجعل من جملة الشرك الاعتقاد في شيء انه يشفع في حوائج الدنيا بمجرد التشفع ، والوهابيون في كتابهم الى شيخ الركب المغربي بقولهم : فاخبر ان من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدتهم وأشرك بهم الى قولهم : فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا الا من الله وجعلهم سؤال الانبياء والاولياء الشفاعة بعد موتهم شركاً وعبادة للأوثان . وفي الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية ^(١) ونثبت الشفاعة لنبينا محمد (ص) يوم القيامة ولسائر الانبياء والملائكة والاولياء والاطفال حسبما ورد ونسألها من المالك لها والاذن فيها بان نقول اللهم شفّع نبينا محمداً (ص) فينا يوم القيامة او اللهم شفّع فينا عبادك الصالحين او ملائكتك او نحو ذلك مما يطلب من الله لا منهم فلا يقال يا رسول الله او يا ولي الله أسألك الشفاعة او غيرها مما لا يقدر عليه الا الله تعالى فاذا طلبت ذلك في ايام البرزخ كان من اقسام الشرك اذ لم يرد بذلك نص من كتاب او سنة ولا أثر من السلف الصالح بل ورد الكتاب والسنة واجماع السلف ان ذلك شرك اكبر قاتل عليه رسول الله (ص) . وفي الرسالة الاولى من رسائل الهدية السنية ان الشفاعة وان كانت حقاً في الآخرة فلها انواع مذكورة في محلها ووجب على كل كل مسلم الايمان بشفاعته (ص) بل وغيره من الشفعاء فهي ثابتة بالوصف لا بالشخص ما عدا الشفاعة العظمى فانها لاهل الموقف عامة وليس منها ما يقصدون فالوصف من مات لا يشرك بالله شيئاً كما في البخاري من حديث ابي هريرة (رض) لكل نبي دعوة مستجابة

واني خبأت دعوتي شفاعة لامتي وهي نائلة منكم ان شاء الله من مات لا يشارك بالله شيئاً الى ان قال : واذا كانت بالوصف فرجاؤها من الله ودعاؤه ان يشفع فيه نبيه هو المطلوب قال : فالمتعين على كل مسلم صرف همه الى ربه بالاقبال اليه والاتكال عليه والقيام بحق العبودية له فإذا مات موحداً استشفع الله فيه نبيه بخلاف من اهل ذلك وتركه وارتكب ضده من الاقبال الى غير الله بالتوكل عليه ورجائه فيما لا يمكن وجوده الا من عند الله والالتجاء الى ذلك الغير مقبلاً على شفاعته متوكلاً عليها طالبا لها من النبي «ص» أو غيره فان هذا بعينه فعل المشركين واعتقادهم ولا نشأت فتنة في الوجود الا بهذا الاعتقاد . الى ان قال : ولهذا حسم جل وعلا مادة الشفاعة عن كل احد بغير اذن الاله وحده فلا يشفع عنده احد الا باذنه لا ملك ولا نبي ولا غيرهما . الى ان قال : ولهذا قال عز من قائل (قل لله الشفاعة جميعاً . وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون) وطلبها من غير الله في هذه الدار زعم بعدم تعلقها بالاذن من الله والرضا عن المشفوع له وقال تعالى (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع . وأنذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) والعبرة في القرآن بعموم اللفظ لا بخصوص السبب « انتهى » .

وقال محمد بن عبد الوهاب ايضاً في رسالة اربع القواعد ^(١) : الشفاعة شفاعتان منفية ومثبتة فالمنفية ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه الا الله لقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون) والمثبتة هي التي تطلب من الله والشافع مكرم بالشفاعة والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله بعد الاذن كما (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) « انتهى » وفصل في مقام آخر ما اجمله هنا فقال في رسالة كشف الشبهات ^(٢) عند تعليمه اتباعه الاحتجاج على غيرهم في تنمة كلامه السابق ، فان قال (أي بغض المشركين من المسلمين الذين لا يقولون بقاللة الوهابية) اتنكر شفاعة رسول الله «ص» وتبرأ منها فقل لا بل هو الشافع والمشفع وارجو شفاعته لكن الشفاعة كلها لله (قل لله الشفاعة جميعاً) ولا يشفع لاحد الا من بعد ان يأذن الله فيه (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وهو لا يرضى الا التوحيد

فاذا كانت الشفاعة كلها لله ولا تكون الا بعد اذنه ولا يشفع النبي «ص» ولا غيره في احد حتى يأذن الله فيه ولا يأذن الا لاهل التوحيد ^(١) فالشفاعة كلها لله فاطلبها منه واقول اللهم لا تحرمني شفاعة الله شفعه في وامثال هذا فان قال النبي «ص» اعطني الشفاعة وانا اطلبه مما اعطاه الله «كذا» فالجواب ان الله اعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا وقال «فلا تدعوا مع الله احداً» وايضاً الشفاعة أعطيها غير النبي «ص» فصح ان الملائكة والاولياء يشفعون فان قلت الله اعطاهم الشفاعة واطلبها منهم رجعت الى عبادة الصالحين التي ذكرها الله تعالى في كتابه وان قلت لا بطل قولك هذا .

وقال ابن تيمية في رسالة زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ^(٢) في تنمة كلامه المتقدم في الباب الثاني : وان قال أنا أسأله لكونه أقرب الى الله مني ليشفع لي في هذه الأمور لأنني اتوسل الى الله به كما يتوسل الى السلطان بخواصه واعوانه فهذا من افعال الذين يزعمون انهم يتخذون احبارهم ورهبانهم شفعاء يستشفعون بهم في مطالبهم والمشركين الذين اخبر الله عنهم انهم قالوا : ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى وقال تعالى : «أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون . قل لله الشفاعة جميعا . ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع . من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه » فبين الفرق بينه وبين خلقه فان من عادة الناس ان يستشفعوا الى الكبير من كبرائهم بن يكرم عليه فيسأله ذلك الشفيع فيقضي حاجته اما رغبة واما رهبة واما خياء واما مودة واما غير ذلك والله سبحانه لا يشفع عنده أحد حتى يأذن هو للشافع فلا يفعل الا ما شاء الله وشفاعة الشافع من اذنه فالامر كله له . الى ان قال : وقد امرنا ان نصلي على النبي «ص» في الدعاء وجعل ذلك من أسباب اجابة دعائنا « انتهى » .

« ونقول » الشفاعة من الشفيع عبارة عن طلبه من المشفوع اليه امراً للمشفوع له فشفاعة النبي «ص» أو غيره عبارة عن دعائه الله تعالى لأجل الغير وطلبه منه غفران الذنب وقضاء الحوائج فالشفاعة نوع من الدعاء والرجاء . وحكى النيسابوري في تفسير قوله تعالى « من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له نصيب منها »

(١) ولا موحد الا الوهابيون فلا شفاعة الا لهم (٢) ص ١٥٦

كفيل منها عن مقاتل انه قال : الشفاعة الى الله انما هي الدعوة لمسلم لما روي عن النبي (ص) من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك (انتهى) . وحينئذ فطلب الشفاعة من الغير كطلب الدعاء منه وقد ثبت جواز طلب الدعاء من أي مؤمن كان واعترف بذلك الوهابية وقدمتهم ابن تيمية في طلبه من الحي بل هو من ضروريات دين الاسلام وحينئذ فيجوز طلب الشفاعة الى الله تعالى من كل مؤمن فضلا عن الانبياء والصالحين . فضلا عن سيد المرسلين . ولو قيل ان الشفيع لا بد ان يكون له قدر وجاه عند المشفوع اليه . فنقول : ان الله تعالى جعل حرمة لكل مؤمن يرجى بها قبول شفاعته واستجابة دعائه فلم يبق فرق ، على انه قد ورد ثبوت الشفاعة لآحاد المؤمنين وللملائكة وانها ليست من خواص الانبياء وثبتت شفاعة الملائكة بما اخبر الله تعالى عنهم بقوله (الذين يحملون العرش ومن حوله الى قوله ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم وقهم السيئات) « الآية » قال الرازي في تفسيره : هذه تدل على حصر الشفاعة من الملائكة للمذنبين كما وقعت الشفاعة من النبي (ص) وغيره من الانبياء وامره الله تعالى بها فقال واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وحكي عن نوح انه قال رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات « انتهى » وفيه تصريح بان الشفاعة لا تزيد عن الدعاء وطلب المغفرة كما قلناه .

فظهر ان الشفاعة والدعاء من واد واحد وكذا طلبها من الغير وليس حتما على الله قبول الشفاعة ولا اجابة الدعاء وانما ذلك من الطافه ومنه ورأفته بعباده فجعل لهم وسائل كثيرة الى نيل رضاه وعفوه وخيره وبره وهذا منها ولا شفاعة الا باذنه ورضاه كما قال تعالى : (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وغير ذلك .

وظهر ان طلب الشفاعة من النبي (ص) بل ومن آحاد المؤمنين في دار الدنيا احياء وامواتا ليشفعوا في الدنيا في امور الدنيا والاخرة او يوم القيامة جائز لا محذور فيه لأنها من قبيل الدعاء فيرجع طلبها الى التماسه وذلك جائز من الاحياء بالاتفاق أما طلب

الدعاء من الاموات فمنعه ابن تيمية والوهابية والحق جوازه كما يأتي في الفصل الثالث .
والأخبار الواردة في ثبوت الشفاعة للنبي «ص» يوم القيامة ، وانه الشفيع المشفع وغيره مستفيضة أو متواترة رواها البخاري ومسلم وغيرهم . مثل من سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة . من سمع الاذان ودعا بكذا حلت له شفاعتي يوم القيامة . أعطيت خمسا وعد منها الشفاعة . انا اول شافع واول مشفع . أأثني آت من ربي فخيرني بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة . يدخل بشفاعتي رجال من امتي اكثر من بني تميم . ان الله يقول فرغ الشافعون من الشفاعة شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين . يجلس المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا فيأتون آدم فيعتذر بخطيئته ثم ابراهيم «ع» فيعتذر بثلاث كذبات كذبهن ثم موسى «ع» فيعتذر بقتل النفس ثم عيسى «ع» فيقول لست هناك فيقول الله سبحانه بعد ان اسجد له اسفح تشفع (الخبر) ومن ادلة شفاعته لنا بعد موته «ص» حديث وفاقي خير لكم تعرض علي اعمالكم . الى قوله : وما رأيت من شر استغفرت لكم ، لما عرفت من ان الشفاعة لا تزيد عن الدعاء لنا والاستغفار واذا كان «ص» يستغفر لنا بعد موته جاز لنا ان نطلب منه الاستغفار الذي هو الشفاعة بعينها .

وشفاعة النبي «ص» يوم القيامة لا ينكرها الوهابية فلا حاجة الى اكثر الأدلة عليها وانما منعوا من جواز طلبها منه «ص» في الدنيا وان كانت ثابتة له وقد اعطاه الله الشفاعة وهو الشفيع المشفع وجعلوه شركا وكفرا .

ومرجع شبهتهم في ذلك على ما يستفاد من مجموع كلماتهم التي سمعناها الى ان طلب الشفاعة من النبي «ص» عبادة له وكل عبادة لغير الله شرك (أما الثاني) فلو جوب توحيد الله في العبادة كما يجب توحيد في الخالقية والرازقية (وأما الاول) فلأن شرك الكفار الذين بعث اليهم رسول الله «ص» كان بطلبهم الشفاعة من الاصنام بدليل قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا ، ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا) ولأنهم لا ينكرون توحيد الخالقية والرازقية لكنهم يعملون بعض الخلوقات وسائط بينهم وبين الله يقولون نريد منهم التقرب الى الله وشفاعتهم عنده ولا يفرق النبي «ص» بين من كان يدعو الملائكة ليشفعوا له او رجلا صالحا كاللات او نبيا كعيسى او يدعو غيرهم فقاتل الكل فهذا دليل على ان التشفع بالنبي

او الصالح شرك كالتشفع بغيره . ويدل ايضاً على عدم جواز طلب الشفاعة من غير الله قوله تعالى (لله الشفاعة جميعا . من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) واذا كانت الشفاعة كلها لله لم يحز طلبها من غيره وقوله تعالى (فلا تدعوا مع الله احداً) وطلب الشفاعة من النبي «ص» دعاء له فيكون منها عنه مع كون الدعاء عبادة بنص الكتاب والسنة بل نخبا كما يأتي واذا كان طلب الشفاعة دعاء والدعاء عبادة كان شركا فالجمع بين ثبوت الشفاعة له «ص» وعدم جواز طلبها منه ان يقول المستشفع به «ص» اللهم شفعه في او لا تحرمني شفاعته او ارزقني شفاعته او نحو ذلك وهذا معنى قولهم فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا الا من الله . ويفهم مما مر عن الرسالة الاولى من الهدية السنية الاحتجاج لذلك بان طلب الشفاعة من غير الله في الدنيا مناف لكونه لا يشفع عنده احد الا باذنه والامن ارتضى .

والجواب عن شبهتهم هذه انها شبهة سخيفة فطلب الشفاعة ليس عبادة المطلوب منه وشرك اهل الجاهلية الذي احل دماءهم واموالهم لم يكن سببه اتخاذهم الشفعاء كما زعموا وليس في الآيتين المستشهد بهما ان الموجب لشركهم هو تشفعهم ولا ان عبادتهم لهم هي تشفعهم بهم بل الآيتان صريحتان في ان عبادتهم لهم كانت غير التشفع فانه جعل في الآية الاولى العبادة علة التقريب الذي هو الشفاعة والعلة غير المعلول ببديهة العقول وعطف في الآية الثانية قول هؤلاء شفاعتنا على قوله ويعبدون والعطف يقتضي تساير المعطوف والمعطوف عليه كما قرر في علم العربية مع ان عبادتهم لهم بغير التشفع من السجود والاهلال باسمائها وغير ذلك مشاهدة معلومة كما ذكرناه مراراً وقد ذكرنا مرارا ان قوله تعالى والذين اتخذوا من دون الله اولياء «الاية» ويعبدون من دون الله «الاية» صريح في ان عبادتهم لها كانت مع الاعراض عن الله والمخالفة لأمره . وقوله : ما لا يضرهم ولا ينفعهم اشارة الى انهم عبسوا احجاراً واشجاراً هي من الجمادات وطلبوا منها النصر والشفاعة ولم يجعل الله لها ذلك ولو كانت على صور قوم صالحين ، فلا يقاس بها من جعله الله شافعاً وقادراً على الشفاعة ولا من تشفع به بمن تشفع بها ويجب على قياس قولهم بمنع يا رسول الله اشفع لي بل يقول اللهم شفعه في او ارزقني شفاعته ان يمنوا يا فلان ادع لي بل يقول اللهم اجب دعاءه في او ارزقني دعاءه لي مع اعترافهم بجوازه ومنعه ، ويشبه الأكل من القفا اي ايصال اللقمة الى الفم من وراء الرقبة . اما جعل طلب الشفاعة منافيا لكونه لا يشفع

عنده احد الا باذنه فستعرف فسادَه عند رد هذا الكلام وقد ظهر من ذلك فساد قول ابن عبد الوهاب : ان طلب الشفاعة من الصالحين هو بعينه قول الكفار ما نعبدهم الا ليقربونا هؤلاء شفعاؤنا ، لما عرفت من صراحة الايتين في مغايرة العبادة لطلب الشفاعة . وبطلان ما يفهم من قوله انهم يقولون ما دعونا الاصنام وتوجهنا اليهم الا لطلب القرب والشفاعة . وقوله : لكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله يقولون نريد منهم القرب الى الله وشفاعتهم عنده الدال على ان سبب الشرك طلب الشفاعة لما عرفت من صراحة القرآن ودلالة الوجدان على خلافه وبطلان قوله ومنهم من يدعو الملائكة ليشفعوا له أو صالحا كاللات أو نبيأ كعيسى . وقوله : ومنهم من يدعو الصالحين والاولياء لما عرفت في الباب الثاني من ان دعاء الملائكة لم يكن بطلب شفاعتهم بل عبادتهم بغير ذلك وقول انهم بنات الله ودعاء اللات لم يكن بالتشفع به لانه رجل صالح بل بعبادة حجر على صورته الموهومة بالسجود وغيره والتشفع بذلك الحجر الذي لم يجعل الله له شفاعة ولو كان على صورة صالح مزعومة ، ودعاء عيسى «ع» لم يكن مجرد التشفع به بل اعتقاد انه هو الله الخالق الرازق باحد الوجوه التي سبق بيانها وأي جهل اعظم من جعل الاشراك بعيسى مجرد التشفع به وهل يمكن صدوره من عاقل فضلا عن عالم . وقوله : ان قصدهم الملائكة والانبياء والاولياء يريدون شفاعتهم هو الذي أحل دماءهم واموالهم قد عرفت انه كذب وافتراء وان الذي أحل ذلك تكذيبهم للرسول وانكارهم للشرائع وعبادتهم للاوثان بغير مجرد التشفع وكذلك جعله طلب الشفاعة مثل شرك جاهلية العرب وان الذين قاتلهم «ص» انما أرادوا الجاه والشفاعة .

وبما يدل على ان عبادتهم كانت غير طلب الشفاعة ما حكاه الوهابية أنفسهم في الرسالة الثالثة من الهدية السنية ^(١) عن الامام البكري عند قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض « الاية » من قوله : فان قلت اذا اقروا بذلك فكيف عبدوا الاصنام قلت كانوا يعتقدون بعبادتهم الاصنام عبادة الله والتقرب اليه لكن بطرق مختلفة ففرقة قالت ليس لنا أهلية عبادة الله بلا واسطة لعظمته فعبدناها لتقربنا اليه زلفى وفرقة قالت الملائكة ذو منزلة عند الله فاتخذنا اصناما على هيئتها لتقربنا اليه زلفى وفرقة قالت جملنا

الاصنام قبله لنا في العبادة كما ان الكعبة قبله في عبادته وفرقة اعتقدت ان لكل ملك (كذا) شيطاناً موكلًا بأمر الله فمن عبد الصنم حق عبادته قضى الشيطان حوائجه بأمر الله والا اصابه الشيطان بنكبة بأمر الله « انتهى » (والعجب) ان المستشهد بهذا الكلام من الوهابية قال بعد نقله : فانظر الى كلام هؤلاء الأئمة وتصريحهم بان المشركين ما ارادوا من عبادة الا التقرب الى الله وطلب شفاعتهم عنده « انتهى » ولم يدر ان عبادة غير الله لا يحتاج التكفير بها الى الاستشهاد بكلام احد سواء كانت بقصد التقرب الى الله وطلب شفاعتهم أو بدون ذلك ولكن الذي ينفع اثبات ان طلب الشفاعة عبادة او ان ما يفعله المسلمون هو عين ما كان يفعله عبدة الاصنام والكلام الذي استشهد به صريح بخلافه فليس في المسلمين من يعتقد بوحدة مما كانت تعتقده تلك الفرق ، هذا في رد زعمهم ان طلب الشفاعة عبادة واما استدلال ابن عبد الوهاب على عدم جواز طلب الشفاعة من غير الله بآية الله الشفاعة جميعاً وآية فلا تدعوا مع الله أحداً فاستدلال فاسد ، اما آية الله الشفاعة جميعاً فليس معناها ان الله وحده هو الذي يشفع وغيره لا يشفع لانه تعالى لا يشفع عند احد وثبت ان الانبياء والصالحين والملائكة يشفعون عنده وليس معناها انه لا يجوز طلب الشفاعة ممن جعله الله شافعاً بل معناها والله العالم ان الله مالك امرها فلا يشفع عنده احد الا باذنه (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) ولا يشفع الا لمن ارتضاه الله (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وصدر الآية هكذا (ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون قل الله الشفاعة جميعاً « الآية ») فهو في مقام الرد على الذين اتخذوا الاصنام والاحجار شفعاء الى الله تعالى وقالوا هؤلاء شفعائنا عند الله مع انهم لا يملكون شيئاً فكيف يملكون الشفاعة ولا عقل لهم حتى يشفعوا وفي الكشف (من دون الله) من دون اذنه (قل الله الشفاعة جميعاً) اي هو مالكها فلا يستطيع احد شفاعة الا بشرطين ان يكون المشفوع له مرتضى وان يكون الشفيع مأذوناً وها هنا الشرطان مفقودان جميعاً « انتهى » . وحكى الطبري عن مجاهد (الله الشفاعة جميعاً) أي لا يشفع احد الا باذنه « انتهى » .

فحمل ابن عبد الوهاب واتباعه له على ان معناه طلب الشفاعة من الله وحده وعدم طلبها من المخلوق وان كان له ان يشفع حمل مستهجن مستقبح لا يساعد عليه اللفظ ولا

فهم أهل العرف ولم يذكره احد من المفسرين ولا تقتضيه الحكمة ولا يخرج عن التحمل والتحكم والعبث فكأن الله تعالى يقول اطلبوا من الناس كل ما يقدرون عليه واطلبوا منهم الدعاء لكم الذي لا تخرج الشفاعة عنه بل هي نفسه ولكن لا يجوز لكم ومحذور ومحجور عليكم ان تطلبوا من النبي «ص» ان يشفع لكم في الدنيا او في الآخرة ويدعو الله لكم وان كانت له الشفاعة وقد أعطاه الله اياها وهو الشفيع المشفع . واذا طلبتموها منه فقد كفرتم واشركتم فانظر اياها المنصف هل يحسن ان يصدر ذلك من عاقل وهل يصدر الا من سفيه جاهل تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

واما آية فلا تدعوا مع الله فشتر في فصل الدعاء انها اجنبية عن المقام مع انه لو صح الاستدلال بها على عدم جواز طلب الشفاعة من العبد لصح الاستدلال بها على عدم جواز طلب الدعاء منه لان كلا منها دعاء لغير الله يشمله قوله تعالى (فلا تدعوا مع الله احداً) فاي فارق بين قول يا فلان اشفع لي ويا فلان ادع لي ، وطلب الدعاء من الغير لا ينكره الوهابية ولا قدوتهم ابن تيمية اذا كان من الحي كما ستعرف مع شمول الآية له . وجاء في احاديث كثيرة صلوا علي فان صلاتكم تبلغني ، وسيأتي حديث صلوا علي ثم اسألوا الله لي الوسيلة فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة . والصلاة منا الدعاء ومنه تعالى الرحمة ورفع الدرجة فقد طلب منا «ص» ان ندعو له برفع الدرجة واعطاء الوسيلة وهو كطلبنا منه الشفاعة بان يدعو الله ان يغفر ذنوبنا ويدخلنا جنته فكيف صار طلبه منا توحيداً وطلبنا منه شركاً ونحن احوج الى شفاعته ودعائه منه الى دعائنا فاي فارق بينها لولا الجود وقلة الانصاف .

أما جعل الصنعاني من جملة عبادة المشركين الأصنام اعتقادهم انها تشفع عند الله ومن جملة عبادة الانبياء والصالحين اعتقاد ذلك والتشفع بهم ففاسد لأن اعتقاد المشركين في الأصنام انها تشفع وطلبهم منها الشفاعة خطأ وغلط اذ لم يجعل الله لها شفاعاة سواء كانت على صورة صالح او غيره فان الشافع هو الصالح لا الحجر الذي على صورته كما عرفت بخلاف الاعتقاد بان الانبياء والصالحين يشفعون فاذه صحيح مطابق للواقع ليس فيه خطأ ولا غلط فضلا عن كونه عبادة وشركا وكذلك التشفع بهم ، على ان الاعتقاد في حجر او شجر انه يشفع وطلب الشفاعة منه لم يعلم كونه عبادة له انما هو خطأ وغلط ، والمشركون لم يعلم ان هذا سبب في شركهم لأنه لم يصدر منهم وحده بل صدر معه ما هو كاف في

الشرك والكفر من انكار الرسل والشرائع والعبادة للاصنام بغير ما ذكر كما بيناه غير مرة وتعليل الصنعاني وغيره كون اتخاذ الشفعاء شركاً بأنه لا يشفع عنده أحد الا باذنه فاسد فان قوله الا باذنه مثبت للشفاعة فكيف يكون اتخاذ الشفعاء الذين جعل الله لهم الشفاعة واذن لهم فيها شركاً . وقوله : فكيف يثبتون شفعاء لهم لم يأذن الله لهم في شفاعة ولا هم اهل لها ، رد عليه فاتخاذ الشفعاء الذي ذمهم الله عليه هو اتخاذ حجر او شجر او صورة شفعاء مع ان الله لم يجعل لها شفاعة ولا هي اهل لها اما الانبياء الذين اثبت الله لهم الشفاعة التي هي نوع من الدعاء كما عرفت وجعلهم اهلاً لها كما تواترت به الاخبار ودل عليه قوله تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى . من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه . ما من شفيع الا من بعد اذنه . يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولاً . ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له . لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهداً) قال البيضاوي : عهداً من الايمان والعمل الصالح او اذناً فيها « انتهى » (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون) في تفسير البيضاوي : الا من شهد بالحق بالتوحيد ، والاستثناء متصل ان اريد بالوصول كل ما عبد من دون الله لاندرج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل ان خص بالاصنام « انتهى » فهذه الآيات مثبتة للشفاعة جزماً مع اذن الله ورضاه ولسنا نطلب منهم ان يشفعوا لنا قهراً وحتماً على الله ومثبتة لشفاعة من اتخذ عند الرحمن عهداً ومن شهد بالحق فلازم على طلب الشفاعة منهم ولا شرك فيه . وظهر من ذلك بطلان قول الصنعاني ان الاعتقاد في حي او ميت انه يقرب الى الله او يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع والتوسل اليه تعالى شرك كالاعتقاد في الاوثان ، وقوله بمجرد التشفع لا يظهر له معنى ولا للتقييد به فائدة فانه ان اراد منه انه يشفع بغير اذن الله ويحبر الله على قبول شفاعته فهذا لا يعتقده مسلم ولا يقول به احد فما فائدة هذا التقييد وكيف رتبوا عليه استحلال دماء المسلمين واموالهم واعراضهم . نعم لا يبعد ان يكون عبدة الاصنام يعتقدون مثل ذلك في اصنامهم واوثانهم كما بيناه في غير هذا الموضع وان اراد انه يشفع بمجرد التشفع ويشفعه الله لان الله اذن له اذناً عاماً في الشفاعة عندما يتشفع به احد ووعدته قبول شفاعته لكل من يتشفع به فهذا ايضاً لا يعتقده احد من المسلمين وان كان ممكناً وجائزاً ان دل عليه النقل وانما يقولون ان الله

تعالى جعل النبي (ص) شافعاً ومشفعاً كما دلت عليه صحاح أخبارهم لكن لا بلا قيد ولا شرط فقد يتشفع به أحد ويشفع له وقد لا يشفع له لانه ليس اهلاً للشفاعة او لان الله لم يأذن له ان يشفع فيه وقد يأذن له في الشفاعة وقد لا يأذن والامر كله لله تعالى. نعم كلهم يطلبون منه الشفاعة التي هي نوع من الدعاء رجاء ان يشفع فيشفعه الله. وليس ذلك حتماً قطعياً فجعل ذلك كالاقتقاد في الاوثان التي ثبت بصريح العقل ونص الشرع عدم قدرتها على الشفاعة والدعاء وعدم جواز طلبها منها خطأ واضح فما فائدة هذا التقييد؟ أمثل هذا تستحل دماء المسلمين واموالهم واعراضهم سبحانه اللهم هذا بهتان عظيم .

ومما ذكرنا يعلم ان قولهم في الكتاب الى شيخ الركب المغربي بعد ذكر آية ويعبدون من دون الله « الآية » . فاخبر ان من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدهم واشرك بهم ، تقول على الله واقتراء عليه فالله تعالى في هذه الآية أثبت لهم شيئين عبادتهم الاصنام وقولهم هؤلاء شفعاؤنا واخبر انهم أشركوا ولم يخبر ان عبادتهم هي طلب الشفاعة ولا ان طلبهم هو الشرك بل أخبر بان عبادتهم الاصنام غير قولهم ذلك لاقتضاء العطف المغايرة كما مر وقد ابطالوا في كتابهم المذكور احتجاجهم بآية ان الشفاعة لله جميعاً بذكرهم معها الايات الاخر تفسيراً لها وهي من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه . لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولاً . فبينت ان معنى كون الشفاعة كلها لله انها لا تكون الا باذنه وليس لاحد ان يشفع قهراً عنه وبدون رضاه ويلجئه الى قولها حياء او خوفاً او غير ذلك كما يقع بين اغلوقين لا ان معناها عدم جواز طلب الشفاعة ممن له الشفاعة . اما ذكرهم في جملة الايات المستدل بها على ابطال طلب الشفاعة من غير الله آية فومئذ لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم فغريب لان هذه الآية لا ربط لها بطلب الشفاعة وانما تدل على عدم قبول عذر او توبة بعد الموت من الظالمين . ولكن هؤلاء يظنون ان تكثيرهم لسرد الايات يدل على انهم شديداً التمسك بالقرآن . أما قولهم وهو سبحانه لا يرضى الا التوحيد بعد ذكر آية فيومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولاً ، فنعم هو والله لا يرضى الا التوحيد ولا تكون الشفاعة الا لاهل التوحيد كما انه لا يرضى بنسبة الشرك الى اهل التوحيد لطلبهم الشفاعة ممن جعل الله له الشفاعة ولا ينفع الناسيين تسمية انفسهم بالموحدين . أما قولهم : فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا الا من الله فاذا كانت حقاً فما المانع من طلبها أفيجعل الله طلب الحق باطلاً وشركاً ، تعالى

الله عن ذلك فطلب الحق لا يكون الا حقاً وطلب الباطل لا يكون الا باطلاً والتقييد بقولهم في دار الدنيا دال على جواز طلبها في الآخرة كما يدل عليه حديث تشفع الناس بالانبياء واعتذار كل منهم ثم تشفعهم بمحمد (ص) الاتي نقله ، واذا كان طلبها شركاً لم يحز في الدنيا ولا في الآخرة وهل منع الناس من الشرك في الدنيا وابعح لهم الشرك في الآخرة ! قولهم : فاذا كان رسول (ص) وهو سيد الشفعاء لا يشفع الا بأذن الله فكيف بغيره لا يظهر له معنى بل تطويل بلا طائل ولا علاقة له بالمقصود فمن الذي ينكر ان الرسول (ص) لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً الا بأمر الله ولا يشفع الا بأذن الله فضلاً عن غيره فهذا ليس محل نزاع بيننا وبينهم انما النزاع في ان طلب الشفاعة من الرسول (ص) الذي جعل الله له الشفاعة من بعد اذنه وتفضله وهدايته وتعليمه له كيفية الشفاعة وتحديدده له حداً ، هل يكون طلبنا الشفاعة منه التي جعلها الله له واذن له فيها شركاً وكفراً ومعصية اولاً ؟ فهل اذا انتفت الشفاعة الا بأذن الله يكون طلبها شركاً وكفراً وما وجه الملازمة ومن الذي يقول انه (ص) يشفع قهراً على الله ولكن كل ما يذكره سلفهم لا بد ان يذكره خلفهم ولو لغير فائدة فانظر رعاك الله بعين البصيرة والانصاف الى هذه الاستدلالات الواهية التي بها استحلوا دماء المسلمين واموالهم واعراضهم هل يسوغ التمسك بها والتهجم على الدماء والاموال والاعراض بمثلها . قولهم : وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه احد من العلماء المسلمين واجمع عليه السلف الصالح من الاصحاب والتابعين والأئمة الأربعة وأتباعهم فيا ليت شعري من هو الذي قال وافتي من علماء المسلمين بان طلب الشفاعة من رسول الله «ص» كفر وشرك ومتى اجمع على ذلك علماء المسلمين وفي اي عصر من الاعصار وقع ذلك وفي اي كتاب وجدوه منقولاً وهل احد عنون هذه المسائل قبل الوهابيين وابن تيمية حتى يدعى فيها الاجماع او عدم الخلاف ومن هو الذي افتي بها من الاصحاب او التابعين ومن الذي افتي بها من الأئمة الأربعة وابن موضعها من كتب الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة غير الوهابية ليدلونا على مكانها ان كانوا صادقين . وكيف خالف اتباع الأئمة الأربعة أئمتهم فيها واتبعهم الوهابية خاصة .

والدعوى ما لم تقيموا عليها بينات ابناؤها أديعاء

فدعواهم هذه افتراء منهم على علماء المسلمين وعلى الاصحاب والتابعين وعلى الأئمة الأربعة واتباعهم بل الاجماع حاصل من الانبياء والمرسلين ومن الصحابة والتابعين على

خلاف ما يقوله الوهابية فقد تشفع وتوسل رسول الله «ص» بمن قبله من الانبياء وتشفع الاصحاب بالنبي «ص» ويفتح كوة بين قبره وبين السماء وتشفع عمر بالعباس كما سيأتي ذلك كله في الفصل الثالث في التوسل ويأتي في هذا الفصل انه «ص» أقر الاعرابي على قوله انا نستشفع بك على الله وفي الفصل الثاني انهم طلبوا من النبي «ص» بعد موته ان يستسقي لهم فسقوا .

ومما تقدم تعلم فساد كلام صاحب الرسالة الثانية من الهدية السنينة حيث أثبت الشفاعة للنبي «ص» يوم القيامة ولسائر الانبياء والملائكة والاولياء والاطفال ومنع من طلبها منهم وقال انها تطلب من الله فقد بان لك انه لا مانع من طلبها منهم بعد ان ثبتت لهم الشفاعة وان منع طلبها منهم جهل وغباوة أو عناد ومكابرة اما تعليله كون طلب ذلك في البرزخ شركا بأنه لم يرد به نص من كتاب او سنة أو أثر من السلف الصالح فغريب لان عدم ورود النص والاثر من السلف لا يستلزم كونه شركا بشيء من وجوه الاستلزام بل لا يستلزم تحريمه فضلا عن كونه شركا لما عرفت في المقدمات من اصله الاباحة فيما نص فيه . قوله: بل ورد الكتاب والسنة واجماع السلف انه شرك اكبر، قاتل عليه رسول الله «ص»، افتراء على الكتاب والسنة لما عرفت مفصلا من ورودها كلها بخلاف ما قالوه وانه «ص» لم يقاتل أحداً على الاستشفاع بمن له الشفاعة وكذا كلام صاحب الرسالة الاولى منها يظهر فساده مما مر فانه اعترف بان الشفاعة حق في الآخرة وانه يجب على كل مسلم الايمان بها وبشفاعة سائر الشفعاء فمنع طلبها بعد الاعتراف بها تمحل وعناد وما لفق له لمنع من طلبها لا يخرج عن العناد كقوله ان لها انواعاً مذكورة في محلها وانها ثابتة بالوصف وهو من مات لا يشرك بالله شيئاً لا بالشخص عدى الشفاعة العظمى فانها لأهل الموقف عامة وتفريعه على ثبوتها بالوصف لزوم طلبها من الله بان يشفع فيه نبيه فان ذلك كله تمحل في تمحل فما هي تلك الانواع التي يدعيها والحال ان الشفاعة مرجوة لكل مذهب لم يشرك بالله كما دل عليه حديث ابي هريرة الذي ذكره تصديقاً لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به وقد جاء عنه «س» شفاعتي لأهل الكبائر من امي وثبوتها بالوصف لا بالشخص لا يظهر له معنى محصل وكأنه يريد به ان من ثبتت له معلوم بالوصف وهو عدم الشرك لا بالشخص وهو زيد أو عمرو مثلاً لجواز ان لا يموت على التوحيد فكيف يطلب الشفاعة ولا يخفى

ما في ذلك من التمعل والتعسف فاذا كانت الشفاعة ثابتة بصفة عدم الشرك حال الموت فكل موحد يرجو ثبوتها له فما المانع من ان يطلبها وما وجه الملازمة بين ثبوتها بالوصف وعدم جواز طلبها من غير الله فان كان وجهه عدم العلم بثبوت الوصف فذلك لا يقتضي المنع من طلبها رجاء لثبوته ولا يقتضي كون طلبها شركا وكفراً ولا يلزم على من طلب شيئاً ان يكون عالماً بمحصله وبتحقق شروطه وهل هذا الا مكاورة وتضييق فيما وسع الله فيه . وقوله إنها ثابتة بالوصف لا بالشخص ما عدى الشفاعة العظمى فانها لاهل الموقف عامة، أيضاً لا يظهر له معنى محصل فان أراد ان هناك شفاعتين عظمى لاهل الموقف عامة مشركهم وموحدهم وغيرها لخصوص الموحدين نافي قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به وقوله لا يشفعون الا لمن ارتضى فاذا كان الله لا يغفر للمشرك ولا يرتضيه فما معنى هذه الشفاعة وما فائدتها. قوله: وليس منها ما يقصدون، اذا كانت لاهل الموقف عامة فما وجه خروج ما يقصدون عنها واذا كانت لمن مات غير مشرك فالمتشفع يرجو ان يكون كذلك. قوله: فالمتعين على كل مسلم صرف همته الى ربه، الى قوله: طالبا لها من النبي أو غيره. هذا تمويه وتضليل فالمتشفع بمن جعله الله شافعاً لم يصرف همته الا الى ربه ولم يقبل الا اليه ولم يتكل الا عليه ولم يفعل شيئاً ينافي القيام بحق العبودية له بل ذلك من تمام القيام بحقها لأنه عن أمر الله الذي جعله شافعاً فنحن لم نطلب منه الا ما جعله الله له وما جعله له الا لطلب منه كما كان طلب الدعاء من الغير كذلك مع عدم الفرق بينها فنسبة المسلمين الى انهم بطلبهم الشفاعة من النبي «ص» أهملوا ذلك والتجأوا الى غير الله مقبلين على شفاعته متوكلين عليها افتراء عليهم وكيف يتصور عاقل ان طلب الشفاعة الى الله في غفران الذنب ونيل الخير منه تعالى ممن جعل الله له الشفاعة هو اعراض عن الله والتجاء الى غيره وتوكل على غيره وكيف لم يكن طلب الدعاء من الغير كذلك وطلب الشفاعة لا يخرج عن طلب الدعاء والكل من الله والى الله وفي الله . قوله: فان هذا بعينه فعل المشركين واعتقادهم قد عرفت بما كررناه مراراً انه لا مساس لذلك بفعل المشركين ولا باعتقادهم فانهم كذبوا الرسل وعبدوا الاصنام واعرضوا عن عبادة الله واعتقدوا الشفاعة فيمن لم يجعل الله له شفاعة وعظموا من لا يستحق التعظيم من تمثال وشجر ونحوه. قوله: ولا نشأت فتنة في الوجود الا بهذا الاعتقاد ، لا يجوز دخول لا النافية على الماضي الا

مكررة او مسبوقه بنفي ، واعتقاد ان النبي «ص» شافع مشفع وصاحب الوسيلة عند الله وانه يستغفر للمذنبين من امته بعد وفاته كما أخبر عن نفسه ^(١) وانه مجاب الدعوة وان دعاءه لنا أرجى في الاجابة من دعائنا لانفسنا هو عين الحق والصواب. فجعله سبباً لكل فتنة نشأت في الوجود ضلال وخذلان نعوذ بالله منه . نعم ان اعتقاد الوهابيين ان ذلك كفر وشرك واستعلاهم به الدماء والاموال كان سبباً لكل فتنة في الوجود بغزوم بلاد الاسلام وارقتهم الدماء ونهبهم الاموال وتفريق كلمة المسلمين وكسر شوكتهم وزيادتهم ضعفا الى ضعفهم فان الله وانا اليه راجعون . قوله : ولهذا حسم مادة الشفاعة عن كل أحد بغير اذن الاله ، لا يتوهم عاقل ولا جاهل ان الشفاعة تكون بغير اذن الله وقهرا عليه فالتعبير بقوله حسم مادة الشفاعة بغير اذنه لا مناسبة له ولا محل فحسم المادة يكون بنفي كل شفاعة والله تعالى بأية من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه قد أثبت الشفاعة باذنه ونفاها بغير اذنه فلم يحسم مادتها وما وجه الربط بين هذه العلة والمعلول فاذا كان الله تعالى قد نفى الشفاعة بغير اذنه او حسم مادتها بغير اذنه كما يقول هذا الوهابي قهلا يلزم ان يكون طالب الشفاعة من النبي «ص» الذي جعل الله له الشفاعة واذن له فيها كافراً ومشركا . وهل طالب الشفاعة من النبي «ص» يقول له اشفع لي قهراً على الله رضي ام ابى اذن أم لم يأذن ، بالدبوس كدين الوهابية . كلا فانظر رعاك الله الى هذه التعليقات والى هذه النتائج والمقدمات التي استحلوا بها الدماء والاموال واعجب ثم اعجب . قوله : ولهذا قال لله الشفاعة جميعاً قد عرفت ان المراد بها انه تعالى مالك أمرها فلا يشفع عنده احد الا باذنه فلا تزيد عن الآية الاولى. أما قوله تعالى: وما نرى معكم شفعاءكم الخ ، فالمراد بشفعائهم الاصنام والاحجار التي كانوا يزعمون انها شركاء فيهم ولهذا نوع اختيار معه تعالى وتصرف في الكون وهي جماد لا الانبياء والمرسلين الذين لا يعتقدهم سلم فيهم شيئاً من ذلك سوى ما جعله الله لهم من الشفاعة عنده والميزة لديه فانهم حاضرون مع امهم يشفعون لها ولم يتقطع ما بينهم وبينها ولا ضلت عنهم لا سيما نبينا محمد «ص» الذي هو وسيلة الخلق يوم القيامة دون الانبياء قوله : وطلبها من غير الله في هذه الدار

(١) بقوله ووفاتي خير لكم فما رأيت من خير حدث الله عليه وما رأيت من شر استغفرت لكم كما

مر في المقدمات .

- المؤلف -

زعم بعدم تعلقها بالاذن الخ لا ندرى ولا المنجم يدري لماذا كان طلبها في هذه الدار زعماً بعدم تعلقها باذن الله ولماذا كان تعلقها باذن الله منافياً لطلبها وبأي وجه يدل قولنا يا رسول الله اشفع لي على ارادة اشفع لي رغباً عن الله وقهراً عليه وبدون اذنه وهل اذا طلبنا منه الشفاعة يمتنع ويستحيل ولا يمكن أن يستأذن ويشفع فيكون طلب الشفاعة منافياً لتعلقها بالاذن ونفي الولي والشفيع في الايتين يراد به النفي المقيد الذي هو من دون الله وفي قبالة وبغير أمره واذنه لا مطلق الشفيع الثابت بالاستثناء في قوله تعالى الا باذنه وبالضرورة من دين الاسلام ولا مطلق الولي الثابت بقوله تعالى (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) الآية وغير ذلك . قوله : والعبرة في القرآن بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . كلام لا يرتبط بالمقصود ولا يثمر غير التطويل بلا طائل سمعه ولم يعرف موضعه فسواء كانت الايتان واردتين في مورد خاص أو لا لا تدلان على منع طلب الشفاعة من جعل الله له الشفاعة كما عرفت .

أما قول ابن عبد الوهاب ان الشفاعة شفاعتان منفية ومثبتة وجعله المنفية ما تطلب من غير الله واستشهاداً على ذلك بآية لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والمثبتة ما تطلب من الله فهو تخرص على الغيب وتفسير للقرآن بالرأي والهوى وبغير الوجه الذي يجب أن يفسر به فان قوله تعالى ولا شفاعة، عام أو مطلق يجب تخصيصه أو تقييده بالايات الاخر مثل (ولا يشفعون الا لمن ارتضى . من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) لوجوب حمل العام على الخاص والمطلق على المقيد كما بيناه في المقدمات فيحمل قوله ولا شفاعة على الشفاعة لغير من يرتضى كالتكسر له تعالى أو المشرك به أو من يشفع بغير اذنه أو نحو ذلك أما حمل قوله تعالى ولا شفاعة على نفي الشفاعة المطلوبة من غير الله فلا دليل عليه ولا يساعده العرف مع أنه تعالى امر بالانفاق من قبل ان يأتي يوم لا شفاعة فيه والمراد به يوم القيامة فهو تعالى نفى الشفاعة في يوم القيامة ولم ينف الشفاعة المطلوبة في الدنيا ولا يمكن ان يراد بهذا اللفظ نفي الشفاعة في الدنيا .

وقد ظهر مما مر ويأتي في فصل الدعاء فساد قول ابن عبد الوهاب في تعليمه الاحتجاج: إن الله اعطاء الشفاعة ونهاك عن هذا أي ان تطلبها منه وقال فلا تدعوا مع الله احداً ، لما ستعرف من ان الدعاء المنهي عنه في الآية لا يشمل طلب الشفاعة كما لا يشمل طلب الدعاء التي هي نوع منه ولا يمكن ان يكون شاملاً لذلك اذ يكون محصلاً ان الله تعالى أباح لك

ان تطلب من كل احد ما اعطاه الله اياه الا الشفاعة فحجر عليك طلبها من النبي «ص» وان اعطياها تحكما من غير فارق الا توهم كون طلبها عبادة وهو توهم سخيف كما عرفت وهذا لا يليق ان يصدر من سفيه فضلا عن رب العزة جل وعلا . وظهر أيضاً ان قوله في تعليمه الاحتجاج : الشفاعة اعطياها غير النبي «ص» فصح ان الملائكة والاولياء يشفعون فان قلت : الله اعطاهم الشفاعة واطلبها منهم رجعت الى عبادة الصالحين التي ذكرها الله تعالى في كتابه - كلام فارغ لا يرجع الى محصل بل هو افتراء على الله تعالى وعلى كتابه فمتى ذكر الله تعالى في كتابه ان طلب الشفاعة من الصالحين عبادة وفي اي سورة أم في اي آية ورد هذا ام اي مفسر ذكر ذلك؟! غاية ما عند ابن عبد الوهاب ان اللات اسم رجل صالح وان المشركين كان لهم صنم على صورته وانهم قالوا ما نعبد الا صنم الا ليقربونا الى الله وان الله قال عنهم ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا وقد اتضح لك ان ذلك أبعد مما يرويه ابن عبد الوهاب من السماء عن الأرض لهراحة الايات كما مر في عبادتهم الاصنام وانها غير طلب الشفاعة وانهم طلبوا الشفاعة من الصنم الذي هو حجر لا من الصالح الذي ذلك الحجر على صورته وكون بعض الاصنام المعبودة كانت على صورة موهومة لرجل صالح لا يوجب ان يكون الصادر منهم مجرد التشفع برجل صالح ولا يرتبط به ولا يستلزمه شيء من وجوه الاستلزام فجعله طلب الشفاعة من الصالحين رجوعا الى عبادتهم التي زعم انه تعالى ذكرها في كتابه قريب من الهذيان فالملائكة والاولياء وان ثبتت لهم الشفاعة كما سبق الا ان من سألهم الشفاعة والاستغفار له لا يكون عابداً لهم ولا يزيد على من يسأل اخاه الاستغفار له . والذين اشركوا من العرب بعبادتهم الملائكة لم يشركوا بطلبهم منهم الشفاعة بل اتخذوهم أرباباً وقالوا انهم بنات الله كما مر .

ثم ان ابن عبد الوهاب صرح فيما يأتي في فصل الدعاء والاستغاثة بان طلب المقدور من غير الله تعالى ليس شركاً ولا محرماً وانما الموجب للشرك ان يطلب من غير الله ما لا يقدر عليه الا الله وحينئذ فمنعه من طلب الشفاعة من النبي «ص» مع اعترافه بان له الشفاعة وانه يقدر عليها ولو بعد الاستئذان من الله تعالى وانه الشفيع المشفع تناقض ظاهر كما سيأتي بيانه وما الذي فرق بين الشفاعة وغيرها حتى منع الله تعالى من طلب الشفاعة من غيره وان كان قادراً عليها وجوز طلب الدعاء من المؤمن الذي هو مثله وغير ذلك بما

يقدر عليه هل هو الا نسبة التحكم الى الله تعالى والعيب تعالى الله عن ذلك .
 اما كلام ابن تيمية في رسالة زيارة القبور الذي فتح به هذا الباب للوهابية بقوله :
 وان قال انا اسأله لكونه اقرب الى الله مني ليشفع لي وجعله التشفع والتوسل الى الله كما
 يتوسل الى السلطان بخواصه من افعال الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم شفعاء والمشركون
 وعبدوا الاصنام الذين قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا واستشهادهم على ذلك بآيات الشفاعة وزعمه
 انه تعالى بين الفرق بينه وبين خلقه ففساده أوضح من ان يبين بعد ما اثبت الله الشفاعة
 رافة بالمذنبين من عباده ليتسببوا الى نيل رضاه وعفوه وجعلها لمن يكرم عليه من انبيائه
 واوليائه كما يستشفع ويتوسل الى السلطان بخواصه ومن يكرم عليه لكن السلطان
 يقضي حاجته رغبة أو رهبة أو حياء أو غير ذلك والله تعالى يقضي حاجته كرمًا ورحمة
 ورأفة ولا ينافي ذلك كونه لا يشفع عنده أحد الا باذنه وان الأمر كله له والذين اخبر
 الله عنهم انهم اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله لم يكن ذلك لأجل طلبهم منهم
 الشفاعة بل انهم احلوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالا فاتبعوهم كما جاء في بعض الاخبار
 فهو نظير قوله تعالى اتخذ الهه هوام والذين عبدوا الاصنام وقالوا هؤلاء شفعاؤنا تنفعوا
 باحجار لا تعقل ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع فذمهم الله تعالى بقوله ام اتخذوا من دون
 الله شفعاء وبين وجه ذمهم بقوله أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون فجمع التشفع
 بانبياء الله واوليائه الذين يعقلون ويملكون امر الشفاعة حيث انه تعالى جعل لهم الشفاعة
 وملكهم أمرها واذن لهم فيها كالتشفع بالاصنام التي لا تعقل ولا تملك شفاعة جهل محض .
 وما بينه ابن تيمية في تفسير (الله الشفاعة جميعاً) ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع .
 من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) من الفرق بين الشفاعة عند الله وعند خلقه يطل
 استدلالهم بآية الله الشفاعة جميعاً على عدم جواز طلبها من غير الله لأنه ذكر في وجه الفرق
 ان عادة الناس ان يستشفعوا الى الكبير بمن يكرم عليه فيقضي حاجته رغبة أو رهبة أو
 حياء أو مودة أو غير ذلك والله تعالى لا يشفع عنده احد حتى يأذن هو للشافع فلا يفعل
 الا ما شاء الله وشفاعة الشافع من اذنه والامر كله له فهذا معنى ان الشفاعة كلها لله لا
 انه لا يجوز طلبها من غيره .

هذا مع دلالة جملة من الاخبار على جواز طلب الشفاعة من النبي «ص» وغيره في دار

الدنيا لأموال الدنيا والاخرة فعن صحيح مسلم عن عبد الله بن عباس عن النبي «ص» ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا^(١) إلا شفّعهم الله فيه . وعن صحيح مسلم عن عائشة عن النبي «ص» ما من ميت يموت يصلي عليه امة من الناس يبلقون مائة كلهم يشفعون له الا شفّعوا فيه وهذان الخبران يدلان على جواز الشفاعة في الدنيا من آحاد المؤمنين وانها لا تختص بالاخرة ولا بالانبياء فهل اذا اوصى رجل جماعة من اخوانه اربعين أو مائة ان يقوموا على جنازته ويشفعوا فيه أو يصلوا عليه ويشفعوا فيه يكون مشركا وآثما مخطئا عند محمد بن عبد الوهاب واتباعه لأنه طلب منهم الشفاعة وخالف قوله تعالى فلا تدعوا مع الله احدا كما يكون طالبها من النبي «ص» كذلك ، سبحانهك اللهم هذا بهتان عظيم .

وعن الترمذي عن أنس سألت النبي «ص» ان يشفع لي يوم القيامة فقال أنا فاعل قلت فان اطلبك قال اولا على الصراط قلت فان لم القك قال عند الميزان قلت فان لم القك قال عند الحوض فاني لا اخطي هذه المواضع . فهذا انس قد طلب الشفاعة من النبي «ص» في دار الدنيا ولم يطلبها من الله كما يريد ابن عبد الوهاب واقره النبي «ص» على ذلك افهل كان انس بذلك آثما ومشركا والنبي «ص» اقره على معصيته وشركه وابن عبد الوهاب وحده موحداً أم ان النبي «ص» لم يسمع بقوله تعالى : لله الشفاعة جميعاً . ولا تدعوا مع الله احدا . ولذلك لم ينه أنسا عن طلب الشفاعة منه أو سمعه النبي «ص» ولم يفهم معناه وفهمه محمد بن عبد الوهاب واتباعه لأنهم أعلم بكتاب الله تعالى من رسول الله «ص» واصحابه .

وقد طلب سواد بن قارب وهو من الصحابة الشفاعة من النبي «ص» بقوله كما سيأتي في الفصل الثالث في التوسل :

فكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة بمغن فتيلاً عن سواد بن قارب
ولم ينكر عليه رسول الله «ص» ولم ينه ولم يقل له لم طلبت الشفاعة مني ودعوت غير

(١) بناء على اشراك جميع المسلمين يلزم ان يكون الاربعون من اعراب نجد حتى تقبل شفاعتهم .

- المؤلف -

الله فاشركت مع ان الشفاعة كلها لله ولا يجوز ان يدعى أحد مع الله فادع الله واطلب الشفاعة منه وقل يا الله شفعه في كما يقوله ابن عبد الوهاب .

وفي السيرة الحلبية ^(١) عن ابن اسحق في كتاب المبدأ ان تبعا الحميري آمن بالنبي «ص» وكتب كتاباً فوصل الى النبي «ص» بعد مبعثه وفيه وان لم ادركك فاشفع لي يوم القيامة ولا تنسني وان النبي «ص» قال مرحباً بتبع الأخ الصالح ثلاث مرات «انتهى» ولو كان هذا شركاً وكفراً لوجب ان ينكره لا ان يرحب بصاحبه ثلاثاً ويسميه الأخ الصالح ولو انكره لنقل عنه .

وقال ابن تيمية في رسالة زيارة القبور ^(٢) ما لفظه : في الحديث ان اعرابيا قال للنبي «ص» جهدت الأنفس وجاع العيال وهلك المال فادع الله لنا فانا نستشفع بالله عليك وبك على الله فسبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه وقال ويحك ان الله لا يستشفع به على أحد من خلقه شأن الله اعظم من ذلك . قال فاقرده على قوله انا نستشفع بك على الله وانكر عليه نستشفع بالله عليك لأن الشافع يسأل المشفوع اليه والعبد يسأل ربه ويستشفع اليه والرب تعالى لا يسأل العبد ولا يستشفع به «انتهى» فاقرار النبي «ص» له على قوله انا نستشفع بك على الله دليل على جواز طلب الشفاعة من النبي «ص» في دار الدنيا وانه ليس فيها شائبة منع .

واتضح فساد قول الوهابيين ان الشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا الا من الله فقد اقر النبي «ص» على طلبها منه في دار الدنيا لأموار الدنيا ولغيرها ومع هذا كله يعاند الوهابيون ويصرون ويتمحلون ويخالفون صريح السنة ليستحلوا دماء المسلمين واموالهم واعراضهم ويزعمون انهم بها يتمسكون فانا لله وانا اليه راجعون . لا يقال : الذي انكره الوهابية طلب الشفاعة من النبي «ص» في دار الدنيا بعد موته وهذه الروايات كلها في طلب الشفاعة من الاحياء فلا يتم الاستدلال . لأننا نقول الدليل الذي استدلوأ به على عدم جواز طلب الشفاعة في دار الدنيا وانها شرك ان تم لا يفرق بين طلبها من الحي وطلبها من الميت وهو قوله تعالى الله الشفاعة جميعاً فلا تدعوا مع الله احداً . مع انها قد وردت اخبار في طلب الشفاعة منه «ص» بعد موته . وهي ما سيأتي من ان ابن حنيف علم رجلا ان

يقول في دعائه في خلافة عثمان يا محمد اني اتوجه بك الى ربك ان تقضي حاجتي ويذكر حاجته وانه فعل ذلك فقضيت حاجته . وما رواه المفيد في المجالس عن ابن عباس ان امير المؤمنين «ع» لما فرغ من غسل النبي «ص» كشف الازار عن وجهه ثم قال بأبي أنت وامي طبت حياً وطبت ميتاً . الى ان قال : بأبي انت وامي اذكرنا عند ربك واجعلنا من همك ثم أكب عليه فقبل وجهه . وفي خلاصة الكلام : صح انه لما توفي «ص» أقبل ابو بكر رضي الله عنه فكشف عن وجهه ثم اكب عليه فقبله وقال بأبي أنت وامي طبت حياً وميتاً اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك « انتهى » وهذا استشفاع به «ص» في دار الدنيا بعد موته . كل هذا والوهابية واتباعهم يزعمون انهم سلفيون متمسكون باقوال السلف وبقوال الصحابة . وفي خلاصة الكلام : عن شرح المواهب للزرقاني ان الداعي اذا قال اللهم اني أستشفع اليك بنبيك يا نبي الرحمة اشفع لي عند ربك استجيب له « انتهى » وسيأتي في فصل التوسل من جملة الدعاء الذي ذكره العلماء في باب آداب الزيارة خطاباً له «ص» جئناك لقضاء حقك الى قوله والاستشفاع بك فليس لنا يا رسول الله شفيع غيرك فاستغفر لنا واشفع لنا الخ ويأتي هناك أن كثيراً من علماء المذاهب الأربعة ذكروا في كتب المناسك عند ذكر الزيارة استحباب التشفع به (ص) .

الفصل الثاني

في دعاء غير الله تعالى والاستغاثة والاستعانة به وطلب الخوانج منه

وهذا مما صرح الوهابية وقدوتهم ابن تيمية بأنه موجب للشرك والكفر ففي الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية^(١) ان قول ادر كني أو اغثني أو اشفي أو انصرني على عدوي ونحو ذلك مما لا يقدر عليه الا الله تعالى اذا طلب في أيام البرزخ كان من أقسام الشرك وادعى ورود الكتاب والسنة واجماع السلف ان ذلك شرك أكبر قاتل عليه رسول الله (ص) وصرح بذلك ابن تيمية في كلامه المتقدم في الباب الثاني المنقول عن رسالة الواسطة وصرح به في رسالة زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور في عدة مواضع وهي جواب لمن سأله عن يزور القبور ويستنجد بالمقبور في مرض به او بفرسه او بعيده يطلب ازالة ذلك ويقول يا سيدي انا في جيرتك انا في حسبك فلان ظلمي فلان قصد اذيتي ويقول ان المقبور يكون

واسطة بينه وبين الله تعالى . وفيمن يستغيث بشيخه يطلب تثبيت قلبه من ذلك الواقع وفيمن يحيى الى شيخه ويستلم القبر ويمرغ وجهه عليه ويمسح القبر بيديه ويمسح بها وجهه وامثال ذلك وفيمن يقصده بحاجته ويقول يا فلان ببركتك اويقول قضيت حاجتي ببركة الله وبركة انشيخ وفيمن يعمل السماع ويحيى الى القبر فيكشف ويحط رجليه بين يدي شيخه على الأرض ساجداً وفيمن قال ان ثم قطباً غوثاً جامعاً في الوجود .

ومما جاء في الجواب قوله ^(١) : من يأتي الى قبر نبي او صالح ويسأله حاجته ويستنجده مثل ان يسأله ان يزيل مرضه او يقضي دينه او نحو ذلك مما لا يقدر عليه الا الله عز وجل فهذا شرك صحيح (صريح ظ) يجب ان يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل ثم ذكر ^(٢) عن وثيمة وغيره ان ودأ وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً اسماء قوم صالحين من قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم طال عليهم الامد فاتخذوا تماثيلهم أصناماً وكان العكوف على القبور والتمسح بها وتقيلها والدعاء عندها هو أصل الشرك وعبادة الاوثان ولهذا قال النبي (ص) : (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد) الى ان قال ^(٣) : وهذا ما يظهر الفرق بين سؤال النبي (ص) والرجل الصالح في حياته وسؤاله بعد موته وفي مغيبه وذلك أنه في حياته لا يعبد احد في حضوره الى ان قال ^(٤) : ولم يكن احد من سلف الامة في عصر الصحابة ولا التابعين ولا تابعي التابعين يتخيرون الصلاة والدعاء عند قبور الانبياء ويسألونهم ولا يستغيثون بهم لا في مغيبهم ولا عند قبورهم وكذلك العكوف قال ومن أعظم الشرك ان يستغيث الرجل بميت وغائب كما ذكره السائل ويستغيث به عند المصائب يا سيدي فلان كأنه يطلب منه ازالة ضره او جلب نفعه وهذا حال النصارى في المسيح وأمه واحبارهم ورهبانهم ومعلوم ان خير الخلق واكرمهم على الله نبينا محمد (ص) واعلم الناس بقدره وحقه اصحابه ولم يكونوا يفعلون شيئاً من ذلك لا في مغيبه ولا بعد مماته . وقال ابن تيمية أيضاً في رسالة القبور ^(٥) : وقول كثير من الضلال : هذا اقرب الى الله مني وانا بعيد من الله لا يمكنني ان ادعوه الا بهذه الوساطة ونحو ذلك — من أقوال المشركين فان الله تعالى يقول (واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان)

(١) صفحة ١٥٦ (٢) صفحة ١٦١ (٣) صفحة ٢٦٢ (٤) صفحة ١٦٢ طبع المنار

بمصر (٥) صفحة ١٥٧ .

الى ان قال : وامر الله العباد ان يقولوا (اياك نعبد و اياك نستعين) واخبر عن المشركين انهم قالوا انما نعبدكم ليقرّبونا الى الله زلفى ثم يقال لهذا المشرك أنت اذا دعوت غير الله فان كنت تظن انه أعلم بحالك واقدر على عطاء سؤالك أو ارحم بك فهذا جهل وضلال وكفر وان كنت تعلم ان الله اعلم واقدر وارحم فلم عدلت عن سؤال غيره ، الى ان قال : وان كنت تعلم انه اقرب الى الله منك واعلى درجة فهذا حق لكن كلمة حق اريد بها باطل فانه اذا كان اقرب منك واعلى درجة فانما معناه ان يشبه الله ويعطيه اكثر مما يعطيك ليس معناه انك اذا دعوته كان الله يقضي حاجتك اعظم مما يقضيها اذا دعوت انت الله فانك ان كنت مستحقاً للعقاب ورد الدعاء فالنبي والصالح لا يعين على ما يكرهه الله وان لم يكن كذلك فالله أولى بالرحمة والقبول وان قلت هذا اذا دعا الله اجاب دعاءه اعظم مما يجيبه اذا دعوته كما تقول للحي ادع لي وكما كان الصحابة يطلبون من النبي صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء فهذا مشروع في الحي دون الميت الى آخر ما يأتي في هذا الفصل .

وقال ابن تيمية أيضاً في رسالة زيارة القبور ^(١) ما حاصله : مطلوب العبد ان كان بما لا يقدر عليه الا الله فسأله من المخلوق مشرك من جنس عباد الملائكة والتماثيل ومن اتخذ المسيح وامه الّهيّين مثل ان يقول لمخلوق حي او ميت اغفر ذنبي او انصرني على عدوي او اشف مريضى او عافني او عاف اهلي او دابتي او يطلب منه وفاء دينه من غير جهة معينة او غير ذلك وان كان بما يقدر عليه العبد فيجوز طلبه منه في حال دون حال فان مسألة المخلوق قد تكون جائزة وقد تكون منهيّاً عنها قال الله تعالى (فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب) واوصى النبي (ص) ابن عباس اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واوصى طائفة من اصحابه ان لا يسألوا الناس شيئاً فكانت سوط احدثهم يسقط من كفه فلا يقول لأحد ناولني اياه وقال فهذه المنهي عنها والجائزة طلب دعاء المؤمن لاختيه الخ .

وصرح محمد بن عبد الوهاب في كلامه السابق في الباب الثاني بأن دعاء غير الله والاستغاثة بغير الله موجب للارتداد عن الدين والدخول في عداد المشركين وعبد

(١) صفحة ١٥٣ - ١٥٥ طبع النار بمصر .

الاصنام واستحلال المال والدم الا مع التوبة بقوله : ان النبي «ص» قاتل المشركين لتكون جملة اشياء كلها لله وعد منها الدعاء والاستغاثة وغير ذلك من كلماتها السابقة .

وقال في رسالة كشف الشبهات ^(١) عند تعليمه الاحتجاج على المسلمين المشركين بزعمه فان قال (أي الخصم من المسلمين الذي هو مشرك بزعمه) : انا لا اعبد الا الله والالتجاء الى الصالحين ودعائهم ليس بعبادة فقل له انت تقر ان الله فرض عليك اخلاص العبادة فبين لي هذا الذي فرض عليك فانه لا يعرف العبادة ولا انواعها فبينها له بقوله تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) اذا عملت بهذا هل هو عبادة فلا بد ان يقول نعم والدعاء مخ العبادة فقل اذا دعوت الله ليلاً ونهاراً خوفاً وطمعاً ودعوت في تلك الحاجة نبياً او غيره هل اشركت في عبادة الله فلا بد ان يقول نعم فقل له وهل كانت عبادتهم اياهم الا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك والا فهم مقرون انهم عبيد الله تحت قهره وان الله هو الذي يدبر الامر ولكن دعوهم والتجؤا اليهم للجاه والشفاعة ثم قال فان قال انا لا اشرك بالله حاشا وكلا والالتجاء الى الصالحين ليس بشرك فقل اذا كنت تقر ان الله حرم الشرك اعظم من الزنا وان الله لا يغفره فما هو فانه لا يدري فقل كيف تبرى نفسك من الشرك ولا تعرفه فان قال الشرك عبادة الاصنام ونحن لا نعبدها فقل ما معنى عبادتها أظن انهم يعتقدون ان تلك الاخشاب والاحجار تخلق وترزق وتدبر امر من دعاها فهذا يكذبه القرآن يعني قوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض الآية) او هو قصد خشبة او حجر او بنية او غيره يدعون ذلك ويدبحون له ويقولون انه يقربنا الى الله زلفى ويدفع عنا ببركته وهذا هو فعلكم عند الاحجار والبنايا التي على القبور وغيرها وايضاً قولك الشرك عبادة الاصنام هل تريد ان الشرك مخصوص بهذا وان الاعتماد على الصالحين ودعائهم لا يدخل في هذا فهذا يردده ما في القرآن من كفر من تعلق على الملائكة وعيسى والصالحين .

وقال في الرسالة المذكورة أيضاً ^(٢) : ولهم شبهة اخرى وهى ما ذكر النبي (ص)

(١) صفحة ٦٢ - ٦٤ طبع المنار بمصر

(٢) صفحة ٧٠ طبع المنار بمصر

ان الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعبسى فكلهم يعتذر حتى ينتهوا الى رسول الله (ص) فهذا يدل على ان الاستغاثة بغير الله ليست شركاً ، قال : والجواب ان نقول سبحانه من طبع على قلوب اعدائه فان الاستغاثة بالخلق فيما يقدر عليه لا تنكرها (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) وكما يستغيث الانسان باصحابه في الحرب وغيره في اشياء يقدر عليها المخلوق ونحن انكرنا استغاثة العباد عند قبور الاولياء أو في غيبتهم في الاشياء التي لا يقدر عليها الا الله فاستغاثتهم بالانبياء يوم القيامة يريدون منهم ان يدعوا الله ان يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف وهذا جائز في الدنيا والاخرة ان تأتي عند رجل صالح تقول له ادع الله لي كما كان اصحاب رسول الله (ص) يسألونه في حياته واما بعد مماته فحاش وكلا انهم سألوا ذلك بل انكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره فكيف بدعائه نفسه .

ثم قال (١) ولهم شبهة اخرى وهي قصة ابراهيم لما القي في النار اعترض له جبرائيل في الهواء فقال ألك حاجة فقال أما اليك فلا فلو كانت الاستغاثة شركاً لم يعرضها على ابراهيم . واجاب بان جبرائيل عرض عليه أن ينفعه بامر يقدر عليه فانه كما قال الله فيه (شديد القوى) فلو اذن له أن يأخذ نار ابراهيم ويلقيها في المشرق أو المغرب أو يضع ابراهيم عنهم في مكان بعيد أو يرفعه الى السماء لفعل وهذا كرجل غني يعرض على رجل محتاج ان يقرضه أو يهبه فيأبى ويصبر حتى يأتيه الله برزق لا منة فيه لاحد فاين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون « انتهى » .

وصرح الصنعاني في كلامه السابق في الباب الثاني بان من فعل ذلك أي الدعاء والنداء والاستعانة والالتجاء لخلق فقد اشرك في العبادة وصار من تفعل له هذه الأمور الهماً لعابديه سواء كان ملكاً أو نبياً أو ولياً أو شجراً أو قبراً أو جنياً أو حياً أو ميتاً وصار بهذه العبادة أو أي نوع منها عابداً لذلك المخلوق وان أقر بالله وعبده ولم يخرج اقراره وعبادته عن الشرك وعن وجوب سفك دمه وسبي ذراريه ونهب امواله كما لم يخرج المشركين . وذكر الصنعاني في تطهير الاعتقاد سؤال استغاثة الناس بآدم عليه الناس يوم القيامة بما يقرب مما تقدم عن ابن عبد الوهاب الا انه قال فان قلت الاستغاثة قد ثبتت في

الاحاديث فانه قد صح ان العباد يستغيثون بآدم الخ وقال بدل ليست شركا ليست بمنكر وقال قلت هذا تلبيس فان الاستغاثة بالخلقين الاحياء فيما يقدرون عليه لا ينكرها أحد. الى ان قال : وانما الكلام في استغاثة القبورين وغيرهم باوليائهم وطلبهم منهم اموراً لا يقدر عليها الا الله تعالى من عافية المريض وغيرها . الى ان قال : نعم استغاثة العباد يوم القيامة وطلبهم من الانبياء انما يدعون الله تعالى يفصل بين العباد بالحساب حتى يريحهم من هول الموقف وهذا لا شك في جوازه اعني طلب الدعاء لله تعالى من بعض عباده لبعض وامرنا سبحانه ان ندعو للمؤمنين ونستغفر لهم يعني قوله تعالى (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) .

قال : وقد قالت ام سليم رضي الله عنها يا رسول الله خادمك انس ادع الله له وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يطلبون الدعاء منه «ص» وهو حي وهذا امر متفق على جوازه والكلام في طلب القبورين من الأموات او من الاحياء الذين لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ان يشفوا مرضاهم ويردوا غائبهم وينفوسوا على جلالهم ويسقوا زرعهم ويدروا ضروع مواشيهم ويحفظوها من العين ونحو ذلك من المطالب التي لا يقدر عليها الا الله تعالى هؤلاء الذين قال الله فيهم والذين تدعون من دون الله لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون . ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم وصرح بذلك الوهابية في كتابهم الى شيخ الركب المغربي المتقدم في الباب الثاني. ثم ان حاصل استدلال الوهابيين على عدم جواز دعاء غير الله تعالى بنحو الاستغاثة والاستعانة وطلب الخواص على احد الوجوه المبينة في صدر الجواب وانه كفر وشرك اكبر كدعاء الاصنام على ما يفهم من كلماتهم المار ذكرها وكما في الرسالة الثالثة من رسائل الهدية السنية ^(١) انه تعالى قال (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احداً . له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء . والذين تدعون من دون الله لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون . ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم . والذين تدعون من دون الله ما يملكون من قطمير . والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء » الآية) . قل أدعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا

تحويلاً . اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه . ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك «الاية» . ان تدعوا لا يسمعوا دعاءكم «الاية» . ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له «الاية» . وقال الصنعاني في تنزيه الاعتقاد وقد سمي الله الدعاء عبادة بقوله (ادعوني استجب لكم . ان الذين يستكبرون عن عبادتي الآية) وفي الهدية السنية ^(٢) عنه «ص» الدعاء منح العبادة رواه الترمذي وفي زواية الدعاء هو العبادة ثم قرأ «ص» وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي «الاية» رواه احمد وابو داود والترمذي «انتهى» . ومن هتف باسم نبي او صالح عند الشدائد كقول يا رسول الله يا ابن عباس بدون ان يتبعه بشيء او قال اشفع لي الى الله في حاجتي او أستشفع بك الى الله في حاجتي او نحو ذلك او قال اقض ديني او اشف مريضى أو نحو ذلك فقد دعا ذلك النبي والصالح والدعاء عبادة بل منحها كما عرفت فيكون قد عبد غير الله وصار مشركاً اذا لا يتم التوحيد الا بتوحيده تعالى في الالهية باعتقاد ان لا خالق ولا رازق غيره وفي العبادة بعدم عبادة غيره ولو ببعض العبادات وعباد الاصنام انما اشركوا بعدم توحيد الله في العبادة كما مر مفصلاً .

والجواب : ان الدعاء والاستغاثة بغير الله تعالى يكون على وجوه ثلاثة ، الاول : ان يهتف باسمه مجرداً مثل ان يقول يا محمد يا علي يا عبد القادر يا أولياء الله يا اهل البيت ونحو ذلك . الثاني : ان يقول يا فلان كن شفيعى الى الله في قضاء حاجتي او ادع الله ان يقضيها أو ما شابه ذلك . الثالث : ان يقول اقض ديني او اشف مريضى او انصرني على عدوي وغير ذلك . وليس في شيء من هذه الوجوه الثلاثة مانع ولا محذور فضلاً عما يوجب الاشرار والتكفير لان المقصود منها طلب الشفاعة وسؤال الدعاء سواء صرح بذلك كما في الوجه الثاني او لا كما في الوجهين الباقيين للعلم بحال المسلم الموحد المعتقد ان من عدا الله تعالى لا يملك لنفسه ولا لغيره نفقاً ولا ضرراً فيسبب ذلك نعم انه لم يقصد سوى طلب الشفاعة والدعاء ولو فرض اننا جهلنا قصده لوجب حمل على ذلك سواء صدر من عارف او عامي لوجوب حمل افعال المسلمين واقوالهم على الصحة مهما امكن حتى يعلم الفساد

وعدم جواز تكفير المقر بالشهادتين الا بما يوجب كفره على اليقين وعدم جواز التهجم على الدماء والاموال والاعراض بغير اليقين كما مر في المقدمات فيكون ذلك هو المحذوف المطلوب من المدعو في الوجه الاول ويكون اسناد الفعل الى المدعو مجازاً في الاسناد في الوجه الثالث من باب الاسناد الى السبب لكونه بدعائه وشفاعته سبباً في ذلك كما في بنى الامير المدينة وشفى الطبيب المريض فان ذلك صحيح في لغة العرب كثير فيها وفي القرآن الكريم وهو المسمى عند علماء البيان بالمجاز العقلي وهو اسناد الفعل الى غير ما هو له من سبب او غيره ، والقرينة عليه هنا ظاهر حال المسلم فان كون المتكلم به مسلماً يعتقد ويقر بأن من عدا الله تعالى لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرراً الا بإقدار الله تعالى يكفي قرينة على ذلك ولهذا ذكر علماء البيان ان مثل انبت الربيع البقل اذا صدر من الدهري كان حقيقة واذا صدر من المسلم كان مجازاً عقلياً كما تقدم تفصيله في المقدمات واي فارق بين انبت الربيع البقل وبين ما نحن فيه فليكن هذا الاسناد كاسناد الرزق وما يجري مجراه الى غير الله تعالى في قوله تعالى (فارزقوهم منها . ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله . وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله) والاغناء لا يقدر عليه الا الله فكيف نسب الى الرسول «ص» وجعله شريكاً لله في ذلك وهل هو الا كالرزق الذي لا يقدر عليه الا الله تعالى وهم قد جعلوا قول ارزقني : شركاً وكفراً وقد نسب الله تعالى الى عيسى عليه السلام الخلق وإبراء الأكمه والأبرص واحياء الموتى باذن الله بقوله حكاية عنه (اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً باذن الله وابريء الأكمه والأبرص باذن الله) فكيف جاز نسبة ذلك اليه ولم يكن كفراً ولا شركاً ولم يميز نسبة شفاء المريض وقضاء الدين والرزق ونحو ذلك الى النبي او الولي باذن الله فان كان المانع انه لا يقدر عليه الا الله فالكل كذلك وان كان عدم القدرة بعد الموت فهي حاصلة بما دل على حياة الانبياء بل وغيرهم في عالم البرزخ .

والى ما ذكرنا اشار عالم المدينة السهمودي الشافعي في كتابه وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى ^(١) بقوله : وقد يكون التوسل به (ص) بطلب ذلك الامر منه بمعنى انه «ص» قادر على التسبب فيه بسؤاله وشفاعته الى ربه فيعود الى طلب دعائه وان اختلفت العبارة

ومنه قول القائل له أسألك مرافقتك في الجنة «الحديث» ولا يقصد به الا كونه «ص» سبباً وشافعاً «انتهى» وفي قول القائل أسألك مرافقتك في الجنة في الحديث المشار اليه رد لما توموه من كفر من قال اشف مريضى وانصرني على عدوي ونحوه حتى ادعى ابن تيمية اجماع المسلمين على ذلك كما مر في الباب الثاني فمرافقته في الجنة لا يقدر عليها غير الله نظير غفران الذنب وشفاء المريض بل لو فرض انه ليس ظاهر حال القائل ما ذكرنا وتساوى الاحتمالان او ضعف الاحتمال الصحيح لم يحز الحكم بالكفر والشرك لوجوب الحمل على الصحة ولو مع الاحتمال الضعيف وعدم جواز التكفير الا مع اليقين ، نعم لو قصد في الوجه الاول والثالث ان المستغاث به هو الفاعل لذلك اختياراً واستقلالاً بدون واسطته تعالى واقداره فالمسلمون منه براء ولكنه لا يوجد بين المسلمين احد يقصد ذلك نعم ربما يوجد من لا يخطر بباليه شيء تفصيلاً فيجب حمله ايضاً على الوجه الصحيح من طلب الدعاء والشفاعة دون غيره لانه وان لم يقصد ذلك ولم يلتفت اليه تفصيلاً الا انه مقصود له اجمالاً ولهذا لو سئل انك هل تعتقد انه قادر على ذلك بلا واسطته تعالى لقال كلا لا اعتقد ذلك وتبرأ ممن يعتقدده ولو قيل له هل مرادك طلب الدعاء والشفاعة لقال نعم .

وحيث ظهر ان مرجع ذلك الى طلب الشفاعة وسؤال الدعاء ، فنقول : أما الشفاعة فمضى الكلام فيها في الفصل السابق وانها لا تخرج عن سؤال الدعاء ، واما سؤال الدعاء فلا مانع منه عقلاً ولا شرعاً من حي ولا ميت اما من الحي فاعترف الوهابيون (والمنة لله) بجوازه ولم يجعلوه شركاً ولا كفراً ولا بدعة صرح بذلك ابن عبد الوهاب الصنعاني وقبلها ابن تيمية . قال ابن تيمية في رسالة زيارة القبور ^(١) ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم (ما من رجل يدعو له اخوه بظهر الغيب دعوة الا وكل الله بها ملكاً كلما دعا لأخيه دعوة قال الملك ولك مثل ذلك) ومن المشروع في الدعاء اجابة غائب لغائب ^(٢) ولهذا أمر «ص» بالصلاة عليه وطلب الوسيلة له ففي الحديث اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلاً يقول ثم صلوا علي فان من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرين اسألو الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا ينبغي ان تكون الا لعبد من عباد الله وارجو أن أكون ذلك العبد فمن

(١) صفحة ١٥٥

(٢) كأن صوابه ومن المشروع في اجابة الدعاء دعاء غائب لغائب

- المؤلف -

سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة . ويشرع طلب الدعاء ممن هو فوقه ودونه فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودع عمر الى العمرة وقال لا تنسنا من دعائك يا أخي وثبت في الصحيح انه صلى الله عليه وآله وسلم ذكر اويس القرني وقال لعمر ان استطعت ان تستغفر لك فافعل وفي الصحيحين كان بين ابي بكر وعمر «رض» شيء فقال ابو بكر لعمر استغفر لي لكن في الحديث ان ابا بكر ذكر انه حلق على عمر وثبت في الصحيحين ان الناس لما أجدبوا سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يستسقي لهم فدعا الله لهم فسقوا « انتهى » ثم ذكر حديث الاعرابي الذي قال للنبي «ص» ادع لنا ولم ينكر عليه وقد مر في فصل الشفاعة .

والجواب عن احتجاجهم على عدم جواز دعاء غير الله والاستعانة والاستغاثة به بآية فلا تدعوا مع الله أحداً وما ذكر معنا - ان الدعاء في اللغة مطلق النداء قال الله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) ويطلق الدعاء على سؤال الله تعالى والرغبة اليه وطلب حوائج الدنيا والآخرة منه باعتقاد انه مالك أمر الدنيا والآخرة وبعبارة اخرى باعتقاد الوهيمته واستحقاقه العبادة والتعبد والخضوع له بذلك اطاعة لأمره واطلاق الدعاء على ذلك اما لانه احد افراد المعنى اللغوي او لصيرورته حقيقة عرفية في ذلك او مجازاً مشهوراً وقد ورد في الشرع الحث على دعاء الله تعالى وطلب حوائج الدنيا والآخرة منه وسمي عبادة قال الله تعالى (ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) وقال زين العابدين علي ابن الحسين «ع» في دعائه بعد ذكر الآية (فسميت دعائك عبادة وتركه استكباراً وتوعدت عليه دخول جهنم داخرين) حتى ورد ان الدعاء مخ العبادة أو هو العبادة كما ذكره في احتجاجهم وبمضمونه عدة روايات . وانما كان كذلك لما فيه من اظهار نهاية الخضوع والتذلل لله تعالى والافتقار اليه وان الامور كلها بيده ولهذا امر بالدعاء وحث عليه مع انه اعلم بجوائجنا منا وارأف بنا من كل احد ولكنه اراد ان يظهر له غاية الخضوع والعبودية ونزل به حوائجنا جليلاً وحقيقها حتى ورد انه اوحى الى موسى «ع» يا موسى اسألني حتى علف دابتك وقوت يومك او ما هذا معناه .

ولا شك ان مطلق الدعاء والمناادة وطلب الحاجة من غير الله لا يكون عبادة ولا ممنوعاً منه فمن دعا رجلاً ليأتي اليه او لينصره او ليناوله شيئاً او يقضي له حاجة

لم يكن عابداً له ولا آثماً . فقلوه تعالى (فلا تدعوا مع الله أحدا) لا يراد به مطلقة الدعاء قطعاً بل دعاء خاصاً وهو الدعاء المساوي لدعاء الله تعالى باعتقاد أن المدعو قادر مختار مساو لله في ذلك كما كان غير المسلمين يفعلون ذلك في معابدهم أو دعاء من نهى الله عن دعائه من الأصنام والوثان التي هي أحجار وأشجار لا تعقل ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع ولا تسأل ولا تشفع كما كان يفعل المشركون في الكعبة أو دعاء الملائكة والجن الذين كانوا يعبدونهم ويعتقدون أن لهم تأثيراً في الكون مع الله بأنفسهم أو يشفعون عنده اضطراراً بحيث لا يرد شفاعتهم أو نحو ذلك مما لم يجعله الله لهم وكذلك قوله « ص » الدعاء مخ العبادة أو هو العبادة لا يراد به مطلق الدعاء بل دعاء خاص كما أريد بالآية الكريمة بل لا يبعد أن يراد بالدعاء فيه خصوص دعاء الله تعالى أي أن دعاء الله تعالى مخ عبادة الله تعالى وذلك لاشتماله على نهاية الذل والخضوع والعبادة أقصى نهاية الخضوع والذل لأنها مأخوذة من قولهم طريق معبد أي مذل فتكون الالف واللام فيه نائبة عن الإضافة فهي عهدية لا جنسية . وآيات (والذين تدعون من دون الله لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون . ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) دالة على أنهم كانوا يعتقدون أنهم قادرون على نصرهم بأنفسهم لا بدعائهم وشفاعتهم والا لم تكن الايتان رداً عليهم ولكان لهم أن يقولوا أنهم وإن لم يقدرُوا على نصرنا بأنفسهم فهم قادرون عليه بالتسبب بدعاء الله لنا الذي وعد اجابة الدعاء ونحن لم نطلب منهم غير ذلك وأنهم وإن كانوا عباداً أمثالنا فهم قادرون على أن يشفعوا لنا عند الله الذي جعل لهم الشفاعة باذنه فيستأذنونه ويشفعون هذا ان كانوا من الانبياء أو الصالحاء .

إذا عرفت ذلك ظهر لك أن من دعا نبياً واستغاث به فذلك لا يدخل في الدعاء المنهي عنه في الآية لأن هذا الدعاء والاستغاثة لا يخرج عن طلبه منه أن يدعو الله له أو يشفع له عنده الذي هو في معنى الدعاء فمن طلب ذلك مع اعتقاد أن الأمر فيه لله أن شاء أجاب دعاءه وقبل شفاعته وإن شاء رد لا يدخل في النهي قطعاً بعد ما عرفت أن المنهي عنه ليس مطلق الدعاء بل دعاء مخصوص مع أن طلب الدعاء والشفاعة ممن جعل الله له ذلك لا يخرج عن دعاء الله تعالى وعبادته وتعظيم شأنه والتوسل اليه بأنواع الوسائل وفي ذلك مبالغة في التضرع اليه والطلب منه الذي علم أنه يحبه ويرضاه وأنه مخ العبادة له . والمعبة

في الآية ظاهرة في المساواة ، ومن يدعو النبي «ص» ليدعو الله له ويشفع اليه في حاجته لم يدعه مع الله ولم يساوه به بل في الحقيقة دعا الله الذي امر بطلب الدعاء من الغير وجعل له الشفاعة وليس المراد بالمعية مجرد المشاركة في الوجود والا لحرم دعاء غير الله في المساجد او مطلقاً مع الله بان يقول يا الله اغفر لي ويا فلان اسقني ماء وحينئذ فقول يا محمد ادع لي الله او أشفع لي عنده الذي هو في معنى ادعه لا يزيد عن قوله يا فلان اسقني ماء . وبعبارة أخرى : معنى مع الله ان يكون دعاؤه في عرض دعاء الله لا في طوله . والأصنام لو فرض ان دعاءها ليس كذلك فالله نهى عن دعائها بكل حال لأنها جهاد ولأن دعاءها خلاف على الله وتكذيب للرسول . ودعاء باقي المعبودات كعيسى والملائكة والجن هو مثل دعاء الله قطعاً فميسى (ع) اتخذ شريكاً في الربوبية والملائكة والجن اعتقد ان لهم قدرة وتأثيراً مع الله كما مر .

أما قوله تعالى (له دعوة الحق) «الآية» فعناؤه والله العالم ان المدعو بحق هو الله تعالى وما يدعون من دونه من حجر او شجر أو نبي يعتقدون الهيته كعيسى فيدعونه ليرزقهم ويدخلهم الجنة ويفعل معهم فعل الرب مع عبده او ملك او جني يعتقدون ان له تأثيراً مع الله أو شفاعة اضطرارية او غير مردودة او نحو ذلك لا يستجيبون لهم أما الأحجار والأشجار فلأنها جهاد لا تقدر على شيء سواء كانت على صورة صالح او لا لان الدعاء والشفاعة للصالحين لا لصورهم واما من يدعى فيه الالهية أو التأثير مع الله من ملك أو جني فلأنه ليس ألهاً او لا تأثير له ولا يبعد ان يكون المراد الاصنام خاصة وان تكون واردة في مشركي قريش ولذلك شبه حالهم بباسط كفيه الى الماء يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا يعطشه وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه ويبلغ فاه ، وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفهمهم واین ذلك من طلب الدعاء من الصالحين الذين امر الله بطلب الدعاء منهم ودلت الآيات والاعخبار على حياتهم بعد الموت وقدرتهم على ذلك وسؤال الشفاعة منهم التي جعلها الله لهم واخبر انهم قادرون عليها وبذلك ظهر جلياً ان قياس دعاء الصالحين على دعاء الاصنام والاولئان وعيسى ومريم وغير ذلك قياس باطل وتوهم فاسد .

إذا عرفت هذا فلنعد الى الجواب عن كلماتهم السابقة كل منها على حدة . اما قول ابن تيمية بشرك من يسأل النبي او الصالح ازالة مرضه او قضاء دينه او نحو ذلك ولزوم قتله ان لم يتب ففساد لما عرفت من عدم جواز التهجم على تكفير المسلم واستحلال دمه بغير اليقين ووجوب حمل قوله وفعله على الصحيح منها . امكن ولا يقين هنا لوجود المحمل الصحيح وهو ارادة الاسناد الى السبب بالدعاء والشفاعة وان مثل ذلك وارد في كلام العرب والقرآن الكريم . واما روايته ان ودأ وسواها الخ اسماء قوم صالحين فلما ماتوا عكفوا على قبورهم الى ان اتخذوا تماثيلهم اصناما فهو حجة عليه لا له فان موجب تكفيرهم اتخاذ تماثيلهم اصناماً لا التبرك بقبورهم . قوله : وكان العكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها هو اصل الشرك وعبادة الأوثان . يأبى الخذلان الذي اصاب ابن تيمية الا ان يسمى المداومة على زيارة قبور الانبياء والصلحاء بالعكوف تنظيراً له بالعكوف على الاصنام وستعرف في فصل الزيارة ان استحباب زيارة قبر النبي « ص » وقبور سائر الانبياء والصلحاء ودعائه تعالى عندها من ضروريات دين الاسلام واذا ثبت استحباب ذلك ثبت استحباب الاكثار منه فانه لا سرف في الخير كما لا خير في السرف فسواء سماه ابن تيمية عكوفاً او غيره لا يضر الا نفسه اما جعله ذلك اصل الشرك وعبادة الأوثان . فان اراد به انه سبب تام في ذلك ففساده ظاهر لما نشاهده من تعظيم المسلمين قبور الانبياء والصلحين وتبركهم بها اجيالا عديدة ومع ذلك لم يتخذوا صورهم وتماثيلهم اصناماً .

وان كان يقول ان هذا التعظيم والتبرك عبادة للقبور كما تقول الوهابية فقد رجع عن قوله انه اصل الشرك وعبادة الاوثان وسببه (وان اراد) انه قد يؤدي الى عبادة الأوثان والشرك كما ادى في قوم نوح الذين اتخذوا صور الصالحين اوثانا بعد ما عظموا قبورهم وتبركوا بها فهذا لا يوجب تحريره كما انه اذا ادى ظهور المعجزة او الكرامة على يد نبي او صالح الى اتخاذه الهاً لا يكون اظهارهما محرماً بعد وجود الادلة من العقل والنقل على عدم الهيئته القاطعة للمعذر (وان اراد) بكونه اصل الشرك انه نفسه شرك وعبادة للاوثان كما تقوله الوهابية فقد علم فساد ما اقنأه من البراهين على انه ليس كذلك وبوجود الفرق الواضح بينه وبين عبادة الاصنام . اما قوله : ولهذا قال «ص» اللهم

لا تجعل قبري وثناً يعبد فتخص على الغيب فمن الذي أخبره ان علة قوله «ص» ذلك :
الخوف من ان يصل تعظيم قبره والتبرك به وتقبيله الى اتخاذه وثناً يعبد بل هو دعاء بان
يعصم امته من اتخاذ قبره وثناً يعبد بما كانت تعبد به الجاهلية او ثنائها لا بمجرد تعظيم
المسلمين له وتبركهم به الذي قد بينا مزاراً انه ليس عبادة له . اما تفرقة بين سؤال النبي
والصالح في حياته وسؤاله بعد موته او في مفجبه بانه في حياته لا يعبد احد في حضوره
فما يضحك الكلي (اولاً) ان السبائية كما يزعمون قد عنبت امير المؤمنين علي بن ابي طالب «ع»
في حضوره حتى حرقهم بالنار فزاد ذلك اعتقادهم باثميته لما سمعوه منه لا يعذب بالنار الا
رب النار المحمول على الكراهة في غير المقام الذي يناسبه شدة العقاب او غيره من المحامل
(ثانياً) احتمال ان يترتب على فعل المباح او الراجح امر محرم ، لا يوجب تحريمه والا لحرم
جميع ما في الكون من فعل . قوله : ولم يكن احد من سلف الأمة في عصر الصحابة ولا
التابعين ولا تابعي التابعين يتخيرون الصلاة والدعاء عند قبور الانبياء ، ما هون الدعاوى
المنفية وتتابع ادوات النفي على ابن تيمية اذا حاول ما طبع عليه من انتقاص قدر الانبياء والصلحاء
كانما الله تعالى اوجده في جميع العصور واطلعه على كل كائنات الدهور وانا نسأله هل كان مالك
ابن أنس امام دار الهجرة والذي قيل فيه لا يفتى ومالك في المدينة وحجة الله على خلقه بشهادة
الامام الشافعي ^(١) من سلف هذه الامة ومن التابعين او تابعي التابعين حين قال لابي
جعفر المنصور وقد سأله قائلاً يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو أم أستقبل رسول
الله (ص) فقال لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم «ع» الى يوم القيامة
بل استقبله واستشفع به « الحديث » وهل أنكر احد ذلك على مالك من علماء المدينة
وهي ملأى بالتابعين وتابعي التابعين أو من علماء سائر الاقطار وهل تحتاج فضيلة المكان
المدفون فيه جسد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو سيد الكائنات واشرف ولد آدم الى
رواية خاصة ونص مخصوص واذا ثبتت فضيلته ثبتت فضيلة الصلاة فيه أفيلزم مع ذلك
ان ينزل ملك على ابن تيمية يخبره بفضيلة الصلاة في المكان الفاضل . ولكن تكفير المسلمين
واستحلال أموالهم ودمائهم تكفي فيه الظنون والاهام وسرد الدعاوى المنفية بلا دليل
وسأيتني في فصل التوسل ان جميع أصحاب المناسك من علماء الاسلام ذكروا استحباب

(١) كما في خلاصة تذهيب الكمال ص ٣١٣ طبع مصر .

الحيء الى قبر رسول الله (ص) والدعاء : اللهم انك قلت في كتابك ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك الخ . وتقدم مجيء رجل الى قبره (ص) وسؤاله ان يستسقي لامته فسقوا ، قوله : ولا يستغيثون بهم لا في مغيبهم ولا عند قبورهم ، هذه الدعوى يكذبها مضافاً الى ما تسالم عليه المسلمون خلفاً عن سلف من الاستغاثة بالانبياء والصالحين وطلب الشفاعة منهم كما يظهر مما ذكرناه في تضاعيف هذا الكتاب ما ذكره عالم المدينة السهمودي الشافعي في كتابه وفاء الوفا حيث قال في كلامه الآتي في الفصل الثالث ان الاستغاثة بالنبي (ص) من فعل الانبياء والمرسلين وسير السلف الصالحين وما ذكره في خاتمة الباب الثامن ^(٢) من استغاثة جماعة من السلف به «ص» بعد وفاته حيث قال : خاتمة في نبذ مما وقع لمن استغاث بالنبي «ص» أو طلب منه شيئاً عند قبره فأعطي مطلوبه ونال مرغوبه مما ذكره الامام محمد بن موسى بن النعمان في كتابه مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام فمن ذلك ما قال : اتفق لجماعة من علماء سلف هذه الامة من أئمة المحدثين والصوفية والعلماء بالله المحققين . قال محمد بن المنكدر أودع رجل أبي ثمانين ديناراً وخرج للجهاد وقال له ان احتجت انفقها واصاب الناس جهد من الغلاء فانفقها فقدم الرجل وطلبها فقال له عد الى غداً وبات في المسجد يلوذ بقبر النبي «ص» مرة وبمنبره مرة حتى كاد ان يصبح ، يستغيث بقبر النبي «ص» - الى آخر القصة وقال : الامام ابو بكر ابن المقرئ كنت انا والطبراني وابو الشيخ في حرم رسول الله «ص» وأثر فينا الجوع فلما كان وقت العشاء حضرت قبر النبي «ص» وفنت يا رسول الله الجوع ، الى ان قال : فدق الباب علوي معه غلامان مع كل واحد زنبيل فيه شيء كثير وقال اشكوتم الى رسول الله «ص» فاني رأيته في المنام فامرني ان احمل بشيء اليكم ثم ذكر السهمودي بعد نحو من نصف ورقة ان هذه الواقعة رواها ابن الجوزي في كتابه الوفاء باسناده الى ابي بكر المقرئ قال وقال ابن الجلال دخلت المدينة وبني فاقة فتقدمت الى القبر وقلت ضيفك ففوت فرأيت النبي (ص) فاعطاني رغيفاً فأكلت نصفه - الى آخر القصة .

وقال ابو الخير الاقطع وذكر نحوه ، وقال ابو عبد الله محمد بن ابي زرعة الصوفي ، سافرت مع ابي ومنح ابي عبد الله بن خفيف الى مكة فأصابتنا فاقة شديدة فدخلنا المدينة فاتى ابي الحظيرة وقال يا رسول الله انا ضيفك الليلة ، الى ان قال : فقال رأيت رسول الله (ص) فوضع في يدي دراهم - الى آخر القصة . وقال احمد بن محمد الصوفي ، تهمت في البادية ثلاثة اشهر فانسلخ جلدي فدخلت المدينة وجئت الى النبي (ص) فسلمت ثم نمت فرأيتني (ص) في النوم فقال لي جئت قلت نعم وانا جائع وانا في ضياقتك قال افتح كفيك فملأها دراهم فانتهبت النخ .. ثم نقل السمودي ما يزيد على عشر وقائع من هذا القبيل ومنها واقعتان نقلهما عن نفسه يطول الكلام بذكرها فليطلبها من أرادها . ويستفاد من ذلك ايضا ان الاستغاثة بالنبي (ص) عليها سيرة المسلمين خلفاً عن سلف بدون تناكر بينهم فيكشف عن ان ذلك مأخوذ من صاحب الشرع كما عرفت في المقدمات مع انه لا يحتاج جواز الاستغاثة الى ورود الدليل بل المانع عليه اقامة الدليل ، قوله : ومن أعظم الشرك النخ . قد عرفت انه لا شرك فيه بوجوب حمله على الوجه الصحيح فضلا عن كونه من أعظم الشرك ، قوله : وهذا حال النصارى في المسيح وأمه واحبارهم ورهبانهم . بل هذا حال الوهابية في اتباعهم رؤسائهم على غير بصيرة ولا هدى فأشبهوا الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله الذين ورد فيهم انهم ما صاموا لهم ولا صلوا وانما خرموا عليهم حلالا واحلوا لهم حراما فاتبعوهم وبما مر تعلم فساد قوله ان خير الخلق الى قوله ولا بعد مماته .

قوله : وقول كثير من الضلال هذا أقرب الى الله مني وانا بعيد لا يمكنني ان ادعوه الا بهذه الوساطة من اقوال المشركين الخ .

أما قول هذا اقرب الى الله مني فصحيح ليس فيه شيء من الضلال فان درجات الناس متفاوتة في القرب منه تعالى بالطاعة الذي هو بمعنى القرب المعنوي تشبيها بقرب المكان واما قول لا يمكنني ان ادعوه الا بهذه الوساطة فلا يقوله ولا يعتقد احد من المسلمين فضلا عن ان ينسب الى كثير من الضلال ولم نسمع الى الان من احد ولا عنه انه يقول ذلك بل يدعون الله مرة بلا واسطة ومرة بواسطة نعم قد يقولون ان هذا أقرب الى الله مني فدعائهم ارجى للاجابة من دعائي وهذا لا بأس به ولا مانع منه فقد ثبت ان

دعاء الغير أرجى للإجابة ولو لم يكن اقرب وروي ان الله تعالى أوحى الى موسى (ع) « ادعني على لسان لم تعصني به » كما كانت الصلاة على النبي «ص» التي أمرنا الله تعالى بها في الدعاء من اسباب اجابته كما صرح به ابن تيمية في كلامه السابق والله تعالى قادر على اجابة الدعاء بدون الصلاة على النبي «ص» فكيف امر بها لتكون سبباً في اجابة الدعاء ولم يكن ذلك منافياً لقربه من الداعي وكان التشفع اليه بذوي المكانة الذين جعل الله لهم الشفاعة منافياً لذلك . وخلاصة القول ان الله تعالى امر عباده بدعائه ووعدهم الاجابة قصداً لتذللهم وتعبدهم له من دون حاجة منه الى دعائهم مع قدرته على ان يعطيهم بدون دعاء مع رأفته بهم لكنه اراد ان يتعبدوا له بأنواع التعبد والتذلل ويتوسلوا اليه وجعل لهم من لطفه بهم ورحمته اسباباً لنيل فضله ونعمه مثل الصلاة على النبي «ص» في دعائهم والتشفع اليه بذوي المكانة عنده ومن ذلك اعطاؤه الشفاعة لذوي الشفاعة مع عدم حاجة منه الى شيء من ذلك ولو فرض ان احداً قال لا يمكنني ان ادعوه الا بهذه الوسيلة لكان مخطئاً وغالطاً ولم يكن مشركاً وكافراً كما يزعمه ابن تيمية واتباعه الوهابية ، اما استدلاله بآية واذا سألك عبادي عني «الآية» على امكان دعاء الله بلا واسطة فمن فضول الكلام فانه لا ينكر احد امكان ذلك وانه تعالى قريب من دعاء ولكن لا ينافي ذلك كون بعضهم اقرب من بعض ولا كون دعاء الغير أرجى للإجابة ، اما استشهاده بآية اياك نعبد وآية انما نعبدك ليقربونا فلا محل له فلا احد يعبد غير الله ولا يستعين بغيره وانما هو سؤال الدعاء والشفاعة الذي لا يخرج عن عبادته تعالى والاستغاثة به لانه عن امره ، قوله : ان كنت تظن انه اعلم بحالك واقدر على عطاء سؤالك او ارحم بك فهذا جهل وضلالة وكفر ليس في المسلمين من يعتقد هذا فذكره فضول وتطويل بدون طائل ، قوله : وان كنت تعلم ان الله اعلم واقدر وارحم فلم عدلت عن سؤاله الى سؤال غيره . لم يعدل احد عن سؤاله تعالى الى سؤال غيره وانما هو طلب الدعاء والشفاعة الذي لا يخرج عن سؤاله تعالى لانه عن امره كما مر ، ونقول له : النبي «ص» يعلم ان الله تعالى اعلم بحاله واقدر على عطاء سؤاله وارحم به من عمر فلم عدل عن سؤاله الى سؤال عمر وقال له جين ودعه الى العمرة لا تنسنا من دعائك يا اخي حسبا رويت واذا كان «ص» يعلم ذلك فلماذا طلب منا ان نصلي عليه ونسأل الله تعالى له الوسيلة ولماذا لم يطلبها هو من الله ولماذا امر غير ان يسأل أويسا القرني ان يستغفر له ولماذا قال ابو بكر لعمر استغفر لي ولماذا لم يطلب ابو بكر

المغفرة منه تعالى بغير واسطة عمر والله تعالى أعلم بحاله واقدر على عطاء سؤاله وارحم به من عمر ولماذا سأل الناس النبي «ص» أن يستسقي لهم لما اجدبوا ولم يستسقوا بأنفسهم والله تعالى أعلم بحالهم واقدر على عطاء سؤالهم وارحم بهم من النبي «ص» وقد روى ذلك كله ابن تيمية فيما مر قريباً واعترف به وهو هنا يقول فلم عدلت عن سؤاله الى سؤال غيره وان كان يزعم ان المسلمين يسألون غيره تعالى لأنه القادر المختار الفاعل لما يشاء فهذا افتراء على المسلمين لما عرفت من ان ذلك لا يخرج عن طلب الدعاء وسؤال الشفاعة . ويكاد الانسان يقضي عجباً من تمحلات هؤلاء وتهافت كلامهم ، قوله : وان كنت تعلم انه أقرب الى الله منك فانما معناه انه يثيبه أكثر مما يثيبك لا انك اذا دعوته يقضي الله حاجتك أعظم مما يقضيها اذا دعوت انت الله . نعم ان دعاء الغير للعبد ارجى في الاجابة من دعائه نفسه كما مر فلماذا ينبغي له الجمع بينهما ومنه يعلم انها كلمة حق لم يرد بها الا الحق ، قوله : فانك اذا كنت مستحقاً للعقاب ورد الدعاء فالنبي والصالح لا يعين على ما يكرهه الله والا فالله أولى بالرحمة والقبول ، مما يضحك الشكلى فانك قد عرفت ان المطلوب من النبي او الصالح الدعاء والشفاعة التي لا تخرج عن الدعاء وهو قد سلم ان طلب الدعاء من الغير مشروع فيقال له اذا كنت مستحقاً للعقاب ورد الدعاء فالذي تسأله الدعاء لك لا يعين على ما يكرهه الله والا فالله أولى بالقبول والرحمة فلماذا تسأل الغير ان يدعو لك أو لم يعلم ابن تيمية ان مستحق العقاب قد يرحمه الله تعالى بالدعاء من الغير الذي هو ارجى في الاجابة ومستحق رد الدعاء قد يجيب الله دعاء غيره فيه ويقال له ايضاً اذا كان العبد مستحقاً للعقاب ورد الدعاء فلماذا أمر الله تعالى بالدعاء على وجه العموم والله تعالى لا يأمر بما يكرهه ولا يعين عليه ولم لم يرحم بدون دعاء وشفاعة ولم أمر في الدعاء بالصلاة على النبي (ص) وجعلها سبباً لقبوله ولم جعل الشفاعة واذن فيها وكون الله أولى بالرحمة والقبول لا ينافي التوسل اليه بدعاء الغير بل هذا من اتم اسباب رحمته ورأفته ، قوله : وان قلت هذا اذا دعا الله اجاب دعاءه اعظم مما يجيبه اذا دعوته . قد عرفت ان هذا هو الحاصل من المسلمين الذي امر به الشرع ودل عليه النقل لا غيره .

ومما ذكر تعلم فساد تفصيله في رسالة زيارة القبور بين طلب ما لا يقدر عليه الا

الله وما يقدر عليه غيره فاذا كان المطلوب هو الدعاء والشفاعة لم يكن المطلوب غير مقدور وكلما طلب فيه غير المقدور يجب حمله على طلب الدعاء والشفاعة حملاً لفعل المسلم على الصحة فالتفصيل المذكور ساقط من اصله .

وأما قوله : ان مسألة الخلق قد تكون جائزة وقد تكون منهيًا عنها فان أراد بالنهي نهي الكراهة والتنزيه لا نهي المنع والتحریم فله وجه بمعنى انه لا ينبغي مسألة الناس والاستغاثة بهم مع امكان الاستغناء عنهم . وسمع بعض أئمة اهل البيت عليهم السلام من يقول اللهم لا تحوجني الى خلقك فنهاه وقال ما معناه انه لا بد من احتياج الخلق بعضهم لبعض ولكن قل اللهم لا تحوجني الى لثام خلقك . وان اراد غير ذلك فهو مردود عليه ولكن ذلك كله خارج عما نحن فيه فان كلامنا في الاستغاثة بالخلق ليكون شافعاً الى الله ووسيلة اليه ولا شك ان ذلك راجح لا كراهة فيه اذا كان المستغاث اهلاً لذلك فان ذلك لا يخرج عن عبادة الله ودعائه والاستغاثة به بل هو المستغاث حقيقة والله تعالى يحب دعاءه والتوسل اليه بگرام خلقه لأن ذلك من انواع العبادة له والتذلل له والا فالله تعالى قادر على ان يعطينا بدون دعائنا وتوسلنا وتضرعنا ويعفو عنا بغير شفاعة شفيع فلماذا امرنا بالدعاء وقبل شفاعة الشفعاء واذن لهم فيها .

واما ما ذكره ابن عبد الوهاب في تعليمه الاحتجاج من قوله انت تقر ان الله فرض عليك اخلاص العبادة الى قوله فانه لا يعرف العبادة ولا انواعها فجوابه ان علماء المسلمين اعرف بربههم وبعبادته وانواعها منه ونسبته لهم الى الجهل بالعبادة وانواعها جهل وسوء أدب وتخصص على الغيب واذا كان لا يعرف العبادة ولا انواعها فكيف جزم بأنه لا بد ان يقول ان الدعاء عبادة وانه مخ العبادة ، قوله : اذا دعوت الله ودعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره هل اشركت في عبادة الله الخ . قد علم بما بيناه انه ليس كل دعاء عبادة وان من يدعو غير الله في حاجة من نبي أو صالح حي أو ميت ليدعو الله له في قضاء حاجته ويشفع له عنده ليس بعباد لذلك النبي او الصالح وليس مشركاً في عبادة ربه احداً ولا خارجاً عن دعاء الله وعبادته فلا نطيل بأعادتهم ، قوله : وهل كانت عبادتهم اياهم الا في الدعاء والذبح والالتجاء قد عرفت أيضاً ان عبادتهم لهم كانت بالسجود والذبح والاهلال بأسمائهم على الذبائح والالتجاء الى الاحجار والاشجار للجهاد والشفاعة التي نهى الله عن الالتجاء اليها على لسان انبيائه ولم يعمل فيها صفة تصحح الالتجاء اليها ولا نجاء لها عنده

سواء قصد طلب شفاعتها او التجيء اليها لأنها فاعلة بنفسها ولأنها جمادات لا قدرة لها على شيء اصلاً ولا تسمع ولا تفعل ، او بعبادة ملك او جني واعتقاد ان له تأثيراً مع الله وقدرة بنفسه لم يجعلها الله له .

قوله : اذا كنت تقر ان الله حرم الشرك الخ. فما هو فإنه لا يدري . قوله : لا يدري حكم على غائب وتخص على الغيب وما الذي اعلمه انه لا يدري وهل الله اشركه في علم الغيب بل الشرك الذي حرمه الله تعالى معلوم معروف عند جميع المسلمين لا يحمله عوامهم فضلاً عن علماءهم فنسبتهم الى انهم لا يعرفون معنى الشرك افتراء باطل وإساءة ادب مع علماء الأمة الذين قال رسول الله (ص) فيهم علماء امتي كأنبيا بني اسرائيل او افضل من انبياء بني اسرائيل ومع الأمة عموماً التي قال الله تعالى عنها انها خير امة اخرجت للناس فجعلهم يحلون معنى الشرك ويعرفه اعراب نجد فقط ، وقد عرفت ان الشرك والكفر يتحقق بأحد الأمور المتقدمة في الامر الرابع عشر من المقدمة الثانية وما في حكمها وتحقق الشرك بذلك اوضح من ان يبين او يحمله مسلم .

ويمكن ان نقبل هذا الاستدلال على ابن عبد الوهاب واتباعه ، فنقول : لاحدم انت تقر ان الله فرض عليك اخلاص العبادة وحرم عليك الشرك فبين لنا هذا الذي فرض عليك وحرم عليك فإنه لا يعرف العبادة ولا انواعها فان قال اخلاص العبادة هو ان لا يدعو غير الله ولا يستغيث الا بالله ولا ينحر ولا يذبح الا لله والشرك دعاء غير الله والتشفع والاستغاثة به فقل له هل مطلق دعاء غير الله وندائه عبادة فان قال نعم فقل له اذا لا يسلم احد من الشرك وان قال بل هو دعاء مخصوص فقل بينه لي فان قال هو دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه الا الله فقل فلماذا كفرتم المسلمين في طلب الشفاعة من النبي (ص) وهو قادر عليها وهو الشفيع المشفع فإنه لا يهتدي الى جوابه . وقل له هل كل تعظيم عبادة موجبة للشرك فان قال نعم فقل اذا تعظيم الابوين وتعظيم النبي (ص) في حياته شرك وكفر وان قال هو تعظيم مخصوص فقل له بينه لي فإنه لا يعرفه فقل له انه تعظيم غير الله بما نهى عنه الله وكان مساوياً لتعظيم الله وهذا لا يفعله مسلم . وقل له هل كل ذبح ونذر لغير الله او هو ذبح ونذر مخصوص فلا بد ان يقول انه نذر وذبح مخصوص فقل له فما هو فان قال هو نذركم وذبحكم للاولياء فقل اذا نذرنا ان نذبح شاة

وتصدق بها على الفقراء فهل هذا النذر والذبح لله أو لغير الله فلا بد ان يقول انه لله فقل له وكذلك النذر والذبح الذي تزعمون انه للولي هو نذر وذبح لله ليتصدق به على الفقراء ويهدي ثوابه للنبي أو الولي .

قوله : أظن انهم يعتقدون ان تلك الاخشاب والاحجار تخلق وترزق الخ فيه انهم وان لم يعتقدوا انها تخلق وترزق الا انهم عبدوها وعظموها بما نهاهم الله عنه واعتقدوا ان لها شرفاً ذاتياً واختياراً وتدبيراً كما أوضحناه مراراً فلا نطيل باعاده وليس هذا هو فعل المسلمين عند الاحجار والبنايا التي على القبور وغيرها كما زعم وتوهم على ماسبق مفصلاً فأين الاستغاثة بذوي المكانة عند الله ودعائهم من عبادة الاصنام واين فعل المسلمين من فعل عباد الاصنام ، فالمسلمون بتعظيمهم من امر الله بتعظيمه وتبركهم من أثبت الله له البركة واستغاثتهم وتشفعهم بين جعله مغنياً وشافعاً وطلبهم دعاءه واستغفاره لهم لم يعبدوا غير الله تعالى ولم يعظموا غير الله ولم يستغيثوا الا بالله ولم يدعوا غير الله لأن كل ما كان عن امر الله تعالى فهو اطاعة له ولو تعلق بالخلقين واشتمل على تعظيمهم كما كان سجد الملائكة لآدم ويعقوب وأولاده ليوسف وتعظيم الكعبة والطواف بها والحجر الاسود وتقبيله واستلام الاركان وتعظيم حجر اسماعيل ومقام ابراهيم والصلاة عنده وتعظيم الحرم والمساجد وهي جمادات كلها عبادة لله تعالى وتعظيماً له . قوله : هل تريد ان الشرك مخصوص بهذا أي عبادة الاصنام وان الاعتماد على الصالحين ودعائهم لا يدخل في هذا فهذا يردده ما في القرآن من كفر من تعلق على الملائكة وعيسى والصالحين . وقد عرفت ان الكفر من تعلق على الملائكة لم يكن لمجرد التشفع بهم وطلب دعائهم وان كفر من تعلق على عيسى لانه جعله الهاً مستحقاً لجميع صفات الألوهية لا مجرد الاستغاثة به بطلب دعائه وشفاعته فراجع فتعبيره بالتعلق المحمل وعدم بيانه المراد منه جهل او تضليل فأين هذا ممن استغاث بنبي او ولي فطلب دعاءه وشفاعته . واما من تعلق على الصالحين : ود سواع ويغوث ويعوق ونسر التي ورد أنها أسماء قوم صالحين فقد اقام لهم تماثيل من احجار يعبدوها ويسجد لها ويذبح الذبائح ويهل بها لها ويذكر اسماءها عليها ويطلبها بدمائها ويتقرب بها الى تلك الاحجار ويستغيث بها ويعتقد ان لها تأثيراً وقدره الى غير ذلك ولم يكن منه مجرد الاستغاثة والتشفع الى الله باصحابها

الذين هم قوم صالحون ولهم مكانة عند الله بل تشفع واستغاث بأحجار على صورهم الموهومة لم يجعل الله لها حرمة ولا شفاعاة ولم يقتصر على ذلك بل زاد عليه أنواعاً من العبادة كما مر مراراً وإين هذا من الاستغاثة والتوسل بالنبي أو الولي .

قوله : في جواب استغاثة الناس بالانبياء يوم القيامة الدالة على انها ليست شركاً : سبحان من طبع على قلوب اعدائه فان الاستغاثة بالخلق فيما يقدر عليه لا تنكرها الخ . ونقول : سبحان من طبع على قلبه فجعله لا يلتفت الى التناقض والتهافت في كلامه فانه كما عرفت في الفصل الثاني يمنع من طلب الشفاعاة من النبي « ص » ويجعله شركاً ويوجب طلبها من الله تعالى بقرله اللهم شفعه في او ارزقني شفاعته مع تسليمه بانه « ص » قادر عليها وان له الشفاعاة وانه الشفيع المشفع وهنا يقول لا ننكر الاستغاثة بالخلق فيما يقدر عليه فاي جهل وتناقض وتهافت أعظم من هذا وهو مع ذلك يقول سبحان من طبع على قلوب اعدائه مع انك عرفت مراراً ان الاستغاثة الحاصلة بالخلق ليست الا فيما يقدر عليه وهو الدعاء والشفاعة وان عبر بقوله ارزقني واشف مريضى وغير ذلك كما مر آنفاً (لا يقال) انما منع من طلب الشفاعاة من النبي « ص » تمسكاً بقوله تعالى ان الشفاعاة لله جميعاً . فلا تدعوا مع الله أحداً فيكون عدم جواز طلبها منه وان كان قادراً عليها لنص شرعي تعبدى وهو الآيتان الشريفتان (لانا نقول) معنى الآية الأولى كما عرفت في الفصل الاول ليس عدم جواز طلب الشفاعاة منه « ص » بل انه تعالى مالك امرها فلا يشفع عنده احد الا باذنه والا لمن ارتضى ولا يلجئه أحد الى قبول شفاعته كما يقع من المخلوقين والمنهبي عنه في الآية الثانية دعاء مخصوص لا مطلق الدعاء كما عرفته في هذا الفصل . وأول كلامه بالنسبة الى الاستغاثة وغيرها مطلق شامل للمقدور وغيره مع انه في مقام البيان ولكن لما اعترض عليه بالاستغاثة بالانبياء يوم القيامة التي لم يجد لها جواباً قيد حينئذ الاستغاثة بالمنوعة بغير المقدور والا فما باله لم يقيد بها من اول الأمر ويسلم من الاعتراض مع كونه في مقام البيان . ومنه يظهر بطلان جواب الصنعاني السابق الراجع الى التفصيل بين الاستغاثة بالحي فيما يقدر عليه وغيرها لما عرفت من ان الاستغاثة الحاصلة لا تخرج عن المقدور . قوله : واما بعد مماته فحاش وكلاهم سألوا ذلك فيه انه يناقض قوله الاول : ونحن أنكروا استغاثة العباد عند قبور الانبياء والاولياء او في غيبتهم في الاشياء التي لا يقدر عليها الا الله فانه يدل على ان الموجب للانكار كونها لا يقدر عليها الا الله وحينئذ

فلا فرق بين طلبها من الحي أو الميت فلو طلب من الحي ما لا يقدر عليه إلا الله لكان شركاً عنده وقوله وأما بعد مماته فحاش وكلا الخ يدل على عدم جواز طلب شيء من الميت مطلقاً ولو كان مما يقدر عليه غير الله كالدعاء والشفاعة وهو تناقض ظاهر فتارة جعل المناط عدم قدرة غير الله وتارة الحياة والموت والغيبة والحضور . كما أن تقييد الصنعاني بالاحياء مشعر بعدم جواز الاستغاثة بالأموات حتى في المقدور . وكيف كان فقد عرفت أن التفصيل بين ما يقدر عليه غير الله وما لا يقدر عليه إلا الله لا يرجع إلى محصل يعد ما كان المراد سؤال الدعاء وطلب الشفاعة المقدورين فكما أن استغاثة الناس بالانبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف واستغاثة المسلمين بهم في الدنيا يريدون منهم أن يدعوا الله ويشفعوا عنده حتى يقضي حوائجهم وهذا أمر مقدور لهم بعد مماتهم ومن ذلك يعلم فساد تفرقته بين استغاثة إبراهيم بجبرائيل عليها السلام لو فعلها واستغاثتنا بالنبي «ص» بأن الأولى استغاثة في أمر مقدور بخلاف الثانية لأن الثانية هي أيضاً في أمر مقدور وهي طلب الدعاء والشفاعة وليس فيها عبادة وشرك لو كان يفقه . كما أن التفصيل بين الاستغاثة بالاحياء والاستغاثة بالأموات ولو في المقدور لغير الله تحكم محض لم يأت الصنعاني عليه بدليل ولم يزد ابن عبد الوهاب في دليله على قوله فحاش وكلا أنهم سألوا ذلك بل أنكروا السلف على من قصد دعاء الله عند قبره فضلاً عن دعائه نفسه وهي دعوى مجردة عن الدليل لم يأت عليها بشاهد ولا اثر مروي بل عرفت أنها دعوى كاذبة وإن الأمر بالعكس فانهم أنكروا على من لم يدع الله عند قبره ولم يستقبله في دعائه ويتوسل به كما وقع لمالك إمام دار الهجرة مع المنصور العباسي وإن سيوة السلف والخلف دعاء الله تعالى عند قبره الشريف والتبرك به فمن هم السلف الذين يزعم ابن تيمية وابن عبد الوهاب أنهم أنكروا على من دعا الله تعالى عند قبر النبي «ص» وهل مالك إمام المذهب وإمام دار الهجرة الذي قبل فيه لا يفتى ومالك في المدينة والذي قال فيه الإمام الشافعي حجة الله على خلقه لا يعد منهم فظهر بذلك أن ما قاله افتراء على السلف وأنه لا فرق بين طلب الدعاء منه «ص» في حياته وبعد وفاته وإن التفرقة بينها محض جود أو عناد وإن ما هو شرك لا يمكن أن يكون توحيداً وبالعكس .

ومما يدل على جواز الاستغاثة بغير الله من النقل ما في خلاصة الكلام انه رواه ابن السني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله «ص» اذا انفلتت دابة احدكم بارض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا فان الله عباداً يحيونه . وفي حديث آخر رواه الطبراني انه «ص» قال اذا اضل احدكم شيئاً او اراد عوناً وهو بارض ليس فيها أنيس فليقل يا عباد الله اعينوني وفي رواية اغثوني فان الله عباداً لا ترونهم وقال ان الفقهاء ذكروا ذلك في آداب السفر « انتهى » وهو موجود في كتب اصحابنا ايضاً واورده بعض الوهابية في الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية ببعض التغيير ^(١) . قال : ومما استدل به علينا في جواز دعوة غير الله قوله «ص» واورد الحديث الاول لكنه قال احبسوها بدل احبسوا . قال : وفي رواية اذا اعيت فليناد يا عباد الله اعينوا . ثم اجاب باجوبة طويلة جلها لا يرجع الى محصل ولا يليق ان يسطر ولا يرتبط بالمقصود فلذلك اعرضنا عن نقله . ومما ذكره : القدح في السند برواية الطبراني له في الكبير بسند منقطع عن عقبة وان النووي عزاه لابن السني وفي إسناده معروف بن حسان قال ابن عدي منكر الحديث مع ان اخذ الفقهاء له بالقبول وذكرهم مضمونه في آداب السفر واوراد أئمة الحديث له في كتبهم كالطبراني والنووي مغن عن تصحيح سنده لو سلم ما قاله وكيف خفي على الفقهاء والمحدثين ان مضمونه شرك أو حرام وظهر ذلك لأعراب نجد . وأجاب صاحب المنار في الحاشية بان المتبادر ان النداء لمن عساه يوجد من الناس في الفلاة ولم يره وهو معتاد « انتهى » ولما كان الحديث المذكور في رسالة الوهابية اشارة الى ما رواه الطبراني والنووي كما نص عليه صاحب الرسالة عند قدحه في السند كان تأويل صاحب المنار هذا مصادماً لصريح الحديث فان قوله : فان الله عباداً لا ترونهم صريح او كالصريح في انهم ليسوا ممن يرى لدلالة المضارع على الاستمرار ودلالة التأكيد بان على تحقق وجودهم وكذا قوله فان الله عباداً يحيونه دال على ان وجودهم واجابتهم محقق او غالب لا محتمل احتمالاً بعيداً او مقطوع بعدمه كما هو حال الفلاة والارض التي ليس فيها أنيس ولو اراد ذلك لقال فليناد لعله يوجد احد يحييه او نحو ذلك .

وفي خلاصة الكلام : صح عن بلال بن الحارث رضي الله عنه انه ذبح شاة عام القحط المسمى عام الرمادة فوجدها هزيلة فصار يقول وا محمداه وا محمداه « انتهى » وظاهر الحال

انه استغاثه به «ص» لا ندبة . قال : وصح ايضاً ان اصحاب النبي «ص» لما قاتلوا مسيلة الكذاب كان شعارهم وا محمداه وا محمداه «انتهى» وهو اظهر من السابق في الاستغاثه لانه وقع في حياته «ص» . قال : وفي الشفا للقاضي عياض ان عبد الله بن عمر خذلت رجله مرة فقبل له اذكر احب الناس اليك فقال وا محمداه فانطلقت رجله «انتهى» وهو من نوع الاستغاثه . اما ما يروى من ان ابا بكر قال قوموا نستغث برسول الله من هذا المنافق فقال «ص» انه لا يستغاث بي انما يستغاث بالله فهو على تقدير صحة سنده محمول على ان المستغاث به الحقيقي هو الله تعالى لانه القادر المختار الفاعل لما يشاء فقال ذلك تواضعاً لله تعالى فهو نظير (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وقوله «ص» ما انا حملتكم ولكن الله حملكم . فلا يعارض ما دل على جواز الاستغاثه ووقوعها كما مر مع انه خارج عن محل النزاع فان الذي يعارض فيه الوهابيون كما صرحوا به الاستغاثه بغير الله فيما لا يقدر عليه الا الله واستغاثتهم برسول الله «ص» من ذلك المنافق كانت في امر مقدور قطعاً وهو دفع مفسدة نفاقه بضربه او قتله او غير ذلك .

الفصل الثالث

في التوسل الى الله تعالى بالانبياء والصالحاء

وهذا يكون على وجوه (احدها) ان يقول اتوسل به الى الله أو اتوجه به اليه أو أتشفع أو اقدمه بين يدي حاجتي أو نحو ذلك (ثانيها) ان يقول اسألك بفلان أو بحق فلان أو بحقه عليك أو بجاهه عندك أو ببركته أو بجرمته عندك أو نحو ذلك (ثالثها) ان يقول اقسمت عليك أو اقسم عليك بفلان أو نحو ذلك وكلها تؤول الى شيء واحد وهو جعله وسيلة واسطة بينك وبين الله تعالى لما له من المنزلة عنده والكرامة لديه . والوجهان الاخيران يدخلان في الاقسام على الله بمخلوق الذي يأتي في الفصل الرابع وذكرناهما هنا لعدم خروجهما عن التوسل وكونهما من انواعه . والتوسل بانواعه مما منعه الوهابية وجعلوه شركاً لانه نوع من التشفع الممنوع عندهم والموجب للشرك والجريان ادلتهم فيه . وقد صرح بذلك محمد بن عبد الوهاب في المحكي عنه في كتاب التوحيد حيث قال بعد ذكر آية (اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم اقرب) بين فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين ففيها بيان ان هذا الشرك الاكبر (انتهى) وصرح به ايضاً الصنعاني في تطهير الاعتقاد حيث قال في جملة كلامه المتقدم في الباب الثاني بان من توسل

بمخلوق فقد أشرك مع الله غيره واعتقد ما لا يحل اعتقاده كما اعتقد المشركون في الاوثان وعد من جملة العبادة الموجبة للشرك والكفر التوسل بالمخلوق . وقد صرح ابن تيمية في كلامه المتقدم في الفصل الاول في الشفاعة بان من توسل بعظيم عند الله كما يتوسل الى السلطان بخواصه واعوانه فهذا من افعال الكفار والمشركين . وقال في مقام آخر من رسالة زيارة القبور ^(١) : واما قول يجاه فلان عندك او ببركة فلان او بجرمة فلان عندك افعل بي كذا فهذا يفعله كثير من الناس لكن لم ينقل عن احد من الصحابة والتابعين وسلف الأمة انهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء ولم يبلغني عن احد من العلماء في ذلك ما أحكيه الا ما رأيت في فتاوى الفقيه ابي محمد بن عبد السلام انه لا يجوز فعل ذلك الا للنبي (ص) ان صح الحديث في النبي (ص) ثم قال قد روى النسائي والترمذي وغيرهما انه (ص) علم بعض اصحابه ان يدعو فيقول (اللهم اني اسألك وأتوسل اليك بنبيك نبي الرحمة يا محمد يا رسول الله اني أتوسل بك الى ربي في حاجتي ليقضها لي اللهم فشفعه في) فان هذا الحديث قد استدل به طائفة على جواز التوسل به (ص) في حياته وبعد مماته قالوا وليس في التوسل دعاء المخلوقين ولا استغاثة بالمخلوق وانما هو دعاء واستغاثة به تعالى لكن فيه سؤال يجاهه كما في سنن ابن ماجة عن النبي (ص) في دعاء الخارج للصلاة (اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا) الى آخر ما يأتي في الفصل الرابع قالوا فسأله بحق السائلين عليه وبحق ممشاه الى الصلاة والله تعالى قد جعل على نفسه حقاً بقوله (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين . كان على ربك وعداً مسؤولاً) قال : وفي الصحيح عن معاذ بن جبل عن النبي (ص) حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله اذا فعلوا ذلك ان لا يعذبهم وجاء في غير حديث كان حقاً على الله كذا وكذا كقوله في حديث شارب الخمر فان عاد في الثالثة او الرابعة كان حقاً على الله ان يسقيه من طينة الخبال وهي عصارة أهل النار وقالت طائفة ليس في هذا جواز التوسل به في مماته وبعد مغيبه بل في حياته بحضوره كما في صحيح البخاري ان عمر رضي الله عنه استسقى بالعباس فقال اللهم انا كنا اذا اجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون وقد بين عمر انهم كانوا يتوسلون به في حياته

فيستقون وذلك التوسل به انهم كانوا يسألونه ان يدعو الله لهم فيدعوا لهم ويدعون معه فيتوسلون بشفاعته ودعائه . الى ان قال : فهذا كان توسلهم به ولما مات توسلوا بالعباس وما كانوا يستقون به بعد موته ولا في مغيبه ولا عند قبره ولا قبر غيره . الى ان قال : ولم يذكر أحد من العلماء انه يشرع التوسل والاستسقاء بالنبي والصالح بعد موته ولا في مغيبه ولا استحبوا ذلك في الاستسقاء ولا الانتصار ولا غير ذلك من الأدعية والدعاء منع العبادة ومبناها على الاتباع لا الابتداع « انتهى » .

ونقول : التوسل ثابت بنص القرآن العظيم قال الله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) وهي بعمومها شاملة لكل توسل اليه تعالى بما يكرم عليه . وقد دلت الأخبار الكثيرة على ثبوت الوسيلة للانبياء والاصياء والصالحين وقد مر قول النبي «ص» سألو الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا ينبغي ان تكون الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون ذلك العبد ويأتي في فصل الحلف بغير الله قوله «ص» عن الخوارج يقتلهم خير الخلق والخلقة واقربهم عند الله وسيلة . والمراد بالوسيلة الدرجة والمكانة عنده تعالى ولذلك يتوسل ويتشفع به اليه . والتوسل بذوي المكانة عند الله تعالى احياء وامواتا من سنن المرسلين وسيرة الصالحين باي وجه كان من الوجوه الثلاثة السابقة ^(١) بل هو ثابت في الشرائع السابقة . فعن القسطلاني في شرح صحيح البخاري عن كعب الاحبار ان بني اسرائيل كانوا اذا قحطوا استسقوا باهل بيت نبيهم « انتهى » وليس فيه شائبة شيء من العبادة الموجبة للشرك او المنهي عنها فان التوسل لو كان عبادة وكل عبادة لغير الله شرك لأن صرف شيء من انواع العبادة لغير الله كصرف جميعها كما هو محور كلام الوهابية لم يتفاوت الحال بين التوسل بالحي والميت وقد ثبت جواز التوسل بالحي كما اعترف به ابن تيمية في كلامه السابق وصرحت به الاحاديث السابقة التي اوردها وفيها امره بالتوسل به «ص» الى الله تعالى وبسؤاله بحق السائلين عليه وبحق ممشي المصلي الى الصلاة وصرحت بالحق على الله وبالتوسل بالنبي «ص» وبالعباس وجاء ذلك في الاخبار الآتية ايضاً وفيها

(١) ولا يخرج عنها ما ذكره ابن تيمية في كلامه الانف الذكر من ان توسلهم به «ص» في حياته انهم يسألونه الدعاء لهم فيدعوا ويدعون معه فيتوسلون بشفاعته ودعائه فانه اذا جاز التوسل بعمله من الشفاعة والدعاء جاز التوسل به نفسه «ص» وان كان تفسيره للتوسل بذلك قصداً لتوهين امره غير صحيح بل معناه ما ذكرناه في مآل الوجوه الثلاثة السابقة .

قول عمر في العباس هذا والله الوسيلة الى الله والمكان منه واذا ثبت ان التوسل بالحبي ليس عبادة ولا شركا فالتوسل بالميت كذلك لعدم تعقل الفرق فان جواز التوسل به الى الله ان كان لمكانته عند الله فهي لم تذهب بالموت وان كان التوسل به لأجل ان يدعو الله فهو ممكن في حق الميت ولو فرض عدم امكانه لم يوجب الشرك بل يكون مثل طلب المشي من المقعد بزعم انه صحيح كما بيناها مراراً فالتفرقة بين التوسل بالاحياء والأموات تحكم محض وجود بحق وقد فهم الصحابة الذين هم اعلم بالسنة من ابن تيمية واتباعه عدم الفرق وأمر مالك امام المذهب ابا جعفر المنصور ان يتوسل بالنبي «ص» ويستشفع به بعد موته وقال هو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم كل هذا والوهابية يراوغون ويتمحلون ويكفرون المسلمين بما لم يجعله الله مكفراً فاذا قيل لهم هذا قد ثبت في الشرع قالوا ثبت في حق الاحياء الحاضرين دون الأموات والغائبين كأن الله جوز عبادة الاحياء الحاضرين والاشراك بهم ولم يمنع الا من عبادة الأموات والغائبين . ويمنع ابن تيمية من التوسل بالنبي «ص» بعد موته ويعده بدعة ويقول ثبت في الحياة والحضور دون الغيبة وبعد الموت . ونقول لهم : هل زالت حرمة رسول الله «ص» بعد موته وبطلت مكانته عند الله ولم يعد مقرباً لديه اذا فلماذا يعلن باسمه في المآذن في اليوم والليلة خمس مرات وعلى رؤوس المنابر وفي الصلوات كلها مفروضها ومسنونها مقرونا باسمه تعالى في الكل ولماذا يصلى عليه كلما ذكر ولماذا ولماذا؟! . واذا كان التوسل به بعد موته وفي غيبته ايام حياته شركا فكيف صار في حياته وحضوره عبادة وتوحيداً فما يكون شركا لا يكون توحيداً وبالعكس . فان قلتم الفارق ورود النص بالأمر به في الحياة وعدم وروده في غيره . قلنا النص لا يوجب التفريق في الشيء الواحد بين فرديه بحسب الزمان فيجعل أحدهما شركا في زمان وتوحيداً في آخر واذا كان التوسل شركا قبل الأمر لم يحز الامر به ولا يمكن ان يغيره لان الحكم لا يغير الموضوع واذا لم يكن شركا قبل الأمر فهو كذلك في الحياة والحضور والغيبة وبعد الموت وأين قياسكم الذي تتمسكون به في أحكام الدين وكيف ضاق عن هذا الحكم فتورعتم عن الاستدلال به فيه لتستحلوا دماء المسلمين وأموالهم واعراضهم مع ان العلة في التوسل هنا ظاهرة وهي الجاه والمكانة عند الله فتعم كل ذي جاه ومكانة عنده بطاعته له تعالى ويخرج عن القياس المستنبط العلة ويلحق بمنصوصها بل العلة في ذلك

قطعية وهي المكانة الحاصلة بالقرب والطاعة لما هو المعلوم ضرورة ونصاً من انه ليس بين الله وبين أحد هوادة وان اكرم العباد عنده أتقاهم وليس احد خيراً من احد الا بالتقوى فتوقف ابن تيمية في ذلك معتلاً بانه لم ينقل توسلهم به بعد موته ولا في مغيبه وتورعه عنه خوفاً من الابتداع جود في غير محله وكذا ما نقله عن ابن عبد السلام من عدم تجويز ذلك الا للنبي «ص» معلقاً على صحة الخبر فيه وينبغي لهؤلاء ان يقتصروا على التوسل به في حياته وحضوره في المدينة دون مكة وفي يوم كذا وشهر كذا وسنة كذا وساعة كذا وفصل كذا دون الباقي أبطل هذه الأدلة الواهية الواهنة تستحل دماء المسلمين واموالهم وأعراضهم ويحكم بكفرهم وشركهم وان دارهم دار حرب .

ومما يكذب ما زعمه ابن تيمية من انه لم يذكر أحد من العلماء انه يشرع التوسل بالنبي والصالح بعد موته ولا استحبوا ذلك ما نقل عن أئمة المذاهب الأربعة وعلمائهم من التوسل به «ص» في مماته ورجحان ذلك واستحبابه قال السهمودي في وفاء الوفا^(١) وغيره في غيره : قال عياض في الشفا بسند جيد عن ابن حميد أحد الرواة عن مالك فيما يظهر قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله «ص» فقال مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله تعالى أدب قوماً فقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي (الآية) ومدح قوماً فقال ان الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله (الآية) وذم قوماً فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات «الآية» وان حرمة ميتاً كحرمة حياً فاستكان لها ابو جعفر فقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو أم استقبل رسول الله «ص» فقال لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام الى الله يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم (الآية) «انتهى» وفي خلاصة الكلام ذكره اي الحديث القاضي عياض في الشفا وساقه باسناد صحيح وذكره الامام السبكي في شفاء السقام في زيارة خير الانام والسيد السهمودي في خلاصة الوفا والعلامة القسطلاني في المواهب اللدنية والعلامة ابن حجر في تحفة الزوار والجواهر المنظم وذكره كثير من ارباب المناسك في آداب زيارة النبي «ص» قال العلامة ابن حجر في الجواهر المنظم رواية ذلك عن الامام مالك جاءت بالسند الصحيح الذي لا

مطعن فيه وقال العلامة الزرقاني في شرح المواهب ورواها ابن فهد باسناد جيد ورواها القاضي عياض في الشفا باسناد صحيح رجاله ثقات ليس في اسنادها وضاع ولا كذاب قال: ومراده بذلك الرد على من نسب الى مالك كراهية استقبال القبر (انتهى) قال السهمودي و فانظر هذا الكلام من مالك وما اشتمل عليه من أمر الزيارة والتوسل بالنبي «ص» واستقباله عند الدعاء وحسن الادب التام معه (انتهى) فهذا قول مالك امام المذهب مخاطباً به المنصور الخليفة العباسي حتى استكان لكلامه مع انه خليفة الوقت وسلطانه مبيناً به ان حرمة رسول الله «ص» ميتا كحرمة حيا مخاطباً له بخطاب التوبيخ بقوله لم تصرف وجهك عنه ، ناصاً على حسن التوسل به ورجحانه وانه الوسيلة للخلق ووسيلة أبيهم آدم آمراً له باستقبال قبره والتشفع به ضامناً له عليه الشفاعة ناصاً على ان آية ولو انهم اذ ظلموا (الآية) عامة للحياة والمات . كل هذا وابن تيمية يقول انه لم يشرع التوسل بالنبي والصالح بعد موته ولا استحبوا ذلك ويتورع ويخاف من الابتداع بزعمه ويقول الدعاء مخ العبادة ومبناها على الاتباع لا الابتداع ولا يتورع عن نسبة لوازم التجسيم اليه تعالى وعن تكفير المسلمين ونسبتهم الى الشرك ، ثم حكى السهمودي عن ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسين السامري الحنبلي في المستوعب في آداب زيارة النبي «ص» انه يجعل القبر تلقاء وجهه والقبلة خلف ظهره والمنبر عن يساره ويقول في دعائه : اللهم انك قلت في كتابك لنبيك عليه السلام ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك «الآية» واني قد اتيت نبيك مستغفراً فاسألك ان توجب لي المغفرة كما اوجبت لمن اتاه في حياته اللهم اني اتوجه اليك بنبيك «ص» وذكر دعاء طويلاً ، ثم قال : وقال ابو منصور الكرمانى من الجنفية ان كان احد اوصاك بتبليغ التسليم تقول : السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان يستشف بك الى ربك بالرحمة والمغفرة فاشفع ، وقال السهمودي في وفاء الوفا^(١) ما لفظه : وفي كلام اصحابنا ، يعني الشافعية ان الزائر يستقبل الوجه الشريف في السلام والدعاء والتوسل ، انتهى محل الحاجة ، وفي خلاصة الكلام^(٢) والدرر^(٣) السننة ، كلاهما لأحمد بن زيني دحلان : قال العلامة ابن حجر في كتابه الخيرات الحسان في مناقب الامام ابي حنيفة النعمان في الفصل الخامس والعشرين الامام الشافعي أيام هو ببغداد كان

يتوسل بالامام ابي حنيفة «رض» يجيء الى ضريحه يزور فيسلم عليه ثم يتوسل الى الله تعالى به في قضاء حاجاته قال وقد ثبت ان الامام احمد توسل بالامام الشافعي (رض) حتى تعجب ابنه عبد الله ابن الامام احمد فقال له ابوه ان الشافعي كالشمس للناس وكالعافية للبدن ولما بلغ الامام الشافعي ان اهل المغرب يتوسلون الى الله بالامام مالك لم ينكر عليهم (انتهى) وفي الصواعق المحرقة ، لابن حجر ان الامام الشافعي (رض) توسل بأهل البيت النبوي حيث قال :

آل النبي ذريعتي وهم اليه وسيلتي
ارجوهم اعطى غداً بيدي اليمين صحيفتي

(انتهى) فهذا الامام مالك إمام المالكية والسامري الحنبلي والكرماني الحنفي وعلماء الشافعية قائلون بحسن التوسل والتشفع به «ص» بعد موته والامام الشافعي توسل بأهل البيت بعد موتهم وتوسل بالامام ابي حنيفة بعد موته وأقر اهل المغرب على توسلهم بالامام مالك بعد موته وأحمد توسل بالشافعي بعد موته فضلاً عن النبي «ص» وكل هؤلاء من أئمة المذاهب الأربعة وعلمائها. وابن تيمية يقول انه لم يذكر أحد من العلماء انه يشرع التوسل بالنبي والصالح بعد موته . وفي خلاصة الكلام : المرجح عند الحنابلة جواز التوسل بالنبي «ص» بعد موته لصحة الأحاديث الدالة على ذلك فيكون المرجح عندهم موافقاً لما عليه أهل المذاهب الثلاثة . قال : وأما ما ذكره الألويسي في تفسيره من ان بعضهم نقل عن الامام ابي حنيفة رضي الله عنه انه منع التوسل فهو غير صحيح اذ لم ينقله عنه احد من أهل مذهبه بل كتبهم طافحة باستحباب التوسل ونقل المخالف غير معتبر . قال : وقد بسط الامام السبكي نصوص المذاهب الاربعة في استحباب التوسل في كتابه شفاء الأسقام في زيارة خير الأنام فراجع . قال : وفي المواهب اللدنية للامام القسطلاني وقف اعرابي على قبره الشريف «ص» وقال : اللهم انك أمرت بعقوب العبيد وهذا حبيبك وانا عبدك فاعتقني من النار على قبر حبيبك فهتف به هاتف يا هذا تسأل العتق لك وحدك هلا سألت العتق لجميع الخلق يعني من المؤمنين (الخبر) . قال : ثم قال في المواهب عن الحسن البصري وقف حاتم الاصم على قبره «ص» فقال : يا رب انا زرتا قبر نبيك « ص »

كشف الارتباب م ١٧.

فلا تردنا خائبين «الخبر» .

وقال ابن أبي فديك وهو من اتباع التابعين ومن الأئمة الثقات المشهورين ومن المروي عنهم في الصحيحين وغيرهما : سمعت بعض من أدرجت من العلماء والصلحاء يقول بلغنا ان من وقف عند قبر النبي «ص» فقال هذه الآية (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) وقال صلى الله عليك يا محمد حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة . قال : وهذا الذي نقله في المواهب عن ابن أبي فديك رواه عنه البيهقي . قال : ومما ذكره العلماء في آداب الزيارة انه يستحب ان يحدد الزائر التوبة في ذلك الموقف الشريف ويستشفع به «ص» الى ربه عز وجل في قبولها ويكثر الاستغفار والتضرع بعد تلاوة : ولو انهم اذ ظلموا انفسهم « الآية » ويقولون (نحن وفدك يا رسول الله وزوارك جئناك لقضاء حقك والتبرك بزيارتك والاستشفاع بك مما اثقل ظهورنا فليس لنا يا رسول الله شفيع غيرك نؤمله ولا رجاء غير بابك نصله فاستغفر لنا واشفع لنا عند ربك واسأله ان يمن علينا بسائر طلباتنا) . قال : وفي الجوهر المنظم ايضا ان اعرابيا وقف على القبر الشريف وقال : (اللهم ان هذا حبيبك وانا عبدك والشيطان عدوك فان غفرت لي سر حبيبك وفاز عبدك وغضب عدوك وان لم تغفر لي غضب حبيبك ورضي عدوك وهلك عبدك وأنت يا رب اكرم من ان تغضب حبيبك وترضي عدوك وتهلك عبدك اللهم ان العرب اذا مات فيهم سيد اعتقوا على قبره وان هذا سيد العالمين فاعتقني على قبره يا ارحم الراحمين) فقال له بعض الحاضرين يا أخا العرب ان الله قد غفر لك بحسن هذا السؤال . قال : وذكر كثير من علماء المذاهب الأربعة في كتب المناسك عند ذكرهم زيارة النبي «ص» انه يسن للزائر ان يستقبل القبر الشريف ويتوسل الى الله تعالى في غفران ذنوبه وقضاء حاجاته ويستشفع به «ص» قالوا ومن أحسن ما يقول ما جاء عن العتبي وهو مروي أيضا عن سفيان بن عيينة وكل منها من مشايخ الشافعي رضي الله عنه قال العتبي كنت جالسا عند قبر رسول الله «ص» فجاء اعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول . وفي رواية : يا خير الرسل ان الله انزل عليك كتابا صادقا قال فيه : ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيا وقد

جثتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك الى ربي . وفي رواية : واني جثتك مستغفراً ربك عز وجل من ذنوبي ثم بكى وانشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر انت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم استغفر وانصرف فغلبتني عيناى فرأيت النبي « ص » في المنام فقال يا عتبي إالحق الاعرابي فبشره ان الله غفر له فخرجت خلفه فلم أجده « انتهى » وذكر حكاية الاعرابي هذه السهمودي في وفاء الوفا وسياقي نقلها في فصل الزيارة وحكى السهمودي ^(١) عن السبكي ان الآية دالة على الحث بالهوى اليه « ص » والاستغفار عنده واستغفاره لهم وهذه رتبة لا تنقطع بموته وقد حصل استغفاره لجميع المؤمنين لقوله تعالى استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات فاذا وجد مجيئهم واستغفارهم تكملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله ولرحمته وقوله واستغفر لهم معطوف على جاؤك فلا يقتضي كون استغفاره بعد استغفارهم مع انا لا نعلم انه لا يستغفر بعد الموت لما سبق من حياته ومن استغفاره لأمته بعد الموت عند عرض اعمالهم عليه ويعلم من كمال رحمته انه لا يترك ذلك لمن جاءه مستغفراً ربه « انتهى » ثم قال في خلاصة الكلام : قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم روى بعض الحفاظ عن ابي سعيد السمعاني انه روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انهم بعد دفنه « ص » بثلاثة ايام جاءهم أعرابي فرمى بنفسه على القبر الشريف على ساكنه أفضل الصلاة والسلام وحثاً من تراه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله ما وعينا عنك وكان فيما أنزله عليك ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم « الآية » وقد ظلمت نفسي وجثتك تستغفر لي الى ربي « الخبر » قال وجاء ذلك عن علي ايضاً من طريق اخرى « انتهى » وفي وفاء الوفا ^(٢) قال الحفاظ ابو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان في مصباح الظلام ان الحفاظ أبا سعيد السمعاني ذكر فيما رويناه عن علي بن ابي طالب قال قدم علينا اعرابي وذكر مثله ثم قال في خلاصة الكلام ويؤيد ذلك ما صح عنه « ص » حياتي خير لكم تحدثون واحديث لكم ووفاتي خير لكم تعرض علي اعمالكم ما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شر استغفرت لكم (انتهى) .

فهذه اقوال علماء المذاهب الاربعة وسيرة المسلمين خلفا عن سلف متفقة على التبرك بقبر النبي «ص» والتوسل والاستشفاع به «ص» سيما عند قبره ودعاء الله عنده واخبارهم ورواياتهم طافحة بذلك . وابن تيمية يقول لم يذكر أحد من العلماء انه يشرع التوسل بعد موته ولا استحجوا ذلك . أما أئمة اهل البيت الطاهر النبوي فادعيتهم المأثورة عنهم التي تبلغ حد التواتر طافحة بالتوسل يحدهم «ص» وبآله وبحقه وحقهم والاقسام عليه تعالى بهم وهم اعرف بسنة جدكم وباحكام ربهم من ابن تيمية وابن عبد الوهاب واتباعهم من اعراب نجد فهم باب مدينة علم المصطفى وورثة علمه والذين امرنا بان نتعلم منهم ولا نعلمهم لأنهم أعلم منا . فمنه قول امير المؤمنين علي «ع» في الصحيفة العلوية التي جمعها الشيخ عبد الله السماهيجي من ادعيته «ع» في الدعاء الذي علمه أويسا (وبحق السائلين لك والراغبين اليك والمتعوذين بك والمتضرعين اليك وبحق كل عبد متعبد لك في بر او بحر او سهل او جبل) وفي دعائه «ع» عند لقاء العدو وبمحمد رسول الله «ص» اتوجه (وبعد الثامنة من صلاة الليل) اللهم اني اسألك بحرمة من عاذبك منك ولجأ الى عزك واستظل بفيئك واعتصم بحبك ولم يثق الا بك (وبعد الزوال) واتقرب اليك بمحمد عبدك ورسولك واتقرب اليك بلائتكتك المقربين وانبيائك المرسلين (وفي اليوم السادس عشر) واتوجه اليك اللهم لا اله الا انت بنبيك محمد النبي (وفي اليوم الثالث والعشرين) اتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة صلى الله عليه وآله الطيبين الاخيار يا محمد اني اتوجه بك الى الله ربك وربى في قضاء حاجتي . وفي دعاء الحسين بن علي «ع» يوم عرفة المستفيض نقله عنه . اللهم انا نتوجه اليك في هذه العشية التي شرقتها وعظمتها بمحمد نبيك ورسولك وخيرتك من خلقك . وقول علي بن الحسين زين العابدين «ع» في الصحيفة الكاملة التي كفى دليلا على صحة نسبتها بلاغة الفاظها فضلا عن صحة اسانيدها وعظيم شهرتها في دعائه «ع» اذا دخل شهر رمضان : اللهم اني اسألك بحق هذا الشهر وبحق من تعبد لك فيه من ابتدائه الى وقت فئائه من ملك قربته أو نبي ارسلته او عبد صالح اختصته (وفي يوم عرفة) بحق من انتجت من خلقك ومن اصطفيته لنفسك بحق من اخترت من بريتك ومن اجتبيت لشأنك بحق من وصلت طاعته بطاعتك ومن جعلت معصيته كمعصيتك بحق من قرنت موالاته بموالاتك ومن نطت معاداته بمعادتك . وفي دعائه عند زيارة جده أمير المؤمنين «ع» : اللهم فاستجب دعائي واقبل ثنائي واجمع بيني وبين أوليائي بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن

والحسين والأئمة المعصومين من ذرية الحسين . (وفي الدعاء الثلاثين) من ادعية الصحيفة الخامسة له «ع» اللهم فان وسيلتي اليك محمد وآله وبعدم التوحيد (وفي الدعاء الاربعين) واتوجه اليك واتوسل اليك واستشفع اليك بنبيك نبي الرحمة محمد «ص» وأمير المؤمنين علي بن ابي طالب وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عبدك وامينك الخ الى غير ذلك مما يطول الكلام باستقصائه اذ قلما يوجد دعاء من الأدعية المأثورة عن أئمة اهل البيت «ع» على كثرتها لا يوجد فيه شيء من هذا القبيل وكفى به حجة دامغة لمن انكر ذلك .

ومن انواع التوسل به «ص» في حياته وبعد موته تقديم الصلاة عليه قبل الدعاء الذي ورد انه من اسباب اجابة الدعاء كما اعترف به ابن تيمية فيما نقلناه عنه في فصل الاستغاثة وجرت عليه سيرة المسلمين واصبح من ضروريات الدين فانه لا معنى له الا التوسل به «ص» وبالصلاة عليه الى الله في اجابة الدعاء .

ومن انواع التوسل به «ص» استقبال قبره الشريف وقت الدعاء فانه في الحقيقة توسل به «ص» وبقبره الشريف وقد جرت عليه سنة المسلمين خلفاً عن سلف وقرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل وافتنى باستحبابه الامام مالك امام دار الهجرة في قوله للمنصور لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم الى الله تعالى بل استقبله واستشفع به كما مر . وفي خلاصة الكلام : ذكر علماء المناسك ان استقبال قبره الشريف «ص» وقت الزيارة والدعاء أفضل من استقبال القبلة قال العلامة المحقق الكمال ابن الهمام ان استقبال القبر الشريف افضل من استقبال القبلة واما ما نقل عن الامام ابي حنيفة رضي الله عنه ان استقبال القبلة افضل فمردود بما رواه الامام نفسه في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنه انه قال من السنة استقبال القبر المكرم وجعل الظهر للقبلة وسبقه الى ذلك ابن جماعة فنقل استحباب استقبال القبر الشريف عن الامام ابي حنيفة ايضاً ورد قول الكرماني انه يستقبل القبلة وقال ليس بشيء قال في الجوهر المنظم ويستدل لاستقبال القبر ايضاً باننا متفقون على انه «ص» حي في قبره يعلم زائره وهو «ص» لو كان حياً لم يسع الزائر الا استقباله واستدبار القبلة فكذا يكون الأمر حين زيارته في قبره الشريف ثم نقل قول مالك للمنصور المشار اليه آنفاً . ثم قال : قال العلامة الزرقاني في شرح المواهب ان كتب المالكية طافحة باستحباب الدعاء عند القبر مستقبلاً له مستدبراً للقبلة ثم نقل عن مذهب الامام ابي حنيفة والشافعي «ره» والجمهور مثل ذلك . قال : واما مذهب الامام

احمد ففيه اختلاف بين علماء مذهبه والراجح عند المحققين منهم انه يستقبل القبر الشريف كبقية المذاهب « انتهى محل الحاجة من خلاصة انكلام » وممر ما نقله السهمودي عن ابي عبد الله السامري الحنبلي وعن كثير من علماء المذاهب الاربعة في كتب المناسك ان الزائر يستقبل القبر ويستدبر القبلة وقال السهمودي ايضاً في وفاء الوفا^(١) قال عياض قال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي «ص» ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة . قال : وفي رواية نقلها عياض عن المبسوط انه قال لا أرى ان يقف عند القبر يدعو لكن يسلم ويمضي قال السهمودي قلت وهي مخالفة ايضاً لما تقدم في مناظرة المنصور لمالك وكذا لما نقله ابن المواز انه قيل لمالك فالذي يلتزم اتى له ان يتعلق باستار الكعبة عند الوداع قال لا ولكن يقف ويدعو قيل له وكذلك عند قبر النبي «ص» قال نعم . ثم قال : نقل ابن يونس المالكي عن ابن حبيب انه قال ثم اقصد القبر من وجاه القبلة فادن منه وسلم على رسول الله «ص» واثن عليه وعليك السكينة والوقار فانه « ص » يسمع ويعلم وقوفك بين يديه الخ . قال : وقال النووي في رؤوس المسائل عن الحافظ ابي موسى الاصبهاني انه روى عن مالك انه قال اذا أراد الرجل ان يأتي قبر النبي «ص» فيستدبر القبلة ويستقبل النبي «ص» ويصلي عليه ويدعو . قال : وقال ابراهيم الحربي في مناسكه تولى ظهره القبلة وتستقبل وسطه يعني القبر . قال : وروى ابو القاسم طلحة بن محمد في مسند ابي حنيفة بسنده عن ابي حنيفة قال جاء ايوب السخيتاني فدنا من قبر النبي «ص» فاستدبر القبلة واقبل بوجهه الى القبر وبكى بكاء غير متباك . قال : وقال المجد اللغوي روي عن الامام الجليل ابي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك قال سمعت ابا حنيفة يقول قدم ايوب السخيتاني وانا بالمدينة فقلت لانظرن ما يصنع فجعل ظهره مما يلي القبلة ووجهه مما يلي وجه رسول الله «ص» وبكى غير متباك فقام مقام رجل فقيه . ثم قال : قلت فهذا يخالف ما ذكره ابو الليث السمرقندي في الفتاوى عطفاً على حكاية حكاها الحسن بن زياد عن ابي حنيفة من ان المسلم عليه «ص» يستقبل القبلة وقال السروجي الحنفي يقف عندنا مستقبل القبلة قال الكرمانى الحنفي يقف عند رأسه بين المنبر والقبر مستقبل القبلة . قال : وعن أصحاب الشافعي وغيره يقف وظهره الى القبلة ووجهه الى الحظيرة وهو قول ابن حنبل . قال :

وقال محقق الحنفية الكمال ابن المهام ما نقل عن ابي حنيفة انه يستقبل القبلة مردود بما روى ابو حنيفة في مسنده عن ابن عمر قال من السنة ان تأتي قبر رسول الله «ص» من قبل القبلة وتجعل ظهرك الى القبلة وتستقبل القبر وتسلم وقال ابن جماعة في منسكه الكبير ومذهب الحنفية الى ان قال ثم يدور الى ان يقف قبالة الوجه المقدس مستدبر القبلة فيسلم وشذ الكرماني فقال يقف للسلام مستدبر القبر مستقبل القبلة وتبعه بعضهم وليس بشيء ثم حكى السهمودي عن السبكي انه قال : وقول اكثر العلماء هو الاحسن فان الميت يعامل معاملة الحي والحي يسلم عليه مستقبلاً فكذلك الميت وهذا لا ينبغي ان يتردد فيه ثم حكى عن المطري انه لما ادخل بيت رسول الله «ص» وحجرات أزواجه في المسجد وقف الناس مما يلي وجه النبي «ص» واستدبروا القبلة للسلام عليه قال السهمودي وذلك لتعذر استقبال الوجه الشريف قبل ادخال البيت في المسجد ثم قال فاستدبر القبلة في هذه الحالة مستحب كما في خطبة الجمعة والعيدين وسائر الخطب المشروعة كما قاله ابن عساكر في التحفة . الى ان قال : وفي كلام اصحابنا (يعني الشافعية) ان الزائر يستقبل الوجه الشريف في السلام والدعاء والتوسل ثم يقف مستقبل القبلة والقبر عن يساره والمنبر عن يمينه فيدعو ايضاً (انتهى وفاء الوفا) .

وفي الرسالة الاولى من رسائل الهدية السنية اختلفوا في التوسل اليه تعالى بشيء من مخلوقاته هل هو مكروه او حرام والأشهر الحرمة « انتهى » (وفي الرسالة الثانية) منها واما التوسل وهو ان يقول القائل اللهم اني اتوسل اليك بجاه نبيك محمد «ص» او بحق نبيك او بجاه عبادك الصالحين أو بحق عبدك فلان فهذا من اقسام البدعة المذمومة ولم يرد بذلك نص كرفع الصوت بالصلاة على النبي «ص» عند الاذان (انتهى) فذاك حكى تحريره وهذا جعله بدعة ولم يجعله شركاً (والحمد لله) كما مر عن الصنعاني وقد عرفت مما تقدم ورود النصوص الصريحة بذلك واتفاق المسلمين عليه فتوى وعمل حتى بلغ الى حد الضرورة فجعله من البدعة جمود بارد وتشدد في غير محله كرفع الصوت بالصلاة على النبي (ض) عند الاذان فان الصلاة عليه (ض) اذا كانت سنة لم يكن رفع الصوت بها بدعة وكان فاعلها خيراً بين رفع الصوت وخفضه والاخفات بها لاطلاق الدليل ويلزم على قياس قوله ان نبحت عن مقدار الصوت بها الذي كان في عصر السلف فلا تزيد عليه ولا تنقص لئلا تقع في البدعة ومع الجهل نتركها بالكلية لعدم العلم بما ليس بدعة

الفصل الرابع

في الاقسام على الله بمخلوق او بحق مخلوق ونحوه

مثل اقسمت عليك او اقسم عليك بفلان او بحق فلان او سألتك او أسألك بفلان وهذا داخل في التوسل المذكور في الفصل السابق وانما اعدنا ذكره في فصل خاص لكونه نوعا مخصوصا من التوسل وللوهابية كلام فيه بعنوانه الخاص وادلة خاصة به وهو مما منعه الوهابية وحرموه على عاداتهم في التشدد والتضييق على عباد الله فيما وسع الله فيه عليهم وعدم رضاهم بتعظيم من عظمه الله ما وجدوا لذلك حيلة ولا ندري هل يجعلونه كفرا وشركا لا يستبعد منهم ذلك بعد ان جعلوا سؤال الشفاعة من النبي (ص) شركا مع تسليمهم بان الله اعطاه الشفاعة وانه الشفيع المشفع كما مر بيانه في محله وقد جعل الصنعاني التوسل كفرا وشركا كما مر وهذا منه ومر في اواخر الفصل السابق ان بعض الوهابية جعل التوسل بدعة وبعضهم قال ان الاشهر تحريره وفي الرسالة الاولى من رسائل الهدية السنية المنسوبة لعبد العزيز بن محمد بن سعود ان الاقسام على الله بمخلوق منهي عنه باتفاق العلماء^(١) قال وهل هو نهي تنزيه او تحريم قولان اصحها انه كراهة تحريم واختاره العز بن عبد السلام في فتاويه ثم نقل عن ابي حنيفة انه قال لا ينبغي لاحد ان يدعو الله الابه واكره ان تقول بمعاقد العز من عرشك او بحق خلقك وعن ابي يوسف بمعاقد العز من عرشك هو الله فلا اكره هذا واكره بحق فلان او بحق انبيائك ورسلك ثم حكى عن القدوري ان المسألة بحق المخلوق لا تجوز لانه لاحق للمخلوق على الخالق . قال : صاحب الرسالة واما قوله وبحق السائلين عليك ففيه عطية العوفي وفيه ضعف ومع صحته فمعناه باعمالهم لأن حقه تعالى عليهم طاعته وحققهم عليه الثواب والاجابة (انتهى) . وقال : صاحب المنار في الحاشية : المتبادر من معنى هذه الجملة انها سؤال الله تعالى بوعده للسائلين ان يستجيب دعاءهم بمثل قوله (ادعوني استجب لكم) .

ونقول : الاقسام على الله تعالى بكرم عليه من نبي او ولي او عبد صالح او عمل صالح او غير ذلك نوع من التوسل الذي تقدم الكلام فيه في الفصل الثالث وبيننا جوازه ورجحانه

(١) يا عجباً هؤلاء تارة يستدلون باتفاق العلماء واجماعهم وتارة بقول الصنعاني احد مؤسسي مذهبهم ان

وقوعه محال كما مر في المقدمات .

- المؤلف -

وانه ليس ببدعة وانه محبوب لله تعالى وانه تعالى يحب ان يتوسل اليه عبده بانواع الوسائل وكلها لا تخرج عن دعائه وعبادته ومن اجل ذلك جعل الله الشفاعة التي لا ينكرها الوهابية وقبلها واذن فيها والا فأي حاجة له الى الشفيع وهو اعلم بحال عبده وارأف به واغنى عليه من كل احد فجعل الشفاعة كرامة للشفيع ورحمة بالمشفوع به ولانها نوع من عبادته ودعائه والتضرع اليه فهو يحب ذلك كله سواء كان من العبد نفسه او على لسان غيره ولذلك قبل الدعاء بلسان الغير بل جعله ارجى للاجابة . وقول صاحب الرسالة ان الاقسام على الله بمخلوق منهى عنه باتفاق العلماء جزاف من القول ولم يأت بما يثبت سوى ما نقله عن ابي حنيفة وابي يوسف وابن عبد السلام والقنطري كأن علماء الاسلام في جميع الاعصار والامصار انحصرت في هؤلاء الاربعة واين فتوى الشافعي ومالك واحمد ابن حنبل لم ينقلها ان كانوا موافقين واين فتوى باقي العلماء الذين لا يحصي عددهم الا الله هل اطلع على فتاواهم فوجدهم موافقين او لا فكيف تجرأ على دعوى اتفاقهم وكيف يدعي الاتفاق بفتوى اربعة احدهم القنطري وابن عبد السلام وسلفه محمد بن اسماعيل الصنعاني ينكر تحقق الاجماع بعد عصر الصحابة كما مر في المقدمات . واذا كنت تريد ان تعرف مبلغ هؤلاء من العلم والتثبت والتورع في النقل وغيره فخذ لك نموذجا من هذا واذا عرفت ان الاقسام على الله بمخلوق لا يخرج عن التوسل به الى الله تعالى فكان يلزم على الوهابية ان يجعلوه شركا كما جعلوا التوسل لکنهم يلقون الفتاوى جزافا ويفرقون بين المتفقات ويوافقون بين المتفرقات . والحق انه لا كراهية ولا تحريم في ذلك بل هو راجع مستحب لانه نوع من دعاء الله تعالى وعبادته الثابت رجحانه بعموم ادلة الدعاء ولم يثبت شيء يخرج به عن العموم بل وردت النصوص فيه بالخصوص . مثل ما مر في الفصل الثالث مما رواه الحاكم ووضح اسناده والطبراني من قول آدم عليه السلام يارب اسألك بحق محمد لما غفرت لي وما رواه الحاكم في الكبير والوسط من قول رسول الله (ص) اغفر لامي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي . وما سياتي قريبا من قول اسألك بحق السائلين عليك وبحق مشاي هذا وقد ورد في ادعية ائمة اهل البيت عليهم السلام اسألك بمعاقد العز من عرشك بكثرة وهو ينفي احتمال الكراهية كما انه ورد في ادعيتهم عليهم السلام الاقسام على الله بالمخلوق وقد مر في الفصل الثالث وهم الحق

بالاتباع واعلم بسنة جدم (ص) من ابن عبد الوهاب وامثاله . اما استدلال القدوري على تحريمه بانه لا حق للمخلوق على الخالق فباطل . اولاً لان الاقسام على الله بالمخلوق لا يلزم ان يقال فيه اسألك بحق فلان عليك بل يكفي بحق فلان او بفلان فان الحق في اللغة الامر الثابت الواجب من حق يحق حقاً اذا ثبت فتارة يكون ثابتاً للانسان في نفسه من فضل وعلم وشرف وعبادة وزهادة وغير ذلك وتارة ثبت له على غيره . ثانياً دعواه انه لا حق للمخلوق على الخالق ان اريد ان له عليه حقاً حتمياً الزامياً شاء او ابى وتسلباً كحق الدائن على المدين فمسلم ، لكن هذا لا يقول به احد وان اريد ان له عليه حقاً جعله الله على نفسه واكرم به عبده فاي مانع منه واي دليل يقتضي نفيه بل الدليل على ثبوته موجود قال الله تعالى (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين كان على ربك وعدا مسؤولاً) افترك قول الله تعالى في كتابه ونتبع قول القدوري والطنجري . وفي الجامع الصغير للسيوطي ^(١) من رواية الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الايمان عن معاذ حق على الله عون من نكح التماس العفاف عما حرم الله . وفي النهاية الاثرية الحق ضد الباطل ومنه الحديث (اتدري ما حق العباد على الله) اي ثوابهم الذي وعدهم به فهو واجب الانجاز ثابت بوعده الحق (انتهى) ومر في الفصل الثالث ما ذكره ابن تيمية من حديث كان حقاً على الله ان يسقيه من طينة الخبال وقوله جاء في غير حديث كان حقاً على الله كذا وكذا وما نقله في الصحيح حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشرکوا به شيئاً وحق العباد على الله اذا فعلوا ذلك ان لا يعذبهم وما حكاه من رواية ابن ماجة في دعاء الخارج للصلاة اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا الخ وفي خلاصة الكلام ^(٢) انه رواه ابن ماجة بآء ناد صحيح عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ص) من خرج من بيته الى الصلاة فقال اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك واسألك بحق ممشاي هذا اليك فاني لم اخرج اسراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فاسألك ان تعيذني من النار وان تغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت ، اقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون الف ملك . قال : وذكره الجلال السيوطي في

الجامع الكبير وكثير من الأئمة في كتبهم بل قال بعضهم ما من أحد من السلف الا وكان يدعو به . قال : ورواه ابن السني باسناد صحيح عن بلال مؤذن رسول الله (ص) وفيه اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك وبحق مخرجي ، مع بعض التفاوت (قال) ورواه الحافظ ابو نعيم في عمل اليوم والليلة من حديث ابي سعيد بلفظ رواية ابن السني « انتهى » فاذا كان الله تعالى ورسوله قد صرحا بالحق على الله تعالى فهل نتركه ونتبع قول القدوري والمغربي ايها الوهابيون . ومع كل هذا التصريح من الله تعالى ورسوله فهم يتمحلون في رد الاحاديث بالقدح في اسنادها او مفادها لانه يعظم عليهم ان يعظموا احداً ممن عظم الله فيردون ما دل على ذلك بكل وسيلة ترويحاً لشبهتهم وتسكيباً (اما) قدح صاحب الرسالة في حديث بحق السائلين عليك بأن فيه عطية العوفي وفيه ضعف فمردود . حكى الحافظ ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب (١) عن ابن سعد انه قال وكان ثقة انشاء الله وله احاديث صالحة وحكى فيه عن الدوري عن ابن معين انه صالح « انتهى » . وفي خلاصة تذهيب الكمال في اسماء الرجال للحافظ احمد بن عبد الله الانصاري (٢) : عطية ابن سعد بن جنادة العوفي ابو الحسن الكوفي عن ابي هريرة وابي سعيد وابن عباس وعنه ابنه عمر والحسن واسماعيل ابن ابي خالد ومسعر وخلق ، ضعفه الثوري وهشيم وابن عدي ، وحسن له الترمذي احاديث « انتهى » وحكى في الحاشية عن التهذيب : قال ابو حاتم وابن سعد ومع ضعفه يكتب حديثه « انتهى » وفي تهذيب التهذيب عن ابن عدي وابي حاتم انه مع ضعفه يكتب حديثه « انتهى » فدل ذلك على ان احاديثه مقبولة ليس فيها مناكير والذين ضعفوه لم يضعفوه الا لكونه من شيعة علي عليه السلام فرموه بما رموه به « ففي تهذيب التهذيب » عن ابن عدي انه كان يعد مع شيعة اهل الكوفة « وفيه ايضاً » قال ابو بكر : الزرار كان يعده في التشيع روى عنه جلة الناس ، وقال الساجي ليس بحجة وكان يقدم علياً على الكل « انتهى » فدل على ان سبب القدح تقديمه علياً على الكل وكفى به قدحاً عندهم . وفيه عن ابن سعد بسنده عن عطية قال لما ولدت اتي ابي علياً ففرض لي في مائة وقال ابن سعد خرج عطية مع ابن الاشعث فكتب الحجاج الى محمد بن القاسم ان يعرضه على سب علي فان لم يفعل فاضربه اربعمائة سوط واحلق لحيته فاستدعاه فأبى ان يسب فأمضى حكم الحجاج فيه

(١) راجع ج ٧ صفحة ٢٢٤ - ٢٢٦ طبع الهند . (٢) راجع صفحة ٢٢٦ طبع مصر

«انتهى» فهذا الذي هذه حاله وصفته في التصلب في الدين وصبره على البلاء خوفاً من الله تعالى يصدق في حقه قول ابن حبان كما حكاه عنه في تهذيب التهذيب انه سمع من ابي سعيد احاديث فلما مات جعل يجالس الكلبي فاذا حدث الكلبي عن رسول الله (ص) يحفظه وكناهه ابا سعيد. ويروي عنه فاذا قيل له من حدثك بهذا يقول حدثني ابو سعيد فيتوهمون انه الحديري وانما اراد الكلبي «انتهى» ولعل الكلبي كان يكنى بأبي سعيد او هو كناه به كما يدل عليه ما في تهذيب التهذيب عن الكلبي انه قال قال لي عطية كنتك بأبي سعيد فأنا اقول حدثنا ابو سعيد . وما عليه اذا كنى الكلبي بأبي سعيد واخبره بذلك فاذا قوهوا انه الحديري فما ذنبه ولو كان مراده التدليس لم يخبر الكلبي بذلك هذا ان صح النقل لكن الغالب على الظن انه افتراء فمن يتحمل ضرب اربعمائة سوط وحلق لحيته ولا يسب عليا هل يتعمد ابدال الكلبي بأبي سعيد ليتوهموا انه الحديري ان هذا مالا يكون وما الذي يدعوه الى ذلك «وابن حبان» هذا هو الذي قال في حق الامام علي بن موسى الرضا امام اهل البيت في عصره الذي حين روى لعلاء نيسابور حديث سلسلة الذهب المشهور كتب عنه ذلك الحديث من اهل الحجاز والدوي ما ينوف عن عشرين الفا وكان المستطلي ابو زرعة ومحمد بن اسلم الطوسي والناس ما بين صارخ وباك ومتعرج في التراب ومقبل لحافر بقلته . فقال ابن حبان في حقه كما في كتاب الانساب للسمعاني المطبوع ببلاد المانيا : يروي عن ابيه المعائب كان يهم ويخطيء (انتهى) وتعمقه بعض العلماء في الحاشية بقوله : انظر الى هذه الجرأة العظيمة من هذا المغرور وكيف يوهم ويخطيء ابن رسول الله ووارث علمه احد علماء العترة النبوية وامامهم الجمع على غزارة علمه وشرفه وليت شعري كيف ظهر لهذا الناصبي الذي افنى عمره في علم الرسوم لاجل الدنيا حتى قال بها قضاء بلخ وغيرها وهم علي بن موسى الرضا وخطاؤه وبينها نحو مائة وخمسين عاما لولا بغض القريبى النبوية التي امر الله بحبها ومودتها وامر رسوله عليه السلام بالتمسك بها فانهم الله اني يؤفكون» انتهى» وما يدل علي وثاقة عطية رواية جلة الناس عنه كما اعترف بها البزار وكثرة من روى عنهم ورووا عنه من الصحابة وغيرهم «ففي تهذيب التهذيب: روى عن ابي سعيد وابي هريرة وابن عباس وابن عمرو وزيد بن ارقم وعكرمة وعدي ابن ثابت وعبد الرحمن بن جندب وقيل ابن جناب . روى عنه ابنه الحسن وعمر والاعمش

والحجاج بن ارطاة وعمرو بن قيس الملائي ومحمد بن جعدة ومحمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى ومطرف بن طريف واسماعيل بن ابي خالد وسالم بن ابي حفصة وفراس بن يحيى وابو الجحاف وزكر بن ابي زائدة وادريس الأودي وعمران البارقى وزباد بن خيشمة الجعفي وآخرون « انتهى » وقد أورد حديثه أئمة الحديث في صحاحهم كالبخاري في الادب المفرد وابو داود والترمذي وابن ماجة القزويني كما يدل عليه وضع صاحب مختصر تذهيب الكمال على اسمه رمز (بخ دتق) الذي هو رمز الى هؤلاء اما قول صاحب الرسالة ومع صحته فمعناه باعمالهم الخ فلا يظهر له معنى محصل ومع ذلك ففيه اعتراف بثبوت الحق لهم على الله بمعنى الثواب والاجابة وجواز القسم به وقول صاحب المنار في الحاشية ان المتبادر من هذه الجملة انها سؤال الله تعالى بوعده للسائلين ان يستجيب دعاءهم الخ لا ينفي الحق على الله تعالى بل يؤيده وهو ما جعله على نفسه بوعده الصادق من اجابة دعاء من دعاه .

الفصل الخامس في الحلف بغير الله تعالى

وهذا منعه الوهابية وبعضهم جعله شركا على الاطلاق وبعضهم شركا اصغر فمن صرح به بانه شرك على الاطلاق الصنعاني في تطهير الاعتقاد فانه بعدم ذكر ان القبوريين سلكوا مسالك المشركين حذوا القذة بالقذة وعد اعمالهم الموجبة لذلك قال ^(١) ويقسمون باسمائهم بل اذا حلف من عليه حق باسم الله تعالى لم يقبل منه فاذا حلف باسم ولي من اوليائهم قبلوه وصدقوه وهكذا كانت عبادة الأصنام (واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون) وفي الحديث الصحيح (من حلف فليحلف بالله أو ليصمت) وسمع رسول الله (ص) رجلا يحلف باللات فامرته ان يقول لا إله إلا الله - وهذا يدل على انه ارتد بالحلف بالصنم فامرته ان يجدد اسلامه فانه قد كفر بذلك « انتهى » . ثم قال ^(٢) بعدما ذكر ان رأس العبادة واساسها الاعتقاد وقد حصل في قلوبهم ذلك بل يسمونه معتقداً ويصنعون له ما سمعته تفرع عن الاعتقاد وعد من جلته الحلف وفي الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية

الشرك شركان اكبر وله انواع ومنه الذي تقدم (يعني طلب الشفاعة من المخلوق والتوسل . وغيره) واصغر كالرياء والسمعة ومنه الحلف بغير الله لما روى ابن عمر رضي الله عنه عن رسول الله «ص» من حلف بغير الله فقد اشرك اخرج الامام احمد وابو داود والترمذي والحاكم وصححه ابن حبان وقال «ص» ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله او ليصمت اخرج الشيخان قال والشرك الاصغر لا يخرج عن الملة وتجب التوبة منه «انتهى» .

ونقول قد وقع القسم بغير الله تعالى من الله تعالى ومن النبي «ص» ومن الصحابة والتابعين وجميع المسلمين خلفاً عن سلف . اما من الله تعالى فانه قد اقسم في كتابه العزيز بكثير من مخلوقاته كما أقسم بذاته وبعره وجلاله مثل قوله تعالى (والعصر ان الانسان لفي خسر . والعاديات ضبحا فلموريات قدحا فالمغيرات صبحا . والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمديرات امرا . والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا . والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات امرا . والصفات صفا فالزاجرات زجرا فالملقيات ذكرا . والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الامين . والضحى والليل اذا سجد . والليل اذا يغشى . والنهار اذا تجلى . والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها . والسماء ذات الارجع والارض ذات الصدع . والسماء ذات الحجب . والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود . والسماء والطارق . والنجم اذا هوى . والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر . ن والقلم وما يسطرون . والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور . لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة . لا أقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ووالد وما ولد . فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم . فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس . لا أقسم بيوم الدين . فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون . فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق . لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) — لا يقال صدوره من الله تعالى لا يستلزم جواز

صدوره منا فهو لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . لآنا نقول : انا نريد ان صدوره منه تعالى يدل على انه لا قبح فيه لانه تعالى منزّه عن فعل القبيح فلا يكون صدوره منا قبيحاً ونعم القدوة الله تعالى واذا كان الله تعالى قد جعل لنفسه شريكاً واشرك بالشرك الاصغر (تعالى عن ذلك) فما على من اقتدى به في ذلك بأس . وقول القسطلاني في ارشاد الساري ^(١) : الله تعالى ان يقسم بما شاء من خلقه ليعجب به المخلوقين ويعرفهم قدرته لعظيم شأنها عندهم ولدالاتها على خالقها واما المخلوق فلا يقسم الا بالخالق قال :

ويقبح من سواك الشيء عندي وتفعله فيحسن منك ذاكا

(انتهى) كلام قشري لما عرفت من ان ما يقبح من العبد لكونه شركاً اصغر وتشبيهاً للخلق في العظمة به تعالى لا يمكن ان يحسن منه تعالى اذ صدوره منه تعالى لا يخرج عنه تلك الصفة ان كانت والشعر الذي اورده لا يرتبط بما نحن فيه كما لا يخفى ، واما من النبي (ص) فعلاً وتقريراً فما رواه مسلم في صحيحة ^(٢) انه جاء رجل الى النبي (ص) فقال يا رسول الله اي الصدقة اعظم اجراً فقال اما وايك لتبأنه ان تصدق وانت صحيح شحيح تحشى الفقر وتأمل البقاء (الحديث) وروى مسلم ايضاً في كتاب الايمان ^(٣) انه جاء رجل الى رسول الله (ص) من اهل نجد يسأل عن الاسلام فقال رسول الله (ص) خمس صلوات في اليوم والليلة وصيام شهر رمضان والزكاة ومع كل واحدة يقول : هل علي غيرها وهو «ص» يقول لا الا ان تطوع فادبر الرجل وهو يقول والله لا ازيد على هذا ولا انقص منه فقال رسول الله (ص) افلح وابيه ان صدق او دخل الجنة وابيه ان صدق (وحكى) القسطلاني في ارشاد الساري ^(٤) عن ابن عبد البر ان هذه اللفظة منكورة غير محفوظة تردها الآثار الصحاح « انتهى » (اقول) بل يعضدها حديث اما وايك لتبأنه قال وقيل انها مصحفة من قول والله قال القسطلاني وهو محتمل ولكن مثل هذا لا يثبت بالاحتمال لا سيما وقد ثبت من لفظ ابي بكر الصديق في قصة السارق الذي سرق حلي ابنته فقال وايك ماليلك بليل سارق اخرجه في الموطأ وغيره (انتهى) « قال القسطلاني » واحسن الاجوبة ما قاله البيهقي وارتضاه النووي وغيره ان هذا اللفظ كان يجري على ألسنتهم من غير ان

(١) صفحة ٣٥٨ ج ٩ (٢) صفحة ٤١٩ ج ٤ (٣) صفحة ٢٢٤ - ٢٢٧ ج ل بهامش

ارشاد الساري (٤) صفحة ٣٥٧ ج ٩

يقصدوا به القسم او ان التقدير اقلح ورب ابيه (انتهى) « وفيه » ان العرب تقصد به القسم والا كان اتيانه عبثاً وهذراً والحذف لا دليل عليه وقال ابو طالب عم النبي (ص) كذبتهم وبيت الله نبزي محمداً ولما نطاعن دونه وتناضل

سمع ذلك رسول الله (ص) ولم ينكره « واما الحلف بغير الله من الصحابة والتابعين وجميع المسلمين » فقد سمعت قول ابي بكر وابيك ووقع الحلف من الكل بلفظ لعمرى او لعمر ابيك ونحو ذلك في الشعر والنثر بكثرة لا يمكن معها ضبطه وهو قسم باتفاق اهل اللغة وحلف بالعمر بفتح العين وهو الحياة او الدين كما فسرهم اهل اللغة بل جعله النحويون نصاً في القسم قال ابن مالك في ألفيته :

وبعد لولا غالباً حذف الخبر حتم وفي نص يمين ذا استقر

وقال ابنه في الشرح الثاني خبر المبتدأ الصريح في القسم نحو لعمرى لافعلن (انتهى) وكذا ذكر ابن هشام في كتبه وغيرهم من النحويين « ففي كتاب علي الى معاوية » لعمرى لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني ابرأ الناس من دم عثمان (وفي كتاب آخر له اليه) فلمعمرى لو كنت الباغي لكان لك ان تخوفني « وفي كتاب معاوية اليه » فان كنت اباحسن اتما تحارب عن الامارة والخلافة فلمعمرى لو صحت لكنت قريباً من ان تعذر في حرب المسلمين وللعسين بن علي (ع) :

لعمرى انني لاجب داراً تحل بها سكينه والرباب

وقال ولده علي بن الحسين (ع) من كلام يخاطب به اهل الكوفة ولعمرى ماهي منكم بتكر (ع) اخوه علي بن الحسين الاكبر يوم كربلاء :

اذا علي بن الحسين بن علي نحن وبيت الله اولى بالنبي

ولما جمع عبد الله بن عمر العنسي وكان من عباد اهل زمانه رواية عمرو بن العاص عن النبي (ص) ان عماراً تقتله الفئة الباغية خرج ليلاً فاصبح في عسكر علي وحدث الناس بقول عمرو وقال من جملة ابيات :

والراقصات بركب عامدين له ان الذي جاء من عمرو لماثور

ما في مقال رسول الله في رجل شك ولا في مقال الرسل تحييد

رواه نصر بن مزاحم في كتاب صفين مسنداً عن رجاله « وما » يدل على جواز الحلف

بغير الله من العظماء ما رواه احمد بن حنبل في مسنده عن عائشة قال لها مسروق سألتك بصاحب هذا القبر ما الذي سمعت من رسول الله (ص) يعني في حق الخوارج قالت سمعته يقول انهم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة واقربهم عند الله وسيلة . فان قوله سألتك بصاحب هذا القبر بمنزلة قوله اقسمت عليك به ولا فرق بين ان يقول القائل اقسم بفلان واقسم عليك بفلان (وقوله) واقربهم عند الله وسيلة من ادلة جواز التوسل كما مر .

اما حديث من حلف بغير الله فقد اشرك فهو في مسند احمد عن ابن عمر كان يحلف : وابي فنهاه النبي (ص) قال من حلف بشيء دون الله فقد اشرك وقال الاخر وهو شرك « انتهى » ^(١) اما المنقول عن الترمذي وصححه الحاكم فهو ان ابن عمر سمع رجلا يقول لا والكعبة فقال لا تحلف بغير الله فاني سمعت رسول الله «ص» يقول من حلف بغير الله فقد كفر او اشرك « وهو » محمول اما على الكراهة الشديدة واطلاق الشرك عليه من باب المبالغة بيانا لشدة الكراهة فقد ورد اللعن على فعل المكروه كلعن المحلل والمحل له كما بيناه في مقام آخر ويؤيده قوله في الرواية كان يحلف وابي الدال على ان ذلك كان عادة له مستمرة فهو شبه الاعراض عن الله تعالى ويؤيده ما في الروايات الاخر كما يأتي كانت قريش تحلف بابائها وقول عمر وابي وابي « قال القسطلاني » في ارشاد الساري شرح صحيح البخاري ^(٢) بعد نقل رواية الترمذي والتعبير بذلك يعني الكفر والشرك للمبالغة في الزجر والتغليظ وهل النهي للتحريم او للتنزيه ؟ المشهور عند المالكية الكراهة وعند الحنابلة التحريم وجمهور الشافعية انه للتنزيه وقال امام الحرمين : المذهب القطع بالكراهة وقال غيره بالتفصيل فان اعتقد فيه من التعظيم ما يعتقده في الله حرم وكفر بذلك الاعتقاد وان حلف لاعتقاد تعظيم المخلوق به على ما يليق به من التعظيم فلا يكفر (انتهى) . واما على الحلف بالاصنام كما يشير اليه الحديث الانف الذكر في كلام الصنعاني فيمن حلف باللات مما

(١) كذا وجدنا هذه العبارة في المسودة ولم نحضرنا نسخة مسند احمد عند تبويضها فلتراجع - المؤلف -

(٢) ص ٣٥٨ ج ٩

يدل على ان ذلك كان يقع منهم بعد اسلامهم لقرب عهدهم بالشرك لكن ذلك لا يتأتى على رواية احمد لأن فيها انه كان يحلف وابي او على الحلف بغير الله باعتقاد مساواته لله تعالى او على الحلف بالبراءة ونحوها كأن يقول ان فعل كذا فهو يهودي او بريء من الاسلام او من الله او من رسوله فانه اما محرم فقط او موجب للكفر ان قصد الرضا بذلك اذا فعله ولكنه لا يتأتى على رواية احمد كما عرفت او على الحلف في مقام القضاء والمرافعة لاثبات حق او نفيه الذي لا يجوز بغير الله تعالى وجعله شركا لتأكيد التحريم او غير ذلك من المحامل فان جواز الحلف بغير الله تعالى في غير ذلك قطعي بل من ضروريات الاسلام يعرف جوازه الخواص والعوام والنساء والصبيان ولو كان حراما لاشتهر اشتهاش الشمس في رابعة النهار لكثرة الابتلاء به ولم يخف على الناس كلها ويظهر للوهابية وحدهم وستعرف اتفاق الأئمة الاربعة على الجواز . اما حديث النهي عن الحلف بالأباء فرواه احمد في مسنده ايضا كما رواه الشيخان وصدره ان النبي (ص) سمع عمر وهو يقول وابي وفي الرواية وابي وابي مكرراً فقال ان الله ينهاكم الخ وفي رواية لمسلم الاقتصار على من كان حالفاً فلا يحلف الا بالله . قال : وكانت قريش تحلف بأبائهم فقال لا تحلفوا بأبائكم وهو كالذي سبق محمول اما على الكراهة او على عدم الانعقاد فيكون ارشادياً كما في النهي عن بيع الغرر، اي بيع المجهول اي انه لا يترتب عليه آثار اليمين من وجوب الوفاء ولزوم الكفارة بمخالفته وغير ذلك او على الحلف في مقام المرافعة او غير ذلك . قال النووي : في شرح صحيح مسلم ^(١) في شرح ان الله ينهاكم ان تحلفوا بأبائكم فيه النهي عن الحلف بغير اسمائه تعالى وصفاته وهو عند اصحابنا . يعني الشافعية مكروه وليس مجرام (انتهى) . وصرح الخطيب الشربيني الشافعي في الاقناع بان اليمين بالخلق مكروه ومثله عن شرح المنهاج واقتى احمد بن حنبل الذي ينسب الوهابية انفسهم اليه ويقولون انهم على مذهبه يجوز الحلف بالنبي (ص) وانه ينعقد لأنه احد ركني الشهادة فهذا امامهم ومقدم واحد ائمة مذاهب الاسلام الاربعة يفتي بجواز الحلف بالخلق وانه مكروه وهم يعملونه شركا او شركا اصغر . قال الشعراني في ميزانه : ومن ذلك قول احمد انه لو حلف بالنبي (ص) انعقد بينه فان حلف لزمته الكفارة (انتهى) بل الأئمة الاربعة قائلون بجواز الحلف بالنبي

(١) ص ١١٩ ج ٧ بهامش ارشاد الساري .

(ص) بل وغيره من المخلوقات لكنه مكروه . انما الخلاف في انعقاد الحلف بالنبي (ص) ولزوم الكفارة بالحنث . والحاصل ان الحلف بالله تعالى له احكام خاصة لا تترتب على غيره كفصل الخصومات به وترتب الاثم والكفارة على مخالفته . ومذهب أئمة اهل البيت عليهم السلام جواز الحلف بغير الله تعالى عدا البراءة فيحرم الحلف بها ولكنه لا ينعقد بغير الله تعالى ولا تسقط به الدعوى . اما قول الصنعاني انه اذا حلف من عليه حق باسم الله لم يقبل منه واذا حلف باسم ولي قبلوه وصدقوه . فجوابه انه انما يصدر ذلك من عوام الناس وجهالهم ، واهل المعرفة براء منه فهل تستحل دماء المسلمين واموالهم لأمر يصدر من بعض جهالهم مع كونه ايضاً لا يوجب شركاً ولا كفراً وان كان خطأ . واما استشهاده بحديث من حلف باللات فأمره (ص) ان يقول لا اله الا الله فعجيب فانه ما حلف باللات الا على عادته التي كانت له قبل الاسلام من جعلها آلهة وعبادتها من دون الله وهي حجر لا تضر ولا تنفع وليس لها شرف يصحح الحلف بها فأمره بقول لا اله الا الله ردعا له عن ذلك الحلف فقياسه الحلف بعظيم عند الله على ذلك بمكان من الغرابة سواء كان ذلك موجبا للكفر اولا . اما قوله : رأس العبادة واساسها الاعتقاد النح فقد مر الكلام عليه في لباب الثاني .

الفصل السادس

في التعبير عن غيره تعالى بالسيد والمولى ونحو ذلك بصيغة الخطاب وغيره

وهذا ايضا مما جعله الوهابية موجبا للشرك ففي الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية ^(١) بعدما ذكر تحريم عمارة القبور قال ويضاف الى عمارتها دعاء اصحابها ، الى ان قال : وخطابهم يا سيدي يا مولاي اقل كذا وكذا ، وبهذا عبدت اللات والعزى الى آخر ما قال وتقدم في الباب الثاني قول محمد بن عبد الوهاب وانما يعنون . اي المشركون بالاله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد وفي خلاصة الكلام ان محمد بن عبد الوهاب يزعم ان من قال لأحد مولانا او سيدنا فهو كافر .

ونقول : اطلاق لفظ السيد على غير الله تعالى وندائه به صحيح لا محذور فيه فانه لا يراد به الملكية الحقيقية المساوية للمكيته تعالى ولا يقصد احد من المسلمين ذلك ولو فرض

انا جهلنا قصدكم لوجب حمل كلامهم على الصحيح وقد ورد اطلاق السيد على غيره تعالى في القرآن الكريم بقوله تعالى في يحيى بن زكريا (وسيداً وحصوراً. والفيها سيدها لدى الباب) وفي كلام النبي (ص) بما يبلغ حد التواتر. روى البخاري في الادب المفرد من حديث جابر عنه (ص) من سيدكم يا بني سلمة قالوا الجذ بن قيس. وعن ابي هريرة عنه (ص) انا سيد ولد آدم يوم القيامة. وفي رواية انا سيد ولد آدم ولا فخر. وعن عائشة عنه (ص) انا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب. وعن ابي سعيد الخدري عنه (ص) الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة. وعن الترمذي عن فاطمة اخبرني النبي (ص) اني سيدة نساء العالمين. وعن ابي نعم الحافظ في حلية الأولياء عنه (ص) ادعوا لي سيد العرب علياً. وعن الحلية ايضاً انه (ص) قال لعلي مرحباً بسيد المؤمنين. وعن عائشة انه (ص) سار الزهراء فقال لها اما ترضين ان تكوني سيدة نساء العالمين. وعنه (ص) سادات النساء اربعة : خديجة وفاطمة ومريم وآسية. وفي الفائق للزنجشري^(١) قال (ص) لأصحابه ارايتم لو ان رجلاً وجد مع امرأته رجلاً كيف يصنع به فقال سعد بن عبادته والله لأضربنه بالسيف ولا انتظر ان آتي باربعة شهداء فقال رسول الله «ص» انظروا الى سيدنا هذا ما يقول وروي الى سيدكم (وفي النهاية) في الحديث قالوا يا رسول الله من السيد فقال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام قالوا فما في امتك من سيد قال بلى من آتاه الله مالا ورزق سمحة فادى شكره. وقلت شكايته في الناس. قال : وفيه انه «ص» قال للحسن بن علي ان ابني هذا سيد. وفيه انه قال للانصار قوموا الى سيدكم يعني سعد بن معاذ «انتهى» وأشار بذلك الى ما رواه احمد بن حنبل^(٢) بسنده عن ابي سعيد الخدري نزل اهل قريضة على حكم سعد بن معاذ فارسل اليه رسول الله «ص» فاتاه على حمار فلما دنا قريباً من المسجد قال «ص» قوموا الى سيدكم او خيركم (الحديث) ورواه البخاري^(٣) نحوه (وكذلك في كلام الصحابة) فعن البخاري عن جابر ان عمر كان يقول ان ابا بكر سيدنا واعتق سيدنا يعني بلالا. وعن ابي بكر انه قال اتقولون هذا شيخ قريش وسيدهم (وعن علي) انا سيد البطحاء. وفي الفائق

(١) صفحة ٣٠٨ طبع الهند (٢) صفحة ٢٢ ج ٣ (٣) صفحة ١٤٦ ج ٩ ارشاد الساري.

للزخشري قالت ام الدرداء حدثني سيدي ابو الدرداء . وفي النهاية في حديث عائشة كان سيدي رسول الله «ص» الخ .

هذا وفي بعض الاخبار ما يوم عدم جواز اطلاق السيد على غير الله . اورد السيوطي في الجامع الصغير عن الديلمي في مسند الفردوس عن علي : السيد الله واورد العريزي في شرح الجامع الصغير عن مسند ابي داود انه جاء وفد بني عامر الى النبي «ص» فقالوا انت سيدنا فقال السيد الله (الحديث) . والجمع بينه وبين ما مر باختلاف القصد في معنى السيد او بانه قال ذلك تواضعا اي السيد الحقيقي هو الله . وفي النهاية : أي هو الذي تحق له السيادة كأنه كره ان يحمّد في وجهه واحب التواضع «انتهى» . وكذا ما ورد من النهي عن قول السيد: عبدي وامتي، روى البخاري في حديث^(١) ولا يقل احدكم عبدي ، امتي . وفي رواية لمسلم لا يقولن احدكم عبدي فان كلّم عبيد الله . وفي رواية لابي داود والنسائي فانكم المملوكون والرب الله مع قوله تعالى (والصالحين من عبادكم وامائكم . عبدا مملوكا . اذكرني عند ربك) فهذه المناهي للتنزيه قصداً للتواضع (وحاش لله) ان يقصد المسلمون من اطلاق لفظ السيد على غير الله تعالى ينافي اخلاص العبادة كيف وهم يعلمون ان ما عداه لا يملكون لانفسهم ولا لغيرهم نفعا ولا ضرا الا بامر الله تعالى وارادته واقداره . فقول ابن عبد الوهاب وانما يعنون بلفظ الاله ما يعني المشركون بلفظ السيد افتراء على المسلمين فلا يريد المسلمون الذين سماهم المشركين بلفظ السيد غير ما اريد في الاستعمالات الواردة في كلامه تعالى وفي كلام النبي «ص» والصحابة التي مر نقلها من الرئيس والافضل ونحو ذلك . أما ما يريده المشركون بلفظ الاله فقد عرفت بما بيناه مراراً انه يخالف ذلك فراجع .

الفصل السابع في النحر والذبح

وهذا مما كفر به الوهابية المسلمين ونسبوه الى الشرك فزعموا انهم يذبحون وينحرون للاموات والقبور ويقربون لها القرابين وان ذلك كالذبح والنحر للانصام الذي كانت تفعله اهل الجاهلية الموجب للشرك . صرح بذلك ابن عبد الوهاب في كلامه المتقدم في

(١) ص ٣١٢ ج ٤ ارشاد الساري .

الباب الثاني المنقول عن رسالته كشف الشبهات حيث قال ان النبي «ص» قاتل المشركين لتكون جملة اشياء الله تعالى وعد منها الذبح وقال في الرسالة المذكورة ^(١) في اثناء كلام له علم به اصحابه كيف يحتجون على غيرهم : فقل هل الصلاة والنحر لله عبادة اذ يقول (فصل لربك وانحر) فلا بد ان يقول نعم فقل اذا نحرت لمخلوق نبي او جني او غيرها هل اشركت في هذه العبادة غير الله فلا بد ان يقول نعم فقل المشركون هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغيرها فلا بد ان يقول نعم فقل وهل كانت عبادتهم ايام الا في الدعاء والذبح والالتجاء والا فهم مقرون انهم عبيد الله تحت قهره . وصرح بذلك الصنعاني في عدة مواضع من كلامه المتقدم في الباب الثاني . كقوله : ان افراد الله بتوحيد العبادة لا يتم الا ان تكون اشياء الله وعد منها النحر . وقوله : ان تعظيمهم الاولياء ونحرهم لهم النحائر شرك والله تعالى يقول (فصل لربك وانحر) اي لا لغيره كما يفيدته تقديم الظرف . وقوله : ان النحر على القبر بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية لما يسمونه وثنا وصنا وفعله القبوريون لما يسمونه ولياً وقبراً ومشهداً الخ . وقوله : ونحرم النحائر لهم شرك . وقال الصنعاني في رسالة تطهير الاعتقاد ايضا فان قال انما نحرت لله وذكرت اسم الله عليه فقل ان كان النحر لله فلاي شيء قربت ما تنحره من باب مشهد من تفضله وتعتقد فيه هل اردت بذلك تعظيمه ان قال نعم فقل له هذا النحر لغير الله بل اشركت مع الله تعالى غيره وان لم ترد تعظيمه فهل اردت توسيع باب المشهد وتنجيس الداخلين اليه انت تعلم يقينا انك ما اردت ذلك اصلا ولا اردت الا الاول ولا خرجت من بيتك الا قصده . الى ان قال : فهذا الذي عليه هؤلاء شرك بلا ريب « انتهى » وصرح بذلك الوهابيون في كتابهم الى شيخ الركب المغربي المتقدم في الباب الثاني حيث عدوا من جملة اسباب الشرك التقرب الى الموتى بذبح القرىبان .

ونقول : النحر والذبح « قد يضاف لله تعالى » فيقال ذبح لله ونحر لله ومعناه انه نحر لوجهه تعالى امتثالاً لامره وتقرباً اليه كما في الاضحية بمنى وغيرها والفداء في الاحرام والعقيقة وغير ذلك وهذا يدخل في عبادته تعالى او نحر باسمه تعالى فذكر اسمه على المنحور وهذا لا ربط له بالعبادة انما هو شرط في حلية الذبيحة مع التفتن لقوله تعالى ولا

تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه « وقد يضاف الى المخلوق » فيقال ذبحت الدجاجة للمريض ونحرت البعير او ذبحت الشاة للاضياف او ذبحت كذا لفلان تريد الذي امرك بالذبح وهذا لا محذور فيه . وقد يضاف الى المخلوق بقصد التقرب اليه كما يتقرب الى الله طلباً للخير منه مع كونه حجراً وجماداً لا يضر ولا ينفع ولا يعقل ولا يسمع سواء كان تمثالاً لنبي أو صالح أو غير ذلك ومع نهي الله تعالى عن ذلك ويذكر اسمه على المنحور والمذبح ويعرض عن اسم الله تعالى فيجعل نظيراً لله تعالى وندا له ويطلو بدم المنحور او المذبح قصد التقرب اليه مع كون ذلك عبثاً ولغواً نهى عنه الله تعالى كما كان يفعل المشركون مع اصنامهم وهذا قبيح منكر بل شرك وكفر سواء سمي عبادة او لا . وهذا ما توهم الوهابية ان المسلمين يفعلون مثله للانبياء والاوصياء والصلحاء فينحرون ويزبحون لهم عند مشاهدتهم او غيرها ويقربون لهم القرابين كما كان عبدة الاصنام والاثوان يفعلون ذلك باصنامهم واوثانهم وهو قوم فاسد فان ما يفعله المسلمون لا يخرج عن الذبح والنحر لله تعالى لأنه يقصد اني اذبح هذا في سبيل الله لاتصدق بلحمه وجلده على الفقراء او مطلق عباد الله واهدي ثواب ذلك لرب الشهيد . والذبح الذي يقصد به هذا يكون راجحاً وطاعة لله تعالى وعبادة له سواء اهدي ثواب ذلك لنبي او ولي او اب او ام او اي شخص من سائر الناس ونظيره من يقصد اني اطحن هذه الحنطة لاعجنها واخبزها واتصدق بخبزها على الفقراء واهدي ثواب ذلك لأبوي فأفعاله هذه كلها طاعة وعبادة لله تعالى لا لأبويه ولا يقصد احد من المسلمين بالذبح لنبي او غيره ما كانت تقصده عبدة الاوثان من التقرب اليها بالذبح لها ولا يفعل ما كانت تفعله من ذكر اسمها على الذبيحة والاهلال بها لغير الله وطلبها بدمها مع نهي الله تعالى لهم عن ذلك ولو ذكر احد من المسلمين اسم نبي او غيره على الذبيحة لكان ذلك عندهم منكراً وحرمت الذبيحة . فليس الذبح لهم بل عنهم بمعنى انه عمل يهدي ثوابه اليهم كسائر اعمال الخير او لهم باعتبار ثوابه ولذلك لا ينافية قولهم ذبحت لفلان او اريد ان اذبح لفلان او عندي ذبيحة لفلان ، لو فرض وقوعه فالمقصود في الكل كونها له باعتبار الثواب وهذا كما يقال ذبحت للضيف او للمريض او لفلان الامر بالذبح او نحو ذلك بل لو قصد بالذبح امتثال امر الامر به من المخلوقين وطلب رضاه واتي به على وجهه من شرائط الذبح الشرعية لم يكن بذلك آثماً ولا عابداً للامر ولا مشركاً مع انه لو وقع مثل ذلك امتثالاً لأمره تعالى كما في الأضحية ونحوها لكان عبادة له تعالى كما مر . وكل من

يأمرهم السلطان ابن سعود بالذبح أو النحر من خدمه وعبيده واتباعه حالهم كذلك مع أنهم هم الموحدون الوحيدون .

والحاصل ان المسلمين لا يقصدون من الذبح للنبي أو الولي غير اهداء الثواب اما انعارفون منهم فعالمهم واضح في أنهم لا يقصدون غير ذلك واما الجهال فانما يقصدون ما يقصد عرفاؤهم ولو اجمالا حتى لو فرض وقوع اضافة الذبح الى النبي أو الولي كما مر فليس المقصود الا كون ثوابها له لا يشك في ذلك الا معاند . ولو سألنا عارفا أو عاميا أي كان : هل مرادك الذبح لصاحب المشهد تقربا اليه كما كان المشركون يذبحون لأصنامهم أو مرادك اهداء الثواب له ؟ لقال معاذ الله ان اقصد غير اهداء الثواب ولو فرضنا اننا شككنا في قصده أو خفي علينا وجه فعله لما جاز لنا ان نحمله الا على الوجه الصحيح لوجوب حمل افعال المسلمين واقوالهم على الصحة حتى يعلم الفساد ولم يجوز لنا ان ننسبه الى الشرك ونستبيح دمه وماله وعرضه بمجرد ظننا ان قصده الذبح لها كالذبح للأصنام لما عرفت في المقدمات من وجوب الحمل على الصحة مهما امكن ^(١) . اما اهداء ثواب الخيرات والعبادات الى الاموات فأمر راجح مشروع لم يمنع منه كتاب ولا سنة بل وردت به السنة في صحاح الاخبار وقامت عليه سيرة المسلمين وعلمهم في كل عصر وزمان من عهد النبي (ص) والصحابة الى اليوم وهذا منه ولا اظن الوهابية يخالفون فيه ومن اولى بالهدايا من انبياء الله واوليائه روى مسلم في صحيحه في باب وصول ثواب الصدقة عن الميت اليه بعدة اسانيد عن عائشة ان رجلا أتى النبي « ص » فقال يا رسول الله ان امي اقتلنت نفسها ولم توص واظنها لو تكلمت تصدقت افلها اجر ان تصدقت عنها قال نعم . قال : النوي في الشرح : نفسها نائب فاعل أو مفعول به اي ماتت فجأة . ثم قال وفي هذا الحديث ان الصدقة عن الميت

(١) قال الشيخ محمد عبده الشهير في كتابه الاسلام والنصرانية ص ٥٥ ان من اصول الاحكام في الدين الاسلامي البعد عن التكفير وان مما اشتهر بين المسلمين وعرف من قواعد احكام دينهم انه اذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه ويحتمل الايمان من وجه واحد حمل على الايمان ولا يجوز حمله على الكفر « انتهى » فما رأي الاستاذ صاحب النار في الجمع بين هذا الكلام الصادر ممن يسميه الاستاذ « الامام حكيم الاسلام » وبين اقوال اسياده الوهابية الذين ينشر لهم كتب دعوتهم التي يكفرون بها المسلمين ويستحلون دماءهم واموالهم بقولهم يا رسول الله اشفع لي اقض حاجتي مع انه لو احتمل الكفر من وجه واحد فهو يحتمل الايمان من مائة وجه كما تعلمه من تضاعيف هذا الكتاب .

— المؤلف —

تنفع الميت ويصله ثوابها وهو كذلك باجماع العلماء (انتهى) . وروى احمد بن حنبل في مسنده عن عائشة ان رجلا قال للنبي « ص » ان امي افلتت نفسها واطنها لو تكلمت لتصدقت فهل لها اجر ان اتصدق عنها قال نعم . وروى احمد بن حنبل ايضا عن ابن عباس ان بكراً اخا بني ساعدة توفيت امه وهو غائب عنها فقال يا رسول الله ان امي توفيت وانا غائب عنها فهل ينفعها ان تصدقت بشيء عنها قال نعم فقال اشهدك ان حائط المخرف صدقة عليها . وعن احمد وابي داود والترمذي ان النبي « ص » ذبح بيده وقال اللهم هذا عني وعن من لم يضح من امتي . وعن سيف وابي داود ان علياً كان يضحى عن النبي « ص » بكبش وكان يقول اوصاني ان اضحي عنه دائماً . وعن علي ان النبي « ص » اوصاني ان اضحي عنه . وعن بريدة ان امرأة سألت النبي « ص » هل تصوم عن امها بعد موتها وهل تحج عنها قال نعم . وعن ابن عباس انه قال بقي البنت نذر امها . وروى ان العاص بن وائل اوصى بالعتق فسأل ابنه النبي « ص » عن العتق له فأمر به . وعن عائشة ان النبي « ص » قال عند الذبح : اللهم تقبل من محمد وآل محمد وامته وهذا امر لا يشك احد من المسلمين في جوازه وعليه جرت سيرتهم خلقا عن سلف وقد سمعت دعوى النووي اجماع العلماء عليه فهذا حال الذبح والنحر عن الأنبياء والأولياء الذي اعظم الوهابية امره واستحلوا لاجله الدماء والاموال والاعراض لا يخرج عن مندوبات الشرع ومستحباته ومن ذلك يظهر فساد قول الصنعاني : ان كان النحر لله فلا شيء قربت ما تنحره من باب المشهد الخ فان اختيار الذبح في جوار المشهد . (اولاً) لطلب زيادة الثواب لتشرف البقعة بمن فيها ان كان نبيا او وليا فيزداد ثواب العمل بذلك لما ورد من ان الاعمال يتضاعف اجرها لشرف الزمان المكان وانكار شرف المكان بشرف المكين انكار للضروري (ثانياً) لما كان المراد اهداء الثواب اليه فاسب كون هذا العمل الذي هو عبادة وصدقة لله في المكان الذي فيه قبره لأن الهدية يؤتى بها عادة للمهدي اليه نظير قراءة القرآن عند قبره واهداء ثواب القراءة اليه وليس في ذلك منافاة للدين ولا محذور لان ذلك ان لم يكن راجحاً فلا اقل من كونه مباحاً (ثالثاً) ان مرید الذبح يأتي غالباً للزيارة التي هي راجحة ومشروعة سواء بعدت المسافة او قربت كما ستعرف في فصل الزيارة فيحضر مما يريد ذبحه واهداء ثوابه الى المذبح معه وليس في واحد من هذه الوجوه الثلاثة محذور ولا مانع ولا منافاة للحنيفية السهلة السمحاء التي تشدد فيها الوهابيون تشدد الخوارج . وظهر

ايضا فساد قوله ان اردت بذلك تعظيمه فهذا النحر لغير الله بل اشركت مع الله تعالى غيره وان لم ترد فهل اردت توسيح باب المشد الخ فان مراده لا يخرج عن الوجوه الثلاثة المذكورة مع انه لو اراد بذلك اظهار تعظيمه باهداء الثواب اليه وانه اهل لذلك الذي لا يظهر الا بالذبح عند مشهده لم يكن فيه محذور ولا منه مانع أليس هو اهلا للتعظيم ومحلا لاهداء الثواب الا ان يكون كل تعظيم لمخلوق شركا وكفرا كما تقتضيه حجج الوهابية فيمعهم الشرك اترى لو ان السلطان ابن سعود او احد عظماء اعراب نجد زاره امير من الامراء فأتى بالابل والغنم ونحر وذبح لضيافة زائره واکرامه واظهار تعظيمه وذكر اسم الله على الذبيحة يكون كافرا ومشركا لانه ذبح لغير الله وقصد بالذبح تعظيم المذبح له؟! كلا حتى لو كان هذا الامير الزائر ظالما لم يكن في الذبح له قصدا لتعظيمه كفر ولا شرك مع انه ليس اهلا للتعظيم فكيف بمن هو اهل لكل تعظيم حيا وميتا كالانبياء والمرسلين والاولياء الصالحين. فقول هذا شرك بلا ريب افك وافتراء بلا ريب. وظهر ايضا فساد ما موّه به ابن عبد الوهاب من قوله هل الصلاة والنحر لله عبادة اذ يقول فصل لربك وانحر الخ الذي حاصله ان النحر لله عبادة الله فالنحر للمخلوق عبادة للمخلوق فاذا نحرت لمخلوق فقد اشركت في هذه العبادة غير الله كما اشرك الذين كانوا يذبحون للاوثان فان النحر والذبح الذي يفعله المسلمون نحر وذبح لله بالوجه الذي بيناه وتوهم انه مثل نحر عبدة الاصنام فاسد كما عرفته بما لا مزيد عليه والنحر لله معناه كونه لوجه الله وامثالا لامره فيما يكون مأمورا به وباسمه في مطلق النحر. قال في الكشف: وانحر لوجهه وباسمه اذا نحرت مخالفا لهم في النحر للاوثان «انتهى» وما يفعله المسلمون جامع للأمرين فيذكر عليه اسم الله وينحر للصدقة واهداء الثواب بخلاف ما ينحر للاوثان الذي يذكر اسمها عليه ويقصد به التقرب اليها لا الى الله. مع ان النحر في الآية ليس متعينا لارادة نحر الانعام (ففي الكشف) انه نحر البدن وقيل هي صلاة الفجر يجمع والنحر بمنى وقيل صلاة العيد والتضحية وقيل جنس الصلاة، والنحر وضع اليمين على الشمال «انتهى» (وفي جمع البيان) بعدما ذكر انها صلاة العيد ونحر الهدى والاضحية عن عطاء وعكرمة وقتادة او صلاة الفجر يجمع ونحر البدن بمنى عن سعيد بن جبير ومجاهد نقل عن الفراء ان معناه صل لربك الصلاة المكتوبة واستقبل القبلة بنحرك، تقول العرب: منازلنا تتناحر اي هذا ينحر هذا اي يستقبله وانشد:

أباحكم هل انت غم مجالد وسيد اهل الابطح المتناحر

اي ينحر بعضه بعضا قال واما ما رووه عن علي «ع» ان معناه ضع يدك اليمنى على اليسرى حذاء النحر في الصلاة فما لا يصح عنه لأن جميع عترته الطاهرة قد رووا عنه ان معناه ارفع يديك الى النحر في الصلاة اي حال التكبير ثم اورد الروايات الدالة على ذلك.

الفصل الثامن في النذر لغير الله

وهذا مما صرح ابن تيمة قدوة الوهابية بعدم جوازه فانه سئل في ضمن انسؤال المتقدم في الفصل الثاني عن ينذر للمساجد والزوايا والمشائخ حيهم وميتهم بالدرهم والابل والغنم والشمع والزيت وغير ذلك يقول ان سلم ولدي فللشيخ علي كذا وكذا وامثال ذلك . فأجاب بانه قال علماءنا لا يجوز ان ينذر لقبر ولا للمجاورين عند القبر شيئا من الأشياء لا من درهم ولا من زيت ولا من شمع ولا من حيوان ولا غير ذلك كله نذر معصية وقد ثبت في الصحيح عنه (ص) من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه واختلف العلماء هل على الناذر كفارة يمين على قولين (انتهى) . وصرح الوهابية بأنه موجب للشرك صرحوا به في كتابهم الى شيخ ركب الحاج المغربي المتقدم في الباب الثاني حيث جعلوا من جملة اسباب الشرك التقرب الى الموتى بالنذور باعتبار انه نوع من العبادة وصرف شيء من العبادة لغير الله كصرف جميعها . وصرح به الصنعاني في تطهير الاعتقاد في كلامه المتقدم في الباب الثاني بقوله بعد ما عد اشياء منها النذر : ومن فعل ذلك لمخلوق فهذا شرك في العبادة وصار من تفعل له الها الخ . وقوله بعد ما ذكر ان اعتقاد النفع والضرر في المخلوق او الشفاعة شرك فضلا عن ينذر بماله وولده لميت او حي الى قوله فهذا هو الشرك بعينه الذي كان عليه عباد الأصنام والنذور بالمال على الميت هو بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية . وقلل في الرسالة المذكورة ^(١) فان قلت هذه النذور والنحائر ما حكمها واجاب بان الاموال عزيزة على اهلها والناذر ما اخرج من ماله الا معتقداً لطلب نفع اكثر منه او دفع ضرر ولو عرف بطلان ما اراده ما اخرج درهماً فالواجب تعريفه بانه اضاعه لماله ولا ينفعه ما يخرج به ولا يدفع عنه ضرراً وقد قال «ص» ان النذر لا يأتي بخير وانما يستخرج به من البخيل ويجب رده اليه ويحرم قبضه ولانه تقرير للناذر على

شركه الى آخر ما ذكره من هذا القبيل . وقال في موضع آخر من تلك الرسالة ^(١) انه يجب على العلماء بيان ان ذلك الاعتقاد الذي تفرعت عنه النذور والنحائر والطواف بالقبور شرك محرم وانه عين ما كان يفعلته المشركون لاصنامهم .

والجواب عن هذا كالجواب عن سابقه من النحر والذبح بأن من ينذر لني أو ولي أو رجل صالح دراهم أو خلفها لا يقصد إلا نذر الصدقة واهداء ثوابها إلى النبي أو الولي أو الصالح ولا يقصد التقرب إليه بالنذر بل التقرب إلى الله تعالى وكيف يقصد التقرب إليه وهو يعلم انه ميت لا يمكنه الانتفاع بالمنذور لا بأكله ان كان طعاما ولا بصرفه ان كان نقوداً ولا بلبسه ان كان ثياباً ولا بشيء من الانتفاع بها كان المنذور مع وجوب حمل أفعال المسلمين وأقوالهم على الصحة مما أمكن وعدم جواز التهجم على الدماء والأموال والأعراض بمجرد الظنون والأوهام كما مر في المقدمات فلا يزيد هذا النذر على من نذر لأبيه أو أمة أو حلف أو عاهد إن يتصدق عنها كما روي عنه (ص) انه قال للبنت التي نذرت لأبيها عملاً (ف) بنذرك فان كان النذر للآباء والأمهات كفراً كان هذا كفراً والا فلا . واختيار بعض الأمكنة للنذر طلباً لشرف المكان حتى يتضاعف ثواب العبادة كما يختار بعض الأزمنة لبعض العبادات لا بأس به بل لا بأس بتخصيص بعض الأمكنة كما يستفاد مما روي عن ثابت بن الضحاك عن النبي «ص» ان رجلاً سأله انه نذر ان يذبح ببوانة فقال هل كان فيها وثن يعبد قال لا قال فهل كان فيها عيد من أعيادهم فقال لا فقال ف بنذرك . وفي القاموس بوانة كناية هضبة وراء ينبع . وفي النهاية الأثرية في حديث النذر ان رجلاً نذر ان ينحر إبلاً ببوانة هي بضم الباء وقيل بفتحها هضبة من وراء ينبع (انتهى) وكان سؤاله «ص» عن انه هل كان فيها وثن يعبد أو عيد من أعياد الجاهلية خشية ان يكون النذر جارياً على عادة أهل الجاهلية لقرب العهد بهم وان كان السائل مسلماً فقد قالوا له «ص» اجعل لنا ذات أنواط وهم مسلمون وقال أصحاب موسى له حين مروا على قوم يعكفون على الأصنام اجعل لنا الها كما لهم آلهم أو انه اذا كان فيها وثن يعبد أو عيد من أعيادهم يكون النذر مرجوحاً فلا ينعقد لأن شرطه الرجحان أو تساوي الطرفين والله اعلم . وقد ظهر بذلك بطلان ما قاله ابن تيمية ناقلاً له عن علمائهم من عدم جواز النذر

للقبر ولا للمجاورين وعده نذر معصية حتى فرط بعضهم فيما نقله عنه فأوجب على الناذر كفارة يمين . اما النذر للقبر فلا يفعله احد بل ولا لصاحب القبر وانما النذر لله والصدقة به عن صاحب القبر بمعنى اهداء ثوابه اليه ولو فرض صدور ما يوم خلاف ذلك فهو محمول عليه حملا لفعل المسلم على الصحة كما مر واما النذر للمجاورين فان المجاورة عند القبر لا مانع منها شرعاً لو لم تكن راجحة طلباً لشرف البقعة التي تشرفت بصاحب القبر وانكار شرف القبر مصادمة للضرورة ويكفي في رده دفن الصاحبين عند النبي « ص » حتى عد ذلك منقبة عظيمة لهما ومنع بني امية وبعض امهات المؤمنين من دفن الحسن عند جده قائلين ايدفن عثمان في اقصى البقيع ويدفن الحسن عند جده واصرار بني هاشم على ذلك حتى كاد يؤدي الى اراقة الدماء كما سنبينه في غير هذا الموضع . والمجاورون عند القبر عباد الله يجوز التصديق عليهم كالتصدق على غيرهم ان لم يكن اولى ولم يخرجوا بمجاورتهم عن استحقاق الصدقة وليست المجاورة عند القبر عبادة له حتى تكون محرمة لمساكينه . مرارا من انه ليس كل تعظيم واحترام عبادة وقياس ابن تيمية ذلك فيما مر من كلامه في الفصل الثاني على ما ذكره من ان ودا وسواعا ويعقوب ونسرا اسماء قوم صالحين من قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم طال عليهم الامد فأتخذوا تماثيلهم اصناما قياس فاسد فان اولئك صوروا صورهم في المساجد . وكانوا يصلون اليها ثم اتخذوها اوثانا وعبدوها فبسبب عبادتهم لها تصويرهم تلك الصور وصلاتهم اليها لا احترام قبورهم وليس في المسامين من يفعل مثل فعلهم وبمجرد احتمال ان يؤدي الشيء الى محرم لا يوجب تحريره والا لم يبق في الدنيا حلال .

كما ظهر بذلك بطلان ما هول به اليماني في امر النذر فجعل اخذه حراما وتقريراً للمشرك على شركه وقد عرفت بما ذكرنا صحة النذر وانه لا يزيد عن نذر الصدقة عن الميت الثابت جوازه ورجحانه وانه لا يحرم اخذه وانه ليس فيه شيء من الشرك حتى يكون اخذه تقريراً للشرك وان النفع حاصل به وهو الثواب منه تعالى والضرر يندفع به كما يندفع بالصدقة اذ هو لا يخرج عنها ، اما الحديث الذي استشهد به فمع فرض سلامة سنده وان قال صاحب المنار في الحاشية انه متفق عليه من حديث ابن عمر يحجب طرحه لمخالفته العقل والنقل فمن نذر ان يتصدق بمال او ينفقه في سبيل الله او نحو ذلك فقد اتى

له نذره بخير الدنيا والاخرة ودفع عنه الله به ضرر الدنيا والاخرة فلا يمكن ان يحكم «ص» بأنه لا يأتي بخير .

الفصل التاسع

في بناء القبور والبناء عليها وتخصيصها وعقد القباب فوقها وعمل الصندوق والخلعة لها

وهذا مما حرمه الوهابية وأوجبوا هدم القبور والقباب التي عليها والبناء الذي حولها بل جعلوا ذلك شركا وكفرا . وصرح الصنعاني في تطهير الاعتقاد بان المشهد بمنزلة الوثن والصنم في كلامه المتقدم في الباب الثاني بقوله : ان ما كانت تفعله الجاهلية لما يسمونه وثنا وصنما هو الذي يفعله القبوريون لما يسمونه وليا وقبرا ومشهدا وذلك لايخرجه عن اسم الوثن والصنم الخ . وصرح بذلك الوهابيون في كتابهم الى شيخ الركب المغربي المتقدم هناك بقولهم : ان ما حدث من تعظيم قبور الانبياء وغيرهم ببناء القباب عليها وغير ذلك من حوادث الامور التي اخبر عنها النبي « ص » بقوله لا تقوم الساعة حتى يلحق الحي من امتي بالمشركين وحتى يعبد فثام من امتي الاوثان . وزعم الوهابيون ان البناء على القبور بدعة حدثت بعد عصر التابعين . وقال قاضي قضاتهم عبد الله بن سليمان بن بليهد في مقالته التي نشرتها جريدة ام القرى في عدد جمادى الثانية سنة ١٣٤٥ لم نسمع في خير القرون ان هذه البدعة حدثت فيها بل بعد القرون الخمسة (انتهى) . واتبع الوهابية في ذلك قدوتهم وبأذر بذور مذهبهم احمد بن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية الذي عنه اخذ وبه اقتدى . قال : ابن القيم على ما حكى عنه في كتابه زاد المعاد في هدى خير العباد (١) ما حاصله : انه يجب هدم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت اوثانا وطواغيت تعبد من دون الله ولا يجوز ابقاؤها بعد القدرة على هدمها وابطالها يوما واحدا فانها بمنزلة اللات والعزى او اعظم شركا عندها وبها ويجب على الامام صرف الاموال التي تصير الى هذه المشاهد والطواغيت في الجهاد ومصالح المسلمين كما اخذ النبي « ص » اموال اللات وكذا يجب عليه هدم هذه المشاهد وله ان يقطعها للمقاتلة او يبيعها ويستعين بأثمانها

على مصالح المسلمين وكذا حكم اوقافها فان الوقف عليها باطل وهو مال ضائع فيصرف في مصالح المسلمين (انتهى) .

ولذلك هدم الوهابين ما استطاعوا هدمه من مشهد الحسين (ع) وقبره الشريف ايام استيلائهم على كربلاء وهدموا قبة ائمة البقيع من اهل البيت الطاهر عند استيلائهم على المدينة المنورة في المرة الاولى وفي هذه المرة وهدموا قبورهم الشريفة وسوها بالارض وشوهوا محاسنها وتركوها معرضا لوطء الاقدام ودوس الكلاب والدواب وكذلك قبر سيد الشهداء حمزة بأحد قبته والمسجد الذي عنده وقبور سائر الصحابة والتابعين وغيرهم في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجميع الحجاز كما فصلناه في المقدمة الاولى في تاريخ الوهابية لكنهم في المرة الثانية لما عزموا على هدمها ارادوا ان يظهروا مبرراً وعذراً لعملهم في هدم قباب ائمة المسلمين وقبورهم وانكار فضلها وفضل اهلها واهانة من اوجب الله تعظيمه واحترامه حيا وميا باهانة قبره من نبي او ولي او صديق او شهيد عملا بشبهتهم الواهية من ان تعظيمها عبادة لها وانها صارت كالاصنام تعبد من دون الله تعالى وانه تعالى نهى عن البناء على القبور فأرسلوا قاضي قضائهم المسمى الشيخ عبد الله بن بليهد الى المدينة المنورة في شهر رمضان سنة ١٣٤٤ وبعد دخوله المدينة وجه الى علماءها هذا السؤال :

السؤال الموجه الى علماء المدينة في هدم القبور

ما قول علماء المدينة زادهم الله فهماً وعلماً في البناء على القبور واتخاذها مساجد هل هو جائز ام لا واذا كان غير جائز بل ممنوع منهي عنه نهياً شديداً فهل يجب هدمها ومنع الصلاة عندها ام لا واذا كان البناء في مسبة كالبقيع وهو مانع من الانتفاع بالمقدار المبني عليها فهل هو غصب يجب رفعه لما فيه من ظلم المستحقين ومنعهم استحقاقهم ام لا وما يفعله الجاهل عند هذه الضرائب من التمسح بها ودعائها مع الله والتقرب بالذبح والنذر لها وايقاد السرج عليها هل هو جائز ام لا وما يفعل عند حجرة النبي «ص» من التوجه اليها عند الدعاء وغيره والطواف بها وتقبيلها والتمسح بها وكذلك ما يفعل في المسجد من الترحيم والتذكير بين الاذان والاقامة وقبل الفجر ويوم الجمعة هل هو مشروع ام لا افتونا مأجورين وبينوا لنا الأدلة المستند اليها لا زلتم ملجأ للمستفيدين .

وهذا هو نص الجواب المنسوب لعلماء المدينة

اما البناء على القبور فهو ممنوع اجماعاً لصحة الاحاديث الواردة في منعه ولهذا افتى

كثير من العلماء بوجوب هدمه مستندين على ذلك بحديث علي انه قال لابي الهياج ألا ابعثك على ما بعثني عليه رسول الله «ص» ان لا تدع تمثالا الا طمسته ولا قبراً مشرفاً الا سويته رواه مسلم واما اتخاذ القبور مساجد والصلاة فيها وايقاد السرج عليها فممنوع لحديث ابن عباس لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج رواه اهل السنن ^(١) واما ما يفعله الجهال عند الضرائح من التمسح بها والتقرب اليها بالذبايح والنذور ودعاء اهلها مع الله فهو حرام ممنوع شرعاً لا يجوز فعله اصلاً واما التوجه الى حجرة النبي «ص» عند الدعاء فالاولى منعه كما هو معروف من معتبرات كتب المذهب ولان افضل الجهات جهة القبلة واما الطواف والتمسح بها وتقبيلها فهو ممنوع مطلقاً واما ما يفعل من التذكير والترحم والتسليم في الاوقات المذكورة فهو محدث هذا ما وصل اليه علمنا «انتهى» .

ولسنا نعتقد ولا نظن ان جميع علماء المدينة المنورة موافقون على هذا الجواب وما فيه من الجحجج الواهية كما ستعرف وانما هو من الوهاية واليهيم والفاظه الفاظهم متوافقة مع عبارات رسائلهم التي نقلنا جملة منها وجل علماء المدينة ساكتون خائفون من نسبة الاشراك اليهم الذي به تستحل دماؤهم واموالهم واعراضهم فان وافق موافق منهم فخوفاً من السوط والبندق .

ونحن نتكلم على بطلان هذه الفتوى ودليلها . فنقول : يرجع استدلالهم على ذلك الى امور « الاول » الاجماع المشار اليه بقولهم : البناء على القبور ممنوع اجماعاً « والجواب » بطلان دعوى الاجماع بل هو جائز اجماعاً لاستمرار عمل المسلمين عليه من جميع المذاهب في كل عصر وزمان عالمهم وجاهلهم مفضولهم وفاضلهم اميرهم ومأمورهم رجالهم ونسائهم سنهم وشيعهم قبل ظهور الوهاية توافقوا عليه في جميع الاجيال والاعصار والامصار والنواحي والاقطار بدون منع ولا انكار والسيرة اجماع عملي يشعلها ما دل على حجية الاجماع لكشفها كشفاً قطعياً لا يعتريه شك عن ان ذلك مأخوذ من صاحب الشرع ومتبوع المسلمين كما مر في المقدمات فلا يتطرق اليها بعض الشبهات الموردة على الاجماع وليس في الاسلام امر حصلت فيه السيرة حصولها في هذا الامر واتفق عليه جميع المسلمين

(١) هذه العبارة في رسائل الوهاية وهذا مما يدل على ان الجواب من الوهاية واليهيم - المؤلف -

من كل فرقة ولا يضر بهذه السيرة ما قد يوجد في بعض الكتب مما ينقله الروائيون من القول بالمنع استناداً الى بعض الروايات الشاذة التي لا عامل بها او لا دلالة فيها او لم تثبت صحتها غفلة منهم عن هذه السيرة المستمرة التي سبقتهم ولحققتهم فاقوالهم مردودة بها كما يرد القول المسبوق بالاجماع والملاحق به ولعلنا نشير اليها فيما سيأتي ان شاء الله تعالى وقد اعترف بهذه السيرة الصنعاني في رسالته تطهير الاعتقاد^(١) حيث اورد على نفسه سؤالاً بأن هذا امر عم البلاد وطبق الارض شرقاً وغرباً بحيث لا بلدة من بلاد الاسلام الا وفيها قبور ومشاهد بل مساجد المسلمين غالبها لا تخلو عن قبر أو مشهد. ولا يسع عقل عاقل ان هذا منكر يبلغ الى ما ذكرت من الشناعة ويسكت عليه علماء الاسلام الذين ثبتت لهم الوطأة في جميع جهات الدنيا. واجاب بأنك ان اردت الانصاف وتركت متابعة الاسلاف وعرفت ان الحق ما قام عليه الدليل لا ما اتفق عليه العوام جيلاً بعد جيل فاعلم ان هذه الامور صادرة عن العامة الذين اسلامهم تقليد الاباء بلا دليل ولا يسمعون من احد عليهم من نكير بل ترى من يتسم بالعلم ويدعي الفضل وينتصب للقضاء والفتيا والتدريس او الولاية او المعرفة او الامارة والحكومة معظماً لما يعظمونه مكرماً ما يكرمونه ولا يخفى ان سكوت العالم او العالم على وقوع منكر ليس دليلاً على جوازه . قال : ولنضرب لك مثلاً المكوس المعلوم من ضرورة الدين تحريمها قد ملأت الارض حتى في اشرف البقاع ام القرى تقبض المكوس من القاصدين لاداء فريضة الاسلام وسكانها من العلماء والحكام ساكتون . قال وهذا حرم الله افضل بقاع الدنيا بالاتفاق واجماع السلف احدث فيه بعض ملوك الشراكسة هذه المقامات الاربعة التي فرقت عبادات المسلمين وصيرتهم كالمثل المختلفة بدعة قرت بها عين ابليس وصيرت المسلمين ضحكة للشياطين وقد سكت الناس عليها ووفد علماء الافاق والابدال والاقطاب اليها افهذا السكوت دليل على جوازها هذا لا يقوله من له المام بشيء من المعارف كذلك سكوتهم على هذه الاشياء الصادرة من القبوريين . الى ان قال ما حاصله : لو فرض انهم علموا بالمنكر وسكتوا لما دل سكوتهم على جوازه لان مراتب الانكار ثلاثة اذا تعذرت واحدة وجبت الاخرى . الانكار باليد

(١) ص ١٧ - ١٩ طبع النار بمصر .

ثم باللسان ثم بالقلب فاذا مر عالم بن ياخذ المكوس لم يستطع الانكار باليد ولا باللسان فيجب على من رآه ساكتاً ان يعتقد انه انكر بقلبه فان حسن الظن بالمسلمين اهل الدين والتأويل لهم ما امكن واجب فالذاخلون الى الحرم الشريف والمشاهدون لمقامات المذاهب الاربعة معذورون عن الانكار الا بالقلب كالمارين على المكاسين والقبوريين فهذه الامور اسبها من بيده السيف ودماء العباد واموالهم واعراضهم تحت لسانه وقلمه فكيف يقوى احد على دفعه (انتهى) . وفيه اعتراف بوقوع السيرة على اكمل وجوهها واتمها بحيث لم يقع في الاسلام سيرة مثلها بما اختصرناه من عباراته فضلاً عما اطال به من باقي عباراته المسجعة كعادته وعادة اصحابه الوهابية وقد اعترف في جوابه بوقوع ذلك من جميع طبقات الناس من العوام والعلماء والفضلاء والقضاة والمفتين والمدرسين والاولياء والعارفين والامراء والحكام بدون تكبر ولم يخرج عنه باعترافه طبقة من الطبقات فأبي سيرة اقوى من هذه واشمل . اما جوابه بأن الحق ما قام عليه الدليل لا ما اتفقت عليه الاجيال ففيه ان اتفاق الامة جيلا بعد جيل دليل قطعي لا دليل اقوى منه حتى يعارضه . وقوله : ان سكوت العالم او العالم على منكر ليس دليلاً على جوازه فيه ان ذلك اذا علم انه منكر والبناء على القبور محل النزاع فانتم تدعون منكرًا ونحن نقول انه معروف ونستدل بسيرة المسلمين الكاشفة بوجه القطع عن اخذه من صاحب الشرع فاذا سكوت العلماء والعالم عن امر مع قدرتهم على الانكار علمنا انه ليس منكرًا . اما المثل الذي ضربه من اخذ المكوس حتى في مكة المكرمة وسكوت العلماء . ففيه انه قياس مع الفارق . (اولاً) ان الآخذين للمكوس هم الحكام وذوو الشوكة وحدهم والباثون للقبور وللقباب عليهما والمعظمون لها المتبركون بها هم جميع طبقات الناس فبطل القياس . (ثانياً) ان المكوس امور دولية تعارض فيها الحكام الذين تخاف سطوتهم لمنافاة تركها لمصلحتهم واخلاله بامور دولتهم بخلاف بناء القبور وتعظيمها فانها امور دينية صرفة مرجعها العلماء واهل الدين فسكوت العلماء عن الاول لا يدل على الرضا بخلاف الثاني . (ثالثاً) ان العلماء وجميع المتدينين غير ساكتين عن الاجهار بتحريم المكوس وذم قابضها وتفسيره والتجنب عنها وعداها من السحت يحييون بذلك كل من يسألهم ويشبونه في كتبهم ويتحدثون به في مجتمعاتهم وها هو يصرح بتحريمه في رسالته هذه ويندد بفاعليه ويذمهم اشد الذم مع

وجوده في زمانهم وعدم قدرته على منعه وها هي رسالته تطبع وتنتشر في الافاق ولا يخاف طابعها ونشرها من الحكام الاخذين المكوس افيقال بعد هذا انهم ساكتون نعم هم ممسكون عن المنع لعدم قدرتهم ، كما امسك الاخوان الوهابيون المجددون ما انمى من آثار الاسلام والرافعون البدع والمحرمات بالسيف والسنان ، عن منع حكومتهم من اخذ المكوس المحرمة عندهم في جدة وغيرها حتى عن التتن والتنباك المحرم تدخينه عندهم والمعاقب مدخنه واخذت في العام الماضي من كل قاصد لحج بيت الله الحرام ليرة عثمانية ذهباً وفي هذا العام ازيد من ذلك عدا عما شاركت به اصحاب الجهل والسيارات والبيوت والباعا وغير ذلك . والاخوان ساكتون لعدم قدرتهم على المنع لكنهم يصرحون بالتحريم وان كانوا قادرين فقد تركوا اعظم واجب في الدين . اما تمثيله بالمقامات الاربعة ففساده اظهر من مسألة المكوس فان المكوس مما قام على تحريمها اجماع المسلمين بل ضرورة الدين وانكرها جميع العلماء واهل الدين ان لم يكن باليد فباللسان مع انها امور دولية يخاف منكرها كما عرفت وليس كذلك المقامات الاربعة فلم يسمع عن احد انكارها قبل الوهابية مع كونها دينية صرفة ولم يقم دليل على كونها بدعة محرمة كما قام على تحريم المكوس فان جعل مقامات اربعة لأئمة اربعة يقلدهم اربعة اخماس المسلمين ويرون اقوالهم وفتاواهم حجة وجلهم الا من شذ ينزع الاجتهاد بعدهم ليس فيه شيء من البدعة فهو كاصطلاح اهل بلد على ان يصلي بهم اربعة اشخاص احدهم يوم كذا او في مكان كذا او صلاة كذا والآخر في خلاف ذلك مع كون الكل صالحين للامامة وجعلهم لكل واحد محراباً او مسجداً فانه ليس منكرها ولا بدعة ولا ادخالاً في الدين ما ليس منه لدخوله في عموم جواز الصلاة في اي مسجد كان واي محل كان وعموم جواز الصلاة خلف اي امام كان بعد اعتقادهم وتصريحهم بأن ذلك ليس بأمر واجب وان لكل ذي مذهب ان يصلي خلف من شاء منهم وكل ما دخل في عموم او اطلاق خرج عن البدعة وليس كل ما لم يكن في زمن النبي « ص » من الهياث وبعض الكيفيات ولا كل ما لم يرد به بخصوص نص بدعة بعد دخوله في عموميات ادلة الشرع واطلاقتها كما مر في المقدمات . وجعل المحاريب للائمة الاربعة لا يزيد على جعل المذاهب اربعة وكتب المذاهب اربعة والمنتمين اليها اربعة والمفتين من اهل المذاهب اربعة فان كان ذلك بدعة فليكن هذا بدعة لان كلا من ذلك لم يكن على عهد رسول الله

« ص » وان كان جعل اربعة مقامات لاهل المذاهب كل امام منهم يصلي في واحد منها بدعة فما رسمه الوهابية بعد استيلائهم على الحجاز في المرة الاولى وهذه المرة بأن يصلي الصبح الشافعي والظهر المالكي والعصر الحنبلي والمغرب الحنفي والعشاء من شاء - بدعة لان ذلك لم يكن على عهد رسول الله « ص » وان كان المانع منه تكرار صلاة الجماعة في المسجد فأى مانع من تكرارها ولم ترد فيه آية ولا رواية مع ان تكرار الخير خير وان كانت حجبتهم في منع التكرار انه لم يكن على عهد النبي « ص » والخلفاء فمع وجوده « ص » من الذي يأتى بغيره ومع وجود خليفة المسلمين لا ينبغي الائتام بغيره فلا يقاس بذلك هذا الزمان . فظهر بطلان قوله ان الداخلين الى الحرم كالمارين على المكاسين والقبورين لوضوح الفرق بين المكس وغيره كما ذكرناه مع ان قياسه البناء على القبور بالمقامات الاربعة ايضا باطل لان البناء على القبور اتفق على فعله قبل الوهابية جميع طوائف المسلمين بدون استثناء واما المقامات الاربعة فاختص بفعلها جل طوائف المسلمين لا كلها . قوله : فان حسن الثمن بالمسلمين اهل الدين والتأويل لهم ما امكن واجب . اذا كان يعترف بوجود حسن الظن بالمسلمين والتأويل لهم ما امكن فما باله يسيء الظن بهم في استشفاعهم او استغاثتهم بالانبياء والصالحين وغيرها ويكفرهم ويشركهم بذلك ويجعل شركهم شركا اصليا ويستحل بذلك دماءهم واموالهم واعراضهم مع ان التأويل لهم ممكن حين واضح حتى في مثل ارزقني وعاف مريضى بارادة طلب الشفاعة وسؤال الدعاء كما فصلناه فيما مضى . (كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) .

ثم انهم في هذه الفتوى المنسوبة لعلماء المدينة عللوا الاجماع بصحة الاحاديث وهو تعليل عليل لان صحة الحديث في نظرهم ودلالته عندهم وخلوه من المعارض لا توجب ذلك في نظر غيرهم فكيف يدعى الاجماع ليدعى صحة الحديث مع انك ستعرف عدم صحته وعدم دلالته فان ارادوا ان الاجماع واقع وعلة وقوعه صحة الاحاديث فالعلماء اجمعوا لما رأوا صحة الاحاديث فهو تخرص وتهجم على الغيب بغير دليل وكيف يدعى اجماع العلماء وقد توالى الاحقاب والاجيال على بناء القبور من جميع المسلمين على تفاوت طبقاتهم ونحلهم ومذاهبهم بدون منكر ومعارض الا من شذ من سبقة السيرة ولحقته كما عرفت آنفا فلو كان ذلك مجمعا عليه لما وقعت السيرة التي هي اقوى من الاجماع

على خلافه . قولهم : ولهذا اُفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه . اذا كان مجمعا على تحريمه فلماذا اُفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه ولم لم يفتوا كلهم بوجوب هدمه ما هذا التناقض والتهافت في هذه الفتوى الواهية (الثاني) من ادلتهم حديث أبي الهياج المتكرر ذكره في كلمات الوهابية والمتقدم ذكره في الفتوى المنسوبة لعلماء المدينة . والجواب عنه : القدح فيه سنداً وممتناً . اما سنده ففيه وكيع وهو مع كثرة ما مدحوه به قال في حقه احمد ابن حنبل انه اخطأ في خمسمائة حديث حكاها . الحافظ ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب^(١) عن عبد الله بن احمد عن ابيه وقال في آخر ترجمته^(٢) قال محمد بن نصر المروزي كان يحدث بآخره من حفظه فيغير الفاظ الحديث كأنه كان يحدث بالمعنى ولم يكن من اهل اللسان (انتهى) . وفي سنده سفيان الثوري وهو مع كثرة ما مدحوه به ايضا نقل في حقه ابن حجر في تهذيب التهذيب^(٣) عن ابن المبارك قال حدث سفيان بحديث فجهته وهو يدلسه فلما رأيته استحيت وقال نزويه عنك وذكر في ترجمة يحيى القطان^(٤) قال ابو بكر سمعت يحيى يقول جهد الثوري ان يدلس علي رجلاً ضعيفاً فما امكنه قال مرة حدثنا ابو سهل عن الشعبي فقلت له ابو سهل محمد بن سالم فقال يا يحيى ما رايت مثلك لا يذهب عليك شيء . وفي سنده حبيب بن ابي ثابت وهو مع توثيقهم له قال ابن حجر في تهذيب التهذيب^(٥) قال ابن حبان كان مدلساً وقال العقيلي غزه ابن عون وقال القطان له غير حديث عن عطاء لا يتابع عليه وليست بمحفوظة . الى ان قال : وقال ابن خزيمة في صحيحه كان مدلساً وقال ابن جعفر النحاس كان يقول اذا حدثني رجل عنك بحديث ثم حدثت به عنك كنت صادقا^(٦) قال ونقل العقيلي عن القطان قال حديثه عن عطاء ليس بمحفوظ قال العقيلي وله عن عطاء احاديث لا يتابع عليها . وفي سنده ابو وائل وهو الاسدي شقيق بن سلمى الكوفي بدليل رواية حبيب بن ابي ثابت عنه فقد ذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب انه ممن يروي عنه وليس هو القاص عبد الله بن بحير . وكان ابن وائل

(١) الجزء ١١ صفحة ١٢٥ (٢) ج ١١ صفحة ١٣٠ (٣) ج ٤ صفحة ١١٥ (٤) ج ١١ صفحة ٢١٨ طبع الهند (٥) ج ٣ صفحة ١٧٩ (٦) هذا هو التدليس وهو ان يروي عن رجل لم يلقه وبينه وبينه واسطة فلا يذكر واسطة - المؤلف -

هذا منحرفا عن علي (ع) مفضضه وقد قال رسول الله « ص » لعلي (ع) لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ^(١) ومنهم . أي المنحرفين عن علي (ع) أبو وائل شقيق بن سلمى كان عثمانيا يقع في علي (ع) ويقال انه كان يرى رأي الخوارج ولم يختلف في انه خرج معهم وانه عاد الى علي (ع) منبيا مقلعا روى خلف بن خليفة قال أبو وائل خرجنا اربعة الاف فخرج الينا علي فما زال يكلننا حتى رجع منا الفان وروى صاحب كتاب الغارات عن عثمان بن أبي شيبة عن الفضل ابن دكين عن سفيان الثوري قال سمعت ابا وائل يقول شهدت صفين وبئس الصفين كانت قال وروى أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود قال كان أبو وائل عثمانيا (انتهى) ويؤيد المنحرفه عن علي (ع) ما حكاه ابن حجر في تهذيب التهذيب ^(٢) انه قال عاصم ابن بهدلة قيل لابي وائل ايها احب اليك علي او عثمان قال كان علي احب الي ثم صار عثمان (انتهى) . هذا شأن سند الحديث .

واما متنه ففيه (اولا) انه شاذ انفرد به أبو الهياج بل قال السيوطي في شرح سنن النسائي ^(٣) انه ليس لابي الهياج في الكتب الا هذا الحديث الواحد (انتهى) . (ثانيا) انه لا دلالة فيه على شيء مما زعموه من عدم جواز البناء على القبور بل هو وارد في الامر بالتسطيح والنهي عن التسنيم فان المشرف وان كان معناه العاليي الا ان التسنيم نوع من العلو او معنى من معانيه . ففي القاموس الشرف محركة العلو ومن البعير سنامه (انتهى) فالمشرف يشمل باطلاقه او بوضعه العاليي بالتسنيم وبغيره الا ان قوله الاسويته قرينة على ارادة التسنيم من الاشراف لان التسوية التعديل . ففي المصباح المنير : استوى المكان اعتدل وسويته عدلته . وفي القاموس سواء جعله سويا (انتهى) فقوله الاسويته يعين ان المراد من الاشراف ما يقابل التسوية وليس هو الا التسنيم فان مطلق العلو لا يقابل التسوية لجواز أن يكون عاليا مستويا فلا يناسب مقابلة العاليي بالمستوي بل اللازم ان يقول الا جعلته لاطنا او نحو ذلك وارادة الهدم من التسوية غير صحيحه ولا يساعد عليها عرف ولا لغة لان التسوية ليس معناه الهدم ولا تستعمل فيه ألا بأن يقال سويته بالأرض او نحو ذلك مع ان التسوية

(١) ج ١ صفحة ٣٧٠ طبع مصر (٢) ج ٤ صفحة ٣٦٢ (٣) صفحة ٢٨٦ ج ل

بالارض ليست من السنة بالاتفاق للاتفاق على استحباب رفع القبر عن الارض في الجملة وعلى كل حال فلا دلالة فيه على عدم جواز البناء على القبور ولا ربط له بذلك فيجعل علو القبر نحو شبر ويجعل عليه حجرة او قبة . والحاصل انه سواء جعلنا معنى قوله ولا قبراً مشرفاً الا سويته ولا قبراً مسنماً الا سطحته وازلت سنانه كما هو الظاهر . او ولا قبراً عالياً الا وطيته ، لا ربط لذلك بالبناء على القبور . وما اذكرناه في معنى الحديث هو الذي فهمه منه العلماء وائمة الحديث . وروى مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز (١) بسنده عن ثمانية قال كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوي ثم قال سمعت رسول الله « ص » يأمر بتسويتها ثم روى حديث ابي الهياج ومن الواضح ان قوله فأمر فضالة بقبره فسوي اي سطح ولم يجعله مسنماً وكذا قوله سمعت رسول الله « ص » يأمر بتسويتها اي تسطيحها وليس المراد انه امر به فهدم لانه لم يكن مبنياً ولا المراد انه امر به فسوي مع الارض لان ذلك خلاف السنة للاتفاق على استحباب تعليتها عن الارض في الجملة كما عرفت فتعين ان يراد به التسطيح فكذا خبر ابي الهياج الذي عقب به مسلم وساقه مع هذا الحديث في مساق واحد وذلك دليل على انه حمل قوله ولا قبراً مشرفاً الا سويته على معنى ولا قبراً مسنماً الا سطحته . وقال النووي : في الشرح قوله يأمر بتسويتها وفي الرواية الاخرى ولا قبراً مشرفاً الا سويته فيه ان السنة ان القبر لا يرفع عن الارض رفعاً كثيراً ولا يسم بل يرفع نحو شبر ويسطح وهذا مذهب الشافعي ومن وافقه (انتهى) فحمل التسوية على التسطيح وعدم رفع القبر كثيراً كما ترى . ومن العجيب ان بعض الوهابيين في رسالته المسماة بالفواكه العذاب احدى رسائل الهدية السنية الحاوية لمناظرة مؤلفها النجدي مع علماء الحرم الشريف بزعمه في عهد الشريف غالب سنة ١٢١١ استدلل على عدم جواز البناء على القبور بحديثي فضالة وابي الهياج المذكورين مع انهما كما عرفت واردان في التسطيح ولا مساس لهما بعدم جواز البناء حتى لو سلمنا ان حديث ابي الهياج يدل على عدم الرفع كثيراً كما فهمه النووي في كلامه السابق فلا دلالة له على عدم جواز البناء على القبور فلو جعل علو القبر نحو شبر وبني عليه حجرة

لم يكن ذلك منافيا للحديث المذكور كما عرفت ولكن هؤلاء يسردون الاحاديث ويجعلونها دالة على مرادهم بالسيف ومن ابى كفر واشرك « معزا ولو طارت » وقال القسطلاني : في ارشاد الساري شرح صحيح البخاري ^(١) : روى ابو داود باسناد صحيح ان القاسم ابن محمد بن ابي بكر قال دخلت على عائشة فقلت لها اكشفي لي عن قبر النبي « ص » وصاحبيه فكشفت عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء اي لا مرتفعة ولا لاصقة بالارض كما بينه في آخر الحديث (انتهى) . ثم قال القسطلاني : ولا يؤثر في افضلية التسطيح كونه صار شعار الروافض لان السنة لا تترك بموافقة اهل البدع فيها ولا يخالف ذلك قول علي رضي الله عنه امرني رسول الله « ص » ان لا ادع قبرا مشرفا الا سويته لانه لم يرد تسويته بالارض وانما اراد تسطيحه جمعا بين الاخبار نقله في المجموع عن الاصحاب (انتهى) . وقال الترمذي : باب ما جاء في تسوية القبور ولم يقل في هدم القبور ثم اورد حديث ابي الهياج وظاهر انه لم يحمل التسوية فيه الا على التسطيح لان ذلك هو معناها لغة وعرفا ولا ربط له بعدم جواز البناء عليها مع ان الوهابيين في الرسالة الآنفه الذكر ^(٢) اوردوا هذا الذي ذكره الترمذي دليلا على عدم جواز البناء . (الثالث) من ادلتهم ما اشار اليه ابن بليهد في سؤاله الموجه لعلماء المدينة من قوله واذا كان البناء في مسبة كالبقيع الخ . وفيه ان تسبيلها اي وقفها في سبيل الله مقبرة للمسلمين دعوى بلا دليل اذ لم ينقل ناقل ان احدا وقفها لذلك فهي باقية على الاباحة الاصلية ولو فرض وقفها مقبرة فليس على وجه التقييد بعدم جواز الانتفاع بها الا بقدر الدفن وعدم جواز البناء زيادة على ذلك حتى على قبر عظيم عند الله يصون البناء قبره عما لا يليق وينتفع به الزائرون لقبره ويستظلون به من الحر والقر عند زيارته وقراءة القرآن والصلاة والدعاء لله تعالى عند قبره الثابت رجحانه كما ستعرف ذلك كلا في محله ولا اقل من الشك في كيفية الوقف لو فرض محالا حصوله فيحمل بناء المسلمين فيه على الصحيح لوجوب حمل افعالهم واقوالهم على الصحة مهما امكن وكذا لو فرض محالا اتنا علمنا انها كانت مملوكة فلا مناص لنا عن حمل البناء فيها على الوجه الصحيح الذي هو

ممكن لا يعارضه شيء وحينئذ فيكون هدمها ظلماً محرماً وتصرفاً في مال الغير بغير رضا وقد وقفها البانون وجعلوها مسجلة لاتنفاع المسلمين الزائرين واستظلالهم بها وعمل البر فيها من الدعاء والصلاة وغيرها فهدمها ظلم للبائين والمسلمين ومنع لهم عن حقهم فما اردوه دليل لهم هو دليل عليهم على ان كتب التواريخ والآثار دالة على ان ارض البقيع كانت مباحة او مملوكة لا مسجلة . ففي وفاء الوفا للسهمودي ^(١) روى ابن زباله عن قدامة ابن موسى ان اول من دفن رسول « ص » بالبقيع عثمان بن مظعون . قال : وروى أبو غسان عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابيه لما توفي ابراهيم ابن رسول الله « ص » امر ان يدفن عند عثمان بن مظعون فرغب الناس في البقيع وقطعوا الشجر فاختارت كل قبيلة ناحية فمن هنالك عرفت كل قبيلة مقابرها . قال : وروى ابن ابي شبة عن قدامة بن موسى كان البقيع غرقداً ^(٢) فلما هلك عثمان بن مظعون دفن بالبقيع وقطع الغرقد عنه « انتهى » فهذا نص على ان البقيع كان مواتاً مملوءاً بشجر الغرقد فاتخذته المسلمون مدافن لمواتهم ورغبوا فيه حين دفن النبي « ص » ولده ابراهيم فيه فاما ان تكون كل قبيلة ملكت قسماً منه بالحيازة أو بقي على اصل الاباحة فابن التسبيل والوقف فيه ايضاً ^(٣) قال ابن شبة فيما نقله عن ابي غسان قال عبد العزيز دفن العباس بن عبد المطلب عند قبر فاطمة بنت اسد ابن هاشم في اول مقابر بني هاشم التي في دار عقيل « انتهى » فدل على ان قبر العباس وقبور أئمة اهل البيت كانت في دار عقيل فابن التسبيل والوقف واي شيء سوغ التخريب والهدم وما قيمة هذه الفتوى المزيفة المبنية على هذا السؤال . وفيه ايضاً ^(٤) روى ابن زباله عن سعيد بن محمد بن جبير انه رأى قبر ابراهيم عند الزوراء قال عبد العزيز بن محمد وهي الدار التي صارت لمحمد بن زيد بن علي « انتهى » وذلك يدل على ان هذه الدار كانت مملوكة . وفيه ايضاً ^(٥) عن ابن شبة عن عبد العزيز ان سعد بن معاذ دفنه رسول الله « ص » في طرف الزقاق الذي بلزق دار المقداد بن الاسود وهو المقداد بن عمرو وانما تبناه الاسود ابن عبد يغوث الزهري وهي الدار التي يقال لها دار ابن افلح في اقصى البقيع عليها جنبذة « انتهى » . وفي القاموس : الجنبذة وقد تفتح الباء او هو لحن كالقبة « انتهى » وهذا

(١) ج ٢ صفحة ٨٤ (٢) شجر مخصوص ولذلك قيل بقبع الغرقد - المؤلف - (٣)

صفحة ٩٦ ج ٢ (٤) صفحة ٨٥ ج ٢ (٥) صفحة ١٠٠ ج ٢

صريح في انها كانت داراً مملوكة وكان عليها قبة وسيأتي في فصل الكتابة على القبور ان عقيلانما حفر في داره بئراً وجد حجراً مكتوباً فيه هذا قبر ام حبيبة بنت صخر ابن حرب وفي رواية اخرى انه وجد في دار علي بن ابي طالب فدل على ان محل قبرها كان مملوكاً وكل هذه الاخبار مع دلالتها على الملك تدل على جواز البناء حول القبور والدفن في محل البناء وان سيرة المسلمين على ذلك .

(الرابع) من ادلتهم الاحاديث الناهية عن البناء على القبور . روى مسلم عن ابي بكر بن ابي شعبة عن حفص بن غياث عن ابن جريح عن ابي الزبير عن جابر نهى رسول الله «ص» ان يخصص القبر وان يبنى عليه ^(١) . وروى الترمذي عن عبد الرحمن ابن الاسود عن محمد بن ربيعة عن ابن جريح عن ابي الزبير عن جابر نهى رسول الله «ص» ان تخصص القبور وان يكتب عليها وان يبنى عليها وان توطأ . وروى ابو داود من حديث جابر ان رسول الله «ص» نهى ان يخصص القبر او يكتب عليه او يزاد عليه . وروى ايضا عن احمد بن حنبل عن عبد الرزاق عن ابن جريح عن ابي الزبير عن جابر عن النبي «ص» نهى ان يقعد على القبر وان يخصص وان يبنى عليها . وروى ابن ماجة عن زهير ابن مروان عن عبد الرزاق عن ايوب عن ابي الزبير عن جابر نهى رسول الله «ص» عن تخصيص القبور . وروى ايضا عن محمد بن يحيى عن محمد بن عبد الله الرقاشي عن وهب عن عبد الرحمن بن زيد عن القاسم بن مخيمرة عن ابي سعيد ان النبي «ص» نهى ان يبنى على القبور . وروى النسائي عن هرون بن اسحق عن حفص عن ابن جريح عن سليمان ابن موسى وابي الزبير عن جابر نهى رسول الله «ص» ان يبنى على القبر او يزاد عليه او يخصص زاد سليمان بن موسى او يكتب عليه . وروى ايضا عن يوسف بن سعيد عن حجاج عن ابن جريح عن ابي الزبير عن جابر نهى رسول الله «ص» عن تخصيص القبور ^(٢) او يبنى عليها او يجلس عليها احد . ويحكى عن عمر انه رأى قبة على قبر ميت فقال نحوها عنه وخلوا بينه وبين عمله يظله او دعوه يظله عمله .

(١) زاد بعض الوهابية في رسالة الفواكه العذاب (وان يكتب عليه) راجع صفحة ٨٣ من الهدية السنوية طبع النار بصر وليست هذه الزيادة في الرواية راجع صحيح مسلم بهامش ارشاد الساري جزء ٤ ص ٣١٤ (٢) تخصيصها تشييدها بالقصة وهي الجص - المؤلف -

والجواب « اولا » انها ضعيفة السند . فحفص بن غياث وان وثقوه لكنهم قدحوا في حفظه وقالوا انه مدلس . ففي تهذيب التهذيب لابن حجر قال يعقوب ثقة ثبت اذا حدث من كتابة ويتقى بعض حفظه . وقال ابو زرعة ساء حفظه بعدما استقضي وقال داود ابن رشيد : حفص كثير الغلط وقال ابن عمار كان لا يحفظ حسنا وذكر الاثرم عن احمد ابن حنبل ان حفصا كان يدلس وقال ابن سعد كان ثقة مأمونا كثير الحديث يدلس وقال ابو عبيد الاجري عن ابي داود كان حفص بآخره دخله نسيان « انتهى » وكيف يكون ثقة مأمونا من يدلس . وابن جريح وان مدحوه فقد قدحوا في روايته وحفظه وقالوا انه مدلس قال ابن حجر في تهذيب التهذيب في حقه ، قال ابو بكر بن خلاد عن يحيى ابن سعيد كنا نسمي كتب ابن جريح كتب الامانة وان لم يحدثك بها ابن جريح من كتابه لم ينتفع به وقال الاثرم عن احمد اذا قال ابن جريح قال فلان وقال فلان واخبرت جاء بناكير واذا قال اخبرني وسمعت فحسبك به وقال المخراقي عن مالك كان ابن جريح حاطب ليل وقال عثمان الدارمي عن اسماعيل بن داود عن ابن معين ليس بشيء في الزهري وقال جعفر بن عبد الواحد عن يحيى بن سعيد كان ابن جريح صدوقا فاذا قال حدثني فهو سماع واذا قال اخبرني فهو قراءة واذا قال قال فهو شبه الريح وقال الدارقطني تجنب تدليس ابن جريح فانه قبيح التدليس لا يدلس الا فيما سمعه من مجروح ^(١) مثل ابراهيم ابن يحيى وموسى بن عبيدة وغيرهما وقال ابن حبان كان يدلس « انتهى » . وابو الزبير قال ابن حجر في تهذيب التهذيب : قال عبد الله بن احمد قال ابي كان ايوب يقول حدثنا ابو الزبير وابو الزبير ابو الزبير قلت لابي يضعفه قال نعم وقال نعم بن حماد سمعت ابن عيينة يقول حدثنا ابو الزبير وهو ابو الزبير اي كانه يضعفه وقال هشام بن عمار عن سويد بن عبد العزيز قال لي شعبة تأخذ عن ابي الزبير وهو لا يحسن ان يصلي وقال نعم بن حماد سمعت هشما يقول سمعت من ابي الزبير فاخذ شعبة كتابي فزقه وقال محمود بن غيلان عن ابي داود قال شعبة ما كان احد احب الي ان القاه بمكة من ابي الزبير حتى لقيته ثم سكت وروى احمد بن سعيد الرباطي عن ابي داود الطيالسي قال : قال شعبة لم يكن في الدنيا احب الي من رجل يقدم فاسأله عن ابي الزبير فقدمت مكة فسمعت منه فيينا انا

(١) فترك ذكر المجروح فيخيل لاخذ الحديث انه صحيح وهو ضعيف - المؤلف -

جالس عنده اذ جاءه رجل فسأله عن مسألة فرد عليه فافتري عليه فقلت له يا ابا الزبير تفترى على رجل مسلم قال انه اغضبني قلت ومن يغضبك تفترى عليه، لا رويت عنك شيئاً وقال محمد بن جعفر المدائني عن ورقاء قلت لشعبة مالك تركت حديث ابي الزبير قال رأيته يزن ويسترجح في الميزان وقال يوسف بن عبد الاعلى سمعت الشافعي يقول ابو الزبير يحتاج الى دعامة وقال ابن ابي حاتم سألت ابي عن ابي الزبير فقال يكتب حديثه ولا يحتاج به قال وسألت ابا زرعة عن ابي الزبير فقال روى عنه الناس قلت يحتاج بحديثه قال انما يحتاج بحديث الثقات وقال ابن عيينة كان ابو الزبير عندنا بمنزلة خبز الشعير اذا لم نجد عمرو بن دينار ذهبنا اليه. وعبد الرحمن بن الاسود ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ولم يوثقه، ومحمد بن ربيعة، قال ابن حجر في تهذيب التهذيب: قال الساجي فيه لين وتبعه الأزدي ونقل عن عثمان بن ابي شيبة قال جاءنا محمد بن ربيعة فطلب الينا ان نكتب عنه فقلنا نحن لا ندخل في حديثنا الكذابين «انتهى». وعبد الرزاق في حديث ابي داود المراد به الصنعاني بقرينة روايته عن ابن جريح وهو مع مبالغتهم في مدحه وتوثيقه رموه بالتشيع والكذب حكاة في تهذيب التهذيب. وحديث ابن ماجة الاول رواه قبل ابي الزبير مجاهيل وابو الزبير قد علمت حاله. والثاني في سنده وهب وهو مجهول. وعبد الرحمن بن زياد قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب: قال ابو طالب عن احمد ضعيف وقال ابو حاتم عن احمد انه ضجع^(١) في عبد الرحمن وقال الميموني عن احمد انه ضعف امر عبد الرحمن قليلا وقال روى حديثاً منكراً وقال الدوري عن ابن معين ليس حديثه بشيء وقال البخاري وابو حاتم ضعفه علي ابن المديني جداً وقال ابو داود اولاد زيد بن اسلم كلهم ضعيف وقال ايضاً انا لا احدث عن عبد الرحمن وقال النسائي ضعيف وقال ابن عبد الحكيم سمعت الشافعي يقول ذكر رجل لملك حديثاً منقطعاً فقال اذهب الى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن ابيه عن نوح وقال خالد بن خدّاش قال لي الداوردي ومعن وعامة اهل المدينة لا ترد عبد الرحمن انه كان لا يدري ما يقول وقال ابو زرعة ضعيف وقال ابو حاتم ليس بقوي في الحديث وقال ابن حبان كان يقلب الاخبار فاستحق الترك وقال ابن سعد كان ضعيفاً جداً وقال ابن خزيمة

(١) في الصحاح التضجيع في الامر التقصير فيه - المؤلف -

ليس هو ممن يحتج اهل العلم بحديثه لسوء حفظه وقال الساجي عن الربيع عن الشافعي قيل لعبد الرحمن بن زيد حدثك ابوك عن جدك ان رسول الله ﷺ (ص) قال ان سفينة نوح طافت بالبيت وصلت خلف المقام ركعتين قال نعم قال الساجي وهو منكر الحديث وقال لصحاي حديثه عند اهل العلم بالحديث في النهاية من الضعف وقال الجوزجاني اولاد زيد ضعفاء وقال الحاكم وابو نعيم روي عن ابيه احاديث موضوعة وقال ابن الجوزي اجمعوا على ضعفه « انتهى » (وحديثا) النسائي مع مشاركتها في ضعف السند الذي فصلناه لباقي الاحاديث المشتركة معها في رجال السند في سند الثاني منها حجاج وهو حجاج بن محمد الأعور بقرينة روايته عن ابن جريح ففي تهذيب التهذيب انه يروي عنه وهو وان وثقه بعضهم لكن ذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب انه خلط في آخر عمره وذكر ما يدل على انه حدث في حال اختلاطه قال وذكره ابو العرب القيرواني في الضعفاء بسبب الاختلاط .

(ثانياً) انها مضطربة المتن مع اشتراك روايات مسلم والنسائي والترمذي في ابن جريح عن ابي الزبير عن جابر ورواية ابي داود معها في جابر القاضي بانها رواية واحدة (ووجه الاضطراب) ان في بعضها الاقتصار على التخصيص وفي بعضها زيادة البناء عليه وفي آخر التخصيص والكتابة والوطء وفي ثالث التخصيص والكتابة والزيادة عليه وفي آخر البناء عليه بدل الكتابة وفي بعضها البناء والزيادة والتخصيص والكتابة وفي بعضها القعود والتخصيص والبناء وفي بعضها الاقتصار على الكتابة كما يأتي في الفصل العاشر وفي بعضها التخصيص والبناء والجلوس ثم انه تارة عبر بالجلوس عليها وتارة بالقعود وتارة بأن توطأ والقعود عليها لا تخلو من اجمال (قال السندي) في حاشية سنن النسائي قيل اراد القعود لقضاء الحاجة او للاعداد والحزن بأن يلازمه ولا يرجع عنه أو اراد احترام الميت وتهويل الأمر في القعود عليه تهاونا بالميت والموت اقوال (وروي) انه رأى متكئاً على قبر فقال لا تؤذ صاحب القبر قال الطيبي هو نهى عن الجلوس عليه لما فيه من الاستخفاف بحق اخيه وحمله مالك على الحديث لما روي ان علياً كان يقعد عليه « انتهى » (وكذلك الزيادة عليه لا تخلو من اجمال لعدم ظهور المراد بالزيادة قال السندي في حاشية سنن النسائي (أو يزداد عليه) بأن يزداد على التراب الذي خرج منه أو بأن يزداد طولاً وعرضاً عن قدر جسد الميت أليت « انتهى » (والعجب) ان صاحب رسالة الفواكه العذاب

قال : ونهى « ص » ان يزداد عليها غير ترابها وانتم تزيدون التابوت والجوخ ومن فوق ذلك القبة العظيمة المبنية بالأحجار والجص « انتهى » ولم يعلم ان النهي عن زيادة التراب لا يدل على النهي عن وضع التابوت والجوخ وعمل القبة عند من يفهم معاني الالفاظ سيما عند من يبالغ في الاقتصار على مدلول الالفاظ كالوهابية في بعض حالاتهم مع ان النهي عن زيادة التراب هو للكراهة كما استعرف ولا يعلم سره ولا حكمته ولا يشمل ذلك وضع التابوت والجوخ وبناء القبة لا لغة ولا عرفا فان الزيادة على الشيء تكون من جنسه وسنخه فلو قال المولى لعبده لا تزد على هذا السمن او الزيت او اللبن فلا يفهم منه انك لا تضع فوقه صندوقا او ماعونا او ثوبا او لا تبني فوقه بيتا او لا تنصب خيمة لان ذلك لا يعد زيادة عليه لغة ولا عرفا فعلم الصندوق ووضع الجوخ وعقد القبة كلها من احترام القبر الذي ثبت ان له حرمة وشرفا بمن حل فيه فهو راجح لا محذور فيه .

(ثالثا) ان النهي أعم من الكراهة والتحريم وهب انه ظاهر في التحريم لكن كثرة استعماله في الكراهة كثرة مفرطة مضافا الى فهم العلماء منه الكراهة هنا يضعف هذا الظهور (قال النووي) في شرح صحيح مسلم في هذا الحديث كراهة تجصيص القبر والبناء عليه وتحريم القعود هذا مذهب الشافعي وجهور العلماء « الى ان قال » قال اصحابنا تجصيص القبر مكروه والقعود عليه حرام وكذا الاستناد اليه والاتكاء عليه واما البناء فان كان في ملك الباني فمكروه وان كان في مقبرة مسبلة فحرام نص عليه الشافعي والاصحاب قال الشافعي في الأم رأيت الأئمة بمكة يأمرؤن بهدم ما بني ويؤيد الهدم قوله ولا قبرا مشرفا الا سويته « انتهى » (والحق) : الكراهة في الكل كما هو مذهب ائمة اهل البيت وقهاتهم لعدم ظهور النهي في مثل هذه المقامات في التحريم مع كثرة استعماله في الكراهة كثرة مفرطة . (هذا) اذا لم يترتب على بناء القبر منفعة ولم يكن تعظيمه من تعظيم شعائر الدين لكونه قبر نبي او ولي او نحو ذلك لما استعرف من توافق المسلمين من عهد الصحابة الى اليوم على تعمير قبور الأنبياء والأولياء ومنها قبر النبي (ص) وحجرته التي دفن فيها وكراهة البناء والتجصيص مذهب الشافعي كما عرفت الا ان يكون البناء في مقبرة مسبلة مع ان بعضهم قال ان الحكمة في النهي عن التجصيص كون الجص احرق بالنار وحيشند فلا بأس بالتطين كما نص عليه الشافعي « انتهى » نقله السندي في حاشية سنن النسائي وذلك يناسب الكراهة لكن الشافعي حرم القعود مع انه مسوق مع البناء

والتجصيص في هذه الأخبار بسياق واحد فالأولى فيه الكراهة ويدل عليها ما مر من الرواية عن علي انه كان يقعد على القبر وكذلك حمل الشافعي عدم زيادة التراب وعدم رفع القبر كثيراً على الاستحباب قال السيوطي في شرح سنن النسائي : قال الشافعي والاصحاب يستحب ان لا يزداد القبر على التراب الذي اخرج منه لهذا الحديث (يعني حديث او يزداد عليه لئلا يرتفع القبر ارتفاعاً كثيراً « انتهى ») (اما ما حكاه عن الائمة انه رأهم بمكة يأمرؤن بهدم ما يبنى فلعله لزعيمهم انها مسئلة وقد عرفت في جواب الدليل الثالث انه لا دليل على الوقف والتسبيل وانه يجب حمل البانين على الصحة حتى يعلم الفساد ولم يعلم وحينئذ فيكون الهدم محرماً لأنه تصرف في مال الغير بغير اذنه اما ما ايد به النووي من قوله ولاقبراً مشرفاً الا سويته فلا تأييد فيه لما عرفت من ان المراد به النهي عن التسليم وعدم جواز ارادة الهدم من التسوية ومن ذلك يظهر ان استشهاد بعض الوهابيين في رسالة الفواكه العذاب بقول النووي قال الشافعي في الأم الخ شاهد عليه لا له فان الشافعي يقول بكراهة البناء اذا كان في ملكه والوهابيون يجرمونه مطلقاً وقد استشهد صاحب الرسالة ايضاً بكلام الأذرعي وابن كج الذي لا يرجع الى دليل غير مجرد التهويل بقوله انه مضاهاة للجبابرة والكفار وأي فائدة في قال فلان وقال فلان (وما) مر ويأتي يظهر الجواب عن المحكي عن عمر من أمره بتنحية القبسة « أي الخيمة » عن القبر وقوله دعوه يظله عمله فانه بعد تسليم ثبوته وحجيته محمول على الكراهة او صورة عدم النفع فيكون تضييعاً للمال كما يرشد اليه قوله دعوه يظله عمله أي لا نفع له في ذلك وانما ينفعه عمله ويعارضه ما مر في الباب الثاني . ويأتي في فصل اتخاذ المساجد من رواية البخاري انه لما مات الحسن بن الحسن ضربت امرأته القبة على قبره سنة .

(رابعاً) ان هذه الاحاديث مع الغض عن ضعف اسانيدھا ودلالاتھا واضطراب متنها منصرفة الى غير ما يكون تعميره وتشديده والبناء فوقه من تعظيم شعائر الله وحرماته لكون صاحبه نبياً او ولياً او صالحاً ولكونها بنيت لمصالح في الدين مهمة . منها ان تكون علامة ومناراً للقبر الذي ندب الشرع الى زيارته كما يأتي في فصل الزيارة وحفظاً له عن الاندراس . وقد علم رسول الله « ص » قبر عثمان بن مظعون بصخرة وضعها عليه (روى)

ابن ماجه ^(١) بسنده عن انس بن مالك ان رسول الله «ص» أعلم قبر عثمان بن مظعون بصخرة (قال السندي) في الحاشية اي وضع عليه الصخرة ليتبين بها وفي الزوائد هذا اسناد حسن وله شاهد من حديث المطلب بن ابي وداعة رواه ابو داود (انتهى) وفي وفاء الوفا ^(٢) روى ابو داود باسناد حسن عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن بعض الصحابة لما مات عثمان بن مظعون ودفن أمر النبي «ص» رجلا ان يأتي بحجر فلم يستطع حمله فقام اليه رسول الله (ص) وحسر عن ذراعيه (قال الراوي) كأنني انظر الى بياض ذراعي رسول الله (ص) حين حسر عنها ثم حمله فوضعه عند رأسه وقال أعلم به قبر اخي وادفن اليه من مات من اهلي (قال) ورواه ابن شبة وابن ماجه وابن عدي عن انس والحاكم عن ابي رافع وروى قبل ذلك عن محمد بن قدامة عن ابيه عن جده لما دفن النبي (ص) عثمان أمر بحجر فوضع عند رأسه (الحديث) ثم حكى عن عبد العزيز بن عمران انه قال سمعت بعض الناس يقول كان عند رأس عثمان بن مظعون ورجليه حجران . وهو يرشد الى جواز فعل كل ما يكون علامة ومنازراً للقبر «قال» وعن شيخ من بني مخزوم يدعى عمر قال كان عثمان بن مظعون اول من مات من المهاجرين فلحد له رسول الله (ص) وفضل حجراً من حجارة لحده فحمله رسول الله (ص) فوضعه عند رجله فلما ولي مروان بن الحكم المدينة مر على ذلك الحجر فأمر به فرمي به وقال والله لا يكون على قبر عثمان بن مظعون حجر يعرف به فأنته بنو أمية فقالوا بئسما صنعت : عمدت الى حجر وضعه النبي فرميت به بئسما عملت فرم به فليرد فقال اما والله اذ رميت به فلا يرد ثم قال ^(٣) وروى ابن زبالة عن ابن شهاب وغيره ان رسول الله (ص) جعل اسفل مهراس ^(٤) علامة على قبر عثمان بن مظعون ليدفن الناس حوله (الى ان قال) فلما استعمل معاوية مروان بن الحكم على المدينة حمل المهراس فجعله على قبر عثمان (انتهى) (وكفى) بهذا الفعل دليلاً على ما كان عليه مروان من الاستهانة بالدين وكأن الوهابية في هدمهم قبور الائمة والصحابة الصالحين ارادوا الاقتداء به . (ويأتي) في فصل الزيارة رواية ان فاطمة بنت رسول (ص) كانت تزور قبر حمزه

(١) صفحة ٢٤٣ ج ل (٢) صفحة ٨٥ ج ٢ (٣) صفحة ١٠٠ ج ٢ (٤) في القاموس المهراس حجر منقور يتوضأ منه - المؤلف -

ترمه وتصلحه وقد تعلمته بحجر وذلك يدل على استحباب مرمة القبر وحفظه من الانداس وعمل ما يكون علامة ودليلا عليه فاذا ثبت استحباب ذلك فكلما كان ابلغ في حفظه وعدم اندراسه كبناء القبة عليه كان اولى بالاستحباب فان هذا بمنزلة العلة المنصوصة ومنه يعلم ان القبور يمتاز بعضها عن بعض بامتياز اصحابها في الدين وعدم بناء القباب ونحوها في ذلك العصر للعسر الحاصل للمسلمين واحتياجهم الى صرف الاموال ان وجدت فيما هو اهم، من الجهاد واعاشة المسلمين فلا يقاس به العصر المتأخر عن ذلك الذي اتسعت فيه احوال المسلمين « وكما » كان النبي « ص » واصحابه يقنعون من العيش بالبلغة وبيوتهم لاطنة مبنية بالبن وسعف النخل ومسجده المعظم عريش كعريش موسى وخطبته في الجمعة والعيد اولا الى جذع ثم عمل له منبر ولم يكن المنبر يمتاز كثيراً عن الجذع بغير الهيئة فلما قويت شوكة الاسلام واتسعت حال المسلمين واستولوا على كنوز كسرى وقيصر تغيرت حالهم في اللباس والمأكل والمشرب والمسكن ووسعوا المسجدين النبوي والمكي وأجادوا بناءهما وبناء الحجرة الشريفة وسائر المساجد ، ولم يكونوا بشيء من ذلك عاصين ولا مبدعين كذلك بنوا على قبور عظماء الدين تعظيماً لشأنهم كما فهموه من احكام دينهم تصريحاً وتلويحاً . ولو سلمت الكراهة في سائر القبور لا تسلم في قبور الأنبياء وعظماء الشهداء كحمزة سيد الشهداء « ومنها » ان تكون حفظاً للقبر الذي ثبتت حرمة في الشرع عن دخول الدواب والكلاب ووقوع القاذورات عليه « والقبور » الشريفة اليوم في البقيع وغيره بعدما ارتكبه الوهابيون من الاعمال الوحشية في حقها ، معرض لهذا كله .

(ومنها) استغلال الزائرين بها من الحر والقر عند ارادة الزيارة والصلاة بجانبها التي ثبت رجحانها بشرف المكان والدعاء عندها وقراءة القرآن الذي ثبت انه ارجى للاجابة واوفر في الثواب ببركتها وبركة من حل فيها والتدريس فيها والقاء المواعظ وغير ذلك من الفوائد فهي بهذا الاعتبار داخلة في المواضع المعدة للطاعات كالمساجد والمدارس والرباطات « ومنها » ان في بنائها وتشييدها تعظيماً لشعائر الاسلام .

« خامساً » انها مع الفض عما ذكر مهجورة متروكة لم يعمل بها احد من المسلمين قبل الوهابية ومن ضارهم من عهد الصحابة الى يومنا هذا وما هذا حاله من الأحاديث لا يعمل به

كشف الارتباب م ٢٠

ولا يعول عليه ولو فرض صحة سنده باعتراف الوهابية فضلاً عن غيرهم ففي الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنوية المنسوبة لعبد العزيز بن محمد بن سعود ^(١) ان الحديث اذا شذ عن قواعد الشرع لا يعمل به فانهم قالوا ان الحديث الصحيح الذي يعمل به اذا رواه العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة « انتهى » وأي شذوذ عن قواعد الشرع اعظم من مخالفة عمل المسلمين من الصدر الاول الى اليوم من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وسائر المسلمين وأي علة اكبر من ذلك ومن عمل بها أو ببعضها لم يحملها الا على الكراهة أو خصها بما لا يكون تعميره من اقامة شعائر الدين كقبور الانبياء والأولياء الصالحين . « أما عدم العمل بها » فمن وجوه « احدها » ان الكتابة المشتمل عليها بعضها لم يعمل بها احد كما ستعرف في فصلها « ثانياً » ان قبور الانبياء التي حول بيت المقدس كقبر داود عليه السلام في القدس وقبور ابراهيم وبنيه اسحق ويعقوب ويوسف الذي نقله موسى من مصر الى بيت المقدس عليهم السلام في بلا الخليل كلها مبنية مشيدة قد بني عليها بالحجارة العادية العظيمة من قبل الاسلام وبقي ذلك بعد الفتح الاسلامي الى اليوم « فعن » ابن تيمية في كتابه الصراط المستقيم ان البناء الذي على قبر ابراهيم الخليل عليه السلام كان موجوداً في زمن الفتوح وزمن الصحابة الا انه قال كان باب ذلك البناء مسدوداً الى سنة الأربعمئة « انتهى » ولا شك ان عمر لما فتح بيت المقدس رأى ذلك البناء ومع ذلك لم يهدمه وسواء صح قول ابن تيمية انه كان مسدوداً الى الأربعمئة او لم يصح لا يضرنا لأنه يدل على عدم حرمة البناء على القبور وقد مضت على هذا البناء الأعصار والدهور وتوالت عليه القرون ودول الاسلام ولم يسمع عن احد من العلماء والصلحاء واهل الدين وغيرهم قبل الوهابية انه انكر ذلك أو أمر يهدمه أو حرمه او فاه في ذلك ببنت شفة على كثرة ما يرد من الزوار والمترددین من جميع اقطار المعمور . وبذلك يظهر بطلان زعم الوهابية ان البناء على القبور حدث بعد عصر التابعين وقول ابن بليهد انه حدث بعد القرون الخمسة ويكذبه أيضاً مضافاً الى ما يأتي في بناء الحجرة الشريفة النبوية ما سيأتي في فصل اتخاذ المساجد على القبور من وجود المسجد على قبر حمزه في المائة الثانية وما مر في هذا الفصل عند رد دليلهم الثالث من ان قبر العباس وأئمة اهل البيت كانت في دار

عقيل مع عدم الفرق بين البناء الحادث والمستمر وان قبر ابراهيم ابن رسول الله «ص» كان في دار محمد بن زيد بن علي وان قبر سعد بن معاذ في دار ابن افلح وان عليه جتيدة اي قبة في زمن عبد العزيز ابن محمد الذي هو من اهل المائة الثانية بتصريح السهمودي كما يأتي في فصل اتخذ المساجد على القبور (ثالثها) انها قد بنيت الأبنية على القبور في عهد الصحابة ومن بعدهم قبل المائة الخامسة وأولها قبر النبي (ص) فانه قد دفن في حجرة مبنية ودفن فيها صاحبه . ويظهر من السيرة النبوية لاحمد بن زيني دحلان ان ذلك كان بشبه وصية منه « ص » حيث قال : (١) واختلفوا في موضع دفنه « ص » فقال ابو بكر « رض » سمعت رسول الله « ص » يقول ما مات نبي قط الا يدفن حيث تقبض روحه فقال علي وانا ايضاً سمعته رواه الترمذي وابن ماجة وفي رواية الموطأ ما دفن نبي قط الا في مكانه الذي توفي فيه « انتهى » ولو كان البناء على القبور محرماً وواجب الهدم لهدمها الصحابة قبل دفنه « ص » فيها أو دفنوه « ص » في مكان لا بناء فيه اذ لا يتصور فرق بين البناء السابق واللاحق ولم يقل احد بالفرق . ولو كانت بمنزلة الاصنام كما يزعم الوهابيون لم يكن فرق بين البناء السابق واللاحق مع انهم قد بنوها لاحقاً بنى عليها عمر بن الخطاب حائطاً وهو اول من بناها وبنت عائشة حائطاً بينها وبين القبور وكانت تسكنها وتصلي فيها قبل الحائط وبعده وبذلك يبطل قولهم بعدم جواز الصلاة عند القبور وبناها عبد الله بن الزبير ثم سقط حائطها فبناه عمر بن عبد العزيز ثم لما وسع المسجد في خلافة الوليد بنى على البيت حظاراً وفي رواية انه هدم البيت الأول ثم بناء وبنى حظاراً محيطاً به وتولى ذلك عمر ابن عبد العزيز وأزر الحجرة بالرخام ثم اعيد تأزيرها في زمن المتوكل الخليفة العباسي ثم جدد في زمن المقتفي ثم عمل في زمنه للحجرة مشبك من خشب الصندل والأبنوس على رأس جدار عمر بن عبد العزيز ثم لما سقط حائط الحجرة في دولة المستضيء اعيد بناؤه ثم لما احترق الحرم الشريف سنة ٦٥٤ شرعوا في تجديد الحجرة الشريفة في دولة المستعصم آخر ملوك بني العباس واكمل تعميرها من آلات وصلت من مصر في عهد الملك المنصور ايبك الصالحى واخشاب من صاحب اليمن الملك المظفر ثم اكمل تعميرها في ايام الملك المنصور قلاوون الصالحى صاحب مصر فعملت اول قبة على الحجرة الشريفة وهي القبة

(١) ص ٤٠٠ ج ٣ بهامش السيرة الخلية طبع عام ١٣٣٠ بمصر .

الزرقاء بناها احمد بن عبد القوي ناظر قوص سنة ٦٧٨ ثم جددت في ايام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ثم في ايام الملك الاشرف سنة ٧٦٥ ثم جددت في دولة الظاهر جقمق سنة ٨٥٣ ثم جدد بناء الحجرة الشريفة سنة ٨٨١ في دولة الملك الاشرف قاتباي صاحب مصر وعمل عليها قبة سفلية تحت القبة الزرقاء ثم لما احترق الحرم الشريف ثانياً سنة ٨٨٦ اعيد بناء الحجرة الشريفة وعمل عليها قبة عظيمة بدل القبة الزرقاء والتي تحتها وذلك في دولة الملك الاشرف قاتباي ثم جدد بناؤها سنة ٨٩١ في دولة الملك الاشرف ولم يزل ملوك بني العباس يجددون ما انهدم منها وكذلك ملوك بني عثمان وقد جددت في عهد السلطان عبد المجيد منهم كما سيأتي تفصيل ذلك كله .

« ومما بني في عهد الصحابة » وبعده قبل المائة الخامسة ما ذكره السهمودي في وفاء الوفا كما سيأتي في فصل الكتابة على القبور ان عقيلاً لما حفر بئراً في داره وجد حجراً مكتوباً عليه هذا قبر ام حبيبة فدفن البئر وبنى عليه بيتاً وان ابن السائب قال دخلت البيت فرأيت القبر « وبنى » الرشيد قبة على قبر امير المؤمنين علي « ع » كما عن عمدة الطالب وغيره وكان الرشيد في المائة الثانية ثم تتابع البانون في بنائها الى اليوم وفيها يقول الحسين بن الحجاج الشاعر المشهور المتوفي سنة ٣٩١ في مطلع قصيدة :

يا صاحب القبة البيضا على النجف من زار قبرك واستشفى لديك شفي

وعن الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ان الكاظم عليه السلام دفن في مقابر الشونيزية خارج القبة وقبره هناك مشهور يزار وعليه مشهد عظيم فيه القناديل وانواع الآلات والفرش ما لا يحصى « انتهى » فيدل على وجود قبة عند دفن الكاظم عليه السلام وهو سنة ١٨٣ وعلى وجود مشهد في عصر الخطيب المولود سنة ٣٩٢ ولا بد ان يكون حدوثه قبل عصره « وذكر » المؤرخون وعلماء الأثر وجل من كتب في التراجم ان الائمة زين العابدين والباقر والصادق عليهم السلام دفنوا في قبة الحسن عليه السلام والعباس رضوان الله عليه بالبقيع وكانت وفاة زين العابدين « ع » سنة ٥٩ ووفاة الباقر عليه السلام في اوائل المائة الثانية في العشر الثاني منها ووفاة الصادق « ع » سنة ١٤٨ كما ذكروا بناء القباب والمشاهد على جملة من القبور قبل المائة الخامسة « مثل » ان الامام علي بن موسى الرضا دفن في القبة التي دفن فيها هرون الرشيد بطوس في دار حميد بن قحطبة

الطائي ويظهر ان الذي بنى تلك القبة على الرشيد هو ولده المأمون وكان كما عن السيوطي أماراً بالعدل فقيه النفس يعد من كبار العلماء « انتهى » وكان عصره حافلاً بالعلماء وائمة الدين منهم الامام علي بن موسى الرضا امام اهل البيت ووارث علوم جده وآبائه الذي كان يصدر المأمون عن رأيه وعمل له الرسالة الذهبية ومسائله له مشهورة في مشكلات علوم الدين ولما رآه يتوضأ والغلام يصب على يديه الماء قال له يا امير المؤمنين لا تشرك بعبادة ربك احداً فصرف الغلام . فلو كان البناء على القبور محرماً لنهاه عن بناء القبة على قبر الرشيد مع انه لم ينه بل اوصى ان يدفن في تلك القبة ومنهم الامامان الشافعي واحمد من ائمة المذاهب الاربعة وسفيان بن عيينة وغيرهم ولم ينقل ان احداً انكر عليه مع انهم انكروا عليه القول بخلق القرآن وصبروا على الحبس والضرب ولم يوافقوه عليه « ومثل » ان نهشل بن حميد الطوسي بنى قبة على قبر ابي تمام حبيب بن اوس الطائي الشاعر المشهور المتوفى سنة ٢٣٠ بالموصل « وانها » بنيت قبة على قبر بوران بنت الحسن بن سهل المتوفاة سنة ٢٧١ وان معز الدولة البويهى المتوفى سنة ٣٩٣ دفن اولاً في داره ثم نقل الى مشهد بني له في مقابر قریش الى غير ذلك مما يقف عليه المتتبع ويطول الكلام باستقصائه وكل ذلك يكذب ما زعمه الوهابية من ان البناء على القبور حدث بعد المائة الخامسة ويبين انهم يرسلون الكلام على عواهنه ويكيلون الدعاوى جزافاً ويدل على مبلغهم من العلم وجهلهم بالتاريخ .

وعن تاريخ الخلفاء للسيوطي ان المتوكل في سنة ٢٣٦ أمر بهدم قبر الحسين وهدم ما حوله من الدور وان يعمل مزارع ومنع الناس من زيارته وخرب وبقي صحراء وكان المتوكل معروفاً بالنصب فتألم المسلمون من ذلك وكتب اهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد وهجاه الشعراء فمما قيل في ذلك :

تالله ان كانت امية قد اتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد اتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمرى قبره مهدوما
اسفوا على ان لا يكونوا شاركوا في قتله فتبعموه رميا

وعن المسعودي ان المتوكل أمر في سنة ٢٣٦ المعروف بالديزج بالمسير الى قبر الحسين بن علي وهدمه وازالة اثره وان يعاقب من وجد به فبذل الرغائب لمن يقدم على

ذلك فكل خشي عقوبة الله فاحجم فتنناول الديزج مسعاة ومدم أعالي قبر الحسين
 فحينئذ اقدم الفعل على العمل ولم يزل الامر على ذلك حتى استغلف المنتصر « انتهى »
 (وهذا) صريح في ان قبر الحسين « ع » كان مبنياً بناءً عالياً مشيداً لقوله فهدم أعالي
 القبر وان هدم قبور عظماء الدين كانت معلوماً عند المسلمين قبحه ومغروساً ذلك في
 نفوسهم فلذلك لم يقدم الناس على هدم قبر الحسين « ع » مع بذل الرغائب ولذلك قبح
 جميع المسلمين فعل المتوكل وكتبوا هجاءه على الحيطان وعد فعله هذا من قبائح
 الشيعة وذمه بذلك كل من كتب في التاريخ فالوهابية اقتدوا في اعمالهم بالمتوكل المعروف
 بالنصب الذي ساء جميع المسلمين بعمله هذا كما ساءوا هم جميع المسلمين بعملهم ثم أخذه الله
 اخذ عزيز مقتدر فسلط عليه الأتراك فقتلوه برأي ولده المنتصر شر قتلة .

ومن ذلك كله يعلم ان البناء على القبور لاحقاً وسابقاً غير محرم وانه راجح اذا كان
 على قبر نبي او ولي او عالم او عابد او غيرهم ممن يكون تعظيمه من تعظيم شعائر الله
 تعالى وهذا الوجه مما يهدم كل أساس بنى عليه الوهابية شبهاتهم ولا يرتاب فيه الامكابر
 معاند فانك اذا احطت علماً بما سردناه عليك من تاريخ بناء الحجرة الشريفة النبوية من
 مبدأ امرها الى يومنا هذا وما بنى على قبور الصحابة والائمة والاولياء والصلحاء والشعراء
 والامراء وبغض النساء وغيرهم علمت ان المسلمين عموماً من الصدر الأول الى اليوم من
 جميع النحل والمذاهب الاسلامية متفقون على جواز البناء على القبور وعقد القباب
 عليها عدى الوهابية فانهم مخالفون لما عليه الامة الاسلامية جمعاء ولمذهب السلف الذين
 يتغنون دائماً بانهم متبعون له حيث علمت ان الصحابة جميعاً ومنهم الخلفاء الاربعة اتفقوا
 على دفنه « ص » في بيته وخجرته التي كان يسكنها مع زوجته عائشة وهي مبنية مسقفة
 ولو كان البناء على القبور غير جائز لما خفي على الصحابة عموماً ولو حرم ابتداء لحرم
 استدامة ثم دفن ابو بكر وعمر مع النبي « ص » في تلك الحجرة وعد ذلك اعظم منقبة
 لهما ثم بنت عائشة حائطاً في تلك الحجرة بينها وبين القبر الشريف وقد رويتم انه « ص »
 قال خذوا ثلثي دينكم عن عائشة ثم جدد بناء الحجرة الشريفة عمر بن الخطاب وابن الزبير
 وعمر بن عبد العزيز صالح بن امية وعادهم وزاهدهم ومعيد رونق الخلافة بعدما
 صارت ملكاً عضوضاً ورافع السب عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ورااد

فدك الى اولاد فاطمة تورعائهم تتابع ملوك الاسلام وامراءهم في بناء الحجرة الشريفة والقبعة المنيفة جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن وعصر بعد عصر وخلفاء عن سلف متقربين بذلك الى الله راجين ثوابه مفتخرين به امام رعاياهم وكان في أعصارهم وفي المدينة المنورة من العلماء والصلحاء واهل الفضل والدين ما لا يحصى عددهم ولم يسمع من احد انه لامهم على هذا الفعل او خطأهم فيه او منعهم منه من العلماء الذين كانت لهم الكلمة النافذة عند الملوك والامراء وليس ترك ذلك شيئا مخرجا بسلطنتهم وسياستهم للملك حتى يخافهم العلماء فيه بل هو امر ديني محض لا يخالفهم فيه ملك ولا امير ولا يخرج قصد الملوك والامراء في ذلك عن احد امرين طلب الثواب منه تعالى والفخر عند الناس وكل ذلك لا يتم لهم مع نهي العلماء عنه وتحريمه فاذا لم يكن هذا الامر الذي اتفق عليه الصحابة من صدر الاسلام والتابعون وتابعو التابعين وعلماء المسلمين وعامتهم وملوكهم وصعاليكهم خلفاء عن سلف وجيلا بعد جيل قطعيا ولا اجماعيا ففي اي حكم في الشريعة يمكن دعوى القطع والاجماع واذا لم يكن السلف قدوة في مثل هذا ففي أي شيء يقتدى بهم ويقول المرء عن نفسه انه سلفي على عادة الوهابيين .

« رابعها » ان حرمة قبور الانبياء والصلحاء بل كل مسلم وفضلها وشرفها وبركتها ملحق بالضروريات عند الصحابة والتابعين وتابعيهم وجميع المسلمين لا يرتاب في ذلك أحد كما سيأتي في الفصل الثالث عشر واذا كان لها حرمة ومنزلة وشرف وبركة عند الله تعالى وجب أو رجع فعل كل ما يوجب احترامها وتعظيمها من زيارتها والبناء عليها وحفظها عن دوس الاقدام وروث الدواب والكلاب وغير ذلك لأن ذلك من تعظيم شعائر الله وحرماته وحرم كل ما يوجب اهانتها واحتقارها وامتهانها من هدمها وهدم حجرها وقباها وجعلها معرضاً لوطء الأقدام وروث الدواب والكلاب ووقوع القاذورات فان ذلك كله لا شك انه اهانة لها ولاهلها فاذا ثبت ذلك وجب طرح كل حديث ناه عن البناء على القبور او أمر بهدمها لو فرض وجوده او تخصيصه بغير قبور الانبياء والأولياء والعلماء والصلحاء لان ذلك اهانة لهم وقد دل العقل والنقل على حرمة اهانتهم ووجوب تعظيمهم احياء واموات . « لا يقال » انما يكون تعظيم تلك القبور راجحا لو لم يكن كفراً وشركا بكونه عبادة لها كمعبادة الاصنام « لانا نقول » بعد ما ثبت ان لها شرفاً وحرمة عند الله تعالى بما

بيناه لا يكون تعظيمها عبادة لها ولا كفراً ولا شركاً بل تعظيمها تعظيم لله تعالى وعبادة له كتعظيم الكعبة والحرم والحجر الاسود والمساجد والمقام وكل شيء امر الله بتعظيمه من المخلوقات وقياس ذلك بعبادة الاصنام التي لم يجعل الله لها حرمة بوجه من الوجوه قياس فاسد كما اوضحناه مراراً . « لا يقال » انما يكون بناؤها والبناء عليها تعظيماً لها لو لم يرد النهي الموجب لكونه محرماً ولا تعظيم بمحرم وانما يكون هدمها وهدم ما بني عليها اهانة لو لم يرد الأمر به الموجب لكونه طاعة وهو عين الاحترام لها ولأصحابها بتنفيذ ما امر الله به فيها « لأننا نقول » كون بناؤها والبناء عليها في نفسه احتراماً لها ولأصحابها وهدمها وهدم ما بني عليها في نفسه اهانة لها ولأصحابها عرفاً مع قطع النظر عن ورود النهي والأمر مما لا يشك فيه احد وبمعدنا ثبت بالدليل القطعي السابق وجوب احترامها وحرمة اهانتها لا يمكن ان يكون النهي عن البناء والأمر بالهدم شاملاً لها بسل هو اما مطروح أو خاص بغيرها او مصروفا اليه لان الظن لا يعارض اليقين .

« خامسها » ان وجوب مودة اهل البيت عليهم السلام واحترامهم وحرمة اهانتهم احياء وامواتاً مما نطق به الكتاب العزيز في قوله تعالى « قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى » وفسرت الآية مع ظهورها في نفسها السنة النبوية بأن المراد بالقربى هم اهل البيت الطاهر النبوي مما لا يسع المقام ذكره فلا ينافي ذلك تمحلات ابن تيمية وتأويلاته على عادته في الاجتهاد في محو كل فضيلة ومنقبة لاهل البيت الطاهر اما بانكار الحديث ولو استفاض واشتهر او تواتر او بتأويله او بدفعه بالاستبعادات ^(١) ونطقت بها

(١) كما دفع حديث « ان قتل علي لعمر بن عبد ود يوم الخندق افضل من عبادة الثقلين » تارة بتضعيف سنده وانه موضوع وتارة بانه كيف يكون قتل كافر افضل من عبادة الثقلين ومنهم الانبياء واخرى بان عمرو بن عبد ود لم يعرف له ذكر الا في هذه الفزوة . ورده صاحب السيرة الحلبية بان قتله كان فيه نصرة للدين وخذلان للكافرين وبان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراحة فلم يشهد احداً فلما كان يوم الخندق خرج معلماً جعل له علامة يعرف بها ليرى مكانه « انتهى » واي عمل من الاعمال يعادل ضربته لعمر بن عبد ود يوم الخندق حين عبر الخندق معلماً يطلب البراز فجبن عنه الناس كلهم الا علي واي خذلان كان يقع على الاسلام لو لم يقتل علي عمراً فبذلك الضربة أعز الاسلام وقويت شوكتة واشتد ساعده وابن تيمية يوهن امرها ويضعفه « انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » يريدون ليطفئوا نور الله بانوارهم والله متم نوره » - المؤلف -

السنة الطاهرة كما في حديث الثقلين وغيره مما ليس هذا محل ذكره ومن مودتهم واحترامهم احترام قبورهم وحفظها بالبناء عليها عن ان تداس بالاقدام او تكون معرضاً لدخول الدواب والكلاب اليها وتوسيحها وتنجيسها ووقوع القاذورات عليها وعدم اهانتهم بهدم قبورهم وقبابهم المشيدة فان هدم قبر النبي او الولي يعد في العرف اهانة له واي اهانة . واحترام المؤمن فضلاً عن النبي واجب حيا وميتا ومن احترامه ميتا النهي عن الجلوس على قبره والاتكاء عليه والاستناد اليه ووطئه بالاقدام كما مر في هذا الفصل وفي وفاء الوفا^(١) روى ابن زبالة ويحيى من طريقه عن غير واحد منهم عبد العزيز بن ابي حازم ونوفل بن عمار قالوا كانت عائشة تسمع صوت التودد والسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بالمسجد فترسل اليهم لا تؤذوا رسول الله (ص) . قالوا وما عمل علي مصراعي داره الا بالمناصع (٢) توقياً لذلك . (وقال) قبل ذلك ان عمر قال ان مسجدنا هذا لا ترتفع فيه الأصوات وقال ابو بكر لا ينبغي رفع الصوت على نبي حيا ولا ميتا (انتهى) ولا يخفى تبدل العناوين بحسب الزمان والمكان والاشخاص فتبديل لذلك الاحكام . (فالأخبار) المتوهم دلالتها على خلاف ذلك مهجورة متروكة عند جميع المسلمين أو مصروفة الى غير قبورهم الشريفة وقبابهم المنيفة والأسئلة التي أوردناها على الوجه الرابع يمكن ان تورد هنا والجواب الجواب .

بناء الحجرة الشريفة والقبة المنيفة النبوية من ابتداء امرها الى اليوم

اما ما وعدنا به من شرح وتفصيل بناء الحجرة الشريفة والقبة المنيفة النبوية من ابتداء امرها الى يومنا هذا فنقول :

كانت الحجرة الشريفة التي دفن فيها رسول الله (ص) هي البيت الذي كانت تسكنه عائشة ام المؤمنين قال السهودي في وفاء الوفا^(٣) كان من لبن وجريد النخل ثم حكي عن عمران بن ابي أنس ان بيوت النبي (ص) كانت اربعة بلبن لها حجر من جريد (قال) وبيت عائشة أحد الأربعة ثم حكي عن رواية ابن سعد انه لم يكن عليه حائط زمن النبي (ص) وان اول من بنى عليه جداراً عمر بن الخطاب (قال) وليحمل على ان حجرة

(١) من ٣٩٨ ج ل (٢) في القاموس النصح مثثلة جلد ابيض او ثوب « انتهى » وليس فيه ما يناسب المقام غير هذا - المؤلف - (٣) من ٣٨٣ - ٣٩٠ ج ل طبع مصر .

الجريد التي كانت مضافة له ابدلها عمر بجدر ، جمعا بين الروايات (انتهى) وبقيت عائشة ساكنة في ذلك البيت بعد دفن النبي (ص) ودفن ابي بكر وعمر فلما دفن عمر بنت بينها وبين القبور جداراً فكان عمر اول من بنى جدار الحجرة الشريفة وثلثه عائشة (قال السهودي) في وفاء الوفا^(١) روى ابن زباله عن عائشة (رض) انها قالت ما زلت اضع خماري وأفضل في ثيابي حتى دفن عمر فلم ازل متحفظة في ثيابي حتى بنيت بيني وبين القبور جداراً (قال) وعن المطلب كانوا يأخذون من تراب القبر فأمرت عائشة بجدار فضرب عليهم وكانت في الجدار كوة فكانوا يأخذون منها فأمرت بالكوة فسدت « قال » وقال ابن سعد في طبقاته بسنده عن مالك بن انس قسم بيت عائشة باثنين : قسم كان فيه القبر وقسم تكون فيه عائشة وبينهما حائط فكانت عائشة ربما دخلت حيث القبر فضلا فلما دفن عمر لم تدخله الا وهي جامعة عليها ثيابها (ثم قال) قال عبيد الله بن ابي يزيد كان جداره قصيراً بناه عبد الله بن الزبير « انتهى » فهؤلاء هم السلف الذين يزعم الوهابية انهم قدوتهم ويسمون انفسهم السلفية وهؤلاء أصحاب رسول الله « ص » الذين يزعم الوهابية انهم على طريقتهم عملاً بقوله « ص » ان امته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة الا واحدة وهي من كان على مثل ما هو عليه واصحابه . « ثم قال السهودي » قال الأفشري قال ابو زيد بن شبة قال ابو غسان بن يحيى بن علي بن عبد الحميد وكان عالماً باخبار المدينة ومن بيت كتابة وعلم : لم يزل بيت النبي « ص » الذي دفن فيه هو وأبو بكر وعمر ظاهراً حتى بنى عمر بن عبد العزيز عليه الحظائر المزور الذي هو عليه اليوم حين بنى المسجد في خلافة الوليد بن عبد الملك وانما جعله مزوراً كراهة ان يشبه تربيعة تربيعة الكعبة وان يتخذ قبلة فيصلى اليه . (اقول) وذلك انه جعل الحظائر بهيئة التربيعة ولما انتهى الى الزاويتين اللتين من جهة الشمال اخذ منها خطين مائلين حتى التقيا في جهة الشمال وحدث منهما زاوية خامسة وذكر هذا الحظائر النووي فيما سيأتي عنه في الفصل الحادي عشر « ثم » حكى السهودي^(٢) عن رواية ابن سعد انه انهدم الجدار الذي على قبر النبي « ص » في زمان عمر بن عبد العزيز فأمر بعمارتها « وعن » رواية ابن زباله انه جاف بيت النبي « ص » من شرقيه فأمر عمر بن عبد العزيز ابن ورد ان يكشف

عن الأساس فظهر قدما فقال له عبيد الله بن عبد الله بن عمر أيها الأمير لا يرو عنك فتانك قدما جدك عمر بن الخطاب ضاق البيت عنه فحفر له في الأساس « وفي رواية البخاري » من حديث هشام بن عروة ان القائل لهم ذلك هو عروة « قال السهودي » وروي عن المطلب انه لما سقط الجدار من شق موضع الجنائز امر عمر « يعني ابن عبد العزيز » بقباطي فخيطة ثم ستر بها وأمر ابا حفصة وناسا معه فبنوا الجدار « وفي رواية » ان عمر بن عبد العزيز دعا وردان البناء فبناه بعدما ستر بالقباطي ومزاجم مولى عمر يناوله قال ^(١) ويستفاد من ذلك ان السبب في هذا البناء سقوط الجدار ولعله بسبب المطر كما يشير اليه بعض الروايات « ويدل » بعض الروايات التي نقلها ان سبب البناء ان الناس كانوا يصلون ^(٢) الى القبر فأمر به عمر بن عبد العزيز فهدم الحائط ورفع حتى لا يصل اليه أحد وبعضها ان الوليد بن عبد الملك لما اشترى حجر أزواج النبي « ص » كتب الى عمر ابن عبد العزيز ان اهدمها ووسع بها المسجد فهدمها فلما ان بنى البيت على القبر وهدم البيت الأول ظهرت القبور الثلاثة (أقول) والظاهر ان عمر بن عبد العزيز لما انهدم حائط الحجرة الشريفة بناء ثم لما وسع المسجد أزال بناء الحجرة كله وبناه جديداً وجعل لها حظاراً . « قال » السهودي ^(٣) وهذا البناء لم يبلغ به عمر بن عبد العزيز سقف المسجد اتفاقاً بل فوقه شباك من خشب متصل بسقف المسجد . قال ^(٤) وروى ابن زباله عن محمد بن هلال وعن غير واحد من اهل العلم ان بيت رسول الله « ص » الذي فيه قبره وهو بيت عائشة الذي كانت تسكنه وانه مربع مبني بحجارة سود وقصة « اي حص » وبابه مسدود بحجارة سود وقصة ثم بنى عمر بن عبد العزيز على ذلك البيت هذا البناء الظاهر « وقال » السهودي ^(٥) انه لم ير للبيت عند انكشافه في العمارة التي ادركها بابا ولا موضع باب ورآه مربعاً مبنياً بالاحجار السود المنحوتة (وحكى السهودي) عن بعض العلماء في سبب ستر القبور ما وقع من وصية الحسن (ع) ان تحمل جنازته ويحضر بها قبر النبي (ص) فظن طائفة ان الحسين (ع) يريد دفنه في الحجرة فمنعوه وقتلوه فلما كان عبد الملك أو غيره سدوا وسترها (ثم قال) وفيما قدمناه اشعار بان موضع القبور

(١) ص ٣٨٨ ج ٢ (٢) من الوصول - المؤلف - (٣) ص ٤٠٤ ج ٤ (٤) ص ٣٨٨ ج ٤ (٥) ص

٤٠١ ج ٤ .

كان مسقفاً تحت سقف المسجد كما يأتي التصريح به ولهذا لما انكشف سقف المسجد رأوا ما بين الحظار الظاهر والحجرة ولم يروا جوف الحجر ثم استدل له بمحدث جعل الكوة من قبر النبي « ص » الى السماء حتى لا يكون بينهما سقف وقد تقدم « الى ان قال » ثم اطلعنا في العمارة التي ادر كناها على وجود سقف جعل بعد الحريق وعلى آثار السقف الذي كان قبله « ثم » حكى ^(١) عمارة ابي البخري والى المدينة لهرون الرشيد التي كشف فيها سقف المسجد مما يلي الحجر الشريفة فوق القبر في جمادى الأولى سنة ١٩٣ فوجد فيه سبعين خشبة مكسورة فادخل مكانها خشباً صحاحاً « انتهى » فهذه ايضا تصلح ان تعد من جملة عمارة الحجر باعتبار انها فوقها « ثم » حكى ^(٢) عن ابن النجار انه قال ان المتوكل في خلافته امر اسحق بن سلمة وكان على عمارة الحرمين من قبله ان يؤزر الحجر بالرخام ففعل وكانت خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ وتوفي سنة ٢٤٧ « وقال السهمودي » ان تأزير الحجر بالرخام له ذكر في كلام يحيى بن عباد وذكر الخبر عن حجر كان في بيت فاطمة كان رسول الله (ص) يصلي اليه اذا دخل على فاطمة وكانت فاطمة عليها السلام تصلي اليه وولدت الحسنين عليهما السلام عليه وسأيت في الفصل الرابع عشر . « قال راوي الحديث » ولم يزل ذلك الحجر نراه حتى عمر الصانع المسجد ففقدها عندما ازر القبر بالرخام وكان الحجر لاصقا بجدار القبر قريبا من المربعة « قال السهمودي » قال بعض رواة كتاب يحيى : الصانع هذا هو اسحق بن سلمة كان المتوكل وجه به على عمارة المدينة ومكة « انتهى » وحكى السهمودي ^(٣) عن ابن النجار انه في خلافة المقتفي سنة ٥٤٨ جدد ذلك جمال الدين وزير بني زنكي وجعل الرخام حول الحجر الشريفة قامة وبسطه (وحكى) في موضع آخر ^(٤) عن ابن النجار ان جمال الدين الأصفهاني الوزير المذكور عمل للحجرة الشريفة مشبكا من خشب الصندل والأبنوس واداره حولها مما يلي السقف أي على رأس الجدار الذي بناه عمر بن عبد العزيز فانه لم يبلغ السقف كما مر « انتهى » « وحكى ايضا » ^(٥) عن ابن النجار انه قال في كتابه الدررة الثمينة : في سنة ٥٤٨ سمعوا صوت هدة في الحجر فأخبروا امير المدينة القاسم بن مهنى الحسيني فقال ينزل من يرى

(١) ص ٣٩٨ - ٣٩٩ ج ل (٢) ص ٤٠٨ ج ل (٣) ص ٤٠٨ ج ل (٤) ص ٤٠٥ ج ل (٥) ص

هذه الهدية فاختاروا عمر النسائي شيخ شيوخ الصوفية بالموصل فوجد ردماً أما من السقف أو من الحيطان فأزاله « قال » وقال انه من سنة ٥٥٤ الى زمانه لم يقع دخول الى الحجرة وقد توفي سنة ٦٤٢ (ولكن) حكى السمهودي عن الأقشيري بسنده عن الرجال احمد بن عاث انهم منذ قريب اربعين سنة سمعوا بالمدينة هدة في الحجرة الشريفة فكتب في ذلك الى الخليفة فاستشار الفقهاء فأفتوا ان يدخلها رجل فاضل من القومة على المسجد فاختاروا بدر الضعيف وهو شيخ فاضل من بني العباس يصوم النهار ويقوم الليل فدلي فوجد الحائط الغربي قد سقط وهو حائط دون الحائط الظاهر فصنع له ثن من تراب المسجد فبناه وكانت رحلته سنة ٦١٢ وقد قال قريباً من اربعين سنة فيكون ذلك في حدود ٥٧٠ ويكون في دولة المستضيء .

ثم احترق الحرم الشريف النبوي على ما ذكره السمهودي ^(١) نقلاً عن المؤرخين ليلة الجمعة أول شهر رمضان سنة ٦٥٤ بسبب ان احد الفراشين دخل الى حاصل المسجد ومعه نار فعلمت في بعض الآلات وأعجزه طففيها واحترق الحاصل والفراش والمسجد كله ولم يسلم سوى القبة التي احدثها الناصر لدين الله سنة ٥٧٦ لحفظ ذخائر الحرم لكونها بوسط صحن المسجد وبقيت سوارى المسجد قائمة كأنها جذوع النخل اذا هبت الرياح تتأيل وذاب الرصاص من بعض الأساطين فسقطت ووقع السقف الذي كان على أعلى الحجرة على سقف بيت النبي (ص) فوقها جميعاً في الحجرة الشريفة وكتبوا بذلك للخليفة المستعصم بالله ابي احمد عبد الله بن المستنصر بالله في شهر رمضان فوصلت الآلات والصناع مع ركب العراق في الموسم وابتدىء بالعمارة اول سنة ٦٥٥ وأرادوا ازالة ما وقع من السقوف على الحجرة الشريفة فلم يجسروا واتفق رأي امير المدينة منيف بن شيعة بن هاشم بن قاسم بن مهنى الحسيني وأكابر اهل الحرم ان يطالع الخليفة المستعصم بذلك فكتبوا اليه فلم يأت الجواب للاشتغال بفتنة التتر فتركوا الردم بحاله وأعادوا سقفاً محكماً فوقه على الحجرة الشريفة من الواح ثخينة جداً من الساج الهندي وسمروا بعضها الى بعض على قوائم من خشب وجعلوه اربع قطع كل قطعة كالسباب العظيم وجعلوا عند ملتقى كل قطعتين مقصات من خديد وكلبوا بعضها الى بعض تكليفاً محكماً وجعلوا تحته

ثلاث جزم من الساج الهندي تحمله ولم يجعلوا في تلك الالواح دهونا ولا نقوشا ولا كتابة غير ان النجار كتب اسمه على طرف السقف نقراً وكذلك سقف المسجد الحاذي للحجرة الشريفة مما يلي هذا السقف جميعه من الساج النقي ليس عليه دهان ولا نقوش فسقفوا في سنة ٦٥٥ الحجرة الشريفة وبعض المسجد ثم دخلت سنة ٦٥٦ فكان في المحرم منها استيلاء التتار على بغداد وقتل الخليفة فوصلت الآلات من مصر والمستولي عليها يومئذ الملك المنصور نور الدين علي بن الملك المعز عز الدين ايبك الصالحى ووصلت آلات وأخشاب من صاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن منصور بن عمر بن علي بن رسول فعملوا الى باب السلام ثم عزل صاحب مصر آخر سنة ٦٥٧ وتولى مكانه مملوك ابيه الملك المظفر وقتل بعد نحو احد عشر شهراً ولم تتم عمارة المسجد وتولى مكانه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى البندقدارى فكمل في ايامه سقف المسجد . « وقال السهمودي » ان السلطان المذكور لما حج سنة ٦٦٧ أراد ان يجعل على الحجرة الشريفة مقصورة فعملها وارسلها سنة ٦٦٨ وعمل لها ابواباً وكانت نحو القامتين فزاد عليها الملك العادل زين كتبغا في ٦٩٤ شبا كادئراً عليها حتى وصلها بسقف المسجد وقد صارت هذه المقصورة تعرف بالحجرة الشريفة وابوابها وقناديلها بأبواب الحجرة وقناديلها .

ثم عملت القبة الزرقاء وهي (اول قبة) عملت على الحجرة الشريفة « قال السهمودي » في وفاة الوفا^(١) لم يكن قبيل حريق المسجد الاول وما بعده على الحجرة الشريفة قبة بل كان حول ما يوازي الحجرة النبوية في سطح المسجد حظير مقدار نصف قامة مبنياً بالاجر تمييزاً للحجرة الشريفة عن بقية سطح المسجد واستمر ذلك الى سنة ٦٧٨ في ايام الملك المنصور قلاوون الصالحى فعملت (القبة الزرقاء) وهي مربعة من أسفلها مئمنة من أعلاها بأخشاب اقيمت على رؤوس السواري وسم عليها الواح من خشب ومن فوقها الواح الرصاص وفيها طاقة يرى المبصر منها سقف المسجد الاسفل وحوها على سقف المسجد ألواح رصاص ويحيط بها وبالقبة درابزين خشب مكان الحظير الاجر . (قال) ورأيت في الطالع السعيد الجامع اسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد في ترجمة الكمال احمد بن البرهان عبد القوي الربيعي ناظر قوص انه بنى على الضريح النبوي

هذه القبة المذكورة قال وقصد خيراً وتحصيل ثواب (انتهى) (أقول) ولم ينقل عن احد من اهل العلم والدين الذين كانوا في زمانه انهم انكروا ذلك لكون البناء على القبور وعقد القباب عليها شركاً او محرماً وكانت البلاد الاسلامية سيما الحرمين الشريفين غاصة بالعلماء « اما » ما حكاه السهمودي في وفاء الوفا من قول بعضهم انه اساء الأدب بعلو النجارين ودق الخشب فخارج عن المقام ان لم يكن مؤيداً لما نقوله من وجوب احترام قبر النبي (ص) ومخالفاً لما تقوله الوهابية أو هو لازم قولهم من سقوط حرمة قبره (ص) مع ان هذا القول جمود وغباوة من قائله لأن علو النجارين ودق الخشب ليس فيه قلة احترام للبرقد الشريف لانه مقدمة واسطة لإعلاء شأنه ورفع مناره فهو عين الإعظام والاحترام مع ان الضرورات تبيح المحذورات فما هو الا كصعود امير المؤمنين علي عليه السلام على منكب النبي (ص) يوم فتح مكة لإلقاء الأضنام عن ظهر الكعبة . ولو كان ذلك منافياً للأدب لما أوصى الصحابان ان يدفنا يجنب النبي (ص) ولما نفذ الصحابة هذه الرخصة مع استلزامها الضرب بالمساحي والمعاول والدق العنيف يجنب القبر الشريف مع ان ام المؤمنين كانت تسمع صوت الوتد والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بالمسجد فترسل اليهم لا تؤذوا رسول الله (ص) كما مر في هذا الفصل وسيأتي عن كتاب تحقيق النصره بتلخيص معالم دار الهجرة ان باني هذه القبة قلاوون الصالحي ولعل الاشتباه حصل من بنائها في ايامه (قال السهمودي) وقد جددت في ايام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فاخملت الألواح الرصاص عن وضعها فخشوا من كثرة الامطار فجددت واحكمت في ايام الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد سنة ٧٦٥ وقال قبل ذلك انه حصل خلل في سقف الروضة الشريفة وسقف المسجد في دولة الظاهر جقمق فجدد ذلك في سنة ٨٥٣ وما قبلها على يد الأمير برد بك الناصر المعمار وغيره (قال) وظهر في بعض اخشابها خلل سنة ٨٨١ فعوضها متولي العمارة الشمس بن الزمن بأخشاب سميت معها وقلع ما حولها من الواح الرصاص التي على أعلى السطح بينها وبين الدرابزين المتقدم ذكره فوجدوا الاخشاب حولها قد تأكلت فأصلحوها وأعادوا الألواح و اضافوا اليها كثيراً من الرصاص وجددوا الدرابزين وكانت مياه الامطار تتسرب من بين تلك الألواح وتصل الى سقف الحجرة الشريفة وأثرت في الشباك الذي بأعلى حائز عمر بن عبد العزيز فتأكل بعضه فأصلحه وفي الستارة التي على سقف الحجرة الشريفة فتأكل بعضها « وذكر »

السمهودي ايضاً في وفاء الوفا^(١) ما يستفاد منه : انه لما ورد شاهين الجمالي المدينة المنورة منصرفه من جدة أروه الحائز الخمس على الحجرة الشريفة لانشقاق فيه قديم فتقرر انه ليس بضروري لأنه شق قديم في طول الحائط لا في عرضه مملوء بالحص والحائط ليس عليه سقف ثم في سنة ٨٨١ وردت المراسيم من الملك الاشرف قاتباي صاحب مصر بتفويض امر العمارة للجناب الشمسي بن الزمن (الى ان قال) ثم كان ما تقدم من نقض الرخام المؤزر به جدار الحجرة الظاهر وتجديده فظهر الشق المتقدم ذكره وهو انشقاق قديم سد الأقدمون خلله بكسر الآجر وافرغوا فيه الحص وبيضوه بالقضة فانشق البياض من رأس وزرة الرخام الى رأس الجدار فقشروا البياض واخرجوا ما في خلله من الحص والآجر فظهر بناء الحجرة المربع الذي هو جوف البناء الخمس المذكور وظهر شق في جدار الحجرة الداخل تدخل اليد فيه ففقدوا لذلك مجلسا حضره العلماء والقضاة والمشائخ والخدام وشيخهم وقرأهم على الهدم والبناء فشرعوا في الهدم والتنظيف وظهر من وصف البناء الداخل ما قدمناه من كونه مربعاً بأحجار منحوتة ولا باب فيه ولا موضع باب وتبين ما في الجدار الداخل من الانشقاق في موضعين فعزم متولي العمارة على هدم جدار الحجرة الداخل من جهة الشام بأجمعه فبدأ برفع السقف الذي وجد على الحجرة نفسها ثم عزموا على عقد قبة سفلية « أي تحت القبة الزرقاء المقدم ذكرها » على جدار الحجرة الداخل رعاة للاتقان والاحكام فشرعوا في هدم الجدار الشامي والشرقي من البناء الداخل فوجدوا في بعض الجدر لبناً غير مشوي طول اللبنة ارجح من ذراع وعرضها نصف ذراع وسمكها ربع ذراع وطول بعضه وعرضه وسمكه واحد وهو نصف ذراع « قال » وظهر لي ان السلف لما بنوا الحجرة الشريفة بالاحجار لقصد الاحكام وكان ما عدى الاساس منها مبنياً باللبن في عهده « ص » وضموها في البناء بعض اللبن بين الاحجار للبركة والمعجب ان الشق لم يظهر الا في الجهة الخالية من اللبن والذي يظهر ان تلك الجهة سقطت واعيدت لاختلاف البنائين حتى ان الجدار الشرقي لم يكن مبنياً بالحجارة الموجهة الا من داخله دون خارجه وكتبوا محضراً وارسلوه الى ملك مصر الحال ثم هدموا من الجدار القبلي مما يلي المشرق جانباً نحو أربعة أذرع حتى بلغوا به

ارض الحجره وهدموا من الجدار الغربي مما يلي الشام نحو خمسة أذرع حتى بلغوا به الارض وذلك ليتأتى لهم احكام القبة التي عزموا عليها ولم يبق من اركان الحجره الشريفه سوى تجمع جداري القبلة والمغرب ثم هدموا من علو ما بقي من الجدارين المذكورين نحو خمسة اذرع فلم يبق من بناء الحجره الا ما فضل منها وراموا تربيع القبة ففقدوا قبواً على نحو ثلث الحجره من جهة الشرق لانها من تلك الجهة اطول وعقدوا القبة على ما بقي من الحجره بالاحجار المنحوتة من الحجر الاسود وكملوها بالابيض وارتفاعها من داخل ارض الحجره الشريفه الى اعلاها المغروز فيه هلالها اثنا عشر ذراعاً بذراع العمل وارتفاع حائطها عن طرف القبو الذي بني عليه الحائط ذراعان الا ثلث بذراع العمل وبيضوا تلك القبة وجميع جدرانها من خارجها بالحص ونصبوا بأعلاها هلالاً من نحاس وهو قريب من سقف المسجد الاول فان هذه القبة تحته فصار على القبر الشريف قبباًن هذه القبة والقبة الزرقاء التي فوقها وكان شروعاتهم في هدم الحجره الشريفه في الحادي عشر أو الرابع عشر من شهر شعبان سنة ٨٨١ وشروعاتهم في اعادة بناء الحجره في السابع عشر منه من السنة المذكورة وفراغهم من بناء الحجره والقبة سابع شوال من تلك السنة ثم احترق ذلك كله في حريق المسجد الثاني « انتهى ما يستفاد من كلام السمهودي » .

الحريق الثاني في المسجد النبوي الشريف وعمل القبة البيضاء

قال السمهودي ^(١) ما حاصله : انه في الثلث الأخير من سنة ٨٨٦ ليلة الثالث عشر من شهر رمضان احترق مسجد النبي (ص) في المدينة المنورة وسبب ذلك ان رئيس المؤذنين شمس الدين محمد بن الخطيب قام يهلل حينئذ بالمنارة الشرقية اليمانية المعروفة بالريسية وصعد المؤذنون بقية المنائر وقد تراكم الغيم فحصل رعد قاصف أيقظ النائين وسقطت صاعقة اصاب بعضها هلال المنارة المذكورة فأودت بحياة الرئيس ومات حينه صعباً وسقطت في المسجد ولها هيب كالنار فأصاب سقف المسجد الاعلى بين المنارة

الرئيسية وقبة الحجرة النبوية فتقبتة ثقباً كالترس وعلقت النار فيه وفي السقف الاسفل ونودي بالحريق في المسجد فاجتمع امير المدينة الشريف زين الدين فيصل الجمازي وأهلها وصعد اهل النجدة بالمياه لاطفاؤها فعجزوا عن ذلك فحاولوا قطعها بهدم بعض ما امامها فسبقتهم ومات بسبب ذلك بضعة عشر نفساً واحترقت المنارة الرئيسية واحترقت ثياب الرئيس بعد موته وصار المسجد كالتنور واستولى الحريق على جميع سقفه وحواصله وما فيه من خزائن الكتب الا اليسير الذي امكنهم اخراجه ولما اشتعلت النار في السقف المحاذي للحجرة الشريفة ذاب الرصاص من القبة التي بسقف المسجد الاعلى واحترقت أخشابها وما يحاذيها من السقف الأسفل والشباك الدائر على حائز عمر بن عبد العزيز وسقط ما سقط من ذلك على القبة السفلى فلما أصبحوا بدؤوا باطفاء ما سقط على القبة المذكورة فسلمت وسقط من المسجد مائة وبضع وعشرون اسطواناً وما بقي أثرت فيه النار وسلمت الأساطين اللاصقة بجدار الحجرة واحترقت المقصورة التي كانت حول الحجرة الشريفة والمنبر وغير ذلك وكتبوا الى سلطان مصر الملك الاشرف قاتباي بذلك ونظفوا ما حول الحجرة الشريفة وأداروا عليها جداراً من الآجر في موضع المقصورة المحترقة وجعلوا فيها شبابيك وطاقات وأبواباً (ولما) وصل الرسول الى مصر وعلم سلطانها بذلك عظم عليه وأمر بتنظيف المسجد واهتم في امر العمارة وأمر بإبطال عمائرهم المكية وبتوجه القيم عليها الامير سنقر الجمالي صحبة الحاج الاول بما يزيد عن مائة صانع مع كثير من الدواب والجمال وصحبته وصحبة اخيه الشجاعى شاهين والامير قاسم الفقيه شيخ الحرم الشريف عشرون ألف دينار وشرع السلطان في تجهيز الآلات والمؤن حتى كثرت في الطور وينبع والمدينة الشريفة وجهاز شمس الدين بن الزمن متولي العمارة الاولى في ربيع الاول سنة ٨٨٧ ومعه اكثر من مائتي جمل ومائة دابة وأزيد من ثلثمائة صانع وشرعوا في الهدم والتعمير فعمروا المسجد وجعلوا على ما يحاذي الحجرة الشريفة وما حوله قبة عظيمة على دعائم بأرض المسجد وعقود من الآجر وهي (القبة البيضاء) بدلا عن القبة الزرقاء التي كانت قبل الحريق (والظاهر انهم بنوها من الحجر او الآجر لا من الخشب) وكانت تلك على رؤوس السواري وجعلوا تلك الدعائم في موازاة الاساطين التي كان بينها درابزين المقصورة واحدوا اسطوانا في جانب مثلث الحجرة من بناء عمر بن عبد العزيز ليستد به

العقد الذي عليه القبة في تلك الناحية وزادوا دعامتين وعقداً الى جانب الاسطوانتين اللتين في جهة الوجه الشريف خشية من سقوط القبة وأبدلوا بعض الاساطين بدعائم وأضافوا الى بعضها اسطوانة اخرى وعقدوا العقود المتصلة بهذه القبة من المشرق والشام وجعلوها قبوا بدل السقف واعادوا ترخيم الحجرة الشريفة وما حولها وأزالوا البناء الذي عمله اهل المدينة في موضع المقصورة المستديرة بالحجرة الشريفة وأبدلوا ما يلي القبلة من ذلك بشبابيك من النحاس وبأعلاها شبكة من شريط النحاس كهيئة الزرد وجعلوا لبقيتها مما يلي الشام مشبكاً مشاجراً من الحديد وفاصلاً عن بين مئذنتي الحجرة ويساره فيه بابان وكمل تعمير المسجد في اواخر شهر رمضان عام ٨٨٨ ثم ان القبة تشققت من اعاليها فرمت ثم تشققت ولم يقد فيها الترميم فارسل الملك الاشرف - الشجاعى شاهين الجمالى لما اشتمل عليه من الفضل والنبل واصابة الرأي وفوض اليه النظر في امرها فورد المدينة الشريفة في موسم عام ٨٩١ فاقتضى الحال هدم اعالي القبة فاتخذوا في الطائعات المحيطة بجوانبها سقفاً يمنع من سقوط ما يهدم منها الى ارض الحجرة الشريفة ثم شرع في هدمها واعادتها بحيث لم يرفع كسوة الحجرة الشريفة فجاءت القبة حسنة مع الاتقان حتى انه استصحب الجبس من مصر واستعمله في البناء وكملت في عام ٨٩٢ ثم حكى عن ابن النجار انه قال ولم يزل الخلفاء من بني العباس ينفذون الامراء على المدينة الشريفة ويمدونهم بالاموال لتجديد ما يهدم من المسجد النبوي (ولا شك ان الحجرة الشريفة وقبتها من جملة ذلك) فلم يزل ذلك متصلاً الى ايام الناصر لدين الله أي الخليفة في زمنه فانه ينفذ في كل سنة من الذهب العين الامامي الف دينار لعمارة المسجد وينفذ من الصنائع عدة لكون مادتهم مما يأخذونه من الديوان ببغداد من غير هذه الالف وينفذ من الحديد والرصاص والآلات شيئاً كثيراً (قال) ولما انتقل امر المدينة الشريفة الى ملوك مصر لم يزل ملوكها يهتمون بعمارة هذا المسجد الشريف « انتهى ما اقتطفناه من كلام السهمودي في وفاء الوفا الذي كان عمل القبة البيضاء بدل الزرقاء في عصره » ولم يزل ملوك بني عثمان الذين كانت اليهم الخلافة الاسلامية يبعثون بالاموال الكثيرة لعمارة قبر النبي (ص) وحجرته وقبته ومسجده وقد جدد عمارة المسجد والقبة الشريفة النبوية بالبناء المحكم الموجود اليوم منهم السلطان عبد الحميد وابتدأ بذلك سنة ١٢٧٠ واستمر في تعميره نحو

أربع سنين والبناء الذي كان قبله تعمير السلطان قاتباي سلطان مصر وأمر ببناء قبة أئمة البقيع بعين البناء الذي تبنى به قبة جددهم صلى الله عليه وعليهم وسلم فعارض في ذلك أهل المدينة ومنعوا من بناء قبة أئمة البقيع وتغييرها واعتلوا بأن حولها قبور آبائهم واجدادهم ويصيبها ضرر بواسطة الهدم والتعمير كما أنه لما عمل في زماننا شباك لضريحهم الشريف باصفهان من الفولاذ الدقيق الصنعة وباعاليه الاسماء الحسنى بالخط الجميل المذهب واستأذنت الدولة الإيرانية من الدولة العثمانية في وضعه على ضريحهم المقدس فأذنت لها وجاء به السيد علي القطب رحمه الله الى جدة عارض أهل المدينة في وضعه على الضرائح المقدسة فبقي في جدة ثلاثة اعوام حتى بذل الإيرانيون مبلغا عظيما من المال لاهل المدينة فرضوا بنقله ووضعه ولما حمل الى المدينة المنورة أرادوا ازالة الصندوق الخشب الموضوع على القبور الشريفة ووضعه مكانه فمنع أهل المدينة من ذلك بحجة ان الصندوق الخشب وقف لا يجوز تغييره فاضطروا الى وضعه خارج الصندوق فنقصت ألواح الفولاذية بسبب ذلك فاضطروا الى اكمالها بقطعة من الخشب بعد دهنها بما يقرب من لونه والكتابة عليها وقد رأيت القطعة الخشبية ظاهرة فيه مقصرة عنه في الرونق عند تشرفي بزيارة المدينة المنورة بعد الحج عام ١٣٢١ وبعد ذلك عند تشرفي بزيارتها من دمشق وبقي هذا الشباك حتى ازاله الوهابية عام ١٣٤٣ حين استيلائهم على المدينة المنورة وهدمهم لقبة أئمة البقيع وقبورهم المقدسة وتشويههم لمحاسن تلك البقعة الشريفة في التاريخ المتقدم وبما بيناه ووضحناه من ان بناء الحجرة الشريفة كان قبل موت النبي (ص) ومنهم فهم مما روه عنه ايضاؤه بدفنه فيها وتتابع الصحابة والتابعون وتابعوهم والمسلمون الى يومنا هذا في بنائها وبناء القباب عليها ظهر لك بطلان ما ذكره محمد بن اسماعيل اليائي في رسالته تطهير الاعتقاد بقوله : فان قلت هذا قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد عمرت عليه قبة عظيمة انفقت فيها الاموال « قلت » هذا جهل عظيم بحقيقة الحال فان هذه القبة ليس بناؤها منه (ص) ولا من أصحابه ولا من تابعيهم وتبع التابعين ولا من علماء امته وأئمة ملته بل هذه القبة من أبنية بعض ملوك مصر المتأخرين وهو قلاوون الصلاحي المعروف بالملك المنصور في سنة ٦٧٨ ذكره في تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة فهذه أمور دولية لا دليية يتبع فيها الآخر الأول « انتهى » وذلك

ان هذه القبة وان بناها قلاوون الصلاحي الا انه تبع في بنائه اصحاب النبي (ص) الذين دفنوه في حجرة مبذية ثم بنتها عائشة وعمر وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز وتتابع المسلمون في بنائها وفيهم التابعون وتابعو التابعين وعلماء الامة وأئمة الملة وكانوا يستشيرون العلماء والأئمة في ذلك بل تكتب اليهم العلماء وتطلب منهم ذلك كما عرفته في تضاعيف ما ذكرناه من تاريخ بناء الحجرة من مبدئه الى منتهاه وبذلك تعلم انها أمور دلييلة لا دولية كما زعم . فتحصل من مجموع ما ذكرناه ان تعظيم قبر النبي « ص » وقبور سائر الأنبياء ببناء القباب عليها وعمل الشباك والكسوة وغير ذلك مما يأتي راجح شرعا لا مانع منه ولا يعد عبادة لها كما توهمه الوهابية لأنها مما أمر الله بتعظيمه فتعظيمها عبادة لله وطاعة له كما بيناه في فصل مطلق تعظيم القبور (أما) باقي ما اشتملت عليه الفتوى من اتخاذ القبور مساجد واسراجها والتمسح والطواف بها وتقبيلها فسيأتي الكلام عليها في الفصول الخاصة بها وأما الذبح والنذر ودعاء اهلها فقد مر الكلام عليها كل في فصله الخاص به وأما التوجه الى حجرة النبي (ص) عند الدعاء فمر الكلام عليه في آخر فصل التوسل واما التذكير والتبريح في الاوقات المذكورة فمر عليه الكلام في الباب الاول .

الفصل العاشر في الكتابة على القبور

وهذا مما منعه الوهابية محتجين بما رواه ابن ماجة عن عبد الله بن سعيد عن حفص بن غياث عن ابن جريح عن سليمان بن موسى عن جابر بنى رسول الله (ص) ان يكتب على القبور شيء وبما مر في الفصل التاسع من رواية الترمذي نهى رسول الله « ص » ان تجصص القبور وان يكتب عليها ورواية ابي داود انه « ص » نهى ان يحصص القبر او يكتب عليه ورواية النسائي نهى رسول « ص » ان يبنى على القبر الى قوله : او يكتب عليه .

والجواب (اولاً) بضعف السند فحديث ابن ماجة في سنده حفص بن غياث وابن جريح وقد علمت حالهما في الفصل التاسع وفيه سليمان بن موسى عن جابر وهو مرسل (قال ابن حجر) في تهذيب التهذيب ارسل سليمان بن موسى عن جابر وقال ابن معين سليمان بن موسى عن جابر مرسل وقال ابو حاتم في حديثه بعض الاضطراب وقال البخاري عنده مناكير وقال النسائي ليس بالقوي في الحديث وقال في حديثه شيء « انتهى » وباقي الأحاديث قد عرفت حالها في الفصل التاسع والحاكم وان صحح بعضها كما ستعرف فالجرح مقدم على التعديل فهذا حال الأحاديث التي يعتمد عليها الوهابية في مخالفة سيرة المسلمين

وتفضيلهم (ثانيا) انها محمولة على الكراهة في صورة لا يكون للكتابة فائدة امام
الفائدة ليعرف فيتعاهد بالزيارة والاستغفار واهداء ثواب القراءة وغير ذلك فلا وقرينة
الكراهة جمعها مع غيرها مما ثبتت كراهته كما مر في الفصل التاسع ويمكن حمل الكتابة
على كتابة الآيات القرآنية واسماء الله تعالى خوفا عليها من الاهانة (ثالثا) انه لم يعمل بها
احد من المسلمين وعملهم يخالف لها وما هذا حاله من الاخبار لا حجة فيه باعتراف
الوهابية لاشتراطهم في حجية الخبر عدم الشذوذ والعلة كما مر في الفصل التاسع وكفى بما
ذكر شذوذاً وعلة « قال » محمد بن عبد الهادي المعروف بالسندي في حاشية سنن
النسائي^(١) عند قوله أو يكتب عليه ، قال الحاكم بعد تخريج هذا الحديث في المستدرک
الاسناد صحيح وليس العمل عليه فان أئمة المسلمين من الشرق والغرب يكتبون على
قبورهم وهو شيء اخذه الخلف عن السلف وتعقبه الذهبي في مختصره بأنه محدث ولم يبلغهم
النهي « انتهى » وهذا الاعتذار الذي ذكره الذهبي ليس بصحيح اذ من أين لنا العلم بأنه لم
يكن في الزمن الاول مع انه يكفي اتفاقهم عليه في عصر من الاعصار لانه يصير بذلك
اجماعا فكيف باتفاقهم اعصاراً وقروناً متعددة. وقوله لم يبلغهم النهي مقطوع بفساده فهذا
النهي كان معلوماً عند العلماء ولولا لم يصل إلينا (ويدل) على استمرار السيرة على
الكتابة على القبور من عهد بعيد ما في وفاء الوفا عن المسعودي في مروج الذهب ان ابي
عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين توفي سنة ثمان واربعين ومائة ودفن بالقيع مع
ابيه وجده قال وعلى قبورهم في هذا الموضع من البقيع رخامة عليها مكتوب (بسم الله
الرحمن الرحيم الحمد لله مبيد الأمم ومحبي الزمزم هذا قبر فاطمة بنت رسول الله (ص)
سيدة نساء العالمين وقبر الحسن بن علي وعلي بن الحسين بن علي وقبر محمد بن علي وجعفر بن
محمد عليهم السلام) « انتهى » وذكر ما يقتضي انه حين ذكر هذا كان في سنة اثنتين
وثلاثين وثلثمائة « وفيه » عن ابن شبة عن زيد بن السائب عن جده قال لما حفر عقيل بن
ابي طالب في داره بشرا وقع على حجر منقوش مكتوب فيه هذا قبر ام حبيبة بنت صخر
بن حرب فدفن عقيل البشير وبني عليه بيتاً قال ابن السائب فدخلت ذلك البيت فرأيت
فيه ذلك القبر (ثم قال السهودي) روى ابن شبة عن محمد بن يحيى قال سمعت من يذكر

ان قبر ام سلمة « رض » بالبيع حيث دفن محمد بن زيد بن علي وانه كان حفر فوجد على ثمانية اذرع حجراً مكسوراً مكتوباً في بعضه ام سلمة زوج النبي « ص » فبذلك عرف انه قبرها وامر محمد بن زيد بن علي اهله ان يدفنوه في ذلك القبر بعينه (قال) وروى ابن زبالة عن ابراهيم بن علي بن حسن الرافعي قال حفر لسالم البانكي مولى محمد بن علي فاخرجوا حجراً طويلاً فاذا فيه مكتوب هذا قبر ام سلمة زوج النبي (ص) فاهمل عليه التراب وحفر لسالم في موضع آخر « قال » وعن حسن بن علي بن عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي انه هدم منزله في دار علي بن ابي طالب قال فاخرجنا حجراً مكتوباً فيه هذا قبر رمة بنت صخر فسألنا عنه فائدا مولى عبادل فقال هذا قبر ام حبيبة بنت ابي سفيان قال ويخالفه ما تقدم من ان قبرها في دار عقيل ولعله تصحف بعلي « انتهى » ويتضح من ذلك جلياً ان الكتابة على القبور سيرة المسلمين من عهد الصحابة وما بعدهم فعقيل من الصحابة وقد وجد الحجر المكتوب على قبر ام حبيبة ومحمد بن زيد وجده على قبر ام سلمة .

الفصل الحادي عشر

في اتخاذ المساجد على القبور واتخاذها مساجد

اعلم انه قد ورد في بعض الاخبار ما يفيد النهي عن ذلك « روى النسائي » اخبرنا قتيبة حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن محمد بن جحادة عن ابي صالح عن ابن عباس: لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج (وروى ابن ماجه) حدثنا اذهر بن مروان ثنا عبد الوارث ثنا محمد بن جحادة عن ابي صالح عن ابن عباس لعن رسول الله (ص) زوارات القبور (ورواه) ابن ماجه بأسانيده عن سفيان عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن عبد الرحمن بن بهان عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن ابيه مثله . حدثنا محمد بن خلف العسقلاني ابو نصر ثنا محمد بن طالب ثنا ابو عوانة عن عمر بن ابي سلمة عن ابيه عن ابي هريرة مثله (ورواه ابو داود) بلفظ زوارات القبور على ما نقله ابن تيمية في رسالة زيارة القبور وكذا ابن ماجه كما سمعت (وفي صحيح البخاري) باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور : لما مات الحسن بن الحسن بن علي ضربت امرأته القبة على قبره سنة ثم رفعت ثم ذكر حديث عائشة عن النبي (ص) لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مسجداً قالت ولولا ذلك لأبرزوا قبره غير اني أخشى ان يتخذ مسجداً

(ورواه مسلم) الا انه قال مساجد فلولا ذلك لأبرز قبره غير انه خشي ان يتخذ مسجداً (ورواه) مسلم والنسائي ايضا الى قوله قالت وفي بعضها يحذر مثل ذلك (وفي رواية) لمسلم قاتل الله اليهود اتخذوا قبور انبيائهم مساجد « وفي رواية له » الا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور انبيائهم وصالحهم مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد اني انهاكم عن ذلك (وروى النسائي) بسند فيه قتادة عن سعيد بن المسيب ^(١) لعن الله قوماً اتخذوا قبور انبيائهم مساجد (وبسنده) لعن الله اليهود اتخذوا قبور انبيائهم مساجد (وروى) البخاري ان ام سلمة وام حبيبة ذكرتا كنيسة رأتاها بالحبشة اسمها مارية فذكرتا من حسنيتها وتصاوير فيها فقال رسول الله « ص » اولئك اذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصورة اولئك شر الخلق عند الله (ورواه) مسلم والنسائي نحوه قالوا فيها تصاوير وقالوا عند الله يوم القيامة (وعن الموطأ) وغيره عنه (ص) اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد (وأول) من فتح باب اتخاذ القبور مساجد للوهابية هو ابن تيمية ككثير من معتقديهم فانه بعد ما أورد في رسالة زيارة القبور ^(٢) روايات الموطأ ومسلم وابي داود وغيرها مما مر قال ولهذا قال علماؤنا لا يجوز بناء المسجد على القبور ثم قال ان الآيات والاعبار الواردة في المساجد لم يرد مثلها في المشاهد بل ورد النهي عن اتخاذ القبور مساجد ولعن من يفعل ذلك « انتهى » ويأتي تمامه في الفصل الثالث عشر ولا يخفى ان تشدد ابن تيمية في امر المشاهد انما هو حنق منه على الشيعة الذين لا يألو جهداً في التعصب عليهم بالباطل فان الرجل لا يقف به تعصبه عند حد وقد بلغ به حنقه على أتباع ائمة اهل البيت الطاهر ان أنكر جملة من مناقب أمير المؤمنين (ع) وفضائل المتواترة حتى فضل ضربته يوم الخندق كما فصلناه في فصل البناء على القبور وجاء في كتابه الذي سماه منهاج السنة بالفرائب ومما

(١) قتادة روى بالقدر وبانه حاطب ليل يأخذ عن كل احد وبانه حدث عن ثلاثين رجلاً لم يسمع منهم الى غير ذلك مما حكاه ابن حجر في تهذيب التهذيب ثم قال : قال اسماعيل القاضي في احكام القرآن : سمعت علي بن المديني يضعف احاديث قتادة عن سعيد بن المسيب تضعيفاً شديداً وقال احسب ان اكثر ما بين قتادة وسعيد فيها رجال « انتهى » ولعلنا لو بحثنا عن باقي اسانيد هذه الاخبار نجد فيها امثال هذا كثيراً لكن لم يتسع لنا الوقت للبحث عن جميعها - المؤلف - (٢) ص ١٥٩ - ١٠٦ طبع النار بمصر .

جاء فيه بشأن المشاهد قوله : الرافضة بدلووا دين الله فعمروا المشاهد وعطلوا المساجد مضاهاة للمشركين ومخالفة للمؤمنين ، ومر له كلام آخر بشأن المشاهد في اواخر الباب الثاني . والله تعالى وعباده يعلمون انه غير صادق في ذلك فالشيعة وحدها لم تعمر المشاهد بل شاركها في ذلك جميع المسلمين حتى النباصة امثال ابن تيمية وذلك معلوم مشاهد لا يشك فيه احد . والشيعة لم تعطل المساجد ، هذه بلادهم ومدنهم وقراهم مساجدها معمورة تقام فيها الصلوات والجماعات في جميع اقطار المعمور « ثم » انه يظهر من مجموع كلماته هذه انه يحمل جعل القبور مساجد على ما يعم الصلاة عندها وفي مشاهدتها وبناء مسجد عليها ويحمل على الأخير النهي عن اتخاذ المساجد عليها كما يظهر من قوله : ولهذا قال علماءنا النخ وتبعه على ذلك تلميذه ابن القيم الجوزية فانه قال في كتابه زاد المعاد ^(١) على ما حكى عنه ما ملخصه ان النبي « ص » حرق مسجد الضرار وأمر بهدمه فكذلك مشاهد الشرك احق بذلك وأوجب والوقف لا يصح على غير بر ولا قربة فيهدم المسجد اذا بني على قبر كما ينبش الميت اذا دفن في المسجد فلا يجتمع في دين الاسلام مسجد وقبر بل ايها طرأ على الآخر منع منه وكان الحكم للسابق « انتهى » .

واعتماداً على هذه الاحاديث هدم الوهابية المسجد الذي عند قبر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأحد بعدما هدموا القبة التي على القبر وأزالوا تلك الآثار الجليلة ومحو ذلك المسجد العظيم الواسع فلا يرى الزائر لقبر حمزة اليوم الا اثر قبر على تل من التراب لاعتقادهم ان ذلك محرم بل شرك وكفر واستندوا في فتوهم المنسوبة الى علماء المدينة بعدم جواز اتخاذ القبور مساجد والصلاة فيها المتقدمة في الفصل التاسع الى الحديث الأول من هذه الاحاديث كما عرفت ولم يبينوا ما هو مرادهم من اتخاذها مساجد ولعل مرادهم ما يظهر من ابن تيمية كما تقدم فانه قدوتهم واول باذر لبذور مذهبهم « والجواب » عن الحديث المذكور الذي استندوا في فتوهم اليه ومنه يعلم الجواب عن الباقي : « اولاً » بعدم صحة السند على رواية النسائي (فعبد الوارث) وان وثقوه لكن رموه بأنه كان يرى القدر (اي الاعتزال) ويظهره وانه ذم لبدعته وانه لولا الرأي لم يكن به بأس وان الحسن بن الربيع قال كنا نأتي عبد الوارث بن سعيد

فاذا حضرت الصلاة تركناه وخرجنا وان ابا علي الموصلي قال قلما جلسنا الى حماد بن زيد الا نهانا عن عبد الوارث نقل ذلك كله ابن حجر في تهذيب التهذيب (وابو صالح) مردد بين ميزان البصري وبين باذام مولى ام هاني بنت ابي طالب (والثاني) مقدوح فيه ففي تهذيب التهذيب في ترجمة ميزان البصري ابي صالح روى الترمذي في كتاب الجنائز من طريق عبد الوارث بن سعيد عن محمد بن جحادة عن ابي صالح عن ابن عباس وذكر الحديث ثم قال فجزم ابن حبان ان اسم ابي صالح هذا ميزان ولم يذكر المزي ميزان هذا لانه مبني على ان ابا صالح المذكور في الحديث هو مولى ام هاني كما صرح بذلك في الاطراف ويؤيده ان علي بن مسلم الطوسي روى هذا الحديث عن شعيب عن محمد بن شحادة سمعت ابا صالح مولى ام هاني فذكر هذا الحديث وجزم بكونه مولى ام هاني الحاكم وعبد الحق في الاحكام وابن القطان وابن عساكر والمنذري وابن دحية وغيرهم « انتهى » وقال في ترجمة باذام ابي صالح مولى ام هاني : قال احمد كان ابن مهدي ترك حديث ابي صالح وقال ابو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به وقال النسائي ليس بثقة وقال ابن عدي لم اعلم احداً من المتقدمين رصيه وقال ابن المديني عن القطان عن الثوري قال الكلبي قال لي ابو صالح كلما حدثتك كذب وقال العقيلي الغيرة يعجب من يروى عنه وقال عبد الحق في الاحكام ان ابا صالح ضعيف جدا وقال الجوزقاني انه متروك ونقل ابن الجوزي عن الازدي انه قال كذاب وقال الجوزجاني كان يقال له ذو رأي غير محمود وقال ابو احمد الحاكم ليس بالقوي عندهم وقال ابن حبان يحدث عن ابن عباس ولم يسمع منه « انتهى » ولا يفيد مع هذا قول ابن حجر في تهذيب التهذيب وثقة المجلي وحده لان الجرح مقدم على التعديل (هذا) على رواية النسائي واما على رواية ابن ماجه الثانية (فعبد الله بن عثمان) وان وثقه بعضهم قال النسائي مرة ليس بالقوي وقال ابن حبان كان يخطيء وعن ابن معين احاديثه ليست بالقوية وعن علي بن المديني منكر الحديث ذكر ذلك كله ابن حجر في تهذيب التذيب (وابن بهان) وان ذكره ابن حبان في الثقات الا ان ابن المديني قال لا نعرفه . كذا في تهذيب التهذيب (واما) على رواية ابن ماجه الثالثة ففي ميزان الاعتدال للذهبي محمد بن طالب عن ابي عوانة الوضاح لا يعرف روى عنه محمد بن خلف العسقلاني فقط « انتهى » « فهذه » حال الروايات التي يستند اليها الوهابية في

فتاواهم ويكفرون بها المسلمين ويستحلون دماءهم واموالهم واعراضهم ويدعون انهم هم الموحدون وغيرهم المشركون فتأملوا ذلك ايها المنصفون (ثانياً) باضطراب المتن مع وحدة السند في الكل الدال على انها رواية واحدة فهو على رواية النسائي زائرات القبور بصيغة اسم فاعل والمتخذين عليها المساجد والسرر وعلى رواية ابن ماجه زوارات القبور بصيغة المبالغة وبدون تلك الزيادة وأي اضطراب في المتن اعظم من ذلك (ثالثاً) بعدم الدلالة على ما توهموه من عدم جواز الصلاة عند القبور وفي مشاهدتها وبناء مسجد عليها اذ الظاهر انه اشارة الى ما في رواية كنيسة الحبشة من قوله اذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصورة اولئك شر الخلق عند الله فاللام في قوله والمتخذين عليها المساجد للعهد ولما كان سبب الذم في رواية كنيسة الحبشة هو اتخاذ قبور انبيائهم مساجد بتلك الحالة وهي تصويرهم الصورة وعبادتها والصلاة والسجود اليها او اليها والى القبر كما يصل الى الوثن ويسجد له على ما هو الظاهر من تلك الرواية كان سببه في رواية والمتخذين عليها المساجد هو هذا وكما تكون رواية كنيسة الحبشة مفسرة للروايات التي اطلق فيها لعن اليهود وغيرهم على اتخاذ قبور انبيائهم مساجد تكون مفسرة لهذه الرواية اذ الروايات يفسر بعضها بعضا ويرشد الى ذلك قوله في رواية مسلم المتقدمة ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور انبيائهم وصالحهم مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد الخ فعقب النبي عن اتخاذها مساجداً لما حكاه عن كان قبلهم فدل باجلى دلالة على ان المنهي عنه من اتخاذها مساجد هو ما كان من هذا السنخ ويرشد اليه ايضاً ما في رواية الموطأ من تعقيبهم ذم من اتخذوا قبور انبيائهم مساجد لقوله اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد الدال على ان المراد من اتخاذها مساجد الصلاة اليها والسجود لها كما يصل الى الاوثان ويسجد لها ويدل عليه قوله في رواية البخاري ومسلم ولو لا ذلك لابرزوا قبره غير اني اخشى او غير انه خشي ان يتخذ مسجداً لظهوره في ان معنى اتخاذ مسجداً السجود اليه لا اتخاذ المسجد حوله وبذلك يظهر عدم صحة الاستدلال على ما زعموه برواية كنيسة الحبشة ولا بالروايات الاخر اذ الظاهر ان المراد في الجميع واحد وهو المنهي عما كان يفعله السابقون من الصلاة الى قبور الانبياء والصالحاء وصورها الموضوع في قبلة المصلي والسجود لها كما يصل الى الوثن ويسجد له وهذا لا يفعله احد من المسلمين ولا يميزه اما الصلاة لله تعالى عند قبر او

في مشهد طلبا لزيادة الثواب بشرف المكان الذي ثبت شرفه فلا مانع منه ولو لم يكن راجعا لم يكن محرما ولا تتناول هذه الاخبار ولا تدل عليه كما لا تتناول مجرد وجود القبر في قبلة المصلي من دون قصد الصلاة اليه او الصلاة فوق قبر نعم هو مكروه كما يشير اليه عنوان البخاري المتقدم واستشهاده بضرب القبة على قبر الحسن ويمكن حمل جعل المساجد على القبور على السجود عليها فانه مكروه كما عرفت وكما يفهم من عنوان البخاري السابق ولا ينافيه اللعن فانه لتشديد الكراهة اذ هو لغة الطرد، وفاعل المكروه مطرود عن الثواب الحاصل له بتركه امثالا لامره تعالى وقد ورد لعن المسافر وحده والآكل طعمه وحده والنائم في البيت وحده وورد لعن الله المحلل والمحلل له وتسمية المحلل بالليس المستعار رواه ابن ماجه ^(١) بأسانيده عن ابن عباس وعلي وعقبة بن عامر عنه (ص) قال السندي في حاشية سنن ابن ماجه المحلل من تزوج مطلقة الغير ثلاثا لتحل له والمحلل له هو المطلق والجمهور على ان النكاح بنية التحليل يقتضي عدم الصحة واجاب من يقول بصحته ان اللعن قد يكون لحسة الفعل فلعل اللعن هاهنا لانه هتك مروءة وقلة حمية وخسة نفس اما بالنسبة الى المحلل له فظاهر واما المحلل فانه كالليس يعير نفسه بالوطء لغرض الغير وتسميته محلا يؤيد القول بالصحة « انتهى » ونسبته الى الجمهور ان النكاح بنية التحليل يقتضي عدم الصحة منظور فيه « قال » الخطيب الشربيني في الاقناع ^(٢) على مذهب الشافعي لو نكح بشرط انه اذا وطئ طلقها او فلا نكاح بينها وشرط ذلك في صلب العقد لم يصح النكاح (الى ان قال) ولو تواطأ العاقدان على ذلك قبل العقد ثم عقدا بذلك القصد بلا شرط كره (وفي الحاشية) قوله لم يصح النكاح وعليه حمل حديث لعن الله المحلل والمحلل له وهذا عندنا (اي الشافعية) وأما عند المالكية فعلى ظاهره فلا يصح التحليل مطلقا بهذا الشرط سواء وقع في صلب العقد او قبله (انتهى) وانت ترى ان ذلك كله مع التصريح بالاشتراط لا مجرد النية كما فهم من كلام السندي مع ان الرواية مطلقة ولا دليل على التقيد ونظيره اطلاق الكفر على جملة من المعاصي مع انها ليست كذلك كما مر في المقدمات « قال القسطلاني » في ارشاد الساري شرح صحيح البخاري انما صور اوائلهم الصور ليتأنسوا بها ويتذكروا افعالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم ويعبدون

الله عند قبورهم ثم خلفهم قوم جهلوا مرادهم ووسوس لهم الشيطان ان اسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها فحذر النبي (ص) عن مثل ذلك (الى ان قال) وهو «اي قوله بنوا على قبره مسجداً» مؤول على مذمة من اتخذ القبر مسجداً ومقتضاه التحريم لا سيما وقد ثبت اللعن عليه لكن صرح الشافعي واصحابه بالكراهة وقال البندنجي المراد ان يسوى القبر مسجداً فيصلى فيه وقال انه يكره ان يبنى عنده مسجد فيصلى فيه الى القبر واما المقبرة الدائرة اذا بني فيها مسجد ليصلى فيه فلم أر فيه بأساً لان المقابر وقف وكذا المسجد فمعناها واحد قال البيضاوي لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الانبياء تعظيماً لشأنهم يرجعونها قبله يتوجهون في الصلاة نحوها واتخذوها اوثاناً منع المسلمين من مثل ذلك فأما من اتخذ مسجداً في جوار صالح وقصد التبرك بالقرب منه لا للتعظيم ولا للتوجه اليه فلا يدخل في الوعيد المذكور «انتهى» وقال السندي «في حاشية سنن النسائي: اتخذوا قبور انبيائهم مساجد أي قبله للصلاة يصلون اليها أو بنوا مساجد عليها يصلون فيها ولعل وجه الكراهة انه قد يفضي الى عبادة نفس القبر سيما في الانبياء والاخيار وقال في موضع آخر مراده ان يحذر امته ان يصنعوا بقبره ما صنع اليهود والنصارى بقبور انبيائهم من اتخاذهم تلك القبور مساجد اما بالسجود اليها تعظيماً لها أو يجعلها قبله يتوجهون في الصلاة اليها قيل ومجرد اتخاذ مسجد في جوار صالح غير ممنوع «انتهى» وقال النووي في شرح صحيح مسلم قال العلماء انما نهى النبي (ص) عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفاً من المبالغة في تعظيمه والافتتان به فربما ادى ذلك الى الكفر كما جرى لكثير من الامم الخالية ولما احتاجت الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين والتابعون الى زيادة في مسجد رسول الله (ص) حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة الى ان دخلت بيوت امهات المؤمنين فيه ومنها حجرة عائشة «رض» مدفن رسول الله (ص) وصاحبيه بنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد فيصلى اليه العوام ويؤدي الى المحذور ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا حتى لا يتمكن احد من استقبال القبر ولهذا قال في الحديث ولو لا ذلك لأبرز قبره غير انه خشي ان يتخذ مسجداً «انتهى» «اقول» وكل هذه الكلمات متوافقة على ان المحرم من اتخاذ القبور مساجد هو السجود اليها تعظيماً أو جعلها قبله أو نحو ذلك كما يدل عليه

قول عائشة فلولاً ذلك لابرز قبره غير انه خشي ان يتخذ مسجدا والمراد بابرز قبره هدم الحجرة الشريفة التي عليه وجعله بارزاً ظاهراً يراه الناس . وان الصلاة الى القبر لا بهذا القصد مكروهة وان اتخاذ مسجد يجوار صالح لا محذور فيه وان اخبار كنيسة الحبشة ظاهرة في ذمهم على تصوير الصور وعبادتها كما هو المألوف عند النصارى « وقول » النووي انهم لما احتاجوا الى زيادة في المسجد بنوا على القبر حيطانا مرتفعة الخ الظاهر انه اشارة الى الحظار الذي بناه عمر بن عبد العزيز على الحجرة الشريفة وجعله مزوراً من جهة الشمال بالصفة التي ذكرها النووي لان حيطان الحجرة كانت محيطة بالقبر الشريف من اول الامر كما مر في الفصل التاسع فقلوه ثم بنوا جدارين اي بعد الفراغ من عمل الحظار المربع .

ومما يدل على ان النهي في هذه الاخبار مراد به الكراهة ذكر زائرات القبور أو زوارات القبور وتخصيص اللعن بهن دون الزائرين المحمول على الكراهة كما ستعرف تفصيل الكلام في فصل الزيارة وهذا دليل آخر على جواز اللعن من الشارع على فعل المكروه . فتحصل من ذلك ان هذه الاخبار بعد تسليم صحة أسانيدها لا ربط لها بماجاوله الوهابية من عدم جواز البناء حول قبور الأنبياء وعقد القباب فوقها ووجوب هدمها (اولاً) لانه ليس احد من المسلمين يجعل ذلك مسجداً (ثانياً) لو فرض فلا دلالة لتلك الاخبار على عدم جوازه كما عرفت بل ولا على كراهته اذ المسجد يكون خارجاً عن محل القبر ومحل القبر لا يصلى عليه ولا يجعل مسجداً وجعل المسجد يجوار قبر نبي أو صالح لا مانع منه كما عرفت من تصريح علماء المسلمين بذلك والممنوع منه الصلاة اليه تعظيماً له أو السجود له ولا يفعل ذلك احد من المسلمين انما يسجدون لله تعالى ويصلون الى القبلة « ومما يدل » بأقوى دلالة لا يمكن لاحد دفعها على ان اتخاذ مسجد حول القبر جائز ومستحب ما فعله المسلمون وتتابعوا عليه في سائر الاعصار من توسيع مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى صار قبره الشريف وحجرتة المنيفة في وسط المسجد بعدما كانت بجانبه الشرقي فاصبح المسجد محيطاً بها وذلك في خلافة الوليد بن عبد الملك وبقي كذلك الى اليوم برأى من علماء الأمة وصلحائها في كل عصر وكان المتولي لتوسيعه عمر بن عبد العزيز صالح بني أمية وفاضلهم وعادلهم الذي قال في حقه ابن سعد صاحب الطبقات

كان ثقة مأمونا له فقه وعلم وورع وروى حديثا كثيرا وكان امام عدل حكاه ابن حجر في تهذيب التهذيب وقال في تهذيب التهذيب : قال ميمون بن مهران ما كانت العلماء عند عمر الا تلامذة وقال نوح بن قيس سمعت ايوب يقول لا نعلم أحداً من أدركنا كان آخذ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم منه وقال أنس ما رأيت أحداً اشبه صلاة برسول الله « ص » من هذا الفتى الى غير ذلك من المدح العظيم الذي مدحه به ولم يسمع ان أحداً من العلماء والفقهاء نهاه عن ذلك ولا افتى بتحريمه ولا جعله شركا وكفراً لا في عصره ولا بعد عصره الى اليوم قبل الوهابية وبذلك يعلم كذب قول ابن القيم السابق انه لا يجتمع في دين الاسلام مسجد وقبر الخ فان فيه رداً على اجلاء الصحابة الذين هم اعلم بسنة رسول الله « ص » منه ومن قدوته والذين يتقنى دائماً هو وقدوته واتباعها بانهم اتباعهم في دعواهم انهم سلفيون والذين يعتقد انهم كالنجوم بأيهم اقتدى اهتدى في جعلهم قبره « ص » في وسط المسجد بعد توسيعه وعلى جميع المسلمين الى اليوم الذين رضوا بذلك وأقروه فيلزم تخطئة الامة جمعا من عصر الصحابة الى اليوم وتصويب الوهابية وهدمهم وما بال الوهابية لم يهدموا المسجد الذي حول قبر النبي « ص » ويجعلوا قبره الشريف خارجا عن المسجد واقسروا هذا المهرم المؤدي الى الشرك والكفر وقد صار الحجاز بأيديهم ولهم فيه الحول والطول واكتفوا باقامة بعض جنودهم حول الضريح المقدس بأيديهم عصي الخيزران يمنعون الناس من الدنو الى القبر الشريف ولسه وتقيله ومن لم يمتنع قرعوه بالخيزران وربما قرعوا بالخيزران على القبر الشريف اعلاما للزائر الغير الملتفت ان لا يدنو من القبر كما حدثنا بذلك جملة من الزوار ولا يمكنون احداً من الدنو الا ببذل بعض القطع الفضية فيشيدون اليه من طرف خفي اذا لم يرم احد فان كان المانع لهم خوف هياج الرأي العام الاسلامي فقد هاج عليهم يهدمهم لمشاهدة الامة المسلمين ولم يبالوا .

ومما يدل على جواز بناء المساجد عند قبور الصالحين او على قبورهم تبركا بهم قوله تعالى (وقال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا) في الكشف « قال الذين غلبوا على امرهم » من المسلمين وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم لنتخذن على باب الكهف مسجداً يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم « انتهى » ونحوه عن تفسير الجلالين عند قوله تعالى (وقال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا) في الكهف .

العالمين « انتهى » وعن ابن عباس قال المسلمون بنى عليهم مسجداً يصلي فيه الناس لانهم على ديننا « انتهى » وعن النيشابوري في غرائب القرآن (الذين غلبوا على أمرهم) وملكهم المسلم لانهم بنوا عليهم مسجداً يصلي فيه المسلمون ويتبركون بكانهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم حفظاً لثرتهم « انتهى » وفي مجمع البيان (قال الذين غلبوا) يعني الملك المؤمن واصحابه وقيل اولياء اصحاب الكهف من المؤمنين وقيل رؤساء البلد عن الجبائي (لتتخذن عليهم مسجداً) متعبداً وموضعا للعبادة والسجود يتعبد الناس فيه تبركاً بهم ودل ذلك على ان الغلبة كانت للمؤمنين « انتهى » فقد حكى الله تعالى مقالة المسلمين من غير رد عليهم ولا انكار لعله ذكرها في معرض المدح فيكون ذلك تقريراً لها وانما حكى الله تعالى قصص الماضين لتعتبر بها هذه الامة وتقتدي بالحسن منها وتجنب القبيح . ومن الغرائب ما يحكى عن شارح كتاب التوحيد لابن عبد الوهاب انه قال بعد ذكر الاية هذا دليل على ان الذين غلبوا هم الكفار اذ لو كانوا مؤمنين ما ارادوا ان يتخذوا على قبور الصالحين مسجداً لان النبي « ص » لعن فاعل ذلك « انتهى » فكأن معتقدات الوهابية عند هذا الرجل وحي منزل فلذلك تكون ناسخة للقرآن الكريم ويجب حمله عليها ولا يجوز تطبيقها عليه وهل يلتفت الى هذا الاحتمال السخيف بعد اطباق المفسرين على خلافه ومنهم ابن عباس ترجمان القرآن وامام المفسرين ومخالفته لظاهر الاية وسياقها كما يفهم مما مر مع ان ظاهر قوله تعالى (اذ يتنازعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لتتخذن عليهم مسجداً) ان الجميع كانوا متفقين على البناء الذي يحرمه الوهابية وانما كان التنازع في كيفيته فالوهابيون بمنعهم البناء على القبور قد خالفوا المسلمين والكافرين وقد نجي الله ذلك الملك المسلم ورعيته المسلمين في حياتهم فلم يكن في زمانهم وهابية والا لكفروهم بعد اسلامهم وشركوهم بعد توحيدهم لبنائهم مسجداً على اهل الكهف وتبركهم بهم لكنهم لم يسلموا من الوهابيين بعد موتهم وبعد ان مضى على موتهم الوفا مؤلفة من السنين فكفروهم بعدما صاروا تراباً في قبورهم .

وما يدل على جواز بناء المساجد على القبور ما في وفاء الوفا للسهمودي ^(١) عن ابن

شبة عن عبد العزيز بن عمران بسنده الى محمد بن علي بن ابي طالب في حديث ذكر فيه وفاة فاطمة بنت اسد ام علي بن ابي طالب . الى ان قال : فلما توفيت خرج رسول الله « ص » فأمر بقبورها فحفر في موضع المسجد الذي يقال له اليوم قبر فاطمة « الحديث » قال السهمودي وقوله في موضع المسجد الخ يقتضي انه كان على قبرها مسجد يعرف به في ذلك الزمان « انتهى » (وقوله) في موضع المسجد الخ الظاهر انه من كلام ابن الحنفية المتوفى سنة ٨١ فيكون المسجد قبل ذلك وفي وفاة الوفا^(١) قال عبد العزيز الغالب عندنا ان مصعب بن عمير وعبد الله بن جحش دفنا تحت المسجد الذي بني على قبر حمزه « انتهى » وقال قبل ذلك^(٢) سيأتي عن عبد العزيز بن عمران انه كان على قبر حمزه قديماً مسجد وذلك في المائة الثانية « انتهى » .

الفصل الثاني عشر

في الاسراج على القبور

وهذا مما منعه الوهابية محتجين بالحديث المتقدم في الفصل السابق (لعن الله زوارات القبور او زائرات القبور المتخذين عليها المساجد والسرر) واستناداً الى هذه الرواية منع الوهابيون اضاءة قبر النبي « ص » هذه السنة اعني سنة ١٣٤٦ بعدما كانوا يضيئون في العام الماضي على ما اخبرنا به الحجاج (والجواب عن هذا الحديث بضعف السند كما بيناه في الفصل السابق ومع تسليم السند فهو محمول على صورة عدم المنفعة لانصرافه الى ذلك فيكون تضييعاً للمال او على غير قبور الانبياء والاولياء الذين دل الشرع على رجحان تعظيمهم احياء واموات اما اسراجها لقراءة القرآن والادعية والصلاة وانتفاع الزائرين والبائتين فيها فليس مكروها ولا محرماً للنفع الظاهر في ذلك فيكون من التعاون على البر والتقوى بالمأمور به في الكتاب المجيد ويكون نظير ما حكى عن الترمذي انه روى عن ابن عباس ان النبي « ص » دخل قبراً ليلاً فأسرج له سراج قال العريزي في شرح الجامع الصغير^(١) في شرح قوله (والسرر) : محل ذلك حيث لا ينتفع بها الاحياء « الى

(١) ص ١١٥ ج ٢ (٢) ص ١٠٥ ج ٢ (٣) ص ١٩٨ ج ٣

ان قال « فان كان هناك من ينتفع به صح ذلك » انتهى « وقال السندي في حاشية سنن النسائي : والنهي عنه لانه تضييع مال بلا نفع » انتهى « فدل على انه لانهي حيث يكون هناك نفع (وقال) الشيخ الحفني في حاشية الجامع الصغير يحرم اسراج القنديل على قبر ولي ونحوه حيث لم يكن من ينتفع به لما فيه من اضاعه المال لا لغرض شرعي « انتهى » .

الفصل الثالث عشر

في الدعاء والصلاة عند القبر الشريف وغيره والتوجه اليه عند الدعاء

وهذا أيضاً مما منعه الوهابية وجعلوه شركاً وكفراً (وقال) قدوتهم ابن تيمية في رسالة زيارة القبور ^(٢) ان الصحابة كانوا اذا جاؤا عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسمون عليه فاذا ارادوا الدعاء لم يدعوا الله مستقبلي القبر الشريف بل ينحرفون ويستقبلون القبلة ويدعون الله وحده كما في سائر البقاع « اي لا يتوسلون بالنبي ص » (الى ان قال) ولهذا لم يذكر أحد من ائمة السلف ان الصلاة عند القبور وفي مشاهدتها مستحبة ولا ان الصلاة والدعاء هناك افضل منها في غيرها بل اتفقوا كلهم على ان الصلاة في المساجد والبيوت افضل منها عند قبور الانبياء والصالحين سميت مشاهد او لم تسم ثم ذكر بعض الآيات والاحبار الواردة في المساجد كقوله تعالى انما يعمر مساجد الله وقوله (ص) من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة وقال انه لم يرد مثلها في المشاهد « انتهى » (ونقول) يدل على جواز الصلاة والدعاء عند قبر النبي (ص) وقبور سائر الانبياء والصالحين عموم واطلاق ما دل على جواز الصلاة والدعاء في كل مكان ويدل على رجحان ذلك ما فهم من الشرع من رجحان الصلاة والدعاء ومطلق العبادة في كل مكان ثبت شرفه في الشرع ولا شك في تشرف المكان بالمكين الموجب لتشرف قبر رسول الله « ص » بحلول جسده الشريف فيه ويدل عليه عمل المسلمين خلفا عن سلف ويدل على رجحان الدعاء عند قبر النبي « ص » قوله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله الآية الشاملة لحالي الحياة والموت وان حرمة (ص) ميتاً كحرمة حياً كما قاله مالك المنصور على ما مر في التوسل وذكر جميع علماء المسلمين من اهل المذاهب له في كتب

المناسك وذكرهم الدعاء المشتمل على الاستشهاد بالاية المذكورة ولنعم ما قال شمس الدين الجزري في الحصن الحصين على ما حكى عنه : ان لم يجب الدعاء عند النبي (ص) ففي اي موضع يستجاب « انتهى » وسيأتي في فصل زيارة القبور ان فاطمة عليها السلام كانت تزور قبر عمها حمزة في كل جمعة فتصلي وتبكي عنده (وفي رواية) انها كانت تزور قبور الشهداء بأحد بين اليومين والثلاثة فتصلي هناك وتدعو وتبكي وابن تيمية يقول لم يذكر احد من ائمة السلف ان الصلاة عند القبور وفي مشاهدتها مستحبة (واما استقباله « ص » عند الدعاء) فلا مانع منه لقوله تعالى اينا تولوا فثم وجه الله بل هو راجح بقصد التبرك بمواجهته المرجو معها استجابة الدعاء وبقصد التوسل والتشفع به الثابت رجحانه كما بيناه في تضاعيف ما مر بل يدل قول الامام مالك للمنصور المتقدم في فصل التوسل على ان استقباله « ص » افضل من استقبال القبلة او مساوله ولا ينافي ذلك ما دل على ان افضل الجهات جهة القبلة لان العام يخص والمطلق يقيد وفي قول المنصور لما لك استقبال القبلة وادعو ام استقبل رسول الله (ص) دلالة واضحة على ان الدعاء عند القبر الشريف كان مشهوراً معروفاً لا يشك احد في رجحانه وانما الذي توقف فيه المنصور ان استقبال القبلة حال الدعاء افضل ام استقبال القبر (أما) قول ابن تيمية : لم يقل احد من ائمة المسلمين ان الصلاة والدعاء عند القبور وفي مشاهدتها افضل منها في غيرها فيكذبه خبر مالك امام دار الهجرة مع المنصور المشار اليه واما كون الصلاة والدعاء عند القبور وفي مشاهدتها افضل منها في غيرها فيكفي فيه ما دل على شرف تلك البقاع بشرف من دفن فيها الذي صار ملحقاً بالضروريات في شرع الاسلام كما شرف جلد الشاة بكونه جلدًا للمصحف وما الذي يمنع من الصلاة الله عندها والارض كلها لله تعالى وقد قال النبي « ص » جعلت لي الارض مسجداً وطهوراً والصلاة جائزة في كل بقاع الارض سيما الشريفة منها بعد ان تكون لله تعالى والمنوع منه الصلاة الى القبر تعظيماً له او السجود له كما مر في فصل اتخاذ المساجد على القبور اما الصلاة بقربه تبركاً بالمكان المدفون فيه فلا مانع منها لثبوت شرف المكان بالمكين ضرورة كما تكرر ذكره والعبادة لله لا للقبر كما ان الصلاة لله في المسجد طلباً لشرف المكان مستحبة وليست عبادة للمسجد فالمسلمون يصلون

عند قبور شرفت بمن دفن فيها لتناهم بركة اصحابها الذين جعلهم الله مباركين كما يصلون عند المقام الذي هو حجر شرف بلامسة رجل ابراهيم الخليل (ع) لقوله تعالى (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) الذي يفهم منه ان سبب اتخاذ المصلى عنده تبركه بقيامه عليه ويدعون الله عندها لشرفها ايضا بمن دفن فيها فيكون دعاؤهم عندها ارجى للاجابة كالدعاء في المسجد او الكعبة او احد الامكنة او الازمنة التي شرفها الله ولكن ابن تيمية تعود سرد الدعاوى المنفية بلا دليل بل مصادمة للضرورة وتتابع ادوات النفي لترويج مدعياته كما ان دعواه اتفاق ائمة السلف كلهم على ان الصلاة في البيوت افضل منها عند قبور الانبياء والصالحين دعوى مجردة عن الدليل فمن هو الذي صرح بذلك من ائمة السلف فضلا عن كلهم فليأتنا بواحد منهم ان كان من الصادقين (وعن الخصائص الكبرى للسيوطي) في قصة المعراج عن النبي « ص » قال فركت ومعي جبرئيل فسرت فقال انزل فصل ففعلت فقال اتدري اين صليت بطيبة واليها المهاجرة ثم قال انزل فصل ففعلت فقال اتدري اين صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى ثم قال انزل فصل ففعلت فقال اتدري اين صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى « انتهى » ومنه يفهم ان محل ولادة عيسى ينبغي الصلاة فيه كطيبة وطور سيناء لفضله وبركته بولادة عيسى فيه افلا يكون المكان الذي يورث بوجود جسد النبي « ص » فيه مباركا مستحقا لاستحباب الصلاة وعبادة الله تعالى فيه ولا يكون مكان ولادة النبي « ص » مستحقا لان يتبرك به بل مستحقا للهدم والحرق كما فعلته الوهابية به « وقال ابن القيم » تلميذ ابن تيمية في كتابه زاد المعاد على ما حكى عنه : ان عاقبة صبر هاجر وابنها على البعد والوحدة والغربة والتسليم الى ذبح الولد آلت الى ما آلت اليه من جعل آثارها ومواطىء اقدامها مناسك لعبادة المؤمنين ومتعبدات لهم الى يوم القيامة « انتهى » فاذا كانت آثار اسماعيل وهاجر لاجل ما مسها من الاذى مستحقة لجعلها مناسك ومتعبدات فآثار افضل المرسلين الذي قال ما اوذي نبي قط كما اوذيت لا تستحق ان يعبد الله فيها وتكون عبادة الله عندها والتبرك بها شراً وكفرأ ! وقد كانت عائشة ساكنة في الغرفة التي دفن فيها النبي « ص » وبقيت ساكنة فيها بعد دفنه ودفن صاحبيه وكانت تصلي فيها وذلك يبطل قول الوهابية بعدم جواز الصلاة عند القبور كما مر في فصل البناء على القبور .

الفصل الرابع عشر

في تعظيم القبور واصحابها والتبرك بها بما لم ينص الشرع على تحريمه

من لمس وتقبيل لها ولاعتاب مشاهدتها وتمسح بها وطواف حولها ونحو ذلك

وهذا مما منعه الوهابية وكفروا به المسلمين واشركوهم وسموهم القبوريين وعباد القبور ونحو ذلك صرح به الصنعاني في كلامه السابق في الباب الاول حيث عد الطواف بالقبور والتبرك والتمسح بها من موجبات الشرك وانه كفعل الجاهلية للاصنام والاولثان والوهابيون في كتابهم الى شيخ الركب المغربي المتقدم هناك حيث جعلوا تعظيم قبور الانبياء والاولياء ببناء القباب والاسراج والصلاة عندها وغير ذلك من الشرك وعبادة الاولثان وصرح بذلك ايضا غير من ذكر .

(ونقول) تعظيم قبور الانبياء والصلحاء بل سائر المؤمنين واصحابها احياء وامواتا بما لم ينص الشرع على تحريمه ^(١) راجح عقلا وشرعاً لا مانع منه ولا محذور فيه لانه من تعظيم شعائر الدين (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) ولم يدل دليل على تحريمه فيبقى داخلا في العموم مع حكم العقل بحسن تعظيم كل قريب الى الله حيا وميتا ولا يعد ذلك عبادة لها كما توهمه الوهابية لانه ليس كل تعظيم او خضوع او تذلل بقيام أو غيره يكون عبادة ويوجب شركا وكفراً او يكون محرماً فقد عرفت في المقدمات ان العبادة المنهي عنها لغير الله والتي توجب الشرك والكفر ليست العبادة اللغوية قطعاً التي تشمل مطلق التعظيم والخضوع وان تعظيم القبور ومن فيها والقيام والخضوع عندها لا يدخل في ذلك بل تعظيمها عبادة وطاعة لله تعالى لان تعظيم من عظمه الله طاعة لله وعبادة وتعظيم له وخضوع له كما مر في المقدمات وليس عبادة للمعظم موجبة للشرك والكفر (أما) ان الانبياء والصلحاء ممن يستحق التعظيم عنده تعالى وان لهم حرمة وشأناً وشرفاً وفضلاً وبركة احياء وامواتاً فلانهم انبياء الله ورسله الذين اختارهم واجتباهم برسالتهم ويميزهم على جميع خلقه وجعلهم امناً شرعاً ودينه والصالحون هم احياء الله المطيعون لامره ونهيه فحرمتهم احياء وامواتاً لا يشك فيها مسلم وهو عند المسلمين ملحق بالضروريات

(١) مثل السجود لها والصلاة اليها كما يصل الى الوثن - المؤلف -

فالنبي والصالح لا تسقط حرمة بموته وقد قال الامام مالك للمنصور كما مر في فصل التوسل ان حرمة النبي (ص) ميتا كحرمة حيا واعترف الوهابية في الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية بأن رتبة النبي « ص » اعلى مراتب المخلوقين وانه حي في قبره حياة برزخية وان من انفق نفيس اوقاته بالصلاة عليه فقد فاز بسعادة الدارين وان كان المنقول عنهم كما مر انهم يقولون النبي طارش وعصا أحدنا انفع له منه الا ان ضرورة دين الاسلام تقضي بخلاف هذا وان المكان يتشرف بالمكين وينال به الفضل والبركة واذا ثبتت حرمة الانبياء والصالحين احياء وامواتا فبدفنهم في مكان يكتسب ذلك المكان شرفاً وفضلاً وبركة ويستحق التعظيم كما يستحق جلد الشاة التعظيم يجعله جلدًا للمصحف وينال البركة والفضل بمجاورة المصحف فيجب تعظيمه وتحرم اهانتة وتنجيسه وكما ان من احترام المصحف احترام جلده فمن احترام الانبياء والصالحاء احترام قبورهم المتشرفة باجسادهم الشريفة فتعظيم هذه القبور واحترامها هو بأمر الله الذي جعلها محترمة معظمة لانها قبور انبيائه ورسله الذي أمر باحترامهم وتعظيمهم فيكون عبادة الله تعالى لأن كلما كان عن امر الله فهو طاعة وعبادة لله وذلك كتعظيم الاخ في الله واحترامه والابوين وخفض جناح الذل لهما والمسجد والكعبة والحرم والمقام والحجر بكسر الحاء والحجر الاسود وغيرها (والحجر) هو منزل اسماعيل وامه عليها السلام ومدفنها فان ابراهيم عليه السلام لما ذهب بهاجر واسماعيل الى مكة عمد بها الى موضع الحجر وأمرها ان تتخذ فيه عريشا ولما ماتت دفنها اسماعيل في الحجر فلما مات اسماعيل وعمره مائة وثلاثون عاما دفن مع امه في الحجر ذكر ذلك قطب الدين الحنفي في تاريخ مكة نقلا عن الازرقى ^(١) وقد أوجب الله احترام النبي « ص » غاية الاحترام فقال يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض (ولو كان) احترام قبور الانبياء والصالحاء عبادة لها وشركا لكان تعظيم الكعبة والطواف بها والحجر الاسود وتقبيله والحجر والمقام والمساجد والمشاعر والابوين واطاعتها وخفض جناح الذل لهما وغض الاصوات عند رسول الله « ص » وخفضه جناحه لمن اتبعه من المؤمنين وسجود الملائكة لأدم وسجود اخوة يوسف وأيوب له وتعظيم الجنود لامرائهم والصحابه للنبي « ص » وللخلفاء والانبياء لآبائهم وامهاتهم وقيامهم وخضوعهم لهم والوهابية للسلطان ابن سعود وغير ذلك كله عبادة لغير الله وشركا ولم يسلم من الشرك

(١) راجع ص ٢٢ و ٢٧ من تاريخ مكة بهامش خلاصة الكلام .

نبي فمن دونه « لا يقال » التعظيم الذي نص الشرع عليه وأمر به لا كلام لنا فيه انما لكلام فيما لم ينص عليه الشرع (لانا نقول) اذا فرض ان كل تعظيم عبادة وكل عبادة لغير الله شرك يكون الله تعالى قد أمر بالشرك ورضيه وأحبه وذلك باطل لقبح الشرك عقلا ونقلا (ان الله لا يغفر ان يشرك به) ولا يمكن ان يرضى الله تعالى في الشرك ، وورد الامر به لا يرفع الشراكة لان ما هو شرك قبل الأمر لا يصير توحيداً بالأمر به اذ الحكم لا يغير الموضوع كما مر في المقدمات مع انه كما يقال ورود الشرع بتعظيم هذه المذكورات يقال ورودها بتعظيم قبور الانبياء والصالحين لما عرفت من ان فضلها وبركتها الموجب لتعظيمها ثابت بضرورة الشرع وكيف أمر الله بتعظيم المقام وما هو الا صخرة تشرفت بقيام ابراهيم عليه السلام عليها حين بناء البيت وبأثر قدمه ولم تكن وثناً معبوداً ولا معظمها كافراً ولا مشركاً وكان معظم قبر ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام وقبر محمد (ص) سيد ولد آدم الذين حوياً جسديهما الشريفين كافراً ومشركاً سبحانه اللهم هذا بهتان عظيم . وتوهم ورود النهي عن تعظيم القبور بينا فسادة في محاله « ويكفي » في حرمة القبور وشرفها وفضلها وبركتها ايضاء الصالحين ان يدفنوا مع النبي « ص » وقد عد دفنها معه أعظم منقبة لهما ولو كانت القبور ليس لها حرمة وشرف ولا ترجى بركتها وبركة جوارها فما الموجب لذلك ولما أراد بنو هاشم تجديد العهد بالحسن بن علي « ع » بجده « ص » وظن بنو أمية واعوانهم انهم يريدون دفنه عند جده لبسوا السلاح ومنعوههم أشد المنع قائلين أيدفن عثمان في اقصى البقيع ويدفن الحسن عند جده واذا لم يكن للقبور حرمة ولا شرف وبركة ترجى فلماذا يأتي بنو هاشم بمحازاة الحسن ليجددوا به عهداً بجده « ص » بوصية منه وهل هذا الا عين التوسل والتبرك بالنبي « ص » وبقبوره بعد الموت الذي انكره الوهابية وجعلوه شركاً وهل اشرك الحسن « ع » وبنو هاشم بفعلهم هذا وجهلوا معنى التوحيد الذي عرفه اعراب نجد واذا لم يكن للقبور شرف وحرمة فلماذا يتأسف بنو أمية لدفن عثمان في اقصى البقيع ويمنعون من دفن الحسن عند جده كل ذلك دال على شرف البقعة وفضلها عند عموم المسلمين بشرف من فيها وان الدفن فيها طلباً لشرفها وبركتها امر راجح مطلوب محبوب تراق دونه الدماء وتزهق النفوس « وحينئذ » فقياسهم تعظيم قبور الانبياء والصالحين بتعظيم الاصنام والاثاث التي لم يجعل الله لها حرمة

ونهى عن تعظيمها سواء كانت صور قوم صالحين او غيرها قياس فاسد وجعل فاضح (وقال) صاحب المنار في مجموعة مقالاته (الوهابيون والحجاز) ما معناه : ان تعظيم القبور تعظيماً دينياً من اعمال الشرك (ثم قال) حدثني الشريف محمد شرف عدنان باشا حفيد الشريف عبد المطلب الذي كان اعقل رجل في شرفاء مكة انه رأى رجلاً في مسجد ابن عباس بالطائف يصلي مستقبل القبر مستدبر القبلة فظنه اعمى وجاء ليحوله الى القبلة فرآه بصيراً وأبى ان يتحول فأمر باخراجه (الى ان قال) ما حاصله : ان تعظيم القبور تعظيماً دينياً كان سبباً لمكرات كثيرة وان استحلال المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة كفر وخروج من الملة (انتهى) .

وقد عرفت مما بيناه ووضحناه ان تعظيم قبور الانبياء والصالحين تعظيماً دينياً من الامور المندوب اليها في الشرع كتعظيم نفس الانبياء والصالحين وان حرمتهم امواتاً كحرمتهم احياءً وانه كتعظيم جلد الشاة المعمول جلدًا للمصحف لا يشك في ذلك الا جاهل او معاند وما حكاه عن هذا الشريف لم نسمع بمثله في شيء من بلاد الاسلام لا من الخواص ولا من اجهل العوام ولا نظنه الافرية وان فرض صدقه لا يوجب ان يكون كل تعظيم شركاً وكفراً فهل اذا عظمت السبائية علياً (ع) وأوصلته الى درجة الاولوية^(١) يكون كل تعظيم له شركاً . ويدخل في حكمه على استحلال المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة بأنه كفر وخروج من الملة تعظيم قبر النبي « ص » والتبرك به فان المسلمين قد اجمعوا على ذلك في جميع الاعصار والامصار قولاً وعملاً حتى وصل الى حد الضرورة ولم يخالف فيه غير الطائفة الوهابية .

واما التبرك بقبر النبي « ص » بلبس وتقبيل وتمسح به وطواف حوله ونحو ذلك فالحق جوازه ورجحانه لما ستعرف من الادلة الكثيرة الدالة عليه « أما » علماء اهل السنة فاختلفوا في جوازه واستحبابه وكراهته ولكن من كرهه انما كرهه بزعم منافاته للادب كما ستعرف قال السهمودي في كتاب وفاء الوفا^(٢) قال النووي لا يجوز الطواف بقبره (ص) ويكره الصاق البطن والظهر بحداد القبر قاله الحلبي وغيره قال ويكره مسحه باليد وتقبيله بل الادب ان يبعد منه كما يبعد منه لو حضر في حياته هذا هو

الصواب الذي اطبق عليه العلماء ومن خطر بباله ان المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته لان البركة انما هي فيما وافق الشرع واقوال العلماء وفي الاحياء مش المشاهد وتقبيلها عادة النصارى واليهود قال الزعفراني وضع اليد على القبر ومسه وتقبيله بدعة من البدع التي تنكر شرعا وروي ان أنس بن مالك رأى رجلا وضع يده على قبر النبي « ص » فنهاه وقال ما كنا نعرف هذا على عهد رسول الله « ص » وقد انكره مالك والشافعي واحمد اشد الانكار وقال بعض العلماء ان قصد بوضع اليد مصافحة الميت يرجى ان لا يكون به حرج ومتابعة الجمهور أحق وفي تحفة ابن عساكر ليس من السنة ان يمس جدار القبر المقدس ولا ان يقبله ولا يطوف كما يفعل الجهال بل يكره ذلك ولا ^(١) يجوز والوقوف من بعد اقرب الى الاحترام ثم روى من طريق ابي نعيم بسنده ان ابن عمر كان يكره ان يكثر مس قبر النبي « ص » قال البرهان بن فرحون بعد ذكره وهذا تقييد لما تقدم وهو عن ابن عمر في القبر نفسه فالجدر الظاهرة اخف اذا لم يكثر منه وعن تأليف ابن تيمية قيل لاحمد بن حنبل انهم يلصقون بطونهم بجدار القبر واهل العلم من اهل المدينة لا يمسونه ويقومون ناحية ويسلمون فقال نعم هكذا كان ابن عمر يفعل وقال ابو بكر الاثرم قلت لاحمد بن حنبل قبر النبي « ص » يلمس ويتمسح به قال لا اعرف هذا قلت فالمنبر قال اما المنبر فنعم قد جاء فيه شيء يروونه عن ابن ابي فديك عن ابن ابي ذئب عن ابن عمر انه مسح المنبر ويروونه عن سعيد بن المسيب في الرمانة اي رمانة المنبر قبل احتراقه ويروى عن يحيى بن سعيد شيخ مالك انه حيث اراد الخروج الى العراق جاء الى المنبر فمسحه ودعا فرأيت استحسن ^(٢) ذلك قال السروجي الحنفي لا يلصق بطنه بالجدار ولا يمس يده وعن كتاب احمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمس ولا يقف عنده طويلا وقال ابن قدامة من الحنابلة لا يستحب التمسح بجائط قبر النبي (ص) ولا يقبله وحكى العزيم بن جماعة عن كتاب العلل والسؤالات

(١) اولاً «ظ» (٢) يحتمل رجوع الضمير في استحسن الى مالك ويحتمل الى ابن حنبل - المؤلف -

لعبد الله بن احمد بن حنبل سألت ابي عن الرجل يمس منبر رسول الله (ص) ويتبرك
بمسه ويقبله ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى قال لا بأس قال العز بن جماعة
وهذا يبطل ما نقل عن النووي من الاجماع وقال السبكي في الرد على ابن تيمية ان عدم
التمسح بالقبر ليس مما قام الاجماع عليه فقد روى ابو الحسين يحيى بن الحسين بن جعفر في
اخبار المدينة عن عمر بن خالد عن ابي نباته عن كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله بن
حنطب اقبل مروان بن الحكم فاذا رجل ملتزم القبر فاخذ مروان برقبته ثم قال هل
تدري ماذا تصنع فقال اني لم آت الحجر ولم آت اللبن انما جئت رسول الله «ص» سمعت
رسول الله «ص» يقول لا تبكوا على الدين اذا وليه اهله ولكن ابكوا عليه اذا وليه غير
اهله قال المطلب وذلك الرجل ابو ايوب الانصاري وقال السهوي في مقام آخر (١) رواه
احمد بسند حسن عن عبد الملك بن عمرو عن كثير بن زيد عن داود بن ابي صالح وذكر
مثله الا انه لم يذكروا اللبن «قال» ورواه الطبراني في الكبير والوسط وتقدم في المبحث
الثاني ترميز بلال وجهه على القبر لما جاء لزيارته «ص» «قال» وفي تحفة ابن عساكر من
طريق طاهر بن يحيى عن الحسيني عن ابيه عن جده عن جعفر بن محمد عن ابيه عن علي
قال لما رمس رسول الله «ص» جاءت فاطمة فوفقت على قبره واخذت قبضة من تراب
القبر ووضعتها على عينها ويكت وانشأت تقول :

ماذا على من شم تربة احمد ان لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لو انها صبت على الايام عدن لباليا

قال وذكر الخطيب ابن حمله ان ابن عمر كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف
وان بلالا وضع خده عليه «الى ان قال» ولا شك ان الاستغراق في المحبة يحمل على الاذن
في ذلك والمقصود من ذلك كله الاحترام والتعظيم والناس تختلف مراتبهم في ذلك كما
كانت تختلف في حياته فأناس حين يرونه لا يملكون انفسهم بل يبادرن اليه وأناس فيهم
أناة والكل محل خير وقال الحافظ ابن حجر استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الحجر
الاسود جواز تقبيل كل من يستحق التعظيم من آدمي وغيره «الى ان قال» ونقل عن

ابن ابي الصيف اليماني احد علماء مكة من الشافعية جواز تقبيل المصحف واجزاء الحديث وقبور الصالحين ونقل الطيب الناشري عن المحب الطبري انه يجوز تقبيل القبر ومسه قال وعليه عمل العلماء الصالحين وانشد :

امر على الديار ديار ليلي اقبل ذا الجدار وذا الجدار
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

وعن ابي خيثمة عن مصعب بن عبد الله عن اسماعيل بن يعقوب التيمي كان ابن المنكدر يصيبه الصمات فكان يقوم كما هو يضع خده على قبر النبي « ص » فعوتب في ذلك فقال انه يصيبني خطرة فاذا وجدت ذلك استشفيت بقبر النبي « ص » وكان يأتي موضعاً من المسجد في الصحن فيتمرغ فيه ويضطجع فقليل له في ذلك فقال اني رأيت النبي « ص » في هذا الموضع اراه قال في النوم « انتهى ما اردنا نقله وفاء الوفا » وبذلك ظهر ان جملة من كره الصاق البطن والظهر والمسح باليد أو اكثاره والتقبيل واطالة الوقوف انما قال به لمناقاته الادب والاحترام بزعمه كما يدل عليه قول الحلبي بل الادب ان يبعد منه الخ وقول ابن عساكر والوقوف من بعد اقرب الى الاحترام وما حكى عن ابن عمر من كراهته اكثار المس لا اصل المس فكأنه رأى ان في اكثار المس سوء ادب وكذا اطالة الوقوف التي في كتاب الهندي لا لكونه عبادة وكيف يتوهم فيما جعل منافياً للاحترام انه عبادة وبعضهم كرهه لزعم انه بدعة كما في كلام الزعفراني ويدل عليه قول مالك ما كنا نعرف هذا على عهد رسول الله (ص) وقول ابن عساكر ليس من السنة وقول احمد هكذا كان ابن عمر يفعل وقول الغزالي انه عادة النصارى واليهود وغير ذلك من كلماتهم وكذلك منع الطواف به لزعم انه بدعة او لشبهه بالطواف بالكعبة المشرفة وكيف كان فليس في شيء من كلماتهم انه عبادة للقبر كما تزعمه الوهابية « والتحقيق » انه لا كراهة ولا تحريم في شيء من ذلك اذ لا يقصد به سوى التبرك وهو جائز وراجع اذ لا يشك مسلم بان القبر الذي حول جسد النبي « ص » مبارك قد نالته بركة جسده سيما اذا قلنا بحياته البرزخية في قبره التي لا تنكرها الوهابية كما مر في المقدمات واذا كان كذلك فلا مانع من التبرك بقبره الشريف بجميع انواع التبرك من تقبيل ولس والصاق بدن وطواف حوله وغير ذلك (قال) قاضي القضاة تقي الدين ابو الحسن السبكي في محكي

كتابه شفاء السقام في زيارة خير الانام الذي يرد به على ابن تيمية : نحن نقطع ببطلان كلامه « اي ابن تيمية » وان المعلوم من الدين وسيرة السلف الصالحين التبرك ببعض الموتى من الصالحين فكيف بالانبياء والمرسلين ومن ادعى ان قبور الانبياء وغيرهم من الموتى المسلمين سواء فقد أتى امرأ عظيماً نقطع ببطلانه وخطائه وفيه حط لرتبة النبي (ص) الى درجة غيره من المؤمنين وذلك كفر بيقين فان من حط لرتبة النبي (ص) عما يجب له فقد كفر (فان قال) ان هذا ليس بحط ولكنه منع من التعظيم فوق ما يجب له (قلت) هذا جهل وسوء ادب ونحن نقطع بان النبي (ص) يستحق من التعظيم اثر من هذا المقدار في حياته وبعد موته ولا يرتاب في ذلك من في قلبه شيء من الايمان « انتهى » . وتوهم ان ذلك او بعضه بدعة توهم فاسد لما عرفت في المقدمات من انه يكفي في كون الشيء سنة دخوله في عمومات ادلة الشرع وفتحائها ولا يلزم النص عليه بخصوصه وقد فهم ضرورة من الشرع ان في القبر الذي ضم جسد سيد ولد آدم واشرف المخلوقات بركة وان له فضلاً وذلك كاف في جواز التبرك به بجميع انواع التبرك التي يرجى بها نيل بركتها وما مر عن احمد من انه كان ينكره اشد الانكار معارض بما مر من حكاية ولده عنه الترخيص فيه وقوله هكذا كان ابن عمر يفعل لا يدل على ترجيحه لفعله ولا يبعد ان يكون ترك ابن عمر له لظنه ان غيره اقرب الى الادب مع انه معارض بما مر من انه كان يضع يده على القبر وانه كره اكثار المس لا اصله وكراهته الاكثار لظن منافاته الادب ومعارض بما مر من التزام ابي ايوب الانصاري للقبر ورده على مروان ذلك الرد ومن ترميغ بلال وجهه ووضع خده عليه ووضع الزهراء ترابه على عينها واستشفاء ابن المنكدر به بوضع خده عليه وبالموضع الذي رآه فيه في النوم بتمرغه واضطجاعه فيه والاستشفاء اعظم من التبرك ولذلك اجازه ابو الصيف احد علماء مكة والمحج الطبري وقال ان عليه عمل العلماء كما مر مع ان ابن عمر وسعيد ابن المسيب ويحيى ابن سعيد شيخ مالك تبركوا بمسح المنبر كما مر الذي نال البركة يحلوس رسول الله (ص) برهة من الزمان فكيف بقبره الذي بورك بوجود جسده الشريف على ممر الدهور والاعوام ولذلك استنبط بعض العلماء من تقبيل الحجر الاسود جواز تقبيل كل من يستحق التعظيم من وغيره وقد قال عمر اني لا قبلك واني اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولو لا اني ا، الله « ص » يقبلك ما قبلتك رواه ابن ماجة ولذلك جوز احد علماء مكة

تقبيل المصحف واجزاء الحديث كما مر وتقبيل المصحف عليه عمل المسلمين كلهم جيلا بعد جيل وروي ان النبي «ص» طاف راكبا وكان يستلم الركن بمحجنه ويقبل المحجن^(١) رواه مسلم^(٢) وابن ماجه^(٣) واذا جاز تقبيل المحجن للامسة الركن افلا يجوز تقبيل قبر حل فيه رسول الله «ص» «لا يقال» انما يجوز تقبيل المحجن اقتداء بفعل رسول الله (ص) ولو رأيناه يقبل القبر ما توقفتنا في جوازه والعبادة مبناها على الاتباع (لأنا نقول) استفدنا من تقبيله المحجن الذي تبرك بلامسة الركن جواز تقبيل كل مستحق للتعظيم على نحو ما استفاد ذلك بعض العلماء من تقبيل الحجر الاسود كما مر وحكى القسطلاني في ارشاد الساري^(٤) عن اصحاب المذاهب استلامه باليد وتقبيلها والاشارة اليه باليدين وتقبيلها (ولو) كان تقبيل قبر النبي (ص) عبادة له او للقبر لكان تقبيل يده او بدنه الشريف في حياته وبعد موته عبادة له لعدم تصور الفرق مع انه قد روى احمد بن حنبل في مسنده^(٥) بسنده عن ابن عمر انه قبل يد النبي «ص» «وقد» قبل سواد بن غزية بطن رسول الله «ص» في غزوة بدر نقله في السيرة الحلبية^(٦) واقره (ص) على ذلك وقبل كشه سواد بن عمرو ولم ينهه رواه ابو داود كما في السيرة الحلبية (وفيها ايضا) عن الخصائص الصغرى : من خصائصه (ص) انه ما التصق ببدنه مسلم وتمسه النار «اقول» وليس ذلك الا ببركة بدنه الشريف فمن التصق بقبره الذي بورك بالتصاقه ببدنه الشريف يرجى له ذلك (واخرج) ابن ماجه في سننه ان ابا بكر قبل النبي «ص» وهو ميت «وعن» كفاية الشعبي وفتاوى الفرائب ومطالب المؤمنين وخزانة الرواية ما هذا لفظه : لا بأس بتقبيل قبر الوالدين لان رجلا جاء الى النبي «ص» فقال يا رسول الله اني حلفت ان اقبل عتبة باب الجنة وجبهة حور العين فأمره ان يقبل رجل الام وجبهة الاب قال يا رسول الله ان لم يكن ابواي حين قال قبل قبرهما قال فان لم اعرف قبرهما قال خط خطين انو احدهما قبر الام والاخر قبر الاب فقبلهما فلا تحث في يمينك «ومر» في فصل الدعاء والاستغاثة تمشح الناس بالعباس لما استسقى به عمر فسقوا (وعن القاضي

(١) بكسر الميم وسكون الحاء المهملة ونون عاصم حنية الرأس - المؤلف - (٢) صفحة ٣٨٠ ج ٥

بها مش ارشاد الساري (٣) صفحة ١١٥ ج ٢ (٤) صفحة ١٦١ ج ٢ (٥) صفحة ٢٣ ج ٢ (٦) صفحة

١٧١ ج ٢ طبع عام ١٣٢٠

عياض) في شرح الشفا انه رأي ابن عمر واضعا يده على قبر النبي « ص » من المنبر ثم وضعها على جبهته . افيجوز التبرك بمقعد النبي « ص » من المنبر ولا يجوز التبرك بقبره الذي ضم جسده الشريف (اما قول الغزالي) ان مس المشاهد وتقبيلها عادة النصارى واليهود فيرده ما سمعت من انه عادة المسلمين ايضا اكابرهم واصاغرهم وكونه عادة النصارى واليهود لا يصير دليلا على منعه بعد ان ثبت من الشرع جوازه كما عرفت (اما) توهم ان اللبس او كثرتة والصاق البطن والظهر واطالة الوقوف منافية للاداب فتسوء فاسد لان فعل ذلك بقصد التبرك من تمام الادب والاحترام وكذا اكثاره واطالة الوقوف طلبا لزيادة البركة والثواب ليس فيه شيء من منافيات الاداب (اما الطواف بالقبر) فان اريد به انه مأمور به بخصوصه وانه عبادة خاصة كالطواف بالكعبة فهو تشريع محرم لكن هذا لا يقصده احد وانما يقصد الطائف حصول البركة بل المبالغة في حصولها حتى لا يبقى جانب من القبر الا وتناله بركته وكونه شبيها بالطواف بالكعبة لا يوجب حرمة فانما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى وليس كل شبهة بالعبادة يكون ممنوعا والا لحرم تقبيل الآدمي رحمة وتقبيل الميت لمشايبته تقبيل الحجر الاسود ولا يقول به احد (وفي تاريخ مكة المكرمة) المسمى بالاعلام باعلام بيت الله الحرام لقطب الدين الحنفي ^(١) عن قصص الانبياء ان ابراهيم عليه السلام لما جاء لزيارة ولده اسماعيل بمكة جاءته زوجته اسماعيل بحجر وهو حجر المقام الذي بني عليه الكعبة فجلس عليه فغاصت رجلاه في الحجر ففسلت شقيه الايمن والايسر وافاضت الماء على رأسه وبدنه وانصرف فلما جاء اسماعيل وجد رائحة ابيه فسأل زوجته فأخبرته وقالت هذا موضع قدميه فقبل موضع قدم ابيه من الحجر وحفظه يتبرك به الى ان بنى عليه فيما بعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام الكعبة (انتهى) فهل كفر اياها الوهابيون اسماعيل بتقبيله موضع قدم ابيه وتبركه بحجر وقف عليه ابوه وهل هذا الحجر بوقوف ابراهيم «ع» عليه صار اشرف من بقعة ضمت جسد سيد الانبياء محمد (ص) التي جعلتم تقبيلها والتبرك بها شركا وكفرا (والعجب) ان الوهابيين منعوا الناس من التبرك بالبناء الذي على مقام ابراهيم عليه السلام ومن لمسه وتقبيله واخبرنا في هذه السنة ان بعض الحجاج لمس القفل

الذي على باب المقام فضربوه ضرباً مبرحاً أدى به إلى قذف الدم والخطر على الحياة فالمقام الذي بلغ من فضله عند الله تعالى ببركة وقوف خليله إبراهيم عليه أن أمر بأن يتخذ مصلى بقوله (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) لا يستحق أن يتبرك بما جاوره عند الوهابيين لقد ردوا بفعلهم هذا على الله وحادوه وعملوا بضد ما أمر به (وروى) السهمودي في وفاء الوفا^(١) عن يحيى بن عباد أنه روى أن بيت فاطمة الزهراء لما أخرجوا منه فاطمة بنت حسين وزوجها حسن بن حسن وهدموا البيت بعث حسن ابنه جعفر وكان اسن ولده وقال انظر الحجر الذي من صفته كذا وكذا هل يدخلونه في بنيانهم فرصدهم حتى رفعوا الأساس وأخرجوا الحجر فاخبر أباه فخر ساجدا وقال ذلك حجر كان رسول الله (ص) يصلي إليه إذا دخل إلى فاطمة أو كانت فاطمة تصلي إليه الشك من يحيى وقال علي بن موسى الرضا ولدت فاطمة عليها السلام الحسن والحسين (ع) على ذلك الحجر قال يحيى ورأيت الحسين بن عبد الله بن عبد الله بن الحسين ولم أر فينا رجلاً أفضل منه إذا اشتكى شيئاً من جسده كشف الحصى عن الحجر فيتمسح به الحديث ومر تمامه في الفصل التاسع في تفصيل بناء الحجرة الشريفة فإذا كانت هذه حرمة حجر نال البركة بولادة الزهراء ولديها الحسين عليه وبصلاتها أو صلاة أبيها « ص » إليه وهذه حال خيار السلف الذين يدعي الوهابية الاقتداء بهم بالنسبة إليه وهم في قرنه أو القريب منه الذي روي أنه خير القرون فكيف بتربة ضمت جسدها إليها وجسدها الشريفين ألا يحق التبرك والتبسم والاستشفاء بها وطلب الحوائج من الله عندها أيها الإخوان ؟ في وفاء الوفا^(٢) نقلاً عن ابن شبة عن عبد العزيز بن عمران في حديث أنه لما توفيت فاطمة بنت أسد نزل النبي « ص » فاضطجع في اللحد وقرأ فيه القرآن ثم نزع قميصه فأمر أن تكفن فيه وقال ما أعفي أحد من ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد قيل يا رسول الله ولا القاسم قال ولا إبراهيم وكان إبراهيم أصغرهما « قال » وروى ابن شبة عن جابر بن عبد الله أنه لما أخبر « ص » بوفاها نزع قميصه فقال إذا غسلتموها فاشعروها إياه تحت أكفانها وأنه تمك في اللحد فقيل يا رسول الله رأيناك صنعت شيئين ما رأيناك صنعت مثلها نزعك قميصك وتمكك في اللحد قال أما قميصي فأريد أن لا تمسها النار أبداً

انشاء الله تعالى واما تمعكي في اللحد فأردت ان يوسع الله عليها في قبرها (قال) وروى ابن عبد البر عن ابن عباس انها لما ماتت ألبسها رسول الله « ص » قميصه واضطجع معها في قبرها فقالوا ما رأيـنـاك صنعت ما صنعت بهذه فقال انه لم يكن بعد ابي طالب ابري منها انما البستها قميصي لتكسى من حلل الجنة واضطجعت معها ليهون عليها (انتهى) فهذا صريح في حصول البركة لقبرها رضوان الله عليها باضطجاعه (ص) وتمعكه فيه بحيث صار ذلك موجباً لرفع ضغطة القبر عنها التي لم يسلم منها ولد رسول الله (ص) الرضيع وفي حصول البركة للقميص بماسة جسد رسول الله « ص » بحيث تفيد مماسه لبندنها نجاتها من النار واللبس من حلل الجنة فكيف ينكر بعد هذا ان لمس قبره الذي تترك وتشرف بملامسة جسده المبارك الشريف ومجاورته موجب للبركة ونيل خير الدنيا والآخرة ويجعل كفراً وشركاً لولا الخذلان والحرمان . وفي وفاة الوفا ^(١) عن عبد الواحد بن محمد عن عبد الرحمن بن عوف انه اوصى ان يدفن عند عثمان بن مظعون فدفن هناك (وفيه) انه روى ابن سعد في طبقاته عن ابي عبيدة بن عبد الله ان ابن مسعود قال ادفنوني عند قبر عثمان ابن مظعون (انتهى) وذلك قصداً الى التبرك بجواره ولان النبي أمر بدفن ابنه ابراهيم عنده كما في وفاة الوفا .

قال السهمودي في وفاة الوفا ^(٢) انعقد الاجماع على تفضيل ما ضم الاعضاء الشريفة حتى على الكعبة واجمعوا على تفضيل مكة والمدينة على سائر البلاد واختلفوا أيهما افضل فذهب عمر بن الخطاب وابنه عبد الله ومالك بن انس واكثر المدنيين الى تفضيل المدينة واحسن بعضهم فقال الخلاف في غير الكعبة فهي افضل من المدينة ما عدى ما ضم الاعضاء الشريفة اجماعاً قال وحكاية الاجماع على تفضيل ما ضم الاعضاء الشريفة فقله القاضي عياض والقاضي ابو الوليد الباجي قبله كما قال الخطيب بن جملة ونقله ابو اليمن بن عساكر وغيرهم مع التصريح بالتفضيل على الكعبة ونقل التاج الفاكهي نفي الخلاف عن ذلك (انتهى) وهل نالت المدينة المنورة هذا الفضل العظيم حتى صارت افضل من مكة او ما عدى الكعبة الا بوجود النبي (ص) فيها حياً وميتاً واذا كان محل القبر الشريف

صار يفضل على الكعبة المعظمة ويدعى على ذلك الاجماع افلا يستحق ان يعظم ويتبرك به؟ ويكون تعظيمه والتبرك به شركاً وكفراً كعبادة الاصنام ! (وعقد السهمودي) عدة فصول اورد فيها ما روي في الحث على حفظ اهلها واكرامهم وانهم جيرانه (ص) والتحريض على الموت بها والدعاء بذلك وعلى المجاورة بها والدعاء لها ولاهلها وعصمتها من الدجال والطاعون والاحاديث الواردة في تحريمها وغير ذلك وغير خفي انها انما حازت كل هذه الفضائل بتشرفها بهجرته « ص » اليها وسكنائه بها حياً وميتاً والا كانت كسائر البلاد فاذا كانت انما حازت هذا الشرف به « ص » وبقره الشريف افلا يسوغ ان يتبرك بقبر من هذه بركته وهذه حرمة عند الله تعالى؟ ويكون التبرك به شركاً وكفراً! « وعن » الصديق حسن الحنبلي عن الامام مالك انه مع ضعفه وكبر سنه لم يركب قط في ارض المدينة وكان يقول لا اركب في مدينة فيها جثة رسول الله « ص » مدفونة « انتهى » ومع كل هذا يجعل الوهابيون التبرك بقبر رسول الله (ص) شركاً وكفراً .

ومن ذلك يظهر ان قول بعض الوهابيين في الرسالة الثالثة من رسائل الهدية السنية خطاباً لأهل مكة : من جمع بين سنة رسول الله (ص) في القبور وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه اصحابه وبين ما اتم عليه اليوم من فعلكم مع قبر ابي طالب والمحجوب وغيرهما وجد احدهما مضاداً للآخر مناقضاً له الى آخر ما قال - احق بان يقلب عليه فيقال : من جمع بين منعكم من تعظيم قبر النبي (ص) والتبرك به وبين ما قدمناه مما أثر عن النبي (ص) واصحابه وجد احدهما مضاداً للآخر مناقضاً له (واما) استشهاد الوهابيين بنجر يغوث ويعوق ونسر التي هي اسماء قوم صالحين فلا شاهد فيه لأن الدم ليس على التبرك بهؤلاء الصالحين وبقبورهم بل على عبادة صورهم فقد ذكر المفسرون ان الآباء تبركت بهم والأبناء عبدت صورهم فالدم للابناء على العبادة لا للآباء على التبرك .

الفصل الخامس عشر

في اتخاذ الخدمة والسدنة لقبور الانبياء والاولياء والصلحاء واتخاذها اعياداً
وهذا مما منعه الوهابية وصرحوا في كتابهم لشيخ الركب المغربي المتقدم في الباب الثاني بأن اتخاذها أعياداً وجعل السدنة لها شرك وكفر وعبادة للقبور لزعمهم ان كل

تعظيم لها فهو عبادة وانها صارت بذلك اصناماً واوثاناً وان جعل الخدمة والسدنة لها كما كان يجعل المشركون السدنة لأوثانهم . وهذا جهل منهم لما بيناه مراراً في الفصول السابقة وفي تضاعيف كلماتنا من ان تعظيم من يستحق التعظيم واحترام من هو اهل للاحترام ليس عبادة له ما لم يعظم بشيء من خواص الربوبية كالسجود ونحوه وان تعظيم المشركين لأصنامهم يجعل السدنة لها وغيره تعظيم لغير من عظمه الله ولمن نهى الله عن تعظيمه ولم يجعل له حرمة لكونه حجراً أو شجراً ونحو ذلك سواء كان على صورة نبي أو صالح أو لا أما قبور الأنبياء والصلحاء فقد شرفها الله وأوجب تعظيمها بتضمنها لجسد وليه ونبيه فمن عظمها فقد عظم الله تعالى واطاع امره ومن تعظيمها جعل السدنة والخدمة لها ليحفظوها من وقوع القاذورات والأوساخ عليها ويعينوا زوارها على حوائجهم ويسرّجوا حولها ويفرشوا لمن اراد عبادة الله عندها بصلاة أو قراءة قرآن أو دعاء أو ذكر أو غير ذلك مما امر الله به وشرعه في كل زمان ومكان سيما الامكنة الشريفة كشاهد الانبياء والصلحاء (واما) اتخاذها اعياداً فقال ابن تيمية في رسالة زيارة القبور ^(١) : وفي السنن عنه (ص) انه قال لا تتخذوا قبوري عيداً وصلوا علي حيث ما كنتم فان صلاتكم تبلغني (اقول) وأورد هذا الحديث السهمودي في وفاء الوفا ^(٢) هكذا : لا تتخذوا قبوري عيداً ولا بيوتكم قبوراً « الحديث » (وفي رواية له) بدل وصلوا علي الخ فان تسليمكم يبلغني اينما كنتم (وفي رواية) لا تتخذوا بيتي عيداً ولا بيوتكم مقابر ثم قال ما انتم ومن بالأندلس الا سواء . ومع تسليم سند هذا الحديث فقلوه لا تتخذوا قبوري عيداً لا يخلو من اجمال قال السهمودي : قال الحافظ المنذري يحتمل ان يكون المراد به الحث على كثرة زيارة قبره « ص » وان لا يهمل حتى يكون كالعيد الذي لا يأتي في العام الا مرتين قال ويؤيده قوله لا تجعلوا بيوتكم قبوراً أي لا تتركوا الصلاة فيها حتى تجعلوها كالقبور التي لا يصلى فيها . قال السبكي ويحتمل لا تتخذوا له وقتاً مخصوصاً ويحتمل لا تتخذوه كالعيد في الزينة والاجتماع وغير ذلك بل لا يؤتى الا للزيارة والسلام والدعاء « انتهى » (وروى) السهمودي في وفاء الوفا ان رجلاً كان يأتي كل غداة فيزور قبر النبي (ص) ويصلي عليه

ويصنع من ذلك ما انتهره عليه علي بن الحسين بن علي عليهم السلام فقال ما يحملك على هذا قال احب التسليم على النبي (ص) فقال اخبرني ابي عن جدي ان رسول الله (ص) قال لا تجعلوا قبوري عيداً « الحديث » (قال) فهذا يبين ان ذلك الرجل زاد في الحد فيكون علي بن الحسين موافقاً لما لك في كراهة الاكثار من الوقوف بالقبور وليس انكاراً لاصل الزيارة او انه اراد تعليمه ان السلام يبلغه مع الغيبة لما رآه يتكلف الاكثار من الحضور (انتهى) واما جعل التذكار لمواليد الأنبياء والأولياء الذي يسميه الوهابية بالأعياد والمواسم باظهار الفرح والزينة في مثل يوم ولادتهم التي كانت نعمة من الله على خلقه وقراءة حديث ولادتهم كما يتعارف قراءة حديث مولد النبي « ص » وطلب المنزلة والرفعة من الله لهم وتكرار الصلوات والتسليم على الانبياء والترحم على الصالحاء فليس فيه مانع عقلي ولا شرعي اذا لم يشتمل على محرم خارجي كغناء او فساد او استعمال آلات اللهو او غير ذلك كما يفعل جميع العقلاء وأهل الملل في مثل ايام ولادة عظمائهم وانبيائهم وكل ذلك نوع من التعظيم الذي ان كان صاحبه اهلاً للتعظيم كان طاعة وعبادة لله تعالى وليس كل تعظيم عبادة للمعظم كما بيناه مراراً فقياس ذلك بفعل المشركين مع اصنامهم قياس فاسد .

الفصل السادس عشر

في تزيين المشاهد بالذهب والفضة والمعلقات والحلي والكسوة ونحو ذلك

وهذا ايضا مما منعه الوهابية ولذلك نهبوا جميع ذخائر الحجرة الشريفة النبوية وجواهرها عند استيلائهم على المدينة المنورة سنة ١٢٢١ كما مر في الفصل الثاني من المقدمة الاولى ونقلنا هناك عن تاريخ الجبرتي بيان انواع الجواهر التي نهبوا من الحجرة الشريفة وقدرها . وقد صوب الجبرتي في تاريخه نهبهم لها وقال انما وضعها ضعفاء العقول من الأغنياء والملوك الأعاجم وغيرهم ثم بين انها لا ينبغي ان تكون للنبي (ص) لزهده في الدنيا وانه بعث ليكون نبيا لا ملكا وذكر احاديث وارادة في عرض الدنيا عليه وابانه « ص » وفي زهده وانها ان كانت صدقة فهي محرمة عليه وعلى آله وانه لا تقع فيها مع بقائها على حالها فالأرجح صرفها على المحاويج الى غير ذلك من التلفيقات . ومثله ما يحكى

من احتجاج الوهابية على منعها بأنها لغو وعبث وانها مما لا ينتفع به الميت واحتجوا في الرسالة الثالثة من رسائل الهدية السنوية على عدم جواز كسوة القبور بان رسول الله « ص » نهى ان يزداد عليها غير ترايبها وانتم تزيدون التابوت ولباس الجوخ الخ وفحوى كلامهم دالة على ان ذلك كفر وشرك لانهم يجعلونه مثل ما كان يعمل مع الاصنام (والجواب) ان فعل ذلك نوع من تعظيم هذه القبور الشريفة واحترامها التي ثبت رجحان تعظيمها واحترامها من تضاعيف ما تقدم ثبوتاً لا شك فيه وتوهم الوهابية ان ذلك شرك وعبادة توهم فاسد لما بيناه مراراً وتكراراً من انه ليس كل احترام وتعظيم عبادة ودعوى ان ذلك لم يكن في عهد الصحابة والتابعين مدفوع بانه ليس كما لم يكن في عهدهم يكون محرماً لاصالة الاباحة في كل ما لم ينص الشرع على تحريمه كما قرر في الأصول ولا يخفى ان الازمان مختلفة والعادات فيها متفاوتة ففي مبدأ الاسلام كانت احوال المسلمين ضيقة فكانت الحال تقتضي استعمال الملابس الخشنة والمآكل الجشبة وعدم رفع البناء واتقانه وتزيينه وبناء المساجد باللبن والجذوع وسعف النخل كما بنى النبي (ص) مسجده الشريف بالمدينة ولما انتشر الاسلام واتسعت أمور الناس واستعمل الاكثر من الخلفاء أطيب المأكول وأحسن اللبوس واتقن الناس بناء الدور وزينوها كانت من الراجح المستحسن اتقان بناء المساجد كما فعله المسلمون واستمروا عليه الى اليوم ومنها المسجد الشريف النبوي والمسجد الحرام والمسجد الاقصى فان في ذلك اعلاء لشأن الاسلام وتعظيماً لشعائر الدين ورفعاً لمقام بيوت الله تعالى عن ان تكون دون بيوت خلقه وليس لأحد ان يقول بناء مسجده (ص) على الحالة التي هو عليها اليوم محرم لانه لم يكن في زمانه « ص » للوجه الذي قدمناه كذلك حجرته الشريفة كانت أولاً باللبن والجذوع وجريد النخل ثم بنيت بالحجارة والقصة ثم صار بناؤها يحسن ويزين بحسب اختلاف الأزمان والاحوال لانه صار تحسينها وتزيينها نوعاً من احترامها وتعظيمها ولم يكن الزمان الاول مقتضياً لذلك لما كانت عليه احوال الناس . ودعوى ان ذلك اسراف بلا فائدة لا لميت ولا لغيره يدفعه ان الاسراف ما لا يترتب عليه منفعة والمنفعة هنا حاصلة وهي احترام الميت وتعظيمه واعزاز الاسلام وتعظيم شعائره وكبت معانديه وغير ذلك من الفوائد العظيمة التي لا يعادلها شيء ويرخص في جنبها كل غال . وتصويب الجبرتي نهبهم لها

جهل محض فان هذه الذخائر موقوفة لتوضع بالحجرة الشريفة وتكون زينة لها وليست ملكاً له ولا صدقة . وزهد النبي « ص » في الدنيا لا ربط له بالتمام فان قال قائل ان وقفها على الحجرة النبوية غير جائز قلنا هو جائز لجريان سيرة المسلمين بل جميع أهل الأديان على ذلك ولان في وقفها تعظيماً لشعائر الدين فلا يكون سفهاً بل هو امر راجح مطلوب شرعاً له فائدة عظيمة . مع انه ثبت ذلك في حق الكعبة المعظمة قبل الاسلام واستمر ذلك بعد الاسلام الى اليوم فليثبت مثله في حق الحجرة النبوية ومشاهد الانبياء والائمة فان العلة في الجميع واحدة والجهة واحدة من دعوى الاسراف واللغوية وعدم الفائدة (فعن المسعودي) في مروج الذهب كانت الفرس تهدي الى الكعبة أموالاً وجواهر في الزمان الاول وكان ابن ساسان بن بابك أهدي غزالين من ذهب وجواهر وسيوفاً وذهباً كثيراً الى الكعبة (وفي مقدمة ابن خلدون) ^(١) قد كانت الامم منذ عهد الجاهلية تعظم البيت والملوك تبعث اليه بالاموال والذخائر كسرى وغيره وقصة الاسياف وغزالي الذهب الذين وجدهما عبد المطلب حين احتفر زمزم معروفة وقد وجد رسول الله (ص) حين افتتح مكة في الجب الذي كان فيها سبعين الف اوقية من الذهب مما كان الملوك الملوك يهدون للبيت فيها الف الف دينار مكررة مرتين بمأتي قنطار وزنا وقال له علي بن ابي طالب يا رسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك فلم يفعل ثم ذكر لابي بكر فلم يحركه هكذا قال الازرقى (وفي البخاري) بسنده الى ابي وائل قال جلست الى شيبة بن عثمان وقال جلس الي عمر بن الخطاب فقال هممت ان لا ادع فيها صفراء ولا بيضاء الا قسمتها بين المسلمين قلت ما انت بفاعل قال ولم ؟ قلت فلم يفعله صاحبك فقال هما اللذان يقتدى بهما وخرجه ابو داود وابن ماجة واقام ذلك المال الى كانت فتنة الافطس وهو الحسن بن الحسين بن علي بن علي زين العابدين حين غلب على مكة سنة ١٩٩ . فآخذ ما في خزائن الكعبة وبطلت الذخيرة من الكعبة من يومئذ « انتهى » (وقال القسطلاني في ارشاد الساري ^(٢) حكى الفاكهي انه (ص) وجد فيها يوم الفتح ستين اوقية « انتهى » « وفي » وفاء الوفا ^(٣) تكلم السبكي في حكم قناديل الكعبة وحليتها والقناديل التي حول

الحجرة الشريفة وألف في ذلك كتاباً فأورد حديث البخاري وغيره في كنز الكعبة وما تضمنه من اقرار النبي (ص) له بمحله ثم إني بكر بعده ورجوع عمر لذلك لما ذكره به ابن شعبة وقال هما المرآن يقتدى بها قال فهذا الحديث عمدة في مال الكعبة وهو ما يهدى إليها أو ينذر لها وما يوجد فيها من الاموال قال ابن بطال انما ترك لانه يجري في مجرى الاوقاف وفي ذلك تعظيم للاسلام وترهيب للعدو وقال الحافظ ابن حجر يحتمل ان يكون النبي (ص) انما تركه رعاية لقلوب قريش كما ترك بناء الكعبة على قواعد ابراهيم ويؤيده ما رواه مسلم عن عائشة لو لا ان قومك حديثو عهد بكفر لانفقت كنز الكعبة في سبيل الله ولجعلت بابها بالارض « انتهى وفاء الوفا » وعلى كل حال يثبت المطلوب من جواز الابقاء ان لم يكن واجبا واذا كان النبي (ص) تركه رعاية لقلوب قريش أفلا يلزم الوهابية ان يتركوا ذخائر الحجرة النبوية ومشاهد ائمة المسلمين وذخائرهما رعاية لقلوب مئات ملايين المسلمين ان كانوا ممن يقتدي به (ص) كما يزعمون (وفي) وفاء الوفا^(١) حيث تركه النبي (ص) « لهذه العلة ثم تركه ابو بكر ثم عمر بعدهم به ورجوعه عن ذلك ثم من بعده فهو اجماع على تركه فلا نتعرض له لما يترتب عليه من الشناعة » انتهى « وقال » قطب الدين الحنفي في تاريخ مكة المكرمة^(٢) ، قال الشريف التقي الفاسي في شفاء الغرام يقال ان ان كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي أول من علق في الكعبة السيوف المحلاة بالذهب والفضة ذخيرة للكعبة ثم نقل عن الارزقي في أشياء اهديت للكعبة منها ان عمر بن الخطاب لما فتح مدائن كسرى كان مما بعث اليه هلالان فبعث بهما فعلقهما في الكعبة وبعث السفاح بالصفحة الخضراء فعلقت في الكعبة والمأمون بالياقوتة التي تعلق في كل موسم بسلسلة من الذهب فعلقت في وجه الكعبة وبعث المتوكل بشمسية من ذهب مكحلة بالدر الفاخر والياقوت الرفيع والزبرجد تعلق بسلسلة من الذهب في وجه البيت في كل موسم وأهدى المعتصم قفلا لباب الكعبة فيه ألف مثقال ذهباً في سنة ٢١٩ « الى ان قال » وذكر الفاكهي ان مما أهدى الى الكعبة طوقاً من ذهب مكلاً بالزمرّد والياقوت مع ياقوتة كبيرة خضراء ارسله ملك الهند لما اسلم سنة ٢٥٩ فعرض امره على المعتمد فأمر بتعليقها في البيت الشريف فعلقت قال التقي

(١) ص ٤٢٣ ج ٢ ل (٢) ص ٤١ بهامش خلاصة الكلام طبع مصر .

الفاسي ومما علق بعد الازرقى قصبة من فضة فيها كتاب بيعة جعفر ابن أمير المؤمنين المعتمد على الله وبيعة ابي احمد الموفق بالله ابن اخي المعتمد وقدم بها الفضل بن العباس في موسم ٢٦١ وكان وزن الفضة ٣٦٠ درهما وعليها ثلاثة ازرار بثلاث سلاسل من فضة فعلقت مع تعاليق الكعبة « الى ان قال » ثم لما وقعت الفتن بمكة اخذت تلك التعاليق من الكعبة وصرفت في ذلك « قال » وكانت الملوك ترسل بقناديل الذهب وتعلق في الكعبة وقد وصل سنة ٩٨٤ من السلطان مراد بن سليم العثماني ثلاثة قناديل ذهب مرصعة بالجواهر ليعلق اثنان منها في سقف الكعبة المعظمة والثالث في الحجرة الشريفة تجاه الوجه الشريف فعلقت « انتهى » (واما) كسوة الكعبة المعظمة (ففي تاريخ مكة لقطب الدين الحنفي ^(١) ذكر الازرقى وابن جريح ان اول من كسى الكعبة تبع الحميري من ملوك اليمن في الجاهلية تعظيماً لها واسمه أسعد رأى في منامه انه يكسوها فكساها الانطاع ثم رأى انه يكسوها فكساها من خبر اليمن وجعل لها باباً يغلق « انتهى » (وفي ارشاد الساري) قيل اول من كساها تبع الحميري الخصف والمعاfer والملاء والوصائل وذكر ابن قتيبة انه كان قبل الاسلام بتسعمائة سنة وفي تاريخ ابن ابي شيبة اول من كساها عدنان بن ادد وزعم الزبير ان اول من كساها الديباج عبد الله بن الزبير وعند اسحق عن ليث بن سليم كانت كسوة الكعبة على عهد رسول الله (ص) الانطاع والمسوح وروى الواقدي انه كسى البيت في الجاهلية الانطاع ثم كساه النبي (ص) الثياب اليمانية ثم كساه عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان القباطي ثم كساه الحجاج الديباج وروى ابو عروبة في الاوائل له عن الحسن اول من ألبس الكعبة القباطي النبي (ص) وذكر الازرقى فيمن كساها ابا بكر وكساها معاوية الديباج والقباطي والحبراء فكانت تكسى الديباج يوم عاشورا والقباطي في آخر رمضان وكساها يزيد بن معاوية الديباج الخسرواني والمأمون الديباج الاحمر يوم التروية والقباطي اول رجب والديباج الابيض في سبع وعشرين من رمضان وهكذا كانت تكسى في زمن المتوكل وكسيت زمن الناصر العباسي السواد من الحبراء فهي تكسى ذلك الى اليوم ولم تزل الملوك تتداول كسوتها الى ان وقف عليها الصالح اسماعيل ابن الناصر محمد بن قلاوون سنة نيف وخمسين وسبعمائة قرية تسمى بيسوس وأول

من كساها من ملوك الترك الظاهر بيبرس صاحب مصر (انتهى) « وفي تاريخ مكة »
 لقطب الدين الحنفي عن الازرق بسنده عن ابن مليكة قال كان يهدى للكعبة هدايا شتى
 فاذا بلي منها شيء جعل فوقه ثوب آخر ولا ينزع مما عليها شيء وكانت قریش في الجاهلية
 ترافد في كسوة البيت فيضربون على القبائل بقدر احتمالهم من عهد قصي بن كلاب حتى
 نشأ ابو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم وكان مثريا يتجر في المال فقال لقریش انا
 اكسو الكعبة وحدي سنة وجميع قریش سنة وكان يفعل ذلك الى ان مات فسمته قریش
 العدل لانه عدل قریشاً وحده في كسوة البيت وقيل لبنيه بنو العدل (وقال ايضا)
 اخبرني محمد بن يحيى عن الواقدي عن اسماعيل بن ابراهيم بن ابي حبيشة عن ابيه قال كسى
 النبي (ص) البيت الثياب الياضية ثم كساه عمر وعثمان القباطي وكان يكسى كل سنة
 كسوتين اولا الديباج يوم التروية والثانية القباطي يوم السابع والعشرين من شهر رمضان
 فلما كانت خلافة المأمون امر ان تكسى ثلاث مرات الديباج الاحمر يوم التروية والقباطي
 اول رجب والديباج الابيض في عيد الفطر واستمر الحال على هذا كل دولة بني العباس ثم
 صارت كسوة الكعبة تأتي تارة من سلاطين مصر وتارة من سلاطين اليمن الى ان اشترى
 الملك الصالح ابن الملك الناصر قلاوون قريتين بمصر ووقفها على كسوة الكعبة وهما بيسوس
 وسندبیس واستمرت سلاطين مصر ترسل كسوة الكعبة في كل عام وعند تجدد كل سلطان
 يرسل مع الكسوة السوداء كسوة حمراء لداخل البيت وكسوة خضراء للحجرة الشريفة
 النبوية مكتوب على الكل كلمة الشهادتين فلما فتح السلطان سليم مصر والشام جهزت
 كسوة المدينة على العادة وامر باستمرار كسوة الكعبة على المعتاد ثم خربت القریتان
 الموقفتان على كسوة الكعبة ولم يف ريعها بها فأمر ان تكمل من الخزان السلطانية ثم
 أضاف الى القریتين قرى اخرى ووقفها (انتهى) .

وأما كسوة الحجر الشريفة النبوية ففي وفاة الوفا للمسيحيين بعدما ذكر تأزيرها
 بالرخام وعمل الشباك المتخذ من خشب الصندل بأعلى جدارها حكى عن ابن النجار انه
 قال ولم تزل على ذلك حتى عمل لها الحسين ابن ابي الهيجاء صهر الصالح وزير الملوك
 المصريين ستارة من الديبقي الابيض وعليها الطروز والجمامات المرقومة بالابرسيم الاصفر
 والاحمر ونيطها وأدار عليها زناراً من الحرير الاحمر مكتوباً عليه سورة يس وغرم عليها
 مبلغاً عظيماً فنهه أمير المدينة قاسم بن مهنا من تعليقها حتى يستأذن المستضيء العباسي

فلما جاء الاذن علقها نحو العامين ثم جاءت من الخليفة ستارة من الابريسم البنفسجي عليها الطرز والجامات البيض المرقومة وعلى دوران جاماتها اسماء الخلفاء الاربعة وعلى طرازها اسم المستضيء فبعثت الاولى الى مشهد علي ووضعت هذه مكانها ثم ارسل الامام الناصر ستارة من الابريسم الاسود وطرزها وجاماتها من الابريسم الابيض فعلقت فوقها وبعد ان حجت ام الخليفة ارسلت ستارة من الابريسم الاسود على شكل الاولى فعلقت فوقها فصارت ثلاثا « انتهى ما حكاه عن ابن النجار » قال وهو يقتضي ان ابن ابي الهيجاء أول من كسى الحجرة وفي كلام رزين انه لما حج الرشيد ومعه الخيزران امرت بتخليق مسجد النبي « ص » وتخليق القبر وكسته الزنانير وشباك الحرير .

وأما قناديل الذهب والفضة وغيرها التي تعلق حول الحجرة الشريفة ففي وفاء الوفا انه لم ير في كلام احد ابتداء حدوث ذلك قال الا ان ابن النجار قال وفي سقف المسجد الذي بين القبلة والحجرة على رأس الزوار اذا وقفوا معلق نيف واربعون قنديلا كباراً وصغاراً من الفضة المنقوشة والساذجة واثنان بلور وواحد ذهب وفيها قمر من فضة مغموس في الذهب وهذه تنفذ من الملوك وارباب الحشمة والاموال . وقال السمهودي : واستمر عمل الملوك وارباب الحشمة الى زماننا هذا على الإهداء الى الحجرة الشريفة قناديل الذهب والفضة ثم ذكر السمهودي حال ما يهدي من القناديل وعدده وما جرى له مفصلاً مما يطول بذكره الكلام وان بعض امراء المدينة لما اراد اخذ شيء منه اقام الناس عليه النكير (وقال ايضا) واما حكم هذه المعاليق ونحوها من تجلية الصندوق والقائم الذي بأعلاه فحكم معاليق الكعبة الشريفة وتجليتها ثم نقل عن السبكي انه قال واما الحجرة الشريفة فتعليق القناديل فيها امر معتاد من زمان ولا شك انها أولى بذلك من غيرها وكم من عالم وصالح قد اتى للزيارة ولم يحصل من اخذ انكار لذلك فهذا وحده كاف في جواز ذلك واستقراء الأدلة فلم يوجد فيها ما يدل على المنع ولم نر احداً قال بالمنع فما وقف من ذلك اكراماً لذلك المكان صح وقفه وان اقتصر على اهدائه صح ايضاً كالمهدي للكعبة وكذا المنذور له « انتهى »

الفصل السابع عشر في زيارة القبور

وقد منع ابن تيمية من زيارة النبي « ص » وحرمها مطلقاً مع شد الرحال وبدونه فضلاً عن زيارة غيره . حكى ذلك عنه القسطلاني في ارشاد الساري وابن حجر الهيتمي في

الجوهر المنظم وقال بل زعم حرمة السفر لها اجماعا وانه لا تقصر فيه الصلاة وسيأتي نقل كلامهما. وبعض الوهابيين حرم شد الرحال اليها وحينئذ فيقع الكلام فيها في مبحثين: اصل مشروعيتها وشد الرحال اليها .

المبحث الاول في اصل مشروعية زيارة القبور وفيه مقامان

المقام الاول في زيارة قبر النبي «ص»

وتدل على مشروعيتها ادلة الشرع الاربعة (الاول الكتاب العزيز) وقوله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيا فان الزيارة هي الحضور الذي هو عبارة عن المجيء اليه « ص » سواء كان لطلب الاستغفار أو بدونه والتسليم لا يدخل في معناها واذا ثبت رجحان ذلك في حال حياته ثبت بعد مماته . قال السبكي فيما حكاه عن انس مهودي في كتاب وفاء الوفا (١) : والعلماء فهموا من الآية العموم لحالي الموت والحياة واستحبوا لمن اتى القبر ان يتلوها قال وجكاة الاعرابي في ذلك نقلها جماعة من الائمة عن العتي واسمه محمد بن عبيد الله بن عمر وادرك ابن عينة وروى عنه وهي مشهورة حكاها المصنفون في المناسك من جميع المذاهب واستحسنوها ورأوها من ادب الزائر وذكرها ابن عساكر في تاريخه وابن الجوزي في مشير الغرام الساكن وغيرهما باسانيدهم الى محمد بن حرب الهلالي قال دخلت المدينة فاتيت قبر النبي «ص» فزرتة وجلست بجذائه فجاء اعرابي فزاره ثم قال : يا خير الرسل ان الله انزل عليك كتابا صادقا قال فيه ولو انهم اذ ظلموا انفسهم «الآية» الى آخر ما في فصل التوسل ثم ذكر السمهودي هذه القصة بطريقتين آخرين عن علي «ع» لا نطيل بذكرها فليطلبها من ارادها .

« الثاني السنة » والاحاديث الواردة في ذلك كثيرة نقلها السمهودي في وفاء الوفا (٢) ونقلها غيره ونحن ننقلها منه وربما نترك بعض اسانيدها وقد تكلم هو على اسانيدها بما فيه كفاية .

«١» الدارقطني في السنن وغيرها والبيهقي وغيرهما بالاسانيد من طريق موسى ابن هلال العبدي عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال رسول الله «ص» من زار قبري وجبت له شفاعتي .

«٢» البزار من طريق عبد الله بن ابراهيم الغفاري عن عبد الرحمن بن زيد عن ابيه عن ابن عمر عن النبي «ص» من زار قبري حلت له شفاعتي .

«٣» الطبراني في الكبير والاوسط والدارقطني في اماليه وابو بكر بن المقرئ في معجمه من رواية مسلمة بن سالم الجهني عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن سالم عن ابن عمر قال رسول الله «ص» من جاءني زائراً لا تحمله حاجة الا زيارتي كان حقاً علي ان اكون له شفيعاً يوم القيامة . قال : والذي في معجم ابن المقرئ من جاءني زائراً كان له حقاً على الله عز وجل ^(١) ان اكون له شفيعاً يوم القيامة . قال : واورد الحافظ ابن السكن هذا الحديث في باب ثواب من زار قبر النبي «ص» من كتابه السنن الصحاح المأثورة ومقتضى ما شرطه في خطبته ان يكون هذا الحديث مما اجمع على صحته «انتهى» وهو بالملاقه شامل للزيارة في الحياة وبعد الموت .

«٤» الدارقطني والطبراني في الكبير والاوسط وغيرها من طريق حفص بن داود القاري عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر قال رسول الله «ص» من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي قال ورواه ابن الجوزي في مثير الغرام الساكن بسنده وزاد وصحني ورواه ابن عدي في كامله بسنده بهذه الزيادة ورواه ابو يعلى بسنده بدون الزيادة وفي بعض الروايات من حج فزارني في حياتي ورواه الطبراني في الكبير والاوسط من طريق عائشة بنت يونس امرأة الليث عن ليث بن ابي سالم عن مجاهد عن ابن عمر قال رسول الله «ص» من زار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي . اقول : ورواه بلفظه الاول السيوطي في الجامع الصغير عن احمد في مسنده وابي داود والترمذي والنسائي عن الحارث .

«٥» ابن عدي في الكامل من طريق محمد بن محمد بن النعمان عن جده عن مالك عن

(١) فيه ثبوت الحق للعبد على الله عز وجل الذي انكره الوهابية كما مر في الفصل الرابع وفاتنا ذكره

نافع عن ابن عمر قال رسول الله «ص» من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني قال انسبي و ذكر ابن الجوزي له في الموضوعات سرف منه .

«٦» الدارقطني في السنن من طريق موسى بن هرون عن محمد بن الحسن الجيلي عن عبد الرحمن بن المبارك عن عون بن موسى عن ايوب عن نافع عن ابن عمر قال رسول الله «ص» من زارني الى المدينة كنت له شهيداً وشفيحاً .

«٧» ابو داود الطيالسي عن سوار بن ميمون ابي الجراح العبدي عن رجل من آل عمر عن عمر سمعت رسول الله «ص» يقول من زار قبري او قال من زارني كنت له شفيحاً او شهيداً « الحديث » .

«٨» ابو جعفر العقيلي من رواية سوار بن ميمون عن رجل من آل الخطاب عن النبي «ص» من زارني متعمداً كان في جوارى يوم القيامة « الحديث » .

«٩» الدارقطني وغيره من طريق هرون بن قزعة عن رجل من آل حاطب عن حاطب قال رسول الله «ص» من زارني بعد موتى فكأنما زارني في حياتى « الحديث » .

«١٠» ابو الفتح الازدي من طريق عمار بن محمد عن خاله سفيان عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال رسول الله «ص» من حج حجة الاسلام وزار قبري وغزا غزوة وصلى في بيت المقدس لم يسأله الله عز وجل فيما افترض عليه .

«١١» ابو الفتوح بسنده من طريق خالد بن يزيد عن عبد الله بن عمر العمري عن سعيد المقبري عن ابي هريرة قال رسول الله «ص» من زارني بعد موتى فكأنما زارني وانا حي ومن زارني كنت له شهيداً او شفيحاً يوم القيامة .

«١٢» ابن ابي الدينا من طريق اسماعيل بن ابي فديك عن سليمان بن يزيد الكعبي عن انس بن مالك ان رسول الله «ص» قال من زارني بالمدينة كنت له شفيحاً وشهيداً يوم القيامة وفي رواية كنت له شهيداً او شفيحاً يوم القيامة ورواه البيهقي بهذا الطريق ولفظه من زارني محتسباً الى المدينة كان في جوارى يوم القيامة .

«١٣» ابن النجار في اخبار المدينة بسنده عن انس قال رسول الله «ص» من زارني ميتاً فكأنما زارني حياً ومن زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة وما من احد من امتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر .

«١٤» ابو جعفر العقيلي بسنده عن ابن عباس قال رسول الله (ص) من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي ومن زارني حتى ينتهي الى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً أو قال شفيماً .

(١٥) بعض الحفاظ في زمن ابن منده بسنده عن ابن عباس قال رسول الله « ص » من حج الى مكة ثم قصدني في مسجدي كتبت له حجتان مبرورتان قال والحديث في مسند الفردوس .

«١٦» يحيى بن الحسن بن جعفر الحسيني في أخبار المدينة بسنده عن علي (ع) قال رسول الله (ص) من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن لم يزرنني فقد جفاني وروى ابن عساكر بسنده عن علي من زار قبر رسول (ص) كان في جوار رسول الله (ص) .

«١٧» يحيى ايضا بسنده عن رجل عن بكر بن عبد الله عن النبي (ص) من اتى المدينة زائراً لي وجبت له شفاعتي يوم القيامة «الحديث» (انتهت الاحاديث التي أوردتها السهمودي) وهي مع كثرتها يعضد بعضها بعضا وتعضدها الاحاديث الآتية في تضاعيف ما يأتي مع انه لا حاجة لنا الى الاستدلال بها للسيرة القطعية وعمل المسلمين البالغ حد الضرورة .

وفي الرسالة الاولى من رسائل الهدية السنية ان الاحاديث التي رواها الدارقطني في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام كلها مكذوبة موضوعة باتفاق غالب أهل المعرفة منهم ابن الصلاح وابن الجوزي وابن عبد البر وأبو القاسم السهيلي وشيخه ابن العربي المالكي والشيخ تقي الدين وغيرهم ولم يجعلها في درجة الضعيف الا القليل وكذلك تفرد بها الدارقطني عن بقية اهل السنن والائمة كلهم يروون بخلافه وأجل حديث روي في هذا الباب حديث ابي بكر البزار ومحمد بن عساكر حكاها اهل المعرفة بمصطلح الحديث كالقشيري والشيخ تقي الدين وغيرهما . (أقول) دعوى ان هذه الاحاديث على كثرتها كلها مكذوبة دعوى كاذبة لا يعضدها دليل وابن الجوزي وان اورد بعضها في الموضوعات فقد اورد البعض الآخر في كتابه مثير الغرام الساكن واعتمد عليه كما مر في الحديث الرابع مع ان الحديث الخامس الذي جعله موضوعا تعقبه الامام السبكي فيه وقال ان ذكره له في

الموضوعات سرف منه كما مر كما تعقبه غيره في جملة من الأحاديث التي عدها في الموضوعات وباقي من نقل عنهم لعلمهم كابن الجوزي ان صح نقله واما قدوته الشيخ تقي الدين بن تيمية فحال معلوم في التعصب لارائه واهوائه ومصادمته الضرورة في نصرها وتكذيب الاحاديث المشهورة التي يعضد العقل والنقل تبعا لشهوة نفسه ووضح برهانه على ذلك تكذيبه حديث (ضربة علي يوم الخندق) بالاستبعادات والدعاوى الباطلة حتى تبعه في ذلك صاحب السيرة الحلبية كما فصلناه في بعض حواشي فصل البناء على القبور مع انه لم يعلم دعواه الوضع في جميعها . (قوله) ولم يجعلها في درجة الضعيف الا القليل يكذبه ما عرفت في الحديث الثالث انه اوردته الحافظ ابن السكن في كتابه السنن الصحاح المأثورة الذي ذكر في خطبته انه لا يذكر فيه الا ما اجمع على صحته . (قوله) تفرد بها الدار قطني عن بقية اهل السنن يكذبه انه روى جملة منها غير الدار قطني من اهل السنن وغيرهم كالبيهقي والبرار والطبراني وابو بكر بن المقرئ والحافظ ابن السكن وابن عدي وابو يعلى والامام احمد وابو داود والترمذي والنسائي وابن الجوزي والعقيلي والازدي وابو الفتوح وابن ابي الدنيا وابن النجار ويحيى بن الحسن كما عرفت وابن عساكر باعتراف الوهابية (واذا) كان تفرد الراوي بالرواية يوجب طرحها فما بال الوهابية لم يطرحوا حديث ابي الهياج وقد تفرد به راويه على ما عرفته في فصل البناء على القبور ولكن الحديث المؤدي الى استحلال دماء المسلمين واموالهم لا يطرح ولو تفرد به راويه اما الاحاديث الكثيرة الدالة على تعظيم النبي (ص) واستحباب زيارته الثابتة بالعقل والنقل واجماع المسلمين البالغ حد الضرورة فتستحق الطرح بدعوى تفرد الدار قطني بها ويلتمس لها الوجوه والتأويلات لطرحها عند الوهابية لانهم يعظم عليهم تعظيم من عظمه الله ومخالفة قول قدوتهم ابن تيمية وابن عبد الوهاب . « قوله » والائمة كلهم يروون بخلافه هذه دعوى كاذبة كالاولى فمن هم الائمة الذين رووا ان زيارة النبي « ص » لا تستحب اولا يستحب شد الرحال اليها غير ما توهمه الوهابية من احاديث شد الرحال التي ستعرف في هذا الفصل سخافة توهمهم فيها وقد عرفت ان الائمة رووا هذه الاحاديث كما رواها الدار قطني ولم يرووا بخلافه وفيهم اجلاء ائمة الحديث كابن حنبل وابي داود والترمذي والنسائي والطبراني والبيهقي وغيرهم . « وقد » روي في ذلك احاديث كثيرة تكاد تبلغ حد التواتر عن ائمة اهل البيت الطاهر

رواها عنهم اصحابهم وثقاتهم بالاسانيد المتصلة الصحيحة موجودة في مظانها (وتدل) عليه ايضاً الاحاديث الدالة على ان النبي « ص » يرد سلام من يسلم عليه التي اعترف بها الوهابية وقدوتهم ابن تيمية ومر طرف منها في المقدمات في حياة النبي (ص) بعد موته قال السبكي فيما حكاه عنه السهمودي في وفاء الوفا^(١) بعد ذكر ما يدل على انه (ص) يسمع من يسلم عليه عند قبره ويرد عليه علماً بحضوره عند قبره : وكفى بهذا فضلاً حقيقة بأن ينطق فيه ملك الدنيا حتى يتوصل اليه من اقطار الارض « انتهى » ومنه يعلم صحة الاستدلال به على شد الرحال .

(الثالث الاجماع) من المسلمين خلفاً عن سلف من عهد النبي « ص » والصحابة الى يومنا هذا عدا الوهابية قولاً وعملاً بل ان استحباب زيارة قبور الانبياء والصالحين بل وسائر المؤمنين ومشروعاتها ملحق بالضروريات عند المسلمين فضلاً عن الاجماع وسيترتب مستمرة عليها من عهد النبي (ص) والصحابة والتابعين وتابعيهم وجميع المسلمين في كل عصر وفي كل صقع عالمهم وجاهلهم صغيرهم وكبيرهم ذكرهم واثامهم . وانكار ذلك مصادمة للبدية وانكار للضروري . قال السهمودي في وفاء الوفا^(٢) نقلاً عن السبكي : قال عياض زيارة قبره (ص) سنة بين المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغوب فيها (انتهى) قال السبكي وأجمع العلماء على استحباب زيارة القبور للرجال كما حكاها النووي بل قال بعض الظاهرية بوجوبها واختلفوا في النساء وامتاز القبر الشريف بالادلة الخاصة به ولهذا اقول انه لا فرق بين الرجال والنساء وقال الجمال الريمي يستثنى اي من محل الخلاف قبر النبي (ص) وصاحبيه فان زيارتهم مستحبة للنساء بلا نزاع كما اقتضاه قولهم في الحج يستحب لمن حج ان يزور قبر النبي « ص » وقد ذكر ذلك بعض المتأخرين وهو الدمنهوري الكبير وازداد اليه قبور الانبياء والصالحين والشهداء « انتهى » وفي وفاء الوفا^(٣) كيف يتخيل في احد من السلف المنع من زيارة المصطفى « ص » وهم مجمعون على زيارة سائر الموتى فضلاً عن زيارته (ص) « انتهى » وصنف قاضي القضاة الشيخ تقي الدين ابو الحسن السبكي الذي تشهد مؤلفاته بفزارة علمه في القرن الثامن كتاباً في فضل الزيارة وشد الرحال اليها رداً على

(١) ص ٤٠٤ ج ٢ (٢) ص ٤١٢ ج ٢ (٣) ص ٤١٧ ج ٢

ابن تيمية سماه شفاء السقام في زيارة خير الانام ونقل عنه السهمودي في وفاء الوفا شيئاً كثيراً ونقل عنه غيره ونقلنا عنه بواسطة السهمودي وغيره « ومما » قاله السبكي في مقدمته على ما حكى عنه ان من اعظم القرب الى رب العالمين زيارة سيد المرسلين والسفر اليها من اقطار الارضين كما هو معروف بين المسلمين في مشارق الارض ومغاربها على مر السنين وان مما القى الشيطان في هذا الزمان على لسان بعض المخدولين التشكيك في ذلك وهيئات ان يدخل ذلك في قلوب الموحدين وانما هي نزعة من مخدول لا يرجع وبأها الا عليه ولا يترتب عليها الا ما القى بيده اليه شريعة الله محكمة ظاهرة وشبه الباطل على شفا جرف هائرة « انتهى » ومر في الباب الاول ما يدل على ان مراده ابن تيمية . « وعن منتهى المقال » في شرح حديث لا تشد الرحال للمفتي صدر الدين انه قال فيه : قال الشيخ الامام الحبر الهام سند المحدثين الشيخ محمد البراسي في كتابه اتحاف اهل العرفان وقد تجاسر ابن تيمية الحنبلي عامله الله بعبده وادعى ان السفر لزيارة قبر النبي « ص » حرام وان الصلاة لا تقصر فيه لعصيان المسافر به واطال في ذلك بما تمجده الاسماع وتنفر عنه الطباع وقد عاد شؤم كلامه عليه (الى ان قال) وخالف الائمة المجتهدين في مسائل كثيرة واستدرك على الخلفاء الراشدين باعترافات سخيفة حقيرة فسقط من اعين علماء الامة وصار مثله بين العوام فضلا عن الائمة وتعقب العلماء كلماته الفاسدة وزيفوا حججه الداحضة الكاسدة واظهروا عوار سقطاته وبينوا قبائح أوهامه وغلطاته « انتهى » ومر بعض كلامه في حقه عن الباب الاول وعن شهاب الدين احمد الحفاجي المصري في نسيم الرياض شرح شفاء القاضي عياض انه قال بعد ذكر حديث لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد : اعلم ان هذا الحديث هو الذي دعا ابن تيمية ومن تبعه كابن القيم الى مقالاته الشنيعة التي كفروه بها وصنف فيها السبكي مصنفاً مستقلاً وهي منعه زيارة قبر النبي « ص » وشد الرحال اليه وهو كما قيل :

لمهبط الوحي حقاً ترحل النجب وعند ذاك المرجى ينتهي الطلب

فتوهم انه حمى جانب التوحيد بخرافات لا ينبغي ذكرها فانها لا تصدر عن عاقل فضلاً عن فاضل « انتهى » .

وعن الملا علي القاري في المجلد الثاني من شرح الشفا انه قال : قد فرط ابن تيمية من

الحنبلة حيث حرم السفر لزيارة النبي « ص » كما افطر غيره حيث قال كون الزيارة قرية معلوم من الدين وجاحده محكوم عليه بالكفر ولعل الثاني اقرب الى الصواب لأن تحريم ما اجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفراً لانه فوق تحريم المباح المتفق عليه في هذا الباب « انتهى »

وقال احمد بن حجر الهيتمي المكي الشافعي صاحب الصواعق في كتابه الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم على ما حكى عنه وقد ذكره صاحب كشف الظنون قال فيه بعد ما استدل على مشروعية زيارة قبر النبي « ص » بعدة أدلة منها الاجماع ما لفظه ^(١) فان قلت كيف تحكي الاجماع على مشروعية الزيارة والسفر اليها وطلبها وابن تيمية من متأخري الحنبلة منكر لمشروعية ذلك كله كما رآه السبكي في خطه وقد أطال ابن تيمية في الاستدلال لذلك بما تتجه الاسماع وتنفر عنه الطباع بل زعم حرمة السفر لها اجماعاً وان لا تقصر فيه الصلاة وان جميع الاحاديث الواردة فيها موضوعة وتبعه بعض من تأخر عنه من اهل مذهبه « قلت » من هو ابن تيمية حتى ينظر اليه او يعول في شيء من امور الدين عليه وهل هو الا كما قال جماعة من الائمة الذين تعقبوا كلماته الفاسدة وحججه الكاسدة حتى اظهروا عوار سقطاته وقبائح اوهامه وغلطاته كالعز بن جماعة : عبد اضله الله وأغواه والبسه رداء الخزي وارداه وبوأه من قوة الافتراء والكذب ما اعقبه الهوان وأوجب له الحرمان ولقد تصدى شيخ الاسلام وعالم الانام المجمع على جلالته واجتهاده وصلاحه وامامته التقي السبكي قدس الله روحه ونور ضريحه للرد عليه في تصنيف مستقل أفاد فيه وأجاد وأصاب وأوضح بباهر حججه طريق الصواب « ثم قال » هذا وما وقع من ابن تيمية مما ذكر وان كان عثرة لا تقال ابدأ ومصيبة يستمر شؤمها سرمداً ليس بمعجب فأنه سولت له نفسه وهواه وشيطانه انه ضرب مع المجتهدين بسهم ضائب وما درى المحروم انه اتى بأقبح المعائب اذ خالف اجماعهم في مسائل كثيرة

(١) ص ١٣ طبع عام ١٢٧٩ بمصر

وتدارك على ائمتهم سيما الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيفة شهيرة حتى تجاوز الى الجناح الاقدس المنزه سبحانه عن كل نقص والمستحق لكل كمال انفس فنسب اليه الكبائر والعظائم وخرق سياج عظمته بما اظهره للعامة على المنابر من دعوى الجهة والتجسيم وتضليل من لم يعتقد ذلك من المتقدمين والمتأخرين حتى قام عليه علماء عصره والزموا السلطان بقتله او حبسه وقهره فحبسه الى مات وخمدت تلك البدع وزالت تلك الضلالات ثم انتصر له اتباع لم يرفع الله لهم رأساً ولم يظهر لهم جأها ولا بأساً بل ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (انتهى) (اما المنقول) من فعل الصحابة فسيأتي في البحث الثاني ان عمر لما قدم المدينة من فتوح الشام كان اول ما بدأ بالمسجد وسلم على رسول الله (ص) . وفي وفاء الوفا للسهمودي ^(١) روى عبد الرزاق باسناد صحيح ان ابن عمر كان اذا قدم من سفر اتى قبر النبي (ص) فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا ابا بكر السلام عليك يا ابتاه (قال) وفي الموطأ من رواية يحيى بن يحيى ان ابن عمر كان يقف على قبر النبي (ص) فيصلي (فيسلم ظ) على النبي « ص » وعلى ابي بكر وعمر وعن ابن عون سأل رجل نافعاً هل كان ابن عمر يسلم على القبر قال نعم لقد رأيته مائة مرة او اكثر من مائة كان يأتي القبر فيقوم عنده فيقول السلام على النبي السلام على ابي بكر السلام على ابي وفي مسند ابي حنيفة عن ابن عمر من السنة ان تأتي قبر النبي (ص) من قبل القبلة وتجعل ظهرك الى القبلة وتستقبل القبر بوجهك ثم تقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته . اخرجه الحافظ طلحة بن محمد في مسنده عن صالح بن احمد عن عثمان بن سعيد عن ابي عبد الرحمن المقرئ عن ابي حنيفة عن نافع عن ابن عمر « انتهى » (أما المنقول) من فعل سائر المسلمين ففي وفاء الوفا ^(٢) ذكر المؤرخون والمحدثون منهم ابن عبد البر والبلاذري وابن عبد ربه ان زياد ابن ابيه اراد الحج فأناه ابو بكرة اخوه وهو لا يكلمه فآخذ ابنه فأجلسه في حجره ليخاطبه ويسمع زياداً فقال ان اباك فعل وفعل وانه يريد الحج وام خبيبة زوج النبي (ص) هناك فان اذنت له فأعظم بها مصيبة وخيانة لرسول الله « ص » وان حجبت

فأعظم بها حجة عليه فقال زياد ما تدع النصيحة لأخيك وترك الحج فيما قاله البلاذري وقيل حج ولم يزر من أجل قول أبي بكره وقيل أراد الدخول عليها فذكر قول أبي بكره فانصرف وقيل انها حجبت « قال السبكي » والقصة على كل تقدير تشهد لان زيارة الحاج كانت معهودة من ذلك الوقت والا فكان يمكنه الحج من غير طريق المدينة بل هي اقرب اليه لانه كان بالعراق ولكن كان إتيان المدينة عندهم امراً لا يترك (انتهى) « لا يقال » نحن نسلم بأن إتيان المدينة امر راجح مستحب ولكن بقصد الصلاة في المسجد والزيارة تبع والذي نمنعه إتيانها بقصد الزيارة « لانا نقول » المعروف بين المسلمين من عهد الصحابة الى اليوم إتيان المدينة بقصد الزيارة هذا الذي جرت عليه سيرتهم وعملهم لا يخطر ببالهم غيره ولا يدور في خلدكم سواء واما قصد المسجد وكون الزيارة تبعاً فشيء لم يكن يعرفه احد قبل الوهابية ولو كانت حرمة قصد الزيارة بالسفر اصل في الشرع لشاعت وذاعت وعرفها جميع المسلمين وكانت وصلت الى حد الضرورة لاحتياج الجميع الى معرفتها ولكانت قامت بها الخطباء والوعاظ وبينتها العلماء وحذروا الناس منها لئلا يقصدوا بسفرهم الزيارة فيقعوا في الحرام الموجب للعقاب من حيث قصدوا الثواب ولكان بينها أصحاب كتب المناسك الذين لم يهملوا شيئاً يتعلق بالحج والزيارة من المستحبات فضلاً عن هذا الامر المهم الموقع في الحرام (اما المنقول) عن أئمة المذاهب الأربعة ففي وفاء الوفا^(١) بعدما ذكر اختلاف السلف في ان الافضل البدأ بالمدينة او بمكة حكى عن الامام أبي حنيفة ان الاحسن البدأ بمكة وان بدأ بالمدينة جاز فيأتي قريباً من قبر رسول الله (ص) فيقوم بين القبر والقبلة (انتهى) واما ما يحكى عن مالك انه كره ان يقال زرنا قبر النبي « ص » فهو على فرض صحته محمول على كراهة التلفظ بهذا اللفظ لبعض الوجوه التي ذكروها مما لا نطيل بنقله ، لا لكراهة اصل الزيارة مع ان العلماء ناقشوه في كراهة هذا اللفظ كالسبكي وابن رشد على ما في وفاء الوفا وذكر السهمودي في وفاء الوفا^(٢) اقوال الشافعية في استحباب زيارة النبي « ص » ثم قال والحنفية قالوا ان زيارة قبر النبي (ص) من افضل المندوبات والمستحبات بل تقرب من درجة

الواجبات قال وكذلك نص عليه المالكية والحنابلة وأوضح السبكي نقولهم في كتابه في الزيارة « انتهى » .

(الرابع) دليل العقل فانه يحكم بحسن تعظيم من عظمه الله تعالى والزيارة نوع من التعظيم وفي تعظيمه (ص) بالزيارة وغيرها تعظيم لشعائر الاسلام وارغام لمنكريه وقد ثبت رجحان زيارته « ص » في حياته والوصول الى خدمته فكذلك بعد مماته خصوصا بعد الالتفات الى ما ورد من حياته البرزخية وقد مضى في فصل التوسل قول مالك امام دار الهجرة للمنصور ان حرمة النبي (ص) ميتا كحرمة حيا وليس في العقل شيء يمنع من الزيارة او يوجب قبحها بل فيه ما يحسنها من تعظيم من عظمه الله واحترام من هدى الناس الى سبيل الرشاد وكان سبب سعادتهم في الدارين .

المقام الثاني في زيارة سائر القبور

قد ثبت ان النبي « ص » كان يزور اهل البقيع وشهداء احد (وروى) ابن ماجه ^(١) بسنده عنه « ص » زوروا القبور فانها تذكركم الاخرة « وبسنده » عن عائشة انه « ص » رخص في زيارة القبور (وفي) حاشية السندي عن الزوائد ان رجال اسناده ثقات (وبسنده) عنه (ص) كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهد في الدنيا وتذكر الاخرة (ورواه) مسلم ^(٢) الى قوله فزوروها (وروى) النسائي ونهيتكم عن زيارة القبور فمن اراد ان يزور فليزر (وزار) النبي « ص » قبر امه وهي مشركة بزعم الخصم (روى) مسلم في صحيحه ^(٣) وابن ماجه ^(٤) والنسائي ^(٥) بأسانيدهم عن ابي هريرة زار النبي « ص » قبر امه فبكى وأبكى من حوله فقال « ص » استأذنت ربي في ان استغفر لها فلم يأذن لي واستأذنته في ان ازور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فانها تذكركم بالموت (قال) النووي في شرح صحيح مسلم هو حديث صحيح بلا شك (وروى) مسلم ^(٦) انه كلما كانت ليلة عائشة من رسول الله (ص) يخرج من آخر الليل الى البقيع فيقول (السلام عليكم دار قوم مؤمنين وآتاكم ما تعدون) وعلم « ص » عائشة حين قالت

(١) ص ٢٤٥ ج ٢ ل (٢) ص ٣٢٥ ج ٤ بهامش ارشاد الساري (٣) ص ٣٢٥ ج ٤ بهامش ارشاد الساري (٤) ص ٢٤٥ ج ٢ ل (٥) ص ٢٨٦ ج ٢ ل (٦) ص ٣١٨ ج ٤ بهامش ارشاد الساري .

له كيف اقول لهم يا رسول الله قال قولي « السلام على اهل الديار من المؤمنين والمسلمين » الحديث » رواه مسلم « وعن بريدة » كان رسول الله « ص » يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر فكان قائلهم يقول السلام على اهل الديار وفي رواية السلام عليكم اهل الديار من المؤمنين والمسلمين والمسلمات الحديث رواه مسلم « وقد » مر في المقام الاول زيارة ابن عمر لقبر الشيخين مراراً كثيرة « وحكى » السهودي في وفاء الوفا^(١) عن الحافظ زين الدين الحسيني الدمياطي ان زيارة قبور الانبياء والصحابة والتابعين والعلماء وسائر المؤمنين للبركة اثر معروف قال وقد قال حجة الاسلام الغزالي كل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد موته ويجوز شد الرجال لهذا الغرض « انتهى » « الى ان قال » وقد روي عن النبي « ص » انه قال آنس ما يكون الميت في قبره اذا زاره من كان يحبه في دار الدنيا وعن ابن عباس ما من احد يمر بقبر اخيه المؤمن يعرفه في الدنيا فسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام وروي من زار قبر ابويه في كل جمعة او احدهما كتب باراً وان كان في الدنيا قبل ذلك بها عاقا « انتهى » وسيأتي في آخر هذا الفصل احاديث زيارة فاطمة عليها السلام قبر حمزة وشهداء احد كل جمعة أو بين اليومين والثلاثة وكفى بفعلها عليها السلام دليلاً وحجة .

المبحث الثاني في شد الرجال الى زيارة القبور

وقد منع الوهابية من شد الرجال الى زيارة النبي « ص » فضلاً عن غيره وقد عرفت ان ابن تيمية في مقام تشنيعه على الامامية قال انهم يحجون الى المشاهد كما يحج الحاج الى البيت العتيق، وما هو حجهم الا قصد من زيارتها فسماء حجا ارادة لزيادة التهويل والتشنيع كما هي عادته « وفي » الرسالة الثانية من رسائل الهدية السننية لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، وتسبب زيارة النبي « ص » الا انه لا يشد الرجل الا لزيارة المسجد والصلاة فيه واذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس (انتهى) (واحتج) الوهابية لذلك برواية البخاري عن ابي هريرة عن النبي « ص » لا تشد الرجال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول « ص » والمسجد الاقصى « ورواه » مسلم في الحج والصلاة الا انه قال

مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى « ورواه » النسافي في سننه مثله الا انه قدم المسجد الحرام « ورواه » ابو داود في الحج « وفي رواية لمسلم » تشد الرحال الى ثلاثة مساجد. وفي رواية له انما يسافر الى ثلاثة مساجد مسجد الكعبة ومسجدي ومسجد ايليا .

« والجواب » عن هذه الاخبار ان الحصر فيها اضافي لا حقيقي اي لا تشد الرحال الى مسجد من المساجد الا الى هذه الثلاثة لان هذا الاستثناء مفرغ قد حذف فيه المستثنى منه وكما يمكن تقديره لا تشد الرحال الى مكان يمكن تقديره الى مسجد لكن الثاني هو المتعين لان ذلك هو المفهوم عرفا من امثال هذه العبارة وللاتفاق على جواز السفر وشد الرحال الى اي مكان كان للتجارة ولطلب العلم والجهاد وزيارة العلماء والصلحاء والتداوي والنزهة والولاية والقضاء وغير ذلك مما لا يحصى ولو قيل ان هذا خصص بالدليل للزم تخصيص الاكثر وهو غير جائز كما تقرر في الاصول . « والحاصل » انه لا يشك من عنده ادنى معرفة في ان المراد بقوله لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد أو انما يسافر الى ثلاثة مساجد انه لا يسافر الى غيرها من المساجد لا انه لا يسافر الى مكان مطلقا على انه لا يفهم من هذه الاحاديث حرمة السفر الى باقي المساجد بل هي ظاهرة في افضلية هذه المساجد على ما عداها بحيث بلغ من فضلها ان تستحق شد الرحال والسفر اليها للصلاة فيها فانها لا تشد الرحال وتركب الاسفار وتحمل المشاق الا للامور المهمة لا ان من سافر للصلاة في مسجد طلبا لحرار فضيلة الصلاة فيه يكون عاصيا وآثما وكيف يكون آثما من يسافر الى ما هو طاعة وعبادة فالمسجد بعده لم يخرج عن المسجدية والصلاة فيه لم تخرج عن كونها طاعة وعبادة اذ هو مسجد لكل احد فكيف يعقل ان يكون السفر للصلاة فيه آثما ومعصية فالسفر للطاعة لا يكون الا طاعة كما ان السفر للمعصية لا يكون الا معصية وكيف تكون مقدمة المستحب محرمة ويدل على ذلك ان النبي « ص » والصحابة كانوا يذهبون كل سبت الى مسجد قبا وبينه وبين المدينة ثلاثة اميال او ميلان ركبانا ومشاة لقصد الصلاة فيه ولا فرق في السفر بين الطويل والقصير لعموم النهي لو كان . روى البخاري في صحيحه ^(١) ان النبي (ص) كان يأتي مسجد قبا كل سبت ماشيا وراكبا

وان ابن عمر كان يفعل كذلك « وفي رواية » كان رسول الله « ص » يزوره راكبا وماشيا (وروى) النسائي في سننه انه كان رسول الله (ص) يأتي قبا راكبا وماشيا وانه قال من خرج حتى يأتي هذا المسجد مسجد قبا فصلى فيه كان له عدل عمرة وفي ارشاد الساري عن ابن ابي شيبه في اخبار المدينة باسناد صحيح عن سعد بن ابي وقاص لان اصلي في مسجد قبا ركعتين احب الي من ان آتي بيت المقدس مرتين لو يعلمون ما في قبا لضربوا اليه اكباد الابل وهذا نص من سعد على استحباب ضرب اكباد الابل اليه الذي لا يكون الا بالسفر اليه من مكان بعيد (وروى) الطبراني من توشاً فأسبغ الوضوء ثم غدا الى مسجد قبا لا يريد غيره ولا يحمله على الغدو الا الصلاة في مسجد قبا فصلّى فيه أربع ركعات كان له اجر المعتمر الى بيت الله . نقله في ارشاد الساري وسيأتي في آخر هذا الفصل احاديث ان فاطمة (ع) كانت تزور قبر عمها حمزه بين اليومين والثلاثة وكل جمعة وفيه دلالة على جواز السفر للزيارة واستحبابه لعدم تعقل الفرق بين السفر الطويل والقصير . وبين احد والمدينة نحو مما بينها وبين قبا أو ازيد ويدل على شد الرحال الحديث الخامس المتقدم من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني والزيارة بعد الحج لا تكون الا بشد الرحال وأظهر فيما قلناه الحديث الاخر لمسلم : تشد الرحال الى ثلاثة مساجد بصيغة الاثبات اي ان هذه المساجد الثلاثة تستحق وتستأهل شد الرحال اليها لعظم فضلها فهي حقيقة وجديرة بذلك وشاد الرحال اليها لا يكون عناؤه ضائعاً وتعبه خائباً أو فائده قليلة بل يحصل من الثواب على ما يقابل تعب وزيارة « قال القسطلاني » في ارشاد الساري شرح صحيح البخاري ^(١) في شرح قوله لا تشد الرحال اي الى مسجد للصلاة فيه ثم قال وقد بطل بما مر من التقدير المعتضد بحديث ابي سعيد المروي في مسند احمد باسناد حسن مرفوعاً لا ينبغي للطبي ان تشد رحاله الى مسجد تبتغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام والاقصى ومسجدي هذا - قول ابن تيمية حيث منع من زيارة قبر النبي (ص) وهو من أبشع المسائل المنقولة عنه ومن جملة ما استدلل به على دفع ما ادعاه غيره من الاجماع على مشروعية زيارة النبي « ص » ما نقل عن مالك انه كره ان يقول زرت قبر النبي (ص) وأجاب عنه المحققون من اصحابه انه كره اللفظ ادباً لا اصل الزيارة فانها من افضل

الاعمال واجل القرب الموصلة الى ذي الجلال وان مشروعيتهما محل اجماع بلا نزاع قال فشد الرحال للزيارة او نحوها كطلب علم ليس الى المكان بل الى من فيه وقد التبس ذلك على بعضهم كما قاله المحقق التقي السبكي فزعم ان شد الرحال الى الزيارة في غير الثلاثة داخل في المنع وهو خطأ كما مر لان المستثنى انما يكون من جنس المستثنى منه كما اذا قلت ما رأيت الا زيداً أي ما رأيت رجلاً واحداً الا زيداً لا ما رأيت شيئاً او حيواناً الا زيداً « انتهى » وقال القسطلاني في موضع آخر ^(١) الاستثناء مفرغ والتقدير لا تشد الرحال الى موضع ولازمه منع السفر الى كل موضع غيرها كزيارة صالح او قريب او صاحب او طلب علم او تجارة او نزهة لان المستثنى منه في المفرغ يقدر بأعم العام لكن المراد بالعموم هنا الموضع المخصوص وهو المسجد « انتهى » « وقال النووي » في شرح صحيح مسلم في شرح قوله لا تشد الرحال الخ ^(٢) فيه بيان عظيم فضيلة هذه المساجد الثلاثة ومزيتها على غيرها لكونها مساجد الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ولفضل الصلاة فيها « الى ان قال » واختلف العلماء في شد الرحال واعمال المطي الى غير المساجد الثلاثة كالذهاب الى قبور الصالحين والى المواضع الفاضلة ونحو ذلك فقال الشيخ ابو محمد الجويني من اصحابنا هو حرام وهو الذي أشار القاضي عياض الى اختياره والصحيح عند اصحابنا وهو الذي اختاره امام الحرمين والمحققون انه لا يحرم ولا يكره قالوا والمراد ان الفضيلة التامة انما هي في شد الرحال الى هذه الثلاثة خاصة وقال في موضع آخر ^(٣) في هذا الحديث فضيلة هذه المساجد الثلاثة وفضيلة شد الرحال اليها لان معناه عند جمهور العلماء لافضلية في شد الرحال الى مسجد غيرها وقال الشيخ ابو محمد الجويني من اصحابنا يحرم شد الرحال الى غيرها وهو غلط « انتهى » « وقال السندي » في حاشية سنن النسائي ان السفر للعلم وزيارة العلماء والصلحاء وللتجارة غير داخل في حيز المنع « انتهى » وقال السهودي في وفاء الوفا ^(٤) ويستدل بقوله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم « الآية » على مشروعية السفر للزيارة بشموله الهجيء من قرب ومن بعد وبعموم من زار قبري وقوله في الحديث الذي صححه ابن السكن من جاءني زائراً. واذا ثبت ان الزيارة قرينة فالسفر اليها

(١) من ٣٣٣ ج ٢ (٢) من ٣٧ ج ٦ بهامش ارشاد الساري (٣) من ١١١ ج ٦ بهامش ارشاد الساري (٤) من ٤١٤ ج ٢

كذلك ، وقد ثبت خروج النبي « ص » من المدينة لزيارة قبور الشهداء فاذا جاز الخروج للقريب جاز للبعيد وقبره « ص » أولى وقد انعقد الاجماع على ذلك لا طباق السلف والخلف عليه واما حديث لا تشدوا الرجال الا الى ثلاثة مساجد فمعناه لا تشدوا الرجال الى مسجد الا الى المساجد الثلاثة اذ شد الرجال الى عرفة لقضاء النسك واجب بالاجماع وكذلك سفر الجهاد والهجرة من دار الكفر بشرطه وغير ذلك وأجمعوا على جواز شد الرجال للتجارة ومصالح الدنيا وقد روى ابن شبة بسند حسن ان ابا سعيد يعني الخدري ذكر عنده الصلاة في الطور فقال قال رسول الله « ص » لا ينبغي للمطي ان تشد رحالها الى مسجد يبتغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى فهذا الحديث صريح فيما ذكرناه على ان في شد الرجال لما سوى هذه المساجد الثلاثة مذاهب نقل امام الحرمين عن شيخه انه افتى بالمنع قال وربما كان يقول يكره وربما كان يقول يحرم وقال الشيخ ابو علي لا يكره ولا يحرم « الى ان قال » وقال الماوردي من اصحابنا (يعني الشافعية) عند ذكر من يلي أمر الحج فاذا قضى الناس حجتهم سار بهم على طريق مدينة رسول الله « ص » رعاية لحرمة وقيامًا بحقوق طاعته وذلك وان لم يكن من فروض الحج فهو من مندوبات الشرع المستحبة وعبادات الحجيج المستحسنة وقال القاضي الحسين اذا فرغ من الحج فالسنة ان يأتي المدينة ويزور قبر النبي (ص) وقال القاضي ابو الطيب ويستحب ان يزور النبي (ص) بعد ان يحج ويعتمر وقال المحاملي في التجريد ويستحب للحاج اذا فرغ من مكة ان يزور قبر النبي (ص) وقال ابو حنيفة اذا قضى الحاج نسكه مر بالمدينة (الى ان قال) وفي كتاب تهذيب المطالب لعبد الحق سئل الشيخ ابو محمد بن ابي زيد في رجل استؤجر بمال ليحج به وشرطوا عليه الزيارة فلم يستطع ان يزور قال يرد من الاجرة بقدر مسافة الزيارة وقال في موضع آخر (١) ومن سافر الى زيارة النبي « ص » من الشام الى قبره (ع) بالمدينة بلال ابن رباح مؤذن رسول الله « ص » كما رواه ابن عساكر بسند جيد عن ابي الدرداء قال لما رحل عمر بن الخطاب من فتح بيت المقدس فصار الى جابية سأل بلال ان يقره بالشام ففعل قال ثم ان بلالا رأى في منامه النبي (ص) وهو يقول ما هذه الجفوة يا بلال اما آن لك ان تزورني

يا بلال فانتبه حزينا وجلا خائفاً فركب راحلته وقصد المدينة فأتى قبر النبي (ص) فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمها ويقبلها فقالا له يا بلال نشتي ان نسمع اذانك فلما قال الله اكبر ارتجت المدينة فلما قال اشهد ان لا اله الا الله ازدادت رجتها فلما قال اشهد ان محمداً رسول الله خرجت العواتق من خدورهن وقالوا بعث رسول الله « ص » فما رئي بالمدينة بعده « ص » اكثر باكية وبائية من ذلك اليوم قال وقال الحافظ عبد الغني وغيره لم يؤذن بلال بعد النبي (ص) الا مرة واحدة في قدومه المدينة لزيارة قبر النبي (ص) وقال قال السبكي ليس اعتمادنا على رؤيا المنام فقط بل على فعل بلال سيما في خلافة عمر والصحابة متوافرون ولا تخفى عنهم هذه القصة ورؤيا بلال النبي « ص » مؤكدة لذلك (قال) وقد استفاض عن عمر بن عبد العزيز انه كان يبرد البريد من الشام يقول سلم لي على رسول الله « ص » وذلك في زمن صدر التابعين ومن ذكر ذلك عنه الامام ابو بكر بن عمرو بن عاصم التبيل ووفاته في المائة الثالثة قال في مناسكه : وكان عمر بن عبد العزيز يبعث بالرسول قاصداً من الشام الى المدينة ليقرىء النبي (ص) السلام ثم يرجع قال وفي فتوح الشام ان عمر لما صالح اهل بيت المقدس وقدم عليه كعب الاحبار واسلم وفرح باسلامه قال له هل لك ان تسير معي الى المدينة وتزور قبر النبي (ص) وتتمتع بزيارته فقال نعم ولما قدم عمر المدينة كان أول ما بدأ بالمسجد وسلم على رسول الله (ص) وقال في موضع آخر ^(١) كانت الصحابة يقصدون النبي « ص » قبل وفاته للزيارة .

بقي الكلام في ان جواز زيارة القبور مخصوص بالرجال او عام لمن وللنساء . قد عرفت في الفصل الحادي عشر ورود بعض الروايات في لعن زائرات القبور او زوارات القبور وهذه الاخبار بعد تسليمها فقد عرفت القدح في سندها بالضعف وفي متنها بالاضطراب في ذلك الفصل محولة على الكراهة لتخصيص اللعن فيها بالزائرات او

الزوارات دون الزائرين فان زيارة القبور جائزة عند الوهابية بدون شد الرحال كما عرفت فلم يبق وجه لتخصيص اللعن بالزائرات الا الكراهة لمنافاتها لكمال الستر المطلوب في المرأة سيما على رواية زوارات بصيغة المبالغة الدالة على ان المنهي عنه كثرة الزيارة التي لا تناسب شدة طلب الستر في النساء ولو حمل على ان ذلك كان قبل نسخ النهي عن زيارة القبور على ما مر كما توهم بعضهم لنافاه التعبير بالزائرات او الزوارات لان النسخ ان كان ففي الرجال والنساء واحتمال بقاءهن تحت النهي كما حكاه السندي في حاشية سنن النسائي لقلة صبرهن واستقر به هو بعيد جداً مناف للسيرة وعمل المسلمين وقاعدة الاشتراك بين الرجال والنساء في الاحكام .

قال العزيزي في شرح الجامع الصغير ^(١) عند شرح قوله « ص » (لعن الله زورات القبور) قال العلقمي قال الدميري قال صاحب المذهب والبيان من اصحابنا لا يجوز للنساء زيارة القبور لظاهر هذا النهي قال النووي وقولها شاذ في المذهب والذي قطع به الجمهور انها مكروهة كراهة تنزيه « انتهى » ويدل على جواز زيارة النساء للقبور بل استحباب زيارتهن قبور الانبياء والشهداء ما في وفاة الوفا ^(٢) روى ابن ابي شبة عن ابي جعفر ان فاطمة بنت رسول الله « ص » كانت تزور قبر حمزه ترمه وتصلحه وقد تعلمته بحجر (وروى) رزين عنه ان فاطمة كانت تزور قبور الشهداء بين اليومين والثلاثة (ورواه) يحيى بنحوه عن ابي جعفر عن ابيه علي بن الحسين وزاد فتصلي هناك وتدعو وتبكي حتى ماتت (وروى) الحاكم عن علي ان فاطمة كانت تزور قبر عمها حمزه كل جمعة فتصلي وتبكي عنده (انتهى وفاة الوفا) .

« ويظهر » ان الوهابية بعدما اباحوا للنساء زيارة القبور في العام الماضي منعوهن منها في هذا العام فقد اخبرنا الحجاج ان النساء منعت من الدخول الى البقيع في هذا العام بدون استثناء وكأنهم بنوا على هذا الاحتمال الضعيف الذي ذكره السندي وقال به صاحب

المهذب والبيان من بقائهن تحت النهي فظهرت لهن صحته هذا العام بعدما خفيت عنهم في العام الاول « يحو الوهابية ما يشاؤون ويثبتون وعندهم ام الكتاب ». لسنا نعارضهم في اجتهدهم اخطأوا فيه أم اصابوا ولكننا نسألهم ما الذي سوغ لهم حمل المسلمين على اتباع اجتهدهم المحتمل الخطأ والصواب بل هو الى الخطأ اقرب لمخالفته لما قطع به الجمهور ولم يقل به الا الشاذ كما سمعت والامور الاجتهادية لا يجوز المعارضة فيها كما بيناه في المقدمات وما بالهم يسلبون المسلمين حرية مذهبهم في الامور الاجتهادية ويحملونهم على اتباع معتقداتهم فيها بالسوط والسيف . كما زادوا في طنبور تعنتهم هذه السنة نغمات فعاقبوا الناس على البكاء عند زيارة قبر النبي « ص » أو احد القبور ومنعوه من البكاء امر قهري اضطراري لا يعاقب الله عليه ولا يتعلق به تكليف لاشتراط التكليف بالقدرة عقلاً ونقلاً ومنعوا من القراءة في كتاب حال الزيارة ومن اطالة الوقوف فمن رأوا في يده كتاب زيارة اخذوه منه ومزقوه او احرقوه وضربوا صاحبه واهانوه ومن اطال الوقوف طردوه وضربوه (حدثني) بعض الحجاج الثقات انه تحيل لقراءة الزيارة من الكتاب بان فصل اوراقاً منه وجعلها في القرآن وجلس يظهر قراءة القرآن ويزور فاتفق انه اشار غفلة بالسلام نحو قبر النبي (ص) فدفعوه حتى اخرجوه من المسجد واخذوا تلك الاوراق ومزقوها وامثال هذا مما صدر منهم في حق الحجاج في مسجدي مكة والمدينة ومسجد الخيف والبقيع وغيرها مما سمعناه متواتراً من الحجاج كثير يطول الكلام بنقله .

استدراك

- ١ -

في بعض ما يحكى عن ابن تيمية من المعتقدات التي فاتنا ذكرها عند ذكر معتقده في صدر الباب الاول :

ففي كتاب دفع شبه التشبيه والرد على المجسمة من الحنابلة لابي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي الواعظ المشهور عند ذكر الآيات التي ظاهرها التجسيم (قال) ومنها قوله تعالى (ثم استوى على العرش) الى ان قال : قال ابن حامد ^(١) الاستواء مماسة وصفة لذاته

(١) في حاشية الكتاب : هو شيخ الحنابلة الحسن بن حامد بن علي البغدادي الوراق المتوفى سنة ٤٠٣ هـ كان من اكبر مصنفيه له شرح اصول الدين فيه طامات « انتهى » - المؤلف -

والمراد القعود وقد ذهب طائفة من اصحابنا الى ان الله تعالى على عرشه ما ملأه وانه يقعد نبيه على العرش وفي الحاشية ^(١) ما لفظه : قال الجلال الدواني في شرح العضدية : وقد رأيت في بعض تصانيف (ابن تيمية) القول به اي بالقدم النوعي في العرش « انتهى » وقال الشيخ محمد عبده فيما علقه عليه : وذلك ان ابن تيمية كان من الحنابلة الآخذين بطواهر الآيات والاحاديث القائلين بان الله استوى على العرش جلوساً فلما اورد عليه انه يلزم ان يكون العرش ازلياً لما ان الله ازلي فمكانه ازلي وأزلية العرش خلاف مذهبه قال انه قديم بالنوع اي ان الله لا يزال يعدم عرشاً ويحدث آخر من الازل الى الابد حتى يكون له الاستواء ازلاً وابدأً. ولننظر اين يكون الله بين الاعدام والايحاد هل يزول عن الاستواء فليقل به ازلاً فسيبحان الله ما اجعل الانسان وما اشنع ما يرضى به لنفسه « انتهى المنقول في الحاشية » فانظر الى قول الحنابلة سلف ابن تيمية الذين يدين بمذهبهم ان الله مستو على العرش استواء ماسة وقعود وانه ما ملأ العرش بل العرش اكبر منه وانه يجلس معه نبيه على العرش تشبيهاً بالملك الذي يجلس معه وزيره على السرير والى قول ابن تيمية ان العرش قديم بالنوع حادث بالشخص تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً (وفي كتاب دفع شبه التشبيه) ايضاً عند ذكر الاحاديث التي ظاهرها التجسيم ^(٢) الحديث التاسع عشر روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابي هريرة عن النبي « ص » ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير يقول من يدعوني فاستجب له « قال ابن حامد » : هو على العرش بذاته مماس له وينزل من مكانه الذي هو فيه وينتقل . وهذا رجل لا يعرف ما يجوز على الله . ومنهم من قال يتحرك اذا نزل وما يدري ان الحركة لا تجوز على الله وقد حكوا عن الامام احمد ذلك وهو كذب عليه « انتهى » .

« وفي الحاشية » حكى ذلك ابو يعلى في طبقاته عن احمد بطريق ابي العباس الاصطخري وعجيب من « ابن تيمية » كتبه في معقوله غير منكر ما يرويه حرب ابن اسماعيل الكرماني صاحب محمد بن كرام في مسائله عن احمد وغيره في حقه سبحانه انه يتكلم ويتحرك ونقل ايضاً « يعني ابن تيمية » عن نقض الدارمي « ساكتاً او مقرأً : الحي

القيوم يفعل ما يشاء ويتحرك اذا شاء ويهبط ويرتفع اذا شاء ويقبض ويسط ويقوم ويجلس اذا شاء لان اماره ما بين الحي والميت التحرك وكل حي متحرك لا محالة وكل ميت غير متحرك لا محالة بل يروى عنه نفسه « يعني ابن تيمية » انه نزل درجة وهو يخطب على المنبر في دمشق وقال : ينزل الله كنزولي هذا ، على ما اثبتته ابن بطوطة من مشاهداته في رحلته وقال الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة : ذكروا انه ذكر « اي ابن تيمية » حديث النزول فنزل عن المنبر درجتين ، فقال كنزولي هذا فنسب الى التجسيم « انتهى » .

- ٢ -

مما يتعلق بالاستغاثه ما عن الاستيعاب انها وقعت مشاجرة بين بني عامر في البصرة فبعث عثمان ابا موسى الاشعري اليهم فلما طلع عليهم صاحوا يا آل عامر فلما سمع النابغة الجمدي برز مع قومه فقال ابو موسى ما شأنك قال سمعت دعوة قومي فأجبتها فعززه ابو موسى بسياط فقال النابغة أبياتا من جملتها :

فيا قبر النبي وصاحبيه الا يا غوثنا لو تسمعونا
الا صلى الله عليه وسلم ولا صلى على الامراء فينا
والنابغة من الصحابة ولما قال :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وانا لئرجو فوق ذلك مظهرنا
قال له النبي (ص) الى اين ؟ قال الى الجنة بك يا رسول الله ودعا له النبي (ص) فقال لا
فض فوق .

ومما يتعلق بالاستغاثه ما جاء في قصة قارون انه لما خسف به استغاث بموسى «ع» فلم
يفقه وقال يا ارض ابلعيه فعاتبه الله حيث لم يفقه وقال له استغاث بك فلم تفقه ولو
استغاث بي لاغثه .

- ٣ -

مما يتعلق بالتوسل ما عن السيوطي ان النبي «ص» استسقى فلما نزل الغيث قام رجل
من كنانة فقال :

لك الحمد والحمد ممن شكر سقينا بوجه النبي المطر
دعا الله خالقه دعوة اليه واشخص منه البصر

اغاث به الله عليا مضر وهذا العيان لذاك الخبر
وكان كما قاله عمه ابو طالب ابيض ذو غرر
فلم تك الا ككف الرداء او اسرع حتى رأينا الدرر
به قد سقى الله صوب الغمام ومن يكفر الله يلقي الغرر

فقال النبي (ص) ان يك شاعر يحسن فقد احسنت . فقوله : سقينا بوجه النبي المطر .
وقوله : اغاث به الله عليا مضر . وقوله : وكان كما قاله عمه الخ الذي هو اشارة الى قوله
وابيض يستسقى الغمام بوجهه . وقوله : به قد سقى الله صوب الغمام كلها دالة على حسن
التوسل والاستغاثة بالنبي (ص) لانه سمعها ولم ينكرها بل استحسناها .

- ٤ -

مما يتعلق بالاقسام على الله بمخلوق ما ذكره ابن خلكان في تاريخه قال حكى سفيان
الثوري عن طارق بن عبد العزيز عن الشعبي قال كنا بفناء الكعبة انا وابن عمر وابن الزبير
واخوه مصعب وعبد الملك بن مروان وذكر دعاء كل منهم ان يعطى متمناه فاعطيه
فكان من دعاء عبد الله بن الزبير (اسألك بجرمة عرشك وحرمة وجهك وحرمة نبيك
عليه السلام) .

- ٥ -

مما يتعلق بالنذر رداً على استشهاد الصنعاني بحديث ان النذر لا يأتي بخير وانما
يستخرج به من البخيل ما رواه صاحب الكشاف والبيضاوي وغيرهما في تفسير قوله
تعالى (يؤفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيراً) ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً
- ويتيمماً واسيراً انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً « الآية ») عن ابن عباس
ان الحسن والحسين عليهما السلام مرضا فعادهما رسول الله (ص) في ثاس معه فقالوا يا أبا
الحسن لو نذرت على ولديك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما ان برأ مما بهما ان
يصوموا ثلاثة ايام فشفينا (الحديث) قالوا ما حاصله ان علياً (ع) استقرض ثلاثة اصوع
من شعير فطحننت فاطمة صاعاً واختبزته فجاءهم عند الافطار مسكين فآثروه وجاءهم في

اليوم الثاني يتيم فأثروه وفي اليوم الثالث اسير فأثروه فنزل جبرئيل وقال خذها يا محمد هناك الله في اهل بيتك فاقرأه السورة (انتهى) .

- ٦ -

مما يتعلق بالتبرك بمنبر النبي (ص) وبآثاره ما ذكره السهمودي في وفاء الوفا^(١) عن الاقشيري عن يزيد بن عبد الله بن قسيط رأيت رجالا من اصحاب رسول الله (ص) اذا خلا المسجد يأخذون برمانة المنبر الصلعاء التي كان رسول الله (ص) يمسكها بيده ثم يستقبلون القبلة ويدعون . قال : وفي الشفاء لعياض عن ابي قسيط والعتبي رحمهما الله كان اصحاب رسول الله « ص » اذا خلا المسجد حبسوا رمانة المنبر التي تلي القبر بيمينهم ثم استقبلوا القبلة يدعون « انتهى » .

مستدركات الطبعة الاولى

- ٧ -

لم يكن نسب السعوديين اليهودي مجهولا في نجد ، بل كان الكثيرون يعرفونه ويعرفون كيف تظاهر السعوديون بالعروبة والاسلام سترأ لاغراضهم ومطامعهم . ومن اشار الى هذا النسب الشاعر النجدي الشهير « حميدان الشويمر » الذي كان يحيد نظم الاشعار الشعبية المعبرة عن احساس موطنه .

ولما تحالف محمد بن سعود مع محمد بن عبد الوهاب واستحلا دماء العرب والمسلمين ، لم يستطع هذا الشاعر السكوت على المحنة التي حكمت سلالة اليهود برقاب النجديين وغير النجديين من حملة الاسلام وحفدة العروبة . . وكان هذا الشاعر يقيم ببلدة في اواسط نجد تسمى « اوشيقر » تقع قريبا من جبل يدعى « عوصاء » كان يتردد عليه « حميدان » ، فقليل له يوما : لا تذهب الى هذا الجبل لان ذئابا تجوبه فتفترس الناس . فضحك الشاعر قائلا : مسكينة هي الذئاب ، انها مظلومة منذ عهد يوسف بن يعقوب ثم انشد :

ما اخشى ذيبا في عوصا اخشى عوداً في الدرعية ^(١)
 قولاً ^(٢) حق وفعلاً ^(٣) باطل وسلاحاً ^(٤) كتب مطويه
 خلى هذا يذبح هذا وهواً ^(٥) جالس في الزولية ^(٦)
 دم يهودا ^(٧) في عروقا ^(٨) من اصول عبرانية
 دعوتهم للدين الكاذب ما هي دعوه محمديه

- ٨ -

لكي نعرف ما قدمه السعوديون في الحرب الفلسطينية يكفي ان نأخذ هذه الفقرة من مذكرات القائد طه الهاشمي الذي كان رئيساً للجنة العسكرية المنبثقة سنة ١٩٤٧ - ١٩٤٨ عن جامعة الدول العربية للاشراف على حرب فلسطين . وقد نشر هذه المذكرات في جريدة الحارس البغدادية ، قال الهاشمي :

ان الحكومة السعودية ابرقت للجنة العسكرية عن اسلحة معدة لانجاء فلسطين موجودة في (سكاكة) بالصحراء السعودية ، فارسلت الحكومة السورية طائرات عسكرية فاحضرت تلك الاسلحة لدمشق وسلمتها الى المصنع الحربي التابع للجيش السوري لفرزها وتبويبها ، فاذا هي اسلحة عتيقة متعددة الانواع والاشكال ، فيها الموزر والشنيدر والمارتيني الخ وفيها بنادق فرنسية وانكليزية وعثمانية ومصرية ويونانية ونمساوية ، وكلها بدون جبخانة وكلها مصدئة (خردة) لا تصلح لقتال ... ثم قال الهاشمي : انهم وجدوا بين هذه الحدايد بنادق مما تعبأ بالكحل من فوهتها وتذك من الفوهة ايضاً ، وانها من مخلفات حملة الجيش المصري على الوهابيين في اوائل القرن التاسع عشر .. « انتهى » .

وليس هذا فقط فان رؤساء الوفود العربية في هيئة الامم المتحدة ارسلوا عشية الموافقة

(١) عود : اي شيخ ، والدرعية هي البلدة التي اتخذها ابن سعود وابن عبد الوهاب قاعدة لها (٢) قوله (٣) فعله (٤) سلاحه (٥) هو (٦) السجادة (٧) اليهود (٨) عروقه .

على قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٨ برقية الى الملك السعودي يلحون عليه باصدار تصريح - مجرد تصريح - يهدد فيه بقطع البترول اذا صوتت امريكا على التقسيم واعترفت باسرائيل . فماذا كان رد الملك ؟

كان ان اعطى تصريحاً معاكساً قال فيه : « ان المصالح الامريكية في السعودية محمية ، وان الامريكيين هم من « اهل الذمة » ، وان حمايتهم وحماية مصالحهم واجب منصوص عليه في القرآن الكريم ! »

وهكذا تم تقسيم فلسطين واقامة اسرائيل واعتراف امريكا بالدولة المغتصبة بعد اعلان قيامها بدقيقة واحدة ! .

الخاتمة

ولنقطع الكلام على هذا القدر من الرد حامدين المولى تعالى على توفيقه لا كمال هذا الكتاب وكان الفراغ من تسويده في اواخر شهر رمضان المبارك سنة ١٣٤٦ من الهجرة بقرية شقرا من جبل عامل ووقع الفراغ من تبليضه واعادة النظر فيه في اواسط ربيع الاول سنة ١٣٤٧ بمدينة دمشق المحمية والحمد لله وحده وصلى الله على رسوله محمد وآله وسلم .

ومن تجديده واعادة طبعه على يد ولد المؤلف حسن الأمين في بيروت سنة ١٣٨٢



المقود الدرية

في رد شبهات الوهابية

تأليف المغفور له: السيد محسن الأمين
حققه وأخرجه: ولده حسين الأمين

(الطبعة الثانية)

١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين (وبعد) فهذه القصيدة المسماة « بالعقود الدرية في رد شبهات الوهابية » نظم الفقير الى عفو ربه الغني محسن الامين الحسيني العاملي تجاوز الله عن سيئاته .

اشجاك ربع عند برقة ثمهد	اقوى فبت مسهداً لم ترقد
لعب الزمان به وبان قطينه	من رائح منهم وآخر مغثدي
ام هل شجيت بذى الاراك لساجع	فوق الغصون من الاراك مغرد
ام هل حننت الى نوازل بالحمى	رقدوا وبت لهم بليل الارمد
غادين قد زموا المطي لواغبا	حتى اناخوها باعلى الاثم
وبقيت بعدهم لذكر فراقهم	تبكي بدمع للخدود مخدد
ام هل بكيت على الشباب وعصره	ام هل صبوت الى الحسان الخرد
مثل الغصون بها القدود تمايلت	ولها الثياب كأنها الورق الندي
ترمي لواحظها المريضة في الحشا	عن قوس حاجبها سهام مسدد
وتسل من بين الجفون صوارما	مشحودة تزري بكل مهند
ما عاد دمع العاشقين موردا	الا لحرمة خدها المتورد
باتت بليلة نائم ما مسها	سهد وبت لها بليل مسهد
من كل واضحة الجبين اسيلة الـ	خدين خود بضة المتجرد
بيض نواعم كالغصون اوانس	عين نوافر كالطباء الشرد
حملت هن الارداف احقافا ومن	اعطافها مثل الغصون الميد
ما كان حظ الصب يوم وداعها	بالرمل الا لحة المتزود
دع ذكر ايام الصبا ومواقفا	لك عند رسم المنزل المتأبد

واهجر احاديث الغرام وصبوة بعد المشيب لذات قد املد

* * *

قم وابك منتحباً لما قد حل
ابناؤه متشاكسون عراهم
زرعوا وكان الغير حاصد زرعهم
وملوكة امسى يقوض ملكهم
فرحون باسم مملك لكنه
ويقوم فيهم من يسمى مصلحا
او مرشداً هو احوج الاقوام لو
معبوده اما هوى او درهم
او من يذم مقلداً لكنه
او من يقلد دينه فيهم الى
او من يثير ضغائننا ما بينهم
ويقوم باسم الدين يوقد نارها
يقلّي أخاه به ويظهر بغضه
او من يروج في الانام ضلالة
في كل شارقة عرين يستبا
في كل غاربة لهم حصن
في كل ناحية لهم شمل يبدد
في كل يوم نحوهم سهم يسدد
قد أصبحوا ما بين ثاو خامل
يسمي ويسبح دهره من حيرة
اين الألى فتحوا الحصون وقلدوا

بالاسلام من وهن وفرط تبدد
محولة ما بينهم لم تعقد
يا ويح ايد زرعها لم تحصد
ابداً بسيف عنهم لم يغمد
لسواه كالمملوك والمستعبد
بين البرية وهو عين المفسد
عقل الأمور الى اتباع المرشد
فسوى الدراهم والهوى لم يعبد
لو كان يعلم ليس غير مقلد
شخص لأثام الورى متقلد
كادت تئات كأنها لم توجد
بغيا ولو لا بغيه لم توقد
ويقوم مفتريا عليه ويعتدي
ويخالها رشداً وان لم يرشد
ح على الاساد من مستأسد
يخرب بعد حصن بالخراب مهدد
بعد شمل قبل ذاك مبدد
اثر سهم للنحور مسدد
دان وآخر في البلاد مشرد
والطرف بين مصوب ومصعد
بالسيف طوق الذل كل مقلد

من كل قرم للكفاح معاود
يمشي الى الهيجاء مشية مسرع
لم يكف ما قد حل بالاسلام
وتقسم المستعمرين بلاده
وتتابع الحملات من اطرافه
حتى اتت اعراب نجد تبتغي
جاءت مجددة لدين محمد
جاءت لتهدي الناس وهابية
من عصبية فيها الجمود سجية
لولا المساعي الاجنبية ما اغتدى
لولا سيوف الغرب لم يك نجمة

* * *

فرغت من التوطيد للاسلام لم
قد مهدت شرع النبي ولم تدع
وبها طريق الدين صار معبدا
لم يبق في الاقطار من متمجس
ما ان ترى بين الورى من فاجر
ردت عن الاسلام كل معاند
ومحت من الاسلام كل ضلالة
شنت على المستعمرين جميعهم
شهرت بمصر والعراق وجلق
في المغرب الادنى علت راياته
فتحت اقاصي ارض اشبيلية
قد حررت شرق البلاد وغربها
طردت عن الاسلام كل محاول

تترك من الاسلام غير موطن
في الارض شيئا منه غير ممد
لم يبق منه قط غير معبد
من فضل دعوتها ولا متهود
عاص ولا من شارب ومعربد
وحته من باغ عليه ومعتد
او بدعة او شبهة من ملحد
غاراتها في كل قفر فدغد
والهند اسيافا له لم تغمد
والشرق الادنى كذا في الابد
وتخوم اندلس حوتها باليد
بسيوفها من غاصب مستعبد
فتح البلاد وغيره لم تطرد

قد جردت في الفاتحين سيفها
لم تبق من مستعمر في ارضه
ينسى بها عهد الفتوح وما جري
ردت الى العرب الكرام فخارهم
وعلى سوام وجهت حملاتها
هذا الحجاز جميعه في كفها
ولها البقيع وحائل ومربع الد

* * *

لم يبق غير قبور آل محمد
وقبور آباء النبي وصحبه
فاذا محت ما شيد من بنيانها
امسى بها التوحيد مفقوداً فعمد
فعدت عليها كالوحوش ضواريا
ما قبر احد عندها امسى سوى
كلا لعمر الله هدم قبورهم
قد حاولت والله مكمل نوره
جرت على الاسلام اعظم ذلة
ساعت جميع المسلمين بفعلها
ساعت امام المسلمين محمداً
ساعت اله العرش فيهم فاغدت
لم يكف ما صنعت بهم اعداؤهم
حتى غدت بعد المات خوارج
لم تحفظ المختار في اولاده
وهم الائمة للورى والمثرة الد
لم تحفظ المختار في آباءه

شيدت ضلالا في بقيع الفرقد
بوجودها الاسلام لم يتمد
لم يبق في الاسلام غير مشيد
هدمت فما في الكون غير موحد
وغداً ستبعتها بقبر محمد
صم لقد ضلت ولما تهتد
هدم لصرح بالفخار بمرد
اطفاء نور ساطع لم يخمد
بفعلها وأتت بكل تمرد
ورمت قلوبهم بحر موقد
واليه في قرياه لم تتود
منه بمنزلة القصي البعد
بجياتهم من كل فعل انكد
في الظلم بالماضين منهم تقتدي
وسوام من احمد لم يولد
نهادون حقاً قدوة للمقتدي
من اصيد متفرع من اصيد

لم تحفظ المختار في اعمامه
 لم تحفظ المختار في اصحابه
 لم تحفظ المختار في ازواجه
 هدمت قبابا فوقهم قد شيدت
 فوق الامام السيد الحسن الزكي
 والعايد السجاد زين العابدين
 والباقر العلم ابنه والصادق الـ
 والسيد العباس عم محمد
 والخبز عبد الله خبز الامة الـ
 وصحابة الهادي الذين بنصرهم
 والناصر المختار والد طالب
 والمطعم الحجاج عفواً .سيد الـ
 وخديجة الغراء ام المؤمنين
 والطهر آمنة وعبد الله يا
 وامام طيبة مالك وضريح اسـ
 قوم لهم اسمى مقام ادركوا
 سبقوا البرية في الفضائل من مسو
 ولهم من النسب الصراح صراحه
 من كل فذ ماله من مشبه
 ولامهاة المؤمنين مكانة
 وبقبر حواء وهدم ضريحه
 ام الانام تعق بعد وفاتها
 ساءوا بذلك نسل آدم كله

من كل قرم بالعلی متفرد
 وهم الذين هم غدونا نقتدي
 ولهن منه حرمة لم تجحد
 معقودة من فوق اشرف مرقد
 ابن النبي ابن الامام السيد
 بن بن الحسين الراكع المتشهد
 بقول المفضل جعفر بن محمد
 رب المفاخر والعلی والسودد
 ببحر الخضم ومرشد المسترشد
 للدين قد فازوا باعذب مورد
 عم النبي وحمزة المستشهد
 بطحاء معطي الرغد للمسترفد
 بن ومن سمت شرفا مقام الفرقد
 لله لليوم الفظيع الاسود
 ماعيل نجل الصادق المتعبد
 قصب السباق به برغم الحسد
 د قد غدا ما بينهم ومسود
 شرف قد اشتركوا به في القعدد
 او كل ندب في الفضائل مفرد
 حكمت ببر في الوری وتودد
 باب المذمة عنهم لم يوصد
 من فعل ابناء عليها تعتدي
 ولآدم جاءوا بما لم يحمد

* * *

ياقبة بثرى البقيع منيعة شأت الفراقد والسهي في مُصعبد

ولقبة الافلاك دون منالها
 شعت بها انوار آل محمد
 من كل قد في البرية مغتد
 في بقعة ودت نجوم سمائها
 والشمس ترمقها بناظر حاسد
 كف الثريا قاصر عن نيلها
 تعتر بالفضل العظيم المعتملي
 عاثت بشاخها اكف جفاتهم
 هدمت معاوهم رفيع بنائها
 عجباً لاحداث الزمان وما انت
 أعمال الاسلام تمحى جهرة
 قد نال قبر السبط شبه فعالهم
 ولما تقدم من قبيح فعالهم
 أبقى له ولهم مخازي جمة
 زعمت بأن الدين أوجب هدمها
 يدعو ابا الهياج حيدر اني
 كان النبي بمثل ذلك باعشي
 لا تبقى قبراً مشرفاً الا وقد
 لو انه قد صح اسناد لها
 اني وليس طريقها بمصحح
 فيه المدلس والذي كثر الخطا
 وبها ابو الهياج منفرد ولي
 سويته معناه مستويا لقد
 هذا هو المعنى اذا متعلق

شأو الظليع غدا وسين المجهد
 بسنا على طول الزمان مخلد
 در النبوة بالامامة مرتدي
 في الارض من حصباها لو تفتدي
 ويرد عنها البدر مقلة ارمد
 ابدأ وعنها الشمس قاصرة اليد
 وتطول بالشرف القديم الاتد
 يا للابا والدين عيث المفسد
 ومحت محاسنها بذاك المعهد
 فذئابه داست عرينة ملبد
 والمسلمون بمنظر وبمشهد
 في القبح من متوكل متمرد
 في كربلاء زمانه لم يبعد
 مها يطل زمن بها تتجدد
 لرواية جاءت بمسند احمد
 لك باعث فانهض بأمرى واجهد
 وبذي الوصية آمري ومزودي
 سويته فاقصد لذلك واعد
 ليست تعارض سيرة لم تجحد
 وبواضح التوثيق لم تتأيد
 منه ومن بغض ابن عم محمد (١)
 س له سوى هذا الحديث المفرد
 صيرته لا اذا سنام يفتدي
 لم يذكره له بغير تلدد

«١» يعلم تفسيره وتفسير غيره بما فصلناه في كشف الارتياح فراجع .

أبدأ سوى هذا به لم يقصد	في الذكر سواها وسوى قد اتى
امر فاتبه ترشد	ففقاده نهي عن التسليم بالتسطيح
بصحيحه فبمثله فاستشهد	وعليه اوردته دليلا مسلم
القسطلاني الامام الاوحدي	وبذلك الثنوي فسرته كذاك
في العرف الا عند ذي فهم ردي	سويته ما ان يفيد هدمته
هم منه ذو فهم صحيح جيد	كلا ولا سويته بالارض يفـ
والرفع بالاجماع سنة مهتدي	مع ان هذا لم يقله مسلم
للقبلة المعلاة فوق المشهد	مع انه لو تم ليس بشامل
يشمل بناء حوله في الاجود	اذ كان مخصوصا بنفس القبر لم

يا ويلها عن احمد لم يسند	هيئات هدم قبور عترة احمد
اذكى القلوب بغلة لم تبرد	يا للرجال لهول خطب فادح
وتقوم فينا في مقام الرشد	اعراب نجد تنغي تعليمنا
والى مدينة علمه لم تقصد	جهلت لعمر الله سنة احمد
كذبا ولم يخشوا عقاب الموعد	كم قد روى الراوون عنه رواية
للناس قول تهدد وتوعد	فلذاك قام بهم خطيبا قائلا
عصت الاله وللهدى لم تنقد	كثرت علي من الورى كذابة
فليتخذ في النار اسوأ مقعد	يا قوم من يكذب علي تعمدا
لفظ الخصوص ولا امتدوا للمقصد	ولكم رأوا لفظ العموم وما دروا
ببكاء من يبكي ولم يتجلد	كم قد روهوا من مات فهو معذب
في ذاك لم تشكك ولم تتردد	عمر رواء وخطاته امه
وخصص او مطلق ومقيد	كم مجمل ومبين ومعمم
او من صريح كالكناية يفتدي	كم من مجاز للحقيقة مشبه
مكروهه المحظور لم يتجرد	كم شايه المذنب محتوما ومن
ما النص شرط في خصوص المورد	كم سنة في الناس تحسب بدعة

وتفاوت الافهام فيما قد روى
تخذ الاله هواه في القرآن قد
عبد الذي اصغى الى متكلم
والكفر اطلق في معاصي جمة
الراوون في الاخبار غير محدد
جاءت وتلك حقيقة لم تقصد
متكلما لكنه لم يعبد
ما كفرت كما باق عبد انكد

* * *

او ليس امة احمد اجماعها
وعلى ضلال كلها لم تجتمع
مضت القرون وذوي القباب مشيدة
في كل عصر فيه اهل الحل و
لم ينكروا ابداً على من شادها
من قبل ان تلد ابنها تيمية
افاي اجماع لكم اقوى على
فبسيرة المسلمين تتابعت
اقوى من الاجماع سيرتهم ومن
هيات ليس نبياً ابن بليهد
كلا ولا العلماء قد حصرت به
كلا ولا من وافقوه لحوقهم
والجل من علماء طيبة ساكت
فيه الصواب وحجة لم تردد
فما رويتم في الحديث المسند
والناس بين مؤسس ومحدد
العقد الذين بغيرهم لم يعقد
شيدت ولا من منكر ومفند
او يخلق الوهاب بعض الاعد
امثاله من مورد لم يورد
في كل عصر نستدل ونقتدي
قد حاد عنها فهو غير مسدد
في الناش لم يخطيء ولم يتعمد
هي في بقاع الارض ذات تعدد
او جهلهم من خائف ومقلد
للخوف مكفوف اللسان مع اليد

* * *

دفن النبي المصطفى في حجرة
والمسلمون تجدد في تعظيمها
من ذلك العهد القديم ليومنا
لم يهدم الاصحاب حجرة احمد
بل لم تزل مبنية وبنائها
ان لم يحز فوق القبور بناؤنا
ما كان ممنوعاً لنا احدائه
شات الكواكب في العلى والسودد
ما بين بان منهم ومشيد
تعظيمهم لضريحه لم ينفد
وهم الهداة وقوداً للمقتدي
في كل عصر لم يزل يتجدد
لم لم تهدم قبل حجرة احمد
ابقاؤه عن ذاك غير مجرد

مع انهم قد احدثوا بنيانها
زوج النبي بنت عليها حائطاً
وابن الزبير لها بنى وكذلك
يروى فتى سمع ذلك عنهم
جهلوا تراهم ما علمتم ام غدوا
وتتابع البانون في بنيانها
لضريح احمد حرمة ماردها
من في الورى يا صاح يحجد قدره
انى ودفن الصاحبين يحنبه
قد عد اعظم رتبة وفضيلة
وبنو امية قد ابت دفن ابنه
قالت أيدفن ثالث الخلفاء في
والسبط يدفن عند تربة جده
وتجمعوا مع من يلف لفيفهم
ويقول مروان ايدفن ها هنا
لولم يكن شرف القبور فما الذي
وكذا ضرائح آله فلها الذي

متتابعاً من بعد دفن محمد
بين القبور وبينها لم يعهد
الفاروق ثم سميه فلنقتد
بوفائه فعلى الوفاء تعود
متساهلين وانتم بتشدد
وغدت لاهل الدين اعظم مقصد
غير الجهول وغير ذي الطبع الردي
هيهات شامخ قدره لم يحجد
قد جاوراه كلاهما في ملحد
في الكون يوما مثلها لم يعدد
الحسن الزكي يحنبه في مرقد
أقصى البقيع وفي مكان مبعده
لنقاتلن بذابل ومهند
من مبرق يبغي القتال ومرعد
حسن وهذا السيف تحمله يدي
يدعو الى هذا المقيم المقعد
لضريح جدهم برغم الحسد

قد كان بالثقلين احمد موصيا
وهما كتاب الله ثم العترة
فهما هما تالله لن يتفرقا
وهما قد ضل من لا يهتدي
ان احترامهما على كل الورى
اجر الرسالة ود قربى احمد
والله الزمنا احترام نبيه

فما رواه احمد في المسند
الهادون حقاً للطريق الارشد
حتى ورود الحوض يوم المورد
بهما ومن بهداهما لا يقتدي
فرض بهذا النص لم يتقيد
ما ذاك فعل المخلص المتودد
وذوي المكانة والمقام الامجد

زمن الحياة وفي المات كليها
لا ترفعوا اصواتكم عن صوته
في عهد ام المؤمنين كرامة
كانت تقول لهم فلا تؤذوا رسو
عقد القباب على قبور ذوي الهدى
وكذلك هدم القباب اهانة
والله يغضب والنبي لفعل من
والفعل مها يختلف عنوانه
ليس الذي سمى المعظم سيداً
والمصطفى قد قال سيدنا وسيدكم
ما اسقط الرحمن حرمة مؤمن
هل اذ يموت المرء يعدم فضله
تعظيم قبر معظم لا منع فيه
يعتز ساكنه بحفاد له

في غابر الازمان والمتجدد
لاتجهروا بالقول في ذاك الندي
وتد بدار حوله لم يوتد
ل الله من وتد بدار موتد
فيه احترام ذوي القبور الهمد
لهم غدا في رأي كل مسدد
ينبغي اهانتهم بأمس او غد
فالحكم مختلف بغير تردد
بمعنف في قوله يا سيدي
لسعد ذي المقام الاسعد
بعد المات وفضله لم يفقد
فلم الصلاة على النبي محمد
وجعل خدام تزوج وتفتدي
بين الوري ويهان ان لم يحفد

زعموا البناء محرماً اذ انها
من كان شاهد منكم تسبيلها
هذا افتراء منكم وتحكم
بل ان ما يروى نفى تسبيلها
دفن ابن مظعون بها من بعدما
من بعده الهادي بها دفن ابنه
والناس قد دفنوا بها من بعده
قطعوا بها ما كان من شجر وما
هب انهم وقفوا فلم يك وقفهم

ارض مسيلة لكل موسد
او وقفها بين الوري فليشهد
ان قد تم فطنابه لم ينقد
عنها وأبطل شاهد المستشهد
كانت مواتا طبقت بالفرقد
من غير ما وقف وبالهادي اقتدى
من غير تسبيل ولا وقف بدي
وقفوا لاجل الدفن وقف مؤبد
بالتنع عما قلم ببقيد

لكن ما هدمتوه مسبل في الائم هادمه يروح ويفتدي

عبد القبور المسلمون بزعمكم	كلا فغير الالهنا لم نعبد
ان احترام القبر تعظيم لمن	في القبر من مولى عظيم امجد
قسم بها الاصنام ان قياسكم	يا قوم بالاصنام غير مسدد
فاؤلائكم عبدوا الحجارة كي تقر	هم ونحن لغيره لم نعبد
سجدوا مع الباري لها وتعبدوا	جهلا ولم نسجد ولم نتعبد
ليس احترام ذوي القبور عبادة	لذوي القبور ولا لها في مورد
كل احترام لو يكون عبادة	في الخلق عم الشرك كل موحد
والله الزمنا احترام مساجد	افهل يكون عبادة للمسجد
كم حرمة لمقام رجل خليله	جعل الاله لصخرة من جلمد
والشرع جاء محسنا تقبيلنا	للبيت والحجر الاصم الاسود
واطاعة الابوين فرض لازم	كاطاعة الباري القديم الموجد
لهما جناح الذل فاخفض لا تقل	أف وبالغ في الاطاعة واجهد
ولآدم سجد الملائك كلهم	دون الحبيث قدم من لم يسجد
وليوسف يعقوب مع ابنائه	سجدوا له قدماً سجود تعمد
ما كان شركا لا يكون نزاهة	النص أورد فيه او لم يورد
او كان توحيداً فليس بكائن	شركا فانقص من مقالك اوزد
الحكم للموضوع ليس مغيرا	بالحكم لم ينقص ولما يزد

* * *

الله فاضل بين مخلوقاته	ليس التراب مساويا للمسجد
شهر الصيام على الشهور مفضل	فيه قبول عبادة المتعبد
وكذلك الاسبوع يفصل بعضه	بعضا كذا الساعات فاكفف واهتد
والشمس فضلها الاله على السهي	والبدر ليس مساويا للفرقد

والليث ليس به يساوي ارنب
والارض في شرف البقاع تفاوتت
والمسجد الأقصى المبارك حوله
ان القبور كمن حوته تفاوتت
ذم الالى اتخذوا القبور مساجدا
معناه نهي عن سجود فوقها
فبذاك اضحت وهي غير المدعى
او عن عبادتهم لصورة صالح
قد كن ازواج النبي رأيتها
وكذاك متخذاً عليها مسجداً
كرهت على القبر الصلاة لدى
وعلى القبور اذا بنينا مسجداً
ويجمعه مع زائرات للقبور
اما البناء لمسجد من حولها
من فوق اهل الكهف قد اتخذ
والمسلمون بحول قبر محمد
وبيوت ازواج النبي به لقد
والنهي عن اسراجها لو صح فا
اذ لا تكون به منافع للورى
ولانه عبث واسراف بلا
والنهي عن كتب عليها جاء في

والصقر ليس بمائلا للهدد
هل مكة امست تعد كصرخد
كسواه ام هل حانة كالمعبد
في الفضل والشرف القديم الاتلد
من ذي التنصر قبل والمتهود
او جعلها لك قبلة في المسجد
وعلى الكراهة حملها لم يبعد
بكنيسة في قبلة المتعبد
يوماً لدى الاحباش فانظر تهتد
منه الكراهة قط لم تستبعد
جميع المسلمين ففوقه لا تسجد
منا الصلاة على المقابر تقتدي
تري الكراهة فيه ذات تؤيد
قصد الصلاة فما له من مفسد
غلبوا عليهم مسجداً لم يعهد
قد ما بنوا للناس افضل مسجد
دخلت لدى توسيعه المتجدد
لتنزيه منه ليس بالمستبعد
من قارىء او زائر متردد
نفع فيلزم صرفه في الافيد
خبر ضعيف نادر لم يعضد

★ ★

بذوي القبور فليس بالصنع الردي
ثقل النبي وقدره للمقتدي
في الفضل تعدل مثلها في المسجد

وكذا الصلاة لدى القبور تبركا
ان الائمة من سلالة احمد
قالوا الصلاة لدى محل قبورنا

عنهم روته لنا الثقات فبالهدى
شرف المكان بندي المكان محقق
خير عبادة ربنا في مثله
وكذلك طلب الحوائج عندها
ان القبور بساكنيتها شرفت
بركاتها ترجى لداع انما
لا بدع أن كان الدعاء اليه في
طلب الحوائج عند قبر مفضل
كسؤالها من ربنا في مسجد

منهم اذا شئت الهداية فاقتد
واخو الحجي في ذاك لم يتردد
من غيره فاليه قاعد واقصد
من ربنا ارجى لنيل المقصد
فلساكنيتها منزل لم يحجد
بركات شخص في الضريح موسد
سها صاعداً وبغيرها لم يصعد
عند الاله وبالفعال مسود
او في زمان فاضل لم يردد

* * *

والنهي جاء عن الصلاة الى القبور
لكنه ان صح غير المدعى
لكننا منه الكراهة قد بدت

ر كما رواه احمد في المسند
وكذاك منه حرمة لم تقصد
للفهم في النظر الصحيح الجيد

* * *

والنهي عن تجديدها لا تبين
ان صح كان على الكراهة حمله
ذكر القعود على القبور مؤيد
لكنها في غير من تعظيمه
تالله ما فهم السمول لمثلها

على القبور وفوقها لا تقعد
متوجها فاحمل عليها ترشد
دعوى الكراهة وهو خير مؤيد
تعظيم ربك والنبى محمد
الا الغبي او الغوي المعتدي

* * *

حلتكم دم كل شخص مسلم
بل انتم اولى بكفر انكم
في كل ليلة جمعة هو نازل
وبغير تأويل على العرش استوى
ان الخوارج قبلكم قد كفروا

ورميت بالشرك كل موحد
قد قلمت في الله قول مجسد
فما زعمتم فوق ظهر المسجد
والعقل في التأويل لم يتردد
من كان يوما مثلهم لم يحجد

اشبهتموهم في جميع صفاتكم
وفعلتم بالمسلمين كفعلهم
والمصطفى المختار اخبر عنهم
وكذلك المختار اخبر عنكم
في شامنا بآرك وفي يمن لنا
في صاعنا بآرك وفي مد لنا
قالوا وفي نجد؟ فعاود قوله
قالوا وفي نجد؟ فجاب قائلاً
من نجد الشيطان يطلع قرنه
مأوى الزلازل ارض نجدكم بها
هذا مقال المصطفى في نجدكم
فالحق يا اخوان ليس بنجد
لو يعلم التوحيد منحصرأ بها
او يعلم الاشرار حتماً كائنا
تالله ليس بهين تكفير من
والسفك للدم وانتهاك محارم
واخافة للمسلمين وتركهم
للرأي من شخص خطاه وجهله
قد قلده الرأي وهابية

حتى رأينا امس يظهر في غد
بالصائم المتعبد المتعبد
بمروقهم من دينه بتعمد
اذ قال في نص الحديث المسند
يا ربنا والعيش فيها ارغد
وكذا مدينتنا وظلك فامد
من غير تنقيص وغير تزيد
لهم مقال الحائق المتهدد
في ارض نجدكم له من منجد
فتن ترى من كل شخص مفسد
هيهات ما ان نجدكم بالارشاد
والدين والايمان ليس بمنجد
لدعا لها بدعائه المتعدد
فيما عداها في الدعا لم يجهد
بالله آمن والنبي محمد
منه وجعلك مسلماً كالملحد
ما بين مقتول وبين مصفد
بين البرية ليس بالمستبعد
من مرعد ما بينهم او مزبد



قالوا شفاعة احمد حق وان
من قال في الدنيا له اشفع لي الى ال
بل قل ايا رباه شفع احداً
تسأله اياها بشرك تلحد
باوي فهذا الشرك دون تردد
فيما غدا واقبل شفاعة احمد

من يدع احد للشفاعة فهو من حيث الدعاء عبادة بل نخها لاتدع من احد مع الباري ولا قلنا الدعاء عبادة فيمن دعا لكن من يدعو المشفع قائلاً لا تدع من احد مع الباري به ليس المعية في الوجود مرادة لو كان دعا عبادة من دعي من جاء يدعو شافعاً لشفاعة بل كان من قال اسقني هو عابد كيف الشفاعة حقة وسؤالها ما كان حقاً لا يكون سؤالها قالوا وشرك الجاهلية قولهم كذبوا فشارك الجاهلية لم يكن بل كذبوا رسل الاله وكتبه عبدوهم كي يشفعوا عبدوا وقا العطف والتعليل بينها قضى عبدوا الحجارة طالبين شفاعة ان اصبحت صوراً لعبد صالح لا يقدرون على عبادة ربهم والبعث انكره فريق منهم قالوا دعاء القادرين على الذي لكننا المنوع ان تدعوم كدعاء ميت في القضاء لحاجة كشفا المريض ورد شخص غائب

عباد احد وهو غير موحد بنظيره الانسان لم يتعبد تعبد سوى الباري وربك فاعبد المخلوق مثل الواحد المتفرد يا سيدي اشفع لي له لم يعبد معنى العموم من الدعاء لم يقصد كاعفر ذنوبي واغسلن يا ذا يدي بين الأنام موحد لم يوجد لم يدع من عبد دعاء السيد وكذلك قول انصر صديقك واعضد شرك تعجب للجهالة وازدد شركاً فانهقص من مقالك او زد صنماً لغير شفاعة لم نعبد طلب الشفاعة من شفيع مفرد واتوا بدين غير ذلك مجدد لو اهم لنا الشفعاء يوم الموعد فيما قضى بتغاير وتعدد منها وليس لها الشفاعة تقتدي او غيره لشفاعة لم تعدد زعموا لذا عبدوا المصور باليد والقول في عيسى شهيد المقصد منهم يراد مجوز لم يردد فيما استطاعتهم له لم توجد لم يستطيعها غير رب سرمد ونمو زرع بعد لما يحصد

طلب الشفاعة مثل فعل الملحد
 ذا قدوة وهو المشفع في غد
 لنظيره الإسماع لم تتعود
 سفك الدماء وما لكم من مسند
 متشفعا بوزيره لم يردد
 طرا اليه نلم به ونفند
 ورجوا شفاعته بيوم المورد
 ث بقوله في شعره المتردد
 يغني قليلا لا ولا من مسعد

قلنا فكيف جعلتم من احد
 والله اعطاء الشفاعة فاغتنى
 هذا التناقض لا تناقض مثله
 امثل هذا الجهل قد حلتتموا
 ان الذي يأتي لباب مليكه
 افان تشفعنا باشراف خلقه
 ان الصحابة بالنبي تشفعوا
 هذا سواد قد تشفع واستغا
 كن لي شفيعا يوم مالي شافع

* * *

ذي منزل عند الاله السرمد
 شركا بدا من طالب مستنجد
 ب عند ربك في نجاح المقصد
 تلك الشفاعة فاتخذها تسعد
 مخلوق فهو حقيقة لم يسند
 قصدوا التجوز في انتساب المسند
 بقل الربيع بغير ذا لم تشهد
 بالمستغاث وليس ذا بتعبد
 طلب الدعاء من صالح مستنجد
 فيكون مثل سؤال مشي المقعد
 شركا وليس مريده بمفند
 موجودة في علمه لم تفقد
 قتلوا من الموتى ولا تستبعد
 لم امرى يهدي السلام ويبتدي
 فيما رويوا وسلامه لم يردد

كفرتم من يستغيث بميت
 وزعمتم طلب الحوائج منهم
 انى وليس سوى التشفع بالمقر
 طلب الحوائج ليس شركا انما
 حتى الذي قد اسند الافعال لا
 في المسلمين الحال تشهد انهم
 كبنى الامير مدينة او انبت ال
 فالاستغاثة والدعاء تشفع
 ثم التشفع لا يراد به سوى
 ان كان ليس بقادر في زعمكم
 او كان يقدر وهو اصبوب لم يكن
 فالروح تشفع عند ربك انها
 لا تحسن من في سبيل الله قد
 وترد روح محمد فيرد تس
 بل لا يمر على القبور مسلم

صلوا علي واكثروا فصلاتكم
وعلي تعرض دائماً اعمالكم
ان كان من شر اكن مستغفراً
فاذا استغثنا بالنبي وآله
نسب الضلال لنا وهم شفعاؤنا
ماساغ في دفع اليسير دعاؤهم
هذا التحكم لا تحكم مثله

* * *

قالوا التوسل بالعباد محرم
هذا الكتاب كتاب ربك ناطق
ابداً الى الله الوسيلة فابتغوا
لو انهم جاؤك اذ ظلموا كفت
فازوا بمغفرة الاله لهم وما
حال الحياة وفي المات كليها
ان التوسل بالنبي لدى الحيا
جاءت به الاخبار وهي كثيرة
فلقد توسل آدم بمحمد
وتوسل الاعمى بحق محمد
وتوسل الاصحاب بعد محمد
سألوه بعد الموت يستسقي لهم
وبكوة بين السماء وقبره
وقضى ابن عقاب عقيب توسل
وبعمه العباس يستسقي لهم
بالانبياء وبه^(١) توسل احمد

كذبوا وقد ضلوا سبيل المهتدي
ان التوسل من نجاح المقصد
في الذكر جاءت حجة لم ترد
عن كل نص او حديث مسند
ردوا وانت لدى الدعا لم ترد
فبواحد من ذاك لم تتقيد
ة وفي المات وقبل وقت المولد
قد ضل من بضائعها لا يهتدي
وبآله ومحمد لم يوجد
فغدا بصيراً وهو لما يفقد
بمحمد متحقق لم يحجد
فسقوا به وكأنه في المشهد
مطروا بقيت مثله لم يعهد
بالمصطفى المختار حاجة مجتدي
عمر فكان دعاؤه لم يردد
اذ رام يدفن امه^(٢) في ملحدي

«١» اي بنفسه بقوله بحق نبينا والانبياء قبل اغفر لامي فاطمة بنت اسد «٢» اي فاطمة بنت اسد
مها امه .

ري التوسل في الحديث المسند^(١)
فدع المرا ومن التوسل فازدد
يوم المعاد ونجدة المستنجد
ونجيز اصحاب له واستنجد
عند الاله من المقام الاوحد
واهجر طريقة جامد ومقلد
ويحيب داعيه ولم يتبع
عوني اجبكم عنكم لم ابعده
ادع الاله وغيره لا تقصد
لكم الدعا من غيركم بتأكد
من غيره فيما رووا عن احمد
عن ربه او انه لم يبعد

وبصالح الاعمال قد نقل البخا
هذا يسير من كثير قد اتى
وهو الوسيلة دون كل الانبيا
فيه توسل دائما وبآله
فهم الوسيلة للاله بما لهم
وارفض مقالة جاهل ومعاذ
قالوا قريب ربنا من عبده
ادني اليه من الوريد يقول اد
فلم التوسل والتشفع بالورى
قلنا فكيف الله قال لنا اطابوا
حتى النبي محمد طلب الدعا
هل كان ذلك يا ترى من عبده

* * *

والله نعم المقتدى للمقتدي
بالخلق في قسم له متعدد
ن وبالضحى الضاحي وليل اربد
ت السابحات السابقات لمقصد
فع الذي بالوتر اصبح يبتدي
وابيه ايضا قالها في مورد
فاقر وهو بسمع وبمشهد
قالوا لعمرك جمعهم لم يبعد
قسم على الباري فلا تتشد
في القبر اقناع لكل مفند

الحلف بالخلق شرك عندهم
فالله في القرآن صرح مقسما
بالتين والزيتون والبلد الامية
والعاديات النازعات الناشطا
بالفجر اقسام والليالي العشر والش
والمصطفى وابيك قال بمورد
وكذا بيت الله اقسام عمه
وابيك فاه بها ابو بكر ومن
واتى بمخلوق كذاك بحقه
وبقول مسروق سالتك بالذي

(١) في خبر الثلاثة الذين اسند عليهم الغار فتوسل كل بعمل صالح عمله فانفرجت عنهم الصخرة .

والنهي عن حلف بغير الله مح
او حلفهم باللات والعزى كما
والحمل فيه على الكراهة ممكن
مول على فصل الخصومة يفتدي
قد كان يفعله الجهول المعتدي
واللعن في المكروه لم يستبعد

* * *

ندب زيارة احمد في قبره
فهو الوسيلة في المعاد وفي الدنا
من زار قبري قدروا ووجب له
من زار قبري عند حج كالذي
ولقد جفاني من يحج ولم يكن
من زارني والى المدينة جاءني
من زارني متعمداً جاورته
من حج مكة ثم اصبح قاصداً
ثنتان من مبرور حج خالص
وافى بلال من دمشق لطيفة
لما رآه في المنام معاتباً
واتى اليه باكياً وممرغاً
قد جاء يروي ذلك ابن عساكر
قد كان صالح آل مروان^(١) الذي
يمضي بريداً للسلام على النبي
زار النبي لأمه قبراً ولم
نص رواه مسلم بصحيحه
زوروا القبور رواه ايضاً مسلم
وكذا زيارة غيره من آله
اعظم بندب في النصوص مؤد
نعم الشفيح ونعم جدوى المجتدي
مني الشفاعة للاله ويسعد
منه الزيارة في حياتي تفتدي
لي زائراً من ابيض او اسود
كنت الشهيد له شفيحاً في غد
يوم القيمة جيرة بتعمد
لي بالزيارة زائراً في مسجدي
كتبنا له الجزاء يوم الموعد
متحملاً ليزور قبر محمد
فأفاق ذا وجل بطرف مسهد
وجها عليه بغلة لم تبرد
عنه باسناد قوي جيد
في الأجر من رب السالم يزهد
لغير ذاك بريده لم يبرد
تسلم بزعم الخصم او تشهد
هل بعد هذا النص من متردد
عنه فهل من مسلم لا يقتدي
ومن الصحاب وكل فذ وحدي

وحديث لا تشدد لغير ثلاثة
شد الرجال الى الثلاثة وحدها
مع ان معناه تأكده لها
والى قبا كم كان يأتي المصطفى
لا فرق في الأسفار بين بعيدها
ومضى الى الشهدا بأحد زائرا
والبضعة الزهراء كانت دائما
ندب زيارات القبور مؤكدا
ندب تأكد للرجال وللنساء
وعلى البناء توقفت في الحر وال
لولا البناء درست معالمها وما
ومقدمات المستحب جميعها
لعن الرسول لزيارات القبو
وكذاك متخذ المساجد فوقها
ان صح فهو سوى محل نزاعنا
والنهي مخصوصا غدا بالزائرا
وهي التستر والحجاب فوجهه
فشريكه في النهي محمول على
واللعن في المكروه جاء بكثرة
لعن المحلل والمحل له ولا

حسن تمسحنا بقبر محمد
وضعت على العينين فاطم تربه
تقبيله حسن وليس محرما
شرف الأديم اذا يجاور مصحفا
قصد التبرك فاتبعه محمد
ويكته فعل الواله المتوجد
بل كان تعظيما كتقبيل اليد
ويهان حيث تراه نعلا يفندي

ما جاور المسك الذكي ذكابه
ان الكنيف اذا يعمر مسجداً
فالارض ان امست ضريحاً للنبي
واذا يحاورها حديد ثم او
والنبر المنسوب للهادي يشر
ان الصحابة بالنبي تبركوا
افقبره الحاوي مقدس جسمه
ما كان يركب مالك في طيبة
في قبر فاطمة تمرغ احمد
وكذا يجعل قميصه كفنًا لها

منه الأريج قضية لم تردد
يسمو الى شرف سمو المسجد
او الوصي تنل عظيم السؤدد
خشب ففيه الفضل غير محدد
فه بتشريف له متأكد
ببصاقه ووضوئه في مشهد
عن ذاك ينقص لا اذا لم يزد
قصداً لتعظيم النبي محمد
كيا يبارك ترب ذاك المرقد
دفع العذاب عن التي في الملحد

وكذا توجهنا لقبر محمد
لا منع فيه لذي البصيرة والذي
افتى به المنصور قدما مالك
استقبل الوجه الشريف لدى الدعا
فأجابه لم انت وجهك صارف
لك منه خير وسيلة كانت به
قالوا القبور غدت لديكم وهي كال
للقبر نذركم وذبحكمو له
كلا فلم يذبح ولم يندر لها
لكننا الفقراء خصم بها

عند الدعاء تشفع بمحمد
غطى بصيرته العمى لا يهتدي
اذ جاء يسأله ولم يتردد
ام قبلة جعلت لكل موحد
عنه بل استقبله واسأل واجهد
لأبيك آدم في الزمان الأتلد
أصنام فرق بينها لم يوجد
كالذبح للأصنام من متعمد
من مسلم في دينه متقيد
وثوابها اهدى لرب المشهد

راموا من البدع الخلاص فأوقعوا
اياك والافراط فالافراط كا
ويل لمن امسى يدخن بينهم

بأشد منها في العقاب وانكد
لتفريط كل منها لم يحم
فله العقاب الجرم غير مضرد

يا قوم ان حرمت التدخين عن
 فلفيركم فيه اجتهاد مثله
 وبالا جتهاد غدا الثواب مقررأ
 فلم العقاب عليه منكم ايها
 ان جاز في الشرع اجتهاد للورى
 فدعوا اجتهاد المسلمين فكلهم
 لذوي الاصابة اجرهم متعدداً
 ان كان برهان فحيثونا به
 ادع الأنام الى السبيل بحكمة
 للدين لا اكراه فيه فقد بدا
 ان الشريعة سهلة سمحاء ما
 الحق بالبرهان يظهر للورى

هب ان تشييد القبور محرم
 افليس مصلحة الزمان تجيزه
 فدعوا المفيد من الأمور بزعمكم
 وعن المكوس سكتكم من خوفكم
 هلا سكتكم عن قبور هدمها
 ستم جميع المسلمين بفعلكم
 والناس حاقدة عليكم كلها
 وسررتم الشيطان في افعالكم

اهذه الأيام وهي عصبية
 والمسلمون لكل شخص منهم
 عضدت بمصقول الشبا شجراتهم
 سود يشيب لهن فود الأمر
 بما عراهم عبرة المتشهد
 لكن بغير اكفهم لم تعضد

واها لها معزودة لم تعضد
تورون نار غضاضة لم تخمد
في كل عامرة وقفر فدغد
بغيا ويشحذ حد سيف الأبعد
فلكم تحق عقوبة المتعمد
وضعت عليهم ربة المستعبد
سورية انظر والعراق له اقصد (١)
جلد لذي لب ولا متجلد
بين القبائل فدية للمفتدي
يدكم وللعرب الكرام المحتد
اهل الجود سوى الغبي الاجمد
لكنه امسى لكم بالمرصد
سياكم وفي اخراكم فكأن قد

عضدت ولم يوجد لها من عاضد
قتم بايغار الصدور وجثم
وملأتم الأقطار من غزواتكم
وبها يفل الحد من اخوانكم
واجثم قتل النفوس تمعداً
والعرب انهم هم الاحرار قد
قف بالحجاز وعج على مصر وفي
تلق الفواجع احدثت في حيث لا
واعطف على اليمن المبارك هل ترى
من كان يرجو الخير للاسلام عن
فهو الغبي وكيف يرجو الخير من
والله ليس بغافل عن فعلكم
فتوقعوا عقبي جنايتكم بدن

★

التوحيد فيه قلوبنا لم تعقد
وعز من متفرد متوحد
ولداً ونشهد انه لم يولد
وبغيره من بعده لم نشهد
اعدائهم نبأ ولم نتردد
نحفل بقول مفند ومندد
حيا وميتا باللسان وباليد
فيه تشرف واعتلى للفرقد
فيه جلاء الطرف لا بالاثمد
عند الحب له عن القلب الصدي
غيث الورى واليه رحلك فاشدد

انا نوحدر ربنا وعلى سوى
انفي الشريك وكل ند عنه جل
لم يتخذ جاشاه ضاحية ولا
ولقد شهدنا بالنبي المصطفى
ولآله الأطهار والينا ومن
وبكل ما قد جاء آمنا ولم
ونعظم الهادي وكل معظم
ونعظم القبر الذي قد ضمه
ونزوره متمركين بتربه
وبلثمه وبلمسه يحلى الصدا
زره على رغم الجهول فانه

(١) كان ذلك قبل خمس وثلاثين سنة في غنفوان طفيان الاستعمار «الناشري»

وبه لخط الذنب كن متوسلا	نعم الوسيلة للفقير المجتدي
وهو الشفيع بحيث كل الانبياء	لم يشفعوا عند المهيمن في غد
واسأل من الرحمن ربك عنده	الحاجات تعط منك فيه وتسعد
قم عنده لله ربك داعيا	تبكي بدمع للخدود مخدد
قل يا الهي ارحم به وبآله	واغفر ذنوبي ربنا وتغمد
والثم ثراه فانه خير الثرى	وانشق شذا مسك به وتزود
خير من الركن المقبل تربه	وكذا من الحجر الأصم الاسود
ولقد تشفعنا به وبآله	الله في نيل المنى والمقصد
ولقد برئنا من فعال عصابة	هدمت ضرائح آل بيت محمد
ان كان شركا فعلنا هذا فلا	خير بتوحيد سواه مجد



تم بحمده تعالى نظمها ضعوة يوم الجمعة الرابع من شهر جمادى الثانية سنة ١٣٤٥
وانتهينا من اعادة النظر فيها غدوة يوم السبت التاسع من شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٧
هجريه والحمد لله على توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .
وتم تجديد طبعتها على يد ولد المؤلف حسن الأمين في بيروت سنة ١٣٨٢



تنبيه هام

حدث خطأ مطبعي في تاريخ طبع الكتاب في الصفحة الاولى فذكر انه سنة ١٩٥٢ في حين ان الصحيح هو سنة ١٩٦٢



تصويب اخطاء

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٥	٦	ويتفنون	ويفتنون
٦	٦	ولما رفض	ولماذا رفض
٩	١٨	داخل	داخل
١٠	٣	ينطوا	ينطوا
١٨	١٠	من تربة	في تربة
١٨	٢٣	معتقدة	معتقده
١٩	٢١	واسل	وارسل
٢٠	٤	واعادتها	واعادتهم
٢١	٥	غفير	غفيرا
٢٢	٢٤	فبقي	فبقي
٢٩	٢٢	واطاعة	واطاعه
٣١	١٣	لمسكر	العسكر
٣٤	١٧	لم يبقى	لم يبق
٣٦	١٦	كلما	كل ما
٣٧	٥	الشامين	الشامين
٣٨	٢٣	تد	قد
٤٤	٢٤	لى	الى
٥٤	١٣	للسلطان	السلطان
٦٥	٢٢	اثرا	اثر
١٠٦	١٣	للعادة	العادة

وبقيت اغلاط اخرى لا تحفى على القارىء .

المضامين

صفحة	صفحة
٨٣	٣ مقدمة الناشر
والشيعة ومسجد حمزة	٦ نسب السعوديين
واتلاف كتب المنطق وغيرها	١٢ تاريخ الوهابيين
٨٨ دعوى ان كتب الختابة هي	١٧ حروب الشريف غالب مع
كتب الوهابية وردھا	الوهابيين واستيلاؤهم على
٩٠ مأخذ احكام الشرع الاسلامي	الحجاز وما فعلوه في الحجاز
١١٢ شبه الوهابيين بالخوارج	والعراق وانقطاع الحج في
١١٨ معتقدات الوهابيين ومحو	ايامهم
مذهبهم الذي يدور عليه	٣٧ حروب محمد علي باشا للوهابيين
١٣٤ حكم الوهابيين بشرک جميع	٤٧ الحجاز وتجدد في الحرب العامة
المسلمين	الاولى وبعدها
١٤٤ من آثام الحكم السعودي	٥٢ هجوم الوهابيين على الحجاز
١٤٨ معتقدات الوهابيين التي كفروا	واستيلاؤهم عليه
بها المسلمين وحججهم على	٥٧ من مخازي السعوديين
ذلك وردھا	٦٩ كيف تحكم البلاد السعودية
٣٨٠ استدراك	وتساس
٣٨٤ مستدرکات على الطبعة الاولى	٧٣ فضيحة في حريم الملك سعود
— قصيدة حميدان الشويمري في	٧٤ ماذا يجري في السعودية
نسب السعوديين اليهودي	٧٧ كفآت وظائف الدولة
٣٨٥ ما قدمه السعوديون في الحرب	الكبرى عند السعوديين
الفلسطينية	٧٩ مشاهدات سائح سوداني
٣٨٨ قصيدة العقود الدرية	٧٩ حول المؤتمر السعودي



نواف بن عبد العزيز بن سعود بين الفانيات وكؤوس الخمر



نواف
قد اخذ
يعب
الخمر

عبد الملك بن ابراهيم وعبد الله
باشميل طاغوتا «هيئة الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر» في البلاد المحتلة
من السعوديين ، هذا الجلفان اللذان
استغلا المنكر والمعروف لاذي الناس
البرئين وترويعهم باخس الاساليب
واحط الوسائل : هذا الجلفان نضع
امام بصريها هذه الصور لنواف بن
عبد العزيز بن سعود ، وهو يحتسي
الخمر علناً في خمارات بيروت بين
الفواني العاريات ، ونسألها رأيا
ورأي هينتهما في هذا المنكر ؟!

يا عبد الملك بن ابراهيم ويا عبد الله
باشميل ويا هينتهما المنكرة ، يا اتباع
السكرى واشياع القيان ، ان كان من
منكر يجب انكاره فهو وجودكم

ووجود دعوتكم
الوهابية وان كان
من معروف يجب
الامر به فهو
ازالتكم وازالة
حكومتكم
السعودية .

نواف وقد
تعتقه السكر



نواف وقد بدا السكر في عينيه



